# الوجود العثمانى المملوكى فى مصر

## (فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر)

دكتور عراقي يوسف محمد

دار المعارف

# الوجود العثمانى المملوكى فى مصر

## فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر


تأليف

دكتور عراقى يوسف محمد

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس



الطبعة الأولى

١٩٨٥



دار المعارف

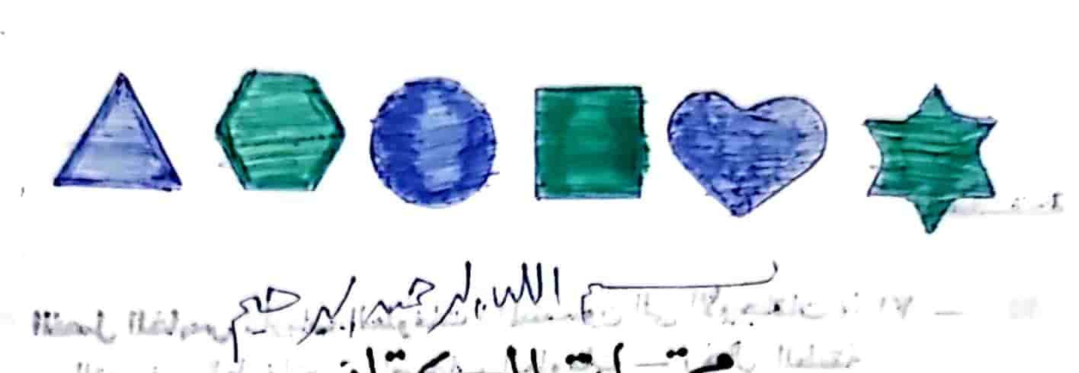
# إهـداء

**الى روح أبى الطاهرة**

**الى امى الطيبة**

**براً ووفاء ، وتقديراً ...**

**المؤلف**



بسم الله الرحمن الرحيم

# محتويات الكتاب

الصفحة

اهداء ٣ — ٤

محتويات الكتاب ٥ — ١٠

مقدمة ١١ — ١٤

تمهيد ١٥ — ١٦

الباب الأول

ترتيب الأوجاقات العثمانية فى مصر ١٧ — ٨٤

الفصل الأول : العنصر العثمانى : ١٧ — ٢٥

أهم الأوجاقات التى التحق بها العنصر العثمانى — النشاط الاقتصادى للعنصر العثمانى — الأوضاع الاجتماعية للعنصر العثمانى .

الفصل الثانى : القابى قوليه ( العنصر العثمانى الوافد ) ٢٧ — ٣٢

مهام القابى قوليه — الأوضاع الاجتماعية للقابى قوليه — سردار القابى قوليه .

الفصل الثالث : العنصر المملوكى : ٣٣ — ٥١

المماليك والأوجاقات فى صدر العصر العثمانى ( القرن السادس عشر ) — المماليك فى مصر فى القرن الثامن عشر — العلاقة بين الأمير ومماليكه — العلاقة بين المماليك انفسهم ( الخشداشية ) — المماليك فى الأوجاقات فى القرن الثامن عشر — مكانة الأمراء المماليك .

الفصل الرابع : العنصر المحلى : ٥٣ — ٧٠

بداية دخول العنصر المحلى الأوجاقات — دوافع الالتحاق بالأوجاقات — تطور الالتحاق بالأوجاقات — نوعيات العناصر المحلية فى الأوجاقات — الأوضاع الاجتماعية للعناصر المحلية فى الأوجاقات ( العناصر الاسلامية الوافدة — المصريون ).

**الفصل الخامس** : أرباب العلوفات ( المنتسبون الى الأوجاقات ) : ٧١ — ٨٤
التعريف بالعلوفات — أصحاب العلوفات — رجال الطبقة الحاكمة ، طبقة المحكومين — ( العلماء والشيوخ — أهل الحرف والتجارة — النساء ) — الدولة والعلوفات .

**الباب الثانى**

الأوجاقات والحياة السياسية ٨٥ — ١٥٧

**الفصل السادس** : الأوجاقات العثمانية من ثورات الجند السباهية حتى واقعة الصناجق ( ١٥٨٧ — ١٦٦٢ ) . ٨٧ — ٩٨

**الفصل السابع** : الأوجاقات العثمانية من نهاية واقعة الصناجق حتى فتنة افرنج أحمد ( ١٦٦٢ — ١٧١١ ) . ٩٩ — ١١٤
الأوضاع السياسية فى النصف الأخير من القرن السابع عشر — مقدمات فتنة افرنج أحمد — فتنة افرنج أحمد

**الفصل الثامن** : الأوجاقات العثمانية من نهاية فتنة افرنج أحمد الى فتنة جركس بك ( ١٧١١ — ١٧٣٠ ) . ١١٥ — ١٣٥
نتائج فتنة افرنج أحمد — موقف الباشا العثمانى من الصراع المملوكى — موقف الباب العالى من اسماعيل بك بن ايواظ — دور اختيارية الأوجاقات فى الصراع المملوكى — دور البلاط الحاكم فى الباب العالى — دور القاضى العثمانى بمصر — اتفاق المصالح بين القاسمية ( الشنبية ) والفقارية — موقف الباب العالى من ( جركس بك شيخ البلد ) — ارتفاع شأن جركس بك — نهاية جركس بك ( الشنبية — القاسمية ) .

**الفصل التاسع** : الأوجاقات العثمانية من نهاية فتنة جركس بك حتى حملة حسن باشا قبطان : ١٣٧ — ٥٧
نتائج فتنة جركس بك — ارتفاع شأن القازدغلية — انفراد على بك الكبير بشئون الولاية ( المماليك العلوية ) — وصول محمد بك أبو الذهب واتباعه لشياخة البلد ( المحمدية ) — موقف الدولة العثمانية من أمراء المماليك فى مصر .

الصـــفحة

الباب الثالث


الأوجاقات والادارة ١٥٩ — ٢٧٩

القسم الأول : الادارة المركزية

الفصل العاشر : الباشا العثمانى : ١٦١ — ١٧١

وصول الباشا العثمانى الى مصر — الباشا العثمانى والادارة بالولاية — الباشا العثمانى والباب العالى — الباشا العثمانى وشئون الرعية .

الفصل الحادى عشر : أمير الحج ١٧٢ — ٢٠١

اهمية امارة الحج — اختيار امير الحج — الاستعداد لموكب الحج — مهام ومسئوليات أمير الحج المصرى — وصف موكب الحج — العربان وقافلة الحج المصرى — تطور أوضاع موكب الحج — موكب الحج المصرى والمواكب الاسلامية الأخرى — عودة الموكب المصرى الى القاهرة .

الفصل الثانى عشر : اغا مستحفظان : ٢٠٢ — ٢٣٦

كيفية تعيينه خلال القرن الثامن عشر — اختصاصات اغا مستحفظان اولا : دوره فى النواحى الاقتصادية ثانيا : دوره فى النواحى الاجتماعية الخاصة بالعسكر والرعية . ثالثا : دوره فى النواحى الادارية والسياسية — ايرادات ودخول اغا مستحفظان .

الفصل الثالث عشر : المحتسب : ٢٣٧ — ٢٤٨

اختيار المحتسب — اختصاصات المحتسب وتطورها — المحتسب وتطور نفوذه — ايرادات المحتسب .

الفصل الرابع عشر : الوالى ( الصوباشى ) واسلوب حفظ الأمن : ٢٤٩ — ٢٥٧

تعيين الوالى — مقر الوالى — اختصاصات الوالى وتطورها — ايرادات الوالى — أسلوب حفظ الأمن فى العاصمة .

الموضـــوع | الصـفحة

القسم الثانى : الادارة المحلية :

الفصل الخامس عشر : العسكر والادارة المحلية : 259 — 279
حكم الاقاليم ( الولايات ) — ادارة الأراضى الزراعية — حفظ الأمن فى الاقاليم — ادارة الثغور — ادارة الجمارك .

الباب الرابـــع

الأوجاقات والحياة الاقتصادية 281 — 370

الفصل السادس عشر : العسكر والزراعة وحيازة الأراضى : 283 — 331
بداية اشـتغال العسـكر بالزراعة — انواع الأراضى الزراعية بمصر — شئون الزراعة ومشكلاتها فى القرن الثامن عشر — النشــاط الزراعى للعسـكر فى القرن الثامن عشر :

اولا : ولايات الوجه البحرى : ( الشرقية — الدقهلية — الغربية — المنوفية — البحيرة — القليوبية — ضــواحى القاهرة ) .

ثانيا : ولايات الوجه القبلى : ( الجيزة — الفيــوم — البهنســاوية — الاشمونين — المنفلوطية — الأسيوطية — دجرجا ) .

الفصل السابع عشر : العسكر والحرف : 333 — 346
بداية اشتغال العسكر بالحرف — اهم الحرف التى عمل بها العسكر فى القرن الثامن عشر : ( الحلاقون — الحمامية — القندلجية — القهوجية — الصاغون — العقادون والترزية — الزياتون والطحانون — الصاغة والنحاسون والحدادون — القوافون والضرامجية — الجباســون .

والعصياتية ــ القصابون والكبابجية والمدابغية ــ القبانية والمراكبية والبصمجية والخردجية ــ صناعة التدريخ ) .
العسكر شيوخ الحرف .

الفصل الثانى عشر : العسكر والتجارة : ٣٤٧ ــ ٣٧٠

التجارة فى مصر فى القرن الثامن عشر ــ اشتغال العسكر بالتجــارة : ( تجارة البن والتوابل ــ تجارة الأقمشة والحراير ــ تجارة القطن والكتان والخيش ــ تجارة الغلال والحبوب ــ تجارة السكر والعسل والعجوة ــ تجــارة أصــناف العطارة ــ تجارة الصابون ــ تجارة الزجاج والأدوات المنزلية ــ تجارة الأخشاب ــ تجارة النترون والشــقيفة والنحــاس ــ تجارة الدخان والحشيش الرومى ــ تجارة الأعلاف) ــ أصحاب الحوانيت والوكالات ــ خلو الحوانيت وايجارها ــ المعاملات المالية والمقايضة ــ العسكر شيوخ طوائف التجار .

الباب الخامس

الأوجاقات والمجتمع المصرى ٣٧١ ــ ٤٢٨

الفصل التاسع عشر : تكوين المجتمع المصرى : ٣٧٣ ــ ٣٨٦

طبقة المحكومين أ ــ فئات المجتمع : المصريون المسلمون ــ المصريون الأقباط ــ العربان ــ اليهود .
ب ــ الأقليات الاسلامية : الأتراك ــ المغاربة ــ الشوام .
ج ــ الأقليات الأجنبية : اليونانيون ــ الأرمن .
الطبقة الحاكمة : أ ــ الصفوة المملوكية .
ب ــ رجال الأوجاقات العسكرية :
ــ تعداد سكان القاهرة والاسكندرية .
ــ تعداد سكان مصر والامبراطورية العثمانية .

الصـــفحة


الفصل العشرون : العسكر والمجتمع المصرى : ٣٨٧ — ٤١٠

اولا : مجتمع العسكر ا — المصاهرات ب — الوصاية .

ثانيا : العسكر فى المجتمع : ا — المصاهرات فى الأقاليم والثغور .

ب — المصاهرات فى العاصمة ، جـ — المعاملات بين العسكر والأهالى .

ثالثا : العلماء والعسكر وامراء المماليك .

الفصل الحادى والعشرون : عادات وتقاليد العسكر فى المجتمع المصرى : ٤١١ — ٤٢٨

ا — الافراح ( حفلات الزواج )

ب — المناسبات والأعياد .

جـ — العادات والتقاليد .

د — مفاسد العسكر

خاتمة ٤٢٩ — ٤٣٨

ملحق رقم ( ١ ) ٤٣٩ — ٤٤٢

المصادر والمراجع ٤٤٣ — ٤٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

تتناول هذه الدراسة ( الوجود العثمانى المملوكى فى مصر فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ) من خلال الأوجاقات ، أى الفرق العسكرية التى كونت الحامية العثمانية بولاية مصر ، وقد تبدلت أوضاع هذه الأوجاقات خلال فترة الدراسة ، بعد أن دخلت الدولة العثمانية مرحلة التفكك والانهيار ، وقوى النفوذ المملوكى — على حساب ضعف الدولة — كما هو الحال بالنسبة للعصبيات المحلية الأخرى .

وهى فى الواقع استكمال لما سبق دراسته فى مرحلة سابقة عن : ( الأوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ) ابان قوة الدولة وتماسكها الى حد ما .

ورغم الصعوبات التى واجهت البحث ، فقد أمكن تتبع الوجود العثمانى المملوكى فى كافة المجالات العسكرية والسياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية بولاية مصر .

انقسمت الدراسة الى تمهيد موجز وأبواب خمسة ، تعرض أولها لترتيب الأوجاقات العثمانية فى مصر وما احتوت عليه من عناصر تمثلت فى العنصر العثمانى — باعتباره العنصر الأصيل فى تكوينها — وقد تراجع نفوذه فى القرن الثامن عشر ، والعنصر المملوكى الذى تزايد وجوده فى الأوجاقات بشكل ملحوظ ، مما أفقدها طابعها العثمانى السابق ، وسيطر رجال هذا العنصر على الكيان العسكرى للأوجاقات ، الى جانب العناصر المحلية الأخرى من المصريين والجماعات الاسلامية الوافدة ( الشوام —

المغاربة ــ الأحباش ) . دخلت الأوجاقات ميدان الحياة السياسية بولاية مصر فى القرن الثامن عشر ، وتأثرت ــ الى حد كبير ــ بالصراعات المملوكية التقليدية ( الفقارية ــ القاسمية ) ، وصارت بذلك أداة فى ايدى أمراء المماليك يستخدمونها فى الصراع على السلطة بالولاية ، خاصة وأن الباشا قد غلت يداه فى سبيل استعادة الوجود العثمانى ، وفى ستينيات هذا القرن تمكن على بك الكبير من توجيه ضربات مؤثرة لاضعاف الأوجاقات حتى لا تشكل عقبة أمام انفراده بالسيطرة ، وتحقيق أطماعه باحياء السلطنة المملوكية . تضاءلت سلطات الباشا العثمانى فى شئون الادارة بولاية مصر تجاه تسلط أمراء المماليك الذين شغلوا أهم المناصب الادارية بالولاية ( مشيخة البلد ــ امارة الحج ــ الدفتردارية ) واستخدموا ( أغا مستحفظان ) فى سبيل تحقيق مصالحهم السياسية ، كما استأثروا بحكم الأقاليم والثغور ، وقد انعكس ضعف الوجود العثمانى على أجهزة الادارة المركزية والمحلية ، التى عجزت عن اقرار الأمن بالبلاد والحد من اعتداءات العربان المتكررة .

اقتحم رجال الأوجاقات مجالات الحياة الاقتصادية المختلفة فى الزراعة وحيازة الأراضى بمختلف قرى مصر خاصة وقد استوطنوا البلاد وطابت لهم الاقامة بها ، واستأثر المماليك ــ بصفة خاصة ــ بجانب كبير من الالتزامات الواسعة ، بينما غاب الدور الاقتصادى لرجال العنصر العثمانى بشكل فعال . وفى مجال الحرف اشتغل العسكر بصنوف المهن المختلفة سواء فى العاصمة أو فى بنادر الأقاليم والثغور ، واحترفوا مهنا وصلوا فيها لدرجات عليا ( شيوخ الطوائف الحرفية ) ، كما باشروا شئون التجارة فى مصر ، وجلبوا الواردات الى البلاد ، خاصة وقد امتلك أمراء المماليك أهم وسائل النقل المعروفة ( السفن الكبيرة ــ المراكب ) ، ومن العسكر من صاروا شيوخا لطوائف التجار . ولا شك أن خروج الأجناد الى الميدان الاقتصادى بحثا عن أسباب الثراء ، قد واكبه ــ فى نفس الوقت ــ اقتحام رجال العناصر المحلية ــ من الحرفيين والتجار ــ المجال العسكرى ليكتسبوا بذلك مزايا اجتماعية تقربهم من رجال الطبقة الحاكمة الى جانب الحصول على رواتب نقدية وعينية ثابتة .

وقد استتبع هذا النشاط الاقتصادى للعسكر حدوث تغيرات اجتماعية تمثلت فى المصاهرات التى عقدت بين رجال الأوجاقات من ناحية وفئات المجتمع المصرى من ناحية أخرى بعد أن تعددت الدوافع وتشابكت المصالح ، رغم اهتمام المماليك — الذين ينتسبون لبيوت مملوكية قوية — بتقوية الوجود المملوكى بصفة خاصة كطبقة حاكمة . وقد تأثر هذا الكيان الأجنبى ( العثمانى المملوكى ) بالبيئة المصرية المحيطة به وافتقدته — تدريجيا — معظم مقوماته الأصلية .

اعتمدت هذه الدراسة — فى المقام الأول — على مصادر أصلية متنوعة ، تمثلت فى وثائق المحاكم الشرعية (غير المنشورة) وقد فصلت الحديث عن أهميتها فى ثبت المصادر ، الى جانب سجلات الروزنامة والمخطوطات العربية والتركية والمصادر المطبوعة ومؤلفات الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، هذا بالاضافة الى المراجع العربية والأجنبية الهامة التى تتناول فترة الدراسة من بعض الجوانب . ولا يسعنى — فى هذا المجال — الا أن أقدم خالص شكرى وتقديرى لأستاذى الأستاذ الدكتور عبد العزيز نوار وكيل كلية الآداب ، جامعة عين شمس فقد كان له الفضل الأكبر فى سبيل استكمال دراسة جوانب البحث المتعددة ، وكان لارشاداته وملاحظاته أكبر الأثر فى توضيح كثير من النقاط الغامضة . ولا يفوتنى أن أعرب عن عرفانى بفضل أستاذى المرحوم الأستاذ الدكتور / أحمد عزت عبد الكريم — تغمده الله فسيح جناته — فقد شجعنى منذ البداية على المضى قدما فى دراسة العصر العثمانى ، وأنوه أيضا بجهود بروفيسور ( هولت ) بجامعة لندن الذى أشرف على هذه الدراسة فى احدى مراحلها عندما كنت فى لندن سنة ١٩٨١ لاستكمال جمع المادة العلمية . كما أسجل شكرى لأساتذتى وزملائى بقسمى التاريخ ( سمنار الدراسات العليا ) واللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس لما قدموه لى من عون صادق .

ويطيب لى أن أشيد بجهود المسئولين بأرشيف الشهر العقارى ، وموظفى دار الوثائق القومية ، ودار الكتب المصرية أثناء جمع المادة العلمية اللازمة للدراسة .

واخيرا ، لعلى — بهذا العمل المتواضع — أكون قد قدمت اسهاما يذكر لكتابة تاريخ بلادنا ( مصر فى العصر العثمانى ) على اسس علمية ثابتة ، وعلى الله قصد السبيل .

**عراقى يوسف محمد**

ميت يزيد — الشرقية

أغسطس ١٩٨٤

# تمهيد

تفوق الجيش العثمانى فى أوائل القرن السادس عشر ، فى استخدام الأسلحة الحديثة — فى ذلك الوقت — وفنون القتال ، وكان ذلك أهم العوامل التى مكنت السلطان سليم من فتح بلاد الشام ومصر ( ١٥١٦ — ١٥١٧ ) ، وتقويض دعائم السلطنة المملوكية بالبلاد .

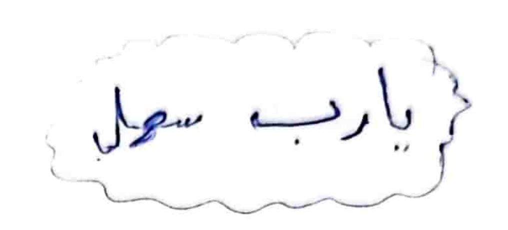
وكان من الضرورى ، عشية فتح مصر — كما هو الحال بالنسبة لباقى الولايات العربية — أن يترك السلطان حامية من العسكر العثمانى ، يعهد اليها بتوطيد السيادة العثمانية بالولاية ، ولقد ترك السلطان سليم الأول نواة للأوجاقات العثمانية بمصر ، التى اكتمل تكوينها وتنظيمها فى عهد خلفه ( السلطان سليمان القانونى ) ، اذ صدر ( قانون نامة مصر سنة ١٥٢٥ ) ، ليحدد اختصاصات كل أوجاق ، وأعداده ورواتبه ، ومهام الأوجاقات فى العاصمة ، ، وفى الأقاليم ( الولايات ) والثغور والقلاع .

وحتى يضمن السلطان بقاء الأوجاقات قادرة على انجاز مسئولياتها ، حدد القانون عددا من الضوابط العسكرية ، وقصر دخولها على أبناء العنصر العثمانى ( التركى ) ، ومنع اشتغال العسكر بأى نشاط اقتصادى من شأنه ابعادهم عن مهامهم الأصلية ، وعهد الى الباشا العثمانى — نائب السلطان بمصر — واغوات الأوجاقات مراقبة تنفيذ بنود القانون ، ومعاقبة الخارجين عليها . وفى الواقع العملى — اتضح لنا من خلال دراسة وثائق المحاكم الشرعية — أن هذا القانون لم يتعد تنفيذه سنوات قلائل ، فما أن استقر العسكر ( رجال الأجاقات ) فى مصر ، حتى تبدلت الأوضاع ؛ فاحتكر الجند العمل العسكرى ، وورثوه لأبنائهم ، كما استغل رجال المالية والادارة بالولاية نفوذهم والحتوا ذويهم بكافة الفرق العسكرية ، هذا

فضلا عن دخول المماليك الوافدين الى مصر تلك الجماعات ، عن طريق الأغوات ورجال الطبقة الحاكمة أنفسهم ، وعلى هذا النحو زادت أعداد الأوجاقات عما حدده القانون — خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر .

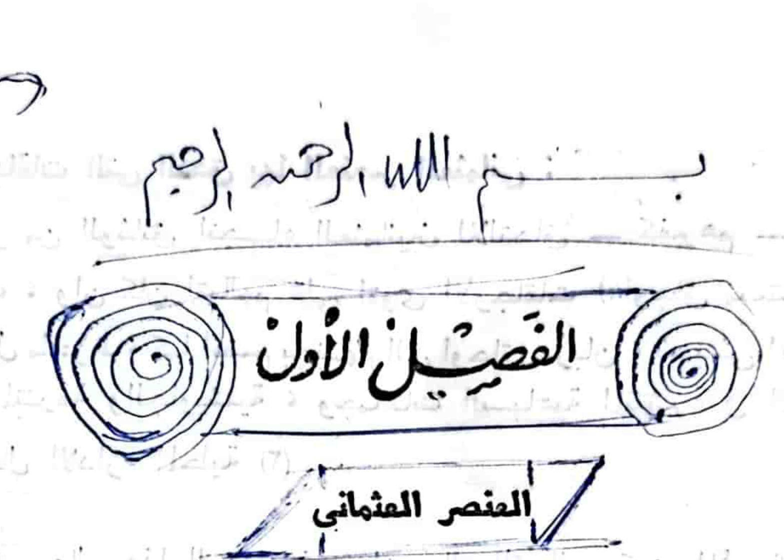
ارتبطت علاقة الدولة بالأوجاقات فى مصر ، بمدى قوتها — فكانت تتدخل فى اختيار أغوات الأوجاقات بشكل منتظم ، وقامت الأوجاقات بدورها فى الحفاظ على السيادة العثمانية بالبلاد ، فتصدت لعصيان بعض الباشوات ، وواجهت ثورات المماليك بعد رحيل السلطان سليم ، وقضت على تمردات العربان — من وقت لآخر — . وبالاضافة الى ذلك ، شاركت الأوجاقات — خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر — فى معظم الحروب التى خاضتها الدولة ، وفى قمع الثورات الناشبة فى بعض الولايات العربية والأوربية ، كما تحملت ولاية مصر نفقات هذه التجاريد المرسلة لنصرة الباب العالى . وأسهم رجال الأوجاقات بنصيب كبير فى ادارة شئون ولاية مصر ، سواء فى الادارة المركزية بالقاهرة ، أو فى الادارة المحلية بالأقاليم والثغور ، وشغل العسكر عدة وظائف فى الجهاز المالى ، وأنجزوا مهام البوليس بالعاصمة وبنادر الولايات .

خرج رجال الأوجاقات عن بنود القانون ، وشرعوا فى ارتياد ميدان الحياة الاقتصادية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، فاشتغلوا بالتزام الأراضى وأمور الزراعة بالأقاليم ، وامتهنوا مختلف الحرف ، كما عملوا بألوان التجارة الداخلية والخارجية ، وادى دخولهم المجال الاقتصادى — والتعامل المباشر مع سكان البلاد ( ابناء الرعية ) — لنشوء علاقات ومصالح فيما بينهم ، وتداعت — تدريجيا — الحواجز القائمة بين الجانبين ، وظهرت العلاقات الاجتماعية على شكل مصاهرات مع أبناء البلاد من مختلف الفئات الاجتماعية ، خاصة وقد طالت اقامتهم واستيطانهم مصر .



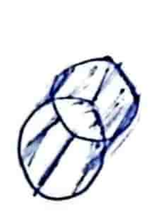

# الباب الأول

## ترتيب الأوجاقات العثمانية في مصر

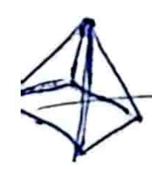


# الفصل الأول

## العنصر العثمانى



رغم تزايد الوجود المملوكى فى الأوجاقات خلال القرن الثامن عشر ، بقى العنصر العثمانى قائما وان كان بشكل محدود عما كان عليه خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ويلاحظ أن المستوى الاجتماعى ـ الذى يظهر من تركات العسكر ـ لهؤلاء العثمانيين كان متواضعا فى غالب الأحيان ، ويمكن التعرف على أصولهم من انتسابهم الى المدن والولايات التى نزحوا منها الى مصر ، كما يظهر فى حصر تركاتهم وجود ورثتهم هناك (١) .



انحدر العصر العثمانى من عدة ولايات ومدن منها : ( استانبول ، أنطاكية ، قيسارية ، منتشا ، أزمير ، نكسار ، ملاطيا ، عينتاب ، أرزروم ، ينى شهر ) ، هذا بالاضافة الى بعض الولايات الأوربية التابعة للدولة العثمانية منها ( ولاية البوسنة ، غاليبولى ، اسبرطه ) ، والجزر مثل : ( كريت ، رودس ) (٢) .

---

(١) أرشيف المحكمة الشرعية بالشهر العقارى : سجلات المحاكم الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، س ٢٠٩ ق ٣٤ ، س ١٢٠ ق ٣٩ ، س ١١٥ ق ٢٢٤ ، س ١١٥ ق ٧٣٣ .

(٢) سجلات القسمة العسكرية ، س ١١٥ ق ٦٥١ ، س ١١٥ ق ١٢٩ ، س ١١٥ ق ١٦٣ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٢٠ ق ٤٣٢ ، س ١٢٠ ق ٣٢٤ ، س ١٢٠ ق ٦٥٩ ، س ١٢٠ ق ١٤٢ ، س ١٢٠ ق ٦٠٤ ، س ١٢٢ ق ١٣٢ ، س ١٢٢ ق ٨٠ ، س ١٢٢ ق ٣٩ ، س ١٢٢ ق ١٨ ، س ١٢٢ ق ٩ ، س ١٢٠ ق ٥٨١ ، س ١٢٠ ق ٢٥ ، س ١٥٢ ق ٤٣٩ .

## — أهم الأوجاقات التى التحق بها العنصر العثمانى :

يظهر من الوثائق اتجـاه العثمانيين للالتحاق — كغيرهم — بمختلف الأوجاقات ، وان كان اقبالهم على أقوى الأوجاقات (أوجاق مستحفظان) يبدو بشكل ملحوظ ، كما انضم بعضهم الى أوجاق عزبان ، ثم باقى الأوجاقات الأخرى المتفرقة والجاويشية ، وجماعات السباهية المنتشرة فى الأقاليم فى خدمة رجال الادارة المحلية (٣) .

سلك رجال هذا العنصر فى مراتب السلك العسكرى للأوجاقات حتى وصل بعضهم لرتبة ( جوربجى ) ، وان كنا لم نعثر على وثائق تشير الى بلوغهم المناصب القيادية فى الأوجاقات ( كتخدا الأوجاق ) أو ( أغا الأوجاق ) وان كان قد عمل البعض أمينا للخردة والبحرين ( بولاق ومصر القديمة ) باعتباره جوربجى عزبان .

واشتغل بعضهم فى مجال خدمة الباشوات العثمانيين مثل الحـرس الخاص بالباشا والقائمين على مباشرة شئونه ، كما تخصص بعضهم فى مجال قيادة السفن فى البحر الأحمر ( قبودان بحر القلزم ) ، وقد لقى البعض مصرعه غرقا لما يواجهه من صعوبات الملاحة فى هذا البحر (٤) .

— واستقر عدد منهم فى الثغور ضمن العسكر المحافظين بها فى السويس والاسكندرية كما خدم نفر منهم فى الجماعات الملحقة بالأوجاقات مثل جماعة ( جبجيان ) الذين يتولون صنع البارود والأسلحة (٥) .

---

(٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٨٣ ، ق ٩٦ ، س ١٣٤ ق ٢١ ، س ١٨٨ ، ق ٢٨٦ ، س ١٥٤ ق ٣٣٢ ، س ١٢٣ ق ٦٥ ، سجلات محكمة الباب العالى س ١٨٠ ق ٤٤٤ .

(٤) سجلات القسمية العسكرية : س ١٣٤ ق ٢١ ، ق ٢٢ ، س ١٤٨ ق ٢٠٠ ، س ١٢٤ ق ٤٩٦ ، س ١٢٥ ق ٣٩٧ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ ، س ١٤٨ ق ٢٨ ، ق ٥٠ ، س ١١٥ ق ١٦٣ .

(٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٦٥١ ، س ١٢٠ ق ٤٣٢ ، س ١٢٠ ق ٢٥ .

ولا شك أن بلوغ بعضهم رتبة جوربجى فى الأوجاقات المختلفة بمصر يعنى استقرارهم لفترات طويلة بالقاهرة مع الابقاء على أسرهم فى بلادهم الأصلية (٦) .

## - النشاط الاقتصادى للعنصر العثمانى :

اشتغل بعض العثمانيين فى مجال الحرف السائدة بمصر فى القرن الثامن عشر ، الى جانب كونهم من رجال الأوجاقات ، وتكشف لنا الوثائق عن بعض الحرف البسيطة التى برعوا فيها من ذلك مهنة ( الحلاقة ) فى عـــدة أحياء وكان المشتغلون بها على مستوى اجتماعى متواضع وينتســـب غالبهم الى أوجاق مستحفظان . كما عمل البعض دلالين لمختلف البضائع والعلوفات التى صارت تتداول بين الناس للحصول على مورد ثابت فى الأوجاقات ، ويبدو انهم برعوا فى هذا العمل حتى نجد بعضهم يصل لوظيفة ( شيخ طائفة الدلالين ) وهو من رجال أوجاق مستحفظان (٧) .

واشتغل بعضهم فى صناعة مختلف الأحذية المستخدمة فى ذلك الوقت وحقق البعض ثروات لا بأس بها حيث بلغت تركة أحدهم ما يقرب من خمسة أكياس مصرية (٨) .

وعمل بعض العثمانيين فى مجال التزام الأراضى بمختلف الولايـــات بمصر ، وان كان اسهامهم بقدر محدود لم يشكل ظاهرة ملحوظة ، وقـــد يرجع ذلك الى أن كيانهم لم يكن قويا لمزاحمة المماليك فى المزادات التى تتم فى الديوان فضلا عن قلة مواردهم المالية اللازمة لدفع الحلوانات المرتفعة (٩) .

---

(٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٥٨١ ، س ١٥٢ ق ٤٣٩ ، س ١٢٢ ق ٣٩ .

(٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٢٢٤ ، س ١٢١ ق ٨٠٠ ، س ١٢٠ ق ٥٨١ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ .

(٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٥٨١ ، س ١٢٣ ق ٦١٥ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ .

(٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٢ ق ١٣٢ ، س ١١٥ ق ٢٢٤ .

ودخل العثمانيون مجال التجارة ، وكان نشاطهم أكثر مما ظهر فى الحرف والالتزام وحقق البعض ثروات لا بأس بها ، ولعل أهم أنواع البضائع التى تاجروا فيها ( التوابل والبن والاقمشة ) ، وكانت تدر ربحا ملحوظا حيث بلغ بعضهم مستوى مرتفعا نسبيا ، فوصلت تركاتهم الى أكثر من خمسة وعشرين كيسا مصريا ، كما يليها فى الأهمية تجارة ( الأبسطة والسجاجيد ) وتجارها من أوجاق عزبان بخلاف معظم التجارات الأخرى ، ووصل بعضهم لمستوى معقول حيث نجد أحدهم يترك مخلفات تقدر بسبعة أكياس مصرية ، ثم تجارة الدخان وحقق المتعاملون فى تجارته دخــلا لا بأس به بلغ ثلاثة أكياس مصرية (١٠) .

هذا بالاضافة الى تجارة المكسرات ( اللوز ، البندق ، الجوز ) والحطب الرومى بخان الخليلى وبولاق وغيرها ، ويظهر أن المشتغلين بها كانوا على مستوى متواضع أقل من ربع كيس مصرى (١١) .

ويبدو أن بعضهم فضل المشاركة فى مجال التجارة برأس المال والحصول على الكسب دون ممارسة هذا النشاط ، وحصلوا على ثروات بســيطة تقدر بما يقرب من كيس ونصف كيس مصرى (١٢) .

كما عمل البعض فى هذا النشاط بتأجير الحوانيت التى يحوزونها أو يستأجرونها من جهات الأوقاف (١٣) .

---

(١٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٧٣٣ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٢٠ ق ٣٢٤ ، س ١٢٠ ق ٦٥٩ .

(١١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٨٨ ق ٢٨٦ ، س ١٢٥ ق ٨٦٦ ، س ١٤٨ ق ٢٨ .

(١٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٣٩٧ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ ، س ١٥٢ ق ٣٣٢ .

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٣٢٤ ، س ١٢٥ ق ٨٦٦ .

## الأوضاع الاجتماعية للعنصر العثمانى :

عادة ما يأتى العثمانى الى مصر وقد ترك أسرته فى بلده ، وسبق له الزواج ، ثم يقدم على الزواج من جديد بعد أن تطيب له الاقامة فى مصر ، مع بقاء الزوجة الأولى ، التى تتولى شئون تربية أبنائه ، فى عصمته ، ويظهر ذلك فيما بعد عند تقسيم التركة على الورثة جميعا سواء فى الديار الرومية أو فى مصر (١٤) .

ويلاحظ أن هؤلاء العثمانيين كانوا يقبلون على الزواج من المعتوقات بالقاهرة ربما يرجع ذلك للتقارب العرقى ولعدم التداخل بشكل كبير فى المجتمع المصرى بل واحجامهم عن ذلك أحيانا (١٥) .

ولكن ظهرت بعض المصاهرات التى تمت بين رجال العنصر العثمانى من ناحية وبين بعض العناصر المسلمة غير المصرية كالمغاربة ، وبعض الحرفيين والتجار من المصريين بشكل محدود بعد أن اقتحم العثمانيون الأنشطة الاقتصادية السائدة من حرف وتجارة والتزامات للأراضى (١٦) .

كما اقبل بعض رجال الأوجاقات ، سواء من أصل مملوكى أو محلى لمصاهرة هؤلاء العثمانيين بعد أن توطدت فيما بينهم رابطة الزمالة فى الأوجاقات العسكرية ، فضلا عن تعاونهم فى المجال الاقتصادى أيضا ، ومن هذه الأمثلة

---

(١٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٢٢٩ ، س ٢٠٩ ق ٣٤ ، س ١١٥ ق ٧٣٣ ، س ١١٥ ق ٧٢٧ ، س ١١٥ ق ٦٥١ ، س ١١٥ ق ٦٦٨ ، ١١٥ ق ١٢٩ .

(١٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ١٦٣ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٢٠ ق ٤٣٢ ، س ١٢٠ ق ٦٠٤ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ، س ١٢٠ ق ١١٢ .

(١٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ١٣٢ ، س ١٢٢ ق ٨٠ ،س ١٢٢ ق ٦٣ ، س ١٢٢ ق ٣٩ ، س ١٢٢ ق ١٨ ، س ١٥٤ ق ٣٣٢ .

المحدودة بالنسبة لمصاهرة العنصر المحلى للعثمانيين : زواج أحد شيوخ الطوائف ( شيخ طائفة النحاسين ) من ابنة أحد العثمانيين (١٧) .

وظهر تعدد الزوجات حيث يكون العثمانى متزوجا من زوجتين فى بلاده ، وبعد أن تستقيم أحواله بمصر يتزوج من جديد ، وان كانت هذه الحالات لم تصادفنا كثيراً فى الوثائق (١٨) .

ونادرا ما يعمد العثمانى الى تطليق زوجته الأصلية بعد زواجه من جديد فى مصر ، خاصة وقد أنجب أبناءه وتركهم فى بلده (١٩) .

وفى قليل من الحالات كان العثمانى يصل للخدمة فى الأوجاقات بمصر وهو لا يزال فى مقتبل حياته ولم يسبق له الزواج ، فيكون زواجه الأول بمصر وعادة ما يفضل الجارية أو المعتوقة (٢٠) .

ورغم حياتهم الجديدة بمصر ، الا أن البعض يبقى مرتبطا ببلاده الأصلية فيحرص على حيازة العقارات والأسبلة والحمامات واقامة المساجد والاهتمام بتعميرها بتخصيص دخل معين لهذا الغرض ، ويتولى شئونها ناظر الوقف بناء على ما حدده الواقف فى وقفيته (٢١) .

---

(١٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٣٧٣ ، س ١٢٢ ق ١٨ ، س ١٢١ ق ٨٠٠ ، س ١٢٠ ق ٤٤٣ ، س ١٥٢ ق ٤٣٩ ، س ١٢٠ ق ٢٥ .

(١٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١١١ ق ٨٣ ، س ١١٩ ق ٩٦ ، س ١١٥ ق ٦٥١ ، س ١١٥ ق ٦٦٨ ، سجلات الباب العالى : س ١٨٠ ق ٤٤٤ .

(١٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٢٢٩ ، س ١٢٠ ق ٣٩ ، س ٢٠٩ ق ٣٤ .

(٢٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٧٣٣ ، س ١١٥ ق ١٢٩ ، س ١٢٠ ق ٣٩ .

(٢١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٢ ق ١٨ ، س ١٢١ ق ٨٠٠ ، س ١٢٠ ق ٥٨١ ، س ١٥٢ ق ٤٣٩ .

ومما يلفت النظر أن هناك حالات متكررة يظهر فيها احجام البعض من هؤلاء العثمانيين عن الزواج سواء فى بلادهم ، أو فى مصر ، رغم ارتفاع مستواهم الاجتماعى وامكاناتهم المادية ، ويتضح ذلك من تقسيم تركاتهم على الورثة من أقاربهم وأهليهم فى بلادهم الأصلية (٢٢) .

وقد يكون بعضهم — نظرا لطبيعة عمله — مثل القباطنة القائمين على قيادة السفن والابحار من مكان الى آخر ، مضطرا الى ذلك ، وربما يصل البعض الآخر فى بداية حياته ، فلا يتأقلم فى البيئة الجديدة ، ومن ثم لا تستقر أموره بمصر (٢٣) .

ومن الطبيعى أن نجد فى بعض الوثائق عددا من العثمانيين — رغم زواجهم أكثر من مرة — لا أولاد لهم ، وقد يشكل ذلك ظاهرة تثير الانتباه (٢٤) .

ومن الملاحظ أن الزوجة العثمانية الأصل كان صداقها مرتفعا اذا قورن بمثيله فى مصر — حينذاك — فكان متوسط الأول ما يقرب من نصف كيس مصرى ، أى اثنا عشر ألفا وخمسمائة نصف فضة (٢٥) .

ومن المألوف أن تسكن الجماعات التى ترجع لأصول واحدة أو متقاربة فى أحياء معينة على هيئة كيانات مترابطة ، فكان أغلب العثمانيين يسكنون فى وكالات بخط خان الخليلى ، والخانات التابعة لهذا الخط ، حيث يعيش محدودى الدخل وبعض الوكالات بحوش الديوان العالى ( وكالة المزين ) ،

---

(٢٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٣٤ ق ٥٨ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ .

(٢٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٥ ، س ١١٩ ق ٨٣ ، س ١١٩ ق ٩٦ ، سجلات الباب العالى : س ١٨٠ ق ٤٤٤ .

(٢٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٣٤ ق ٢١ ، س ١٨٨ ق ٢٨٦ ، س ١٨٣ ق ٤٠٢ ، س ١٨٩ ق ٢١٦ .

(٢٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢١ ق ٨٠٠ ، س ١١٥ ق ٢٢٩ ، س ١٥٤ ق ٣٣٢ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ ، س ١٢٣ ق ٦٥ .

وقد يلجأ البعض الى الاقامة لدى أحد القادة ( جوربجية ) اذا ما تعذر عليه القيام بأجرة السكن ، كما سكن آخرون بخط الصليبية الطولونية ، وخط الشوايين والدرب الأحمر ، وخط باب الزهومة ، وقنطرة الأمير حسن وحول بعض الأسواق والأماكن التجارية . ولم تصادفنا الوثائق ببعض العثمانيين الذين يقيمون بالأحياء الارستقراطية حول بركة الأزبكية أو بركة الفيل على سبيل المثال (٢٦) .

ويظهر من دراسة عدد من تركات العثمانيين أن الغالبية منها قدرت بأقل من كيس مصرى ، وقلما ترتفع لتصل الى ما يقرب من أربعين كيسا مصريا ، خاصة اذا كان أصحابها قد مارسوا ألوان التجارة بشكل واسع . وعادة ما يلجأ العثمانى الى اختيار بنى جنسه ليقوم بالوصاية على أبنائه القصر والاشراف على التركة ، وفى بعض الأحيان يجعل أحد زملائه فى الأوجاق — مملوكا أو محليا — قائما بهذه الوصاية بعد وفاته (٢٧) .

وتبعا لظروفهم الاجتماعية السابقة ، كانت تحدث خلافات حول الارث خاصة وقد تعدد الورثة فى الديار الرومية وفى مصر ، فكان من الضرورى أن يتقدم القادمون من بلادهم باثبات أحقيتهم فى التركة أمام القسم العسكرى وقد يدعو الأمر تدخل الباشا العثمانى أحيانا بارسال فرمان الى القسام لسرعة البت فى هذه الدعاوى اذا ماطل الحائزون على التركة فى تقديم انصبة

---

(٢٦) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٠٩ ق ٣٤ ، س ١٢٠ ق ٣٩ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٢٠ ق ٦٥٩ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ ، س ١٨٩ ق ٢١٦ ، س ١٤٨ ق ٢٠٠ ، س ١٢٤ ق ٣٧٣ ، س ١٤٨ ق ٢٨ ، س ١٤٨ ق ٥٠ .

(٢٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٣٧٣ ، س ١٢٤ ق ٤٩٦ ، س ١٢٤ ق ٥٨١ ، س ١٢٤ ق ٣٧٣ ، س ١٢٥ ق ٥٢٤ ، س ١٢٠ ق ١٤٢ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٢٢ ق ١٣٢ .

باقى الورثة ، وبهذا الشكل كانت تنتقل حصص التركة الى مستحقيها بالديار الرومية (٢٨) .

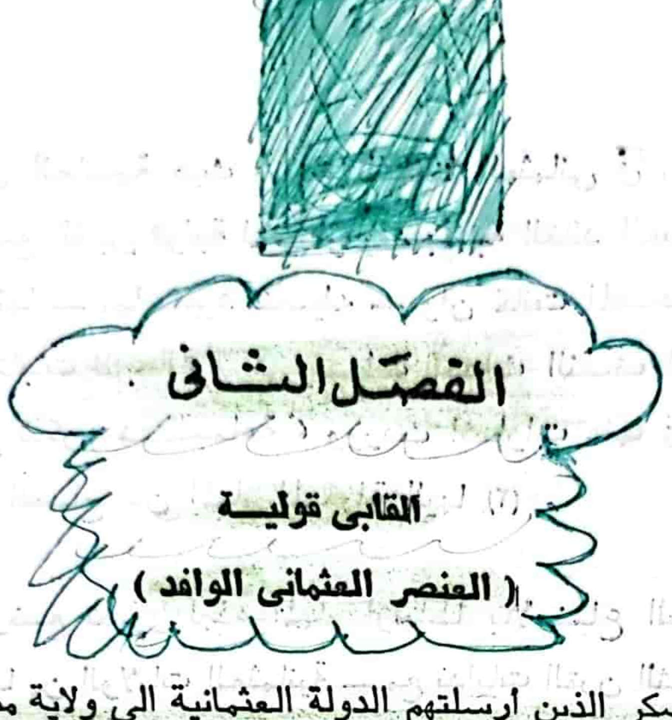
ومن أبرز عادات العثمانيين ذلك الطابع الدينى ، فقد حرص معظمهم على أداء فريضة الحج ، خاصة وان اقامتهم بمصر تتيح لهم هذا الواجب الدينى أكثر من ذى قبل ، ومن ثم يلجأ احدهم الى التوصية بتقديم بدل نقدى معين لأحد زملائه أو بنى جنسه ليؤدى عنه هذه الفريضة اذا ما تعذر عليه ذلك فى حياته (٢٩) .

ومما سبق ، يمكن القول بأن رجال العنصر العثمانى قد فقدوا مكان الصدارة فى الأوجاقات بمصر — خلال القرن الثامن عشر — فقد انحصروا فى الرتب البسيطة دون الوصول الى مراكز قيادية فى الأوجاقات . كما شاركوا بنصيب متواضع فى المجال الاقتصادى — خاصة فى ميدان التجارة — وبصفة عامة كان مستواهم الاجتماعى متواضعا .

---

(٢٨) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٠٩ ق ٣٤ ، س ١٢٠ ق ٣٩ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٢٨٢ ، س ١٢٠ ق ٦٥٩ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ ، س ١٨٩ ق ٢١٦ ، س ١٤٨ ق ٢٠٠ ، س ١٢٤ ق ٣٧٣ ، س ١٤٨ ق ٢٨ ، س ١٤٨ ق ٥٠ .

(٢٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ١١٢ ، س ١٤٨ ق ٢٨ ، س ١٤٨ ق ٣٩ ، س ١٤٨ ق ٥٠ .



# الفصل الثانى

## القابى قوليـــة

## ( العنصر العثمانى الوافد )

هم العسكر الذين ارسلتهم الدولة العثمانية الى ولاية مصر ــ كما ظهر فى الوثائق ــ خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وينتمون الى أوجاق مستحفظان فى العاصمة استانبول ، ويقترن ــ أحيانا ــ اسم قابى قولى بمستحفظان فى وثائق المحاكم الشرعية ، وتعد هذه الجماعة امتدادا للعنصر العثمانى فى الأوجاقات العسكرية بمصر ، وان كانت تختلف من حيث عدم استقرارها الدائم بمصر وانما كانت تظهر من وقت لآخر وفى مهام معينة قد لا تتضح من الوثائق ، وينتمى رجال ( القابى قولية ) الى المدن والولايــات العثمانية : ( استانبول ، أزمير ، أدرنه ، جاليبولى ، عينتاب ، قرمان ، توقات ... ) وان كان هناك قليل من أصول مملوكية ( معاتيق ) (١) .

### مهام القابى قولية فى مصر :

انحصر وجود هذه الجماعة بالقاهرة ، ولم تصادفنا الوثائق بمعلومات عن خروجهم الى الأقاليم وبذلك يتبين لنا انحصـــار مهام ومسئوليات جماعة

---

(١) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٦٧٢ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٣٣١ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ، س ١٢٠ ق ١٤٢ ، س ١٢٠ ق ٧٧٧ ، س ١١٩ ق ٣١١ ، س ١٢٠ ق ١٨٨ ، س ١٢٠ ق ١٦٨ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ ، س ١٢٥ ق ٨٦٦ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ .

ــ محفظة دشت رقم ٢٢١ ق ١٨٥ .

Raymond : Artisans et Commerçants au Caire, Au 18e Siècle. Tome, II, p. 665.

القابى قولية فى العاصمة حيث يستقر الباشا العثمانى فى مقر حكمه بقلعة الجبل . وتخضع القابى قولية لسردار يعد بمثابة القائد العسكرى المسئول عن كافة شئونها — مما سيرد تفصيله — وان كانت المصادر المعاصرة من مخطوطات وكتابات للرحالة والتى سجلت أحداث النصف الأول من القرن الثامن عشر لم تذكر هذه الجماعة ، ووردت اشارات عنها فى وثائق المحاكم الشرعية دون افصاح عن المهام الموكولة اليها (٢) .

ويمكن وضع تصور لهذه المهام ارتباطا بالأوضاع السياسية لولاية مصر — كغيرها من الولايات العثمانية — مع بدايات القرن الثامن عشر والتى اتسمت بنشوب الفتن العسكرية الطاحنة وضياع هيبة الباشا العثمانى فى خضم هذه الاضطرابات ، ففقد السيطرة على موازين الأمور ، ثم ظهور الكيانات المملوكية بشكل مؤثر فى الميدان السياسى والعسكرى ، بل والاقتصادى أيضا (٣) .

ومن ثم يمكن القول بأن الدولة ربما أرادت أن تستعيد مكانتها وسيادتها بتعزيز قوة الباشا العثمانى الحاكم بارسال هذه الجماعة العسكرية العثمانية المرسلة من قبل الباب العالى وتحمل توجيهات وفرمانات فى اطار سرى .

وقد يكون غرض الدولة الأساسى التخلص من عناصر مثيرة للشغب داخل الكيان العسكرى العثمانى فى استانبول (٤) ، فلجأت الى اقحامهم فى

(٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٦٧٢ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٣٣١ ، ق ١٦٦ ، ق ٤١٧ ، ق ١٤٢ ، س ١١٩ ، ق ٣١١ ، س ١٢٠ ، ق ٧٧٧ ، س ١١٤ ق ٤٠٨ ، س ١١٩ ، ق ٥٢٣ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ .

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٣٠ — ٢٤٥ .

(٤) ارسلت الدولة فى سنة ١٦١٣ حوالى الفين من هؤلاء القابى قولية الى مصر ، وذلك لنفيهم الى اليمن ، وقد كانوا يجهلون سبب ارسالهم ، وعندما اتضحت أوامر السلطان سببوا كثيرا من الفوضى والشغب بمصر ، =

هذا المعترك السياسى بمصر ، أو بمرافقة رجال من هذه الجماعة ( القابى قولية ) لموكب الحج المصرى حتى تتصدى لاعتداءات العربان المستمرة التى يتعرض لها الحجاج والتجار المرافقين للموكب ، اذ تشير الوثائق الى وفاة عدد منهم من حين لآخر خلال هذه الرحلة الشاقة . ولم يتضح لنا ما اذا كانت رواتب هذه الجماعة ( القابى قولية ) كانت تصرف من مالية مصر أو ترسلها الدولة ، وان كان أغلب الظن هو استلام رجال هذه الجماعة لرواتبهم مقدما من الدولة ، وهذا الأمر مألوف عندما تخرج جماعة عسكرية لمهمة معينة ولوقت معلوم (٥) .

**الأوضاع الاجتماعية للقابى قولية :**

كان معظم رجال هذه الجماعة العسكرية يتركون أسرهم بالديار الرومية ، على اعتبار ان اقامتهم بمصر لن تستمر طويلا ، وان كان هناك قليل منهم قد تزوج بمصر ، وكغيرهم — من رجال العنصر العثمانى — اقبلوا على الزواج من المعتوقات ، كما صاهر نفر منهم أفندية الأوجاقات المسئولين عن النواحى المالية والادارية بمصر ، وخاصة أولئك الذين طال مقامهم بالبلاد ، بينما عزف نفر آخر عن الزواج سواء فى مصر او فى بلاده الأصلية فينتقل ارثه الى أبويه أو أقاربه (٦) .

وهناك ملاحظة يمكن التعرف عليها وهى وفاة أغلب رجال القابى قولية الذين أقاموا بمصر فى سن مبكر ، وقد تركوا أبناءهم قصرا ، وربما يرجع

= وتمكن الصناجق بمساعدة الباشا العثمانى من اخماد ثورتهم وابعادهم الى اليمن .

نفس المصدر السابق ، ص ١٣٣ وما بعدها .

(٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ١٢٢ ، س ١١٤ ق ٤٠٨ ، س ١١٤ ق ٤٢٢ ، س ١١٩ ق ٥٢٣ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ .

(٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٣ ق ٤٤٢ ، س ١٢٥ ق ٣٤١ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ ، س ١٢٥ ق ٦٥٨ ، س ١٢٠ ق ١٢٢ ، س ١١٩ ق ٥٢٣ ، س ١١٥ ق ٦٧٢ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٣٣١ ، س ١٢٠ ق ١٤٢ .

ذلك الى طبيعة مسئولياتهم العسكرية من تصدى لتمردات فى الداخل أو طريق الحج ، أو عدم التكيف مع البيئة الجديدة (٧) .

وتعددت زوجات بعضهم فى بلادهم ، ورغم ذلك لم يتركوا أبناء من بعدهم . وعندما كان يشعر أحدهم بدنو أجله يقوم باختيار أحد زملائه من القابى قولية ويفضل من ينتمى الى نفس البلدة التى نزح منها ليكون وصيا على تركته حتى يصل ورثته ، ويتم هذا فى حضور سردار القابى قولية وجماعة من رفاقه ، ثم تطورت العلاقات بين القابى قولية وباقى الأوجاقات العسكرية بمصر ، فاختار قليل منهم أوصياء من صفوفها وخاصة ذوى الشأن والنفوذ ( كتخدا مستحفظان ) مثلا (٨) .

ولم نعثر فى الوثائق على اشارات تبين ما اذا كان القابى قولية قد اقتحموا المجال الاقتصادى فى مصر ، وربما يرجع ذلك الى عدم استقرارهم لفترات طويلة أو لتحريم هذا النشاط عليهم خاصة وأن السردار كان على صلة مستمرة بهم . وتركز وجود القابى قولية فى القاهرة فى الوكالات والخانات ( خان الدوادار ، خان جعفر أغا ) ، والوكالات : ( وكالة تحت الربع ، وكالة النحاس ، وكالة الخيش بخان الخليلى ، وكالة خليل جوربجى مستحفظان بالجمالية ) ، وعاشوا فى جماعات مترابطة — كما هو الحال بالنسبة لمعظم الأقليات — وترتبط أماكن سكناهم البسيطة بتواضع مستواهم الاجتماعى — كما يظهر من دراسة مخلفاتهم — فكان معظمهم لا تصل تركته الى كيس مصرى ، وتراوحت تركات بعضهم بين كيس وأربعة أكياس مصرية ، ورغم هذا كانوا حريصين فى حالات كثيرة على

---

(٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٣١١ ، س ١٢٠ ق ٧٧٧ ، س ١٢٠ ق ١٨٨ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ، س ١١٤ ق ٤٠٦ ، س ١٢٠ ق ١٢٢ ، س ١١٤ ق ٤٠٨ ، س ١٢٤ ق ١٠٥ ، س ١١٩ ق ٥٢٣ . — محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٨٥ .

(٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ١٠٥ ، س ١٢٣ ق ٤٤٢ ، س ١٢٥ ق ٣٤١ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ ، س ١١٩ ق ٣١١ ، س ١٢٥ ق ٨٦٦ .

اداء فريضة الحج ، والتوصية ببدل نقدى للقيام وبها اذا لم يتيسر لــه ادائها (٩) (*) .

**سردار القابى قولية :**

ويعرف أحيانا ( أغا القابى قولية ) وهو برتبة ( أوده باشى ) ، ويبدو أنه كان يتغير من وقت لآخر حيث تعددت أسماء السردارة فى وقت قصير ( ١١٣١ — ١١٣٥ هـ / ١٧١٨ — ١٧٢٢ م ) ، ويعد السردار المتكلم لهذه الجماعة والقائم على شئونها ، حيث يتصدى لكل ما يمس رجاله من دعاوى أو غيرها ، ويتم فى حضــوره اختيار الأوصــياء على التركات والأبناء القصر ، سواء فى حياة القابى قولية أو بعد وفاته حسبما يشير فى وصيته ، ويعد السردار وكيلا لأرملة المتوفى من رجاله لاستخلاص حصتها هى وأبنائها من الميراث ، وعادة ما كان يحضر حصر التركات ليحصل على عوائده المقررة على كل تركة حتى اذا لم يكن لها وريث ، وتراوحت عوائده ( بين سبعة ، وعشرة فى المائة ) ، ويتولى منصب أمين بيت مال القابى قولية ، كما يحصل جاويش قابى قولى على نسبة تصل الى ( ثمانية أعشار الألف ) ، وهو مندوب السردار اذا تخلف بنفسه عن حضور هذه المناسبة (١٠) .

ويظهر من الوثائق أيضا — فى بعض الأحيان — اشارات الى عوائد

---

(٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٦٥٨ ، س ١٢٥ ق ٢٤٨ ، س ١٢٥ ق ٣٤١ ، س ١١٤ ق ٤٠٨ ، س ١١٤ ق ٤٠٦ ، س ١١٩ ق ٥٢٣ ، س ١٢٠ ق ١٤٢ ، س ١٢٠ ق ١١٦ .

(*) يتضح من وثيقة أن تركة أحدهم بلغت ٩٨٥٥ نصف فضة وكان قد أوصى بـ ٨,٠٠٠ نصف فضة لأداء فريضة الحج .

(١٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٧٢٧ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٣٣١ ، س ١٢٠ ق ٣٥١ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ، س ١١٩ ق ٤٨٧ ، س ١٢٠ ق ٧٧٧ ، س ١٢٠ ق ١٨٨ ، س ١١٤ ق ٤٠٨ ، س ١١٩ ق ٥٢٣ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٨٥ .

بباب قابى قولى ، وربما تعنى عوائد السردار ، حيث لم يتضح فيها وجود عوائد أخرى بنسبة معينة (١١) .

وكان لهذه الجماعة ( القابى قولية ) بيت مال خاص بها ، وتؤول اليه تركات المتوفين من رجالها ، ولا وارث شرعى لهم بعد استقطاع كافة العوائد والرسوم ، ويتولى مسئوليته احد رجال هذه الجماعة وخاصة الموثوق فى أمانتهم ، وقد يكون سردار القابى قولية نفسه .

ويرتبط بالقابى قولية فى مصر جماعة ( جبجيان اسلامبول ) حيث يظهر وجود بعض رجالها وقد وفدوا من استانبول ، ورافقوا موكب الحج الشريف والمعروف أنهم صانعوا الذخيرة وغيرها من لوازم الأسلحة (١٢) .

وخلاصة القول ، ان جماعة القابى قولية ، هى امتداد لأوجاق الانكشارية ( مستحفظان ) الأصلى ، بالعاصمة العثمانية ( استانبول ) ، وفد رجالها الى مصر فى النصف الأول من القرن الثامن عشر لمهام معينة ، يرأسهم سردار برتبة ( أوده باشى ) ، وكانت اقامتهم فى مصر لفترات معينة ، ومن ثم لم يكن لهم اسهام واضح فى المجال الاقتصادى بالبلاد .

---

(١١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ١٦٣ ، س ١٢٤ ق ٢٠٢ ، س ١٢٣ ق ٤٤٢ ، س ١٢٥ ق ٣٨٦ ، س ١٢٥ ق ٣٤١ ، س ١٢٥ ق ٦٥٨ .

(١٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٦٦٨ ، س ١١٥ ق ٧٢٧ ، س ١٢٠ ق ١٢٢ ، س ١٢٥ ق ٣٨٦ ، س ١١٥ ق ٦٧٢ ، س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١٢٠ ق ٣٣١ ، س ١١٩ ق ٣١١ ، س ١٢٠ ق ٧٧٧ .

# الفصل الثالث

## العنصر المملوكى

### المماليك والأوجاقات فى صدر العصر العثمانى ( القرن السادس عشر ) :

استمر وجود المماليك وعمليات التجارة فى الرقيق قائمة فى العالم الاسلامى رغم زوال السلطنة المملوكية فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، وأصبح السلاطين العثمانيون والصدور العظام والباشوات حريصين على اقتناء المماليك من مختلف الجنسيات سواء من الأوروبيين ( البيض ) أو من الأفارقة ( السود ) ، واهتم رجال الطبقة الحاكمة بولاية مصر بمجاراة السلاطين العثمانيين فى هذا المجال وعاشوا حياة ملؤها الترف ، فاكتظت قصورهم فى العاصمة بالعبيد والجوارى .

ولم يقتصر الأمر على رجال الادارة وأصحاب السيادة فى القرن السادس عشر ، بل امتد بشكل واسع ، وأصبح فى متناول أغوات الأوجاقات العسكرية ورجال الأوجاقات أيضا ، والأمثلة على ذلك كثيرة فى وثائق المحاكم الشرعية (١) .

ومن وسائل الالتحاق بالأوجاقات مبكرا شراء المماليك وادخالهم الأوجاقات ثم يعتقون ليصبحوا أحرارا على أن تبقى علاقة الولاء نحو سادتهم

---

(١) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية س ٢١٢ ق ١٧٢ ، س ١١٦ ق ٤٤ ، س ١١٤ ق ٣١٤ ، ق ٥٠١ ، س ١٢٥ ق ٦٢٦ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٤٩ ص ٢٧٨ ، ق ٥١٥ ، س ٢٣ ق ٨٣ ، س ١٨ ق ١٨٧ ، ق ٣٨٧ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣١٠ ، ق ٧١٥ .

مستمرة ، وفى بعض الأحيان كان السادة يشترطون على مماليكهم مقاسمتهم فى العلوفات المقررة لهم من أوجاقاتهم بعد أن انخرطوا فى السلك العسكرى وذلك نظير عتقهم (٢) .

وعلى هذا النحو صار للدفتردار والروزنامجى والكشـــاف ( حكام الأقاليم ) والبكوات ( أمراء الألوية الشريفة ) وأغوات الأوجاقات وصغار العســـكر مماليك يتبعونهم ، وتختلف أعدادهم تبعا لاختـــلاف مستوياتهم الاجتماعية ، فعلى حين وصلت مماليك أحد الأغوات ما يقرب من عشرين مملوكا ، أصبح للفرد العادى فى الأوجاق مملوكا أو اثنين على الأقل .

وظهرت غالبا العلاقات بين الجانبين ( السادة ومماليكهم ) طيبة ، حيث نجدهم يتبرعون لمعاتيقهم بالمال والأسلحة والخيول اللازمة لحياتهم العسكرية واذا كانت الطبقة الحاكمة فى مصر العثمانية قد عنيت بشراء المماليك منذ القرن السادس عشر ، فان فئات من المجتمع المصرى أيضا قد انتهجت هذا الأسلوب أيضـــا ، فكان لبعض الأشراف والشيوخ مماليكهم الذين انتظموا فى مختلف الجماعات العسكرية (٣) .

وعلى هذا النحو كان العنصر المملوكى من الروافد الهامة التى تغذى الكيان العسكرى للأوجاقات ، منذ بدايات الحكم العثمانى فى القرن السادس عشر ، واستمر ورود المماليك بشكل متزايد حتى طغت الصبغة المملوكية على الأوجاقات فى القرن الثامن عشر ، وتداعت تدريجيا الصبغة العثمانية

---

(٢) عراقى يوســـف محمد : الأوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، رسالة ماجيستير غير منشـــورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، قسم التاريخ ، ١٩٧٨ ، ص ٨٥ ، وما بعدها .

(٣) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٤٥٤ ، س ١١٥ ق ٤٥٢ ، — عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٨٥ — ٨٨ .

Savary : Lettres sur l'Egypte. Tome II, p. 193.
Perry : A view of the levant, p. 156.

خاصة وأنه لم يحدث تغيير وتجديد من حين لآخر للدم العثمانى فى الأوجاقات يماثل ما حدث بالنسبة لنظيره المملوكى .

## المماليك فى مصر فى القرن الثامن عشر :

استمرت تجارة الرقيق فى القرن الثامن عشر ، وشهدت أسواق الرقيق فى استانبول وفى القاهرة — كغيرها من العواصم الاسلامية — العديد من الصفقات التجارية سنويا ، وصار لتجار الرقيق ( الجلابة ) طائفة حرفية كغيرها من الطوائف الحرفية بالقاهرة — برئاسة شيخ الجلابة ، ولعل أهم أسواق الرقيق فى القاهرة تركزت فى خط خان الخليلى ، وفى سوق السلاح ، وفى الصليبه الطولونية ( قرب مسجد ابن طولون ) .

واختلفت جنسيات المماليك : فمنهم من كان يصل من ( جورجيا — القوقاز — تنقاسيا ) ، بينما نجد جماعات أخرى قادمة من افريقيا ( أواسط وغرب افريقيا ) على أيدى تجار الرقيق القادمين من السودان ومن المغرب . واشتغل بهذه التجارة تجار مصريون غالبهم من الوجه القبلى ، وبعض الأشراف والمماليك أنفسهم فضلا عن التجار الأوربيين [٤] .

واختلفت أسعار المماليك تبعا لأعمارهم وصفاتهم البدنية والذهنية ، وتشير وثيقة ترجع الى سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م الى أن كاشف ولاية المنصورة وهو من أمراء المماليك اشترى شابا من المماليك البيض بثمن قدره مائة ريال حجر بطاقة .

ولم تقتصر حيازة المماليك على رجال الحكم بولاية مصر فى القرن الثامن عشر ، بل اتسع المجال وأصبح فى مقدور أبناء المجتمع من المصريين وغيرهم شراءهم وعنى الكثير بعتقهم رغبة فى الثواب حتى ولو كان المعتق

(٤) محمد فتكرى شونه نو : جركسلر ، استانبول ١٩٢٢ ، ص ٧ — ١٢ .

من الفقراء ، واهتموا أيضا بالتوصية لهم بجانب من التركة (٥) .

تلقى المماليك فى مصر فى القرن الثامن عشر — كما هو الحال فى عصر الدولة المملوكية — تدريبات عسكرية فتدربوا على ركوب الخيل لاتقان فنون الفروسية ، واستخدموا كافة الأسلحة المعروفة من السيوف والرماح والبنادق ، كمـــا تربوا تربية دينية بعد اعتناقهم للاسلام ، وهم يتعلمون اللغة التركية واللغة العربية ويتلقنون القرآن الكريم (٦) .

وبصفة عامة كان المملوك يعيش حياة قاسية ليكتسب مهارات ضرورية لحياته العسكرية ، فهو يتعود على تحمل كافة الظروف المناخية واجتياز الصحارى ، ويجب أن يبدى المملوك شجاعة فائقة فى التدريبات العسكرية وصلابة واتقان لفنون القتال المعروفة (٧) .

وهناك من الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى القرن الثامن عشر من أعجب بنظامهم العسكرى وطاعتهم لأمرائهم وسادتهم فهم يعيشـــون فى بيوت سادتهم حتى سن معين — غالبا من الخامسة عشر الى الثامنة

(٥) Browne : Nouveau voyage, Tome I, Paris, 1800, pp. 71-75.
Savary : op. cit., p. 195.
T. Walz : Trade between Egypt and As-Sudan, Le Caire, 1978, p. 65.

(٦) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية س ١١٤ ق ٣١٤ ، ق ٥١٧ ، س ١١٩ ق ٣٤ ، ق ٥٧ .
— مضـــابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصورة : س ٤٩ ق ٢٧٨ ، س ١٨ ق ١٨٧ ، ق ٣١٧ س ٢٣ ق ٧٥٠ ، ق ٨٣ ق ٩٥ .
عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٧) Savary : op. cit., pp. 194-197.
Browne : op. cit., p. 76.
Perry : op. cit., p. 157.
— مؤلف مجهول : كتاب سلاحشور دربيان استعمال آلات حـــرب ، مخطوط تركى بالمتحف البريطانى ، برقم 23, 595 ورقة ٥ ، ورقة ٧ .

عشر — حيث يعتق المملوك ويسمح له بارخاء لحيته ، ويتسلم من أستاذه سلاحا وحصانا ، وتبقى علاقة الولاء تجاه أستاذه .

وأشار هؤلاء الرحالة الى أن المماليك فى مصر لم يكن ينقصهم سوى التكتيك الأوربى فى القتال وجهلهم بفنون الحرب الحديثة .

وعادة ما يكون المملوك الذى يشغل منصب (خازندار) أى المسئول عن أموال سيده هو الأكثر تمييزا بين زملائه ، وتقاس قوة الأمير المملوكى بعدد مماليكه ، ويتراوح ما يحوزه البكوات من المماليك ما بين مائتين ومائة فى المتوسط . أما كبار الأمراء الحاكمين فيتراوح العدد ما بين أربعمائة وستمائة مملوك (٨) ، وتبعا لقوة شخصية الأمير المملوكى ونفوذه تكون أوضاع مماليكه وأحوالهم .

وقد أعجب الرحالة (٩) باحترام المماليك لسادتهم من الأمراء بطاعتهم وولائهم ، وشهدوا مواكب الأمراء وهم يخرجون فى شوارع المدينة تحيطهم جماعات المماليك والأتباع بشكل يلفت الأنظار ، وقد امتطوا خيولهم فى أبهة وعظمة زائدة ، ويرتدون الملابس الفاخرة ، بينما يجرى أمامهم وخلفهم الأتباع حاملين الأعمدة والعصى لابعاد المارة من أمام الموكب وتمهيد الطرقات ، الأمر الذى يسبب ارتباكا فى حركة المرور ، وبذلك حظى أمراء المماليك بحياة مترفة لم يشاهدوا لها مثيلا فى استانبول نفسها ، فبينما يحمل عددالمماليك والأتباع فى أى موكب ما لا يقل عن مائتى نفر ، لم يكن ليزيد رجال أحد البكوات أو الكتخدا نفسه فى استانبول عن اثنين أو ثلاثة ولو كان متجها لاجتماع رسمى (١٠) .

---

(٨) هناك بعض الاستثناءات وأهمها ما حازه على بك الكبير من مماليك بلغوا ما يقرب من ستة آلاف مملوك ، بينما نجده يمنع بقية البكوات والأمراء من حيازة أكثر من ملوكين لتبقى له الغلبة والقوة .

(٩) Perry : op. cit., pp. 217.
Savary : op. cit., pp. 195-197.
Browne : op. cit., p. 70.

(١٠) Perry : op. cit., pp. 217-224.
Walz : op. cit., pp. 30-35.
Mantran : Istanbul dans la seconde moitie du 17e siécle. p. 507-520.

**العلاقة بين الأمير ومماليكه :**

كان الأمير المملوكي بمثابة الأب الروحي لمماليكه ، فهو يهتم بشئونهم ويعنى بكافة أحوالهم حتى الانتهاء من فترة تدريبهم العسكري وتربيتهم الدينية ، ثم يعتقهم ، ولم تنته العلاقة بهذا العتق ، بل تمتد في ولاء المملوك لسيده ووقوفه الى جانبه وقت الأزمات ، فعندما يعين الأمير المملوكي - من البكوات الصناجق - ( أميرا للحاج ) - فانه يختار عددا من مماليكه الخاصة لمرافقة الموكب للتغلب على الأخطار التي تعترضه من جانب العربان خلال الرحلة الشاقة الى بلاد الحجاز (١١) .

كما أن المماليك على استعداد للأخذ بثأر سيدهم اذا ما تعرض لمؤامرة من خصومه تودي بحياته ، من هذه الأمثلة التي حفل بها الصراع المملوكي على السلطة ، ما قام به ( محمد بك الصغير المعروف بمحمد بك قطامش ) وهو تابع ( قيطاس بك الكبير تابع ابراهيم بك بن ذي الفقار تابع حسن بك الفقاري ) فبعد أن قتل قيطاس بك على أيدي عابدي باشا في قراميدان ( ١١٢٦ هـ / ١٧١٤م ) فر تابعه ( محمد بك قطامش ) الى الديار الرومية حتى هدأت الأمور ، وعاد بعد أن غلبت كفة الفقارية ، وبموافقة علماء مصر أرسل عرض الى الدولة بشأنه ، فعاد الى مصر سنة ( ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥م ) ، وشغل منصب الدفتردار ، ومن ثم أخذ يخطط للأخذ بثأر سيده وقتل خصومه ، وتمكن من قتل أحدهم ( علي بك الهندي ) ، ولم يقف دوره عند هذا الحد بل انه قوى جانبه وصنجق أربعة من اتباعه ليكون بذلك عصبية مملوكية قوية ، ولكنه لم يمكث طويلا ، حتى لقى مصرعه في واقعة الدفتردار ضمن حلقات الصراع المملوكي على النفوذ والرئاسة بمصر .

وعندما كان المماليك يشعرون بمؤامرة تدبر ضد سيدهم فانهم يتحصنون ببيته لمواجهة كل من يتقدم لمهاجمته ، ومن الشائع قيام المتصارعين من الأمراء المماليك بالسيطرة على الأوجاقات من خلال أبواب الأوجاقات ( باب

---

(١١) الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، طبعة بولاق ١٢٢٧ هـ ، ص ١٦٧ .

مستحفظان ، باب عزبان ) بالقلعة لادخالها فى حلبة الصراع الى جانبهم ، لينتصر فريق ضد الآخر بمؤازرتهم (١٢) .

وبوصول الأمير المملوكى الى منصب ( شيخ البلد ) المتكلم على شئون ولاية مصر الفعلى فانه يهتم بمكافأة اتباعه فضلا عن خشداشيته بمنحهم رتبة الصنجقية واسناد المناصب الهامة اليهم ، وفضلا عن ذلك غالبا ما كان يرتبط مع مماليكه بعلاقات اجتماعية وطيدة ، كأن يزوج أحدهم ( خازنداره ) ابنته وهذا ما حدث على سبيل المثال من جانب ( اسماعيل بك الكبير ) مع خازنداره ( ابراهيم بك قشطه ) . وغالبا ما يتزوج المملوك أرملة أستاذه أو ابنته بعد وفاته ليفتح بيت سيده ، ويوصى الأمراء المماليك لمعاتيقهم بجانب من تركاتهم سواء من الأموال أو العقارات أو حصص الالتزامات ، والأمثلة عن ذلك كثيرة من خلال الوثائق ، من ذلك وصية أحد أوده باشية عزبان لمعاتيقه الخمسة لكل منهم ما يقرب من نصف كيس مصرى من تركته التى لا تزيد عن سبعة أكياس مصرية سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨م ، كما يوقف البعض عقارات وعلوفات على مماليكهم من ذلك ما قام به أحد الأمراء بوقف عقار كائن بخط بركة الأزبكية بعد وفاته على معاتيقه الأربعة وهم من السود سنة ١١٣٤ هـ / ١٧٢٢ م (١٣) .

(١٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، صص ٢٦٥ — ٢٨٠ .

— الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٦ — ١٧١ .

— أحمد كتخدا عزبان : الدرة المصانة فى أخبار الكنانة ( مخطوط مصور عن النسخة الأصلية الموجودة بالمتحف البريطانى ) ، ص ٤١٧ — ٤٢٦ .

Perry : op. cit., p. 158.

Savary : op. cit., p. 224.

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٤٥٤ ، ق ٥١٧ ، ق ٦٠٧ ، س ١١٥ ق ٢٠٩ ، ق ٧٠٥ ، س ١١٦ ق ٤٤ ، س ١٢٢ ق ١٦٨ ، ق ٥٤ ، ق ٧١ ، ق ١١ ، ق ١٠٩ ، س ١١٩ ق ٣٤ .

— الجبرتى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢ ، ٣٩ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ٨٣ ، ق ٥١٩ ، س ١٨ ق ١٨٧ .

الا أن العلاقات بين الأمير المملوكى ومماليكه لم تكن دائما طيبه ، ففى بعض الأحيان تسوء العلاقات بينهما ، فاذا كان الأمير بخيلا على مماليكه جشعا فى معاملته معهم فانهم يتسببون فى قتله ، وذلك ما حدث بالنسبة لأحد الأمراء ( الأمير محمد جلبى بن ابراهيم جوربجى الصابونجى ) الذى قتل فى طريقه الى السويس .

كما أن أحد كشاف مراد بك ( اسماعيل كاشف أبو الشراميط ) قد تصرف فى حصص التزام واقعة فى حيازته وتركها لزوجته وحرم بذلك مماليكه ، كما أنه تعدى على ممتلكاتهم ، الأمر الذى جعلهم يقتلونه هو وزوجته ، وعوقب هؤلاء المماليك بالاعدام (١٤) .

وفى سبيل الصراع على السلطة كان بعض المماليك الطموحين لا يحفظون ولاءهم تجاه أستاذهم وابنائه وهذا ما قام به ( على بك الكبير ) الذى تحايل على ابن سيده ( الأمير عبد الرحمن كتخدا ) بعد أن مهد له السبيل لتولى شياخة البلد ونفاه من القاهرة ، رغم ما تمتع به من شعبية واحترام لدى أهل مصر لجهوده العمرانية المعروفة ، وقد حدث لعلى بك نفسه أشد مما فعله مع ابن أستاذه بعد أن انقلب عليه تابعه المشهور ( محمد بك أبو الذهب ) وهو فى قمة نفوذه وسطوته ، وجمع المماليك القرانصة الذين فقدوا سادتهم ، ولاذوا بالفرار فى الوجه القبلى ، كما ضم الى جانبه خشداشية على بك الحاقدين ، وحارب استاذه وانتهى الأمر بموته ، واهمل شأن مماليك سيده « وقام أكثرهم بمصر بطالا ... » (١٥) .

**العلاقة بين المماليك انفسهم ( الخشداشية ) :**

يرتبط المماليك الذى ينتسبون الى أستاذ واحد أو أمير مملوكى معين برابطة الزمالة وهى رابطة قوية تنشأ من خلال وجودهم فى بيت سيدهم ،

---

(١٤) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٠٧ ، ٢٥٥ ، ٤١٧ ، جـ ٢ ص ١٣٤ .

(١٥) Savary : op. cit., p. 225.

ـ الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٥٥ ، ٤١٨ .



وهى ماعرفت لدى المماليك برابطة ( الخشداشية ) ، وتبقى هذه الرابطة حتى بعد عتقهم وخروجهم للحياة العسكرية ، وهناك أمثلة عديدة على التلاحم والتكاتف بين الخشداشية نذكر منها مثلا ، عندما طلبت الدولة فى (جمادى الأول ١١٢٧ هـ / ١٧١٥م ) تجريدة من أوجاقات مصر للمشاركة فى حرب الدولة ببلاد المورة ، وكان سردار التجريدة ( الأمير يوسف بك الجزار ) ، الا انه اعتذر عن هذه المهمة لينوب عنه خشداشه ( الأمير احمد بك الدالى ) وهما تابعا ( الأمير ايواظ بك الكبير القاسمى ) ، وقد استشهد هذا الخشداش فى ميدان الحرب ، وولى أمر التجريدة مكانه تابعه ( على بك الهندى ) ، وعاد الى مصر بعد أن منح رتبة الصنجقية ) (١٦) .

ومن مماليك ( ابراهيم بك أبو شنب ) كل من محمد بك جركس وخشداشيته ( قاسم بك الكبير ، قاسم بك الصغير ، أحمد بك الأعسر ) ، وقد لعب قاسم بك الكبير دورا هاما مع ابن سيده ( محمد بن ابراهيم بك أبو شنب ) فى الترتيب لدخول جركس بك سرا الى مصر عندما كان منفيا فى قبرص ، خلال الصراع ضد ( الايواظية ) ، وكان جركس يعتمد عليه كثيرا فى معظم ترتيباته وعندما قتل ( قاسم بك الكبير ) ، تأثر جركس بك لموته ، وتفوه بعبارة ذات دلالة : « لم يبق لنا عيش فى مصر ... » (١٧) ، وغادر القاهرة حتى تستقر الأمور ، كما أن ( قاسم بك الصغير ) وهو خشداش لجركس بك كان أيضا من أهم رجال جماعة ( أبى شنب ) ومن أشد المتعصبين ضد ( الايواظية ) والساعين لمقتل ( ابن ايواظ ) وشارك ( أحمد بك الأعسر ) خشداش جركس بك محنة النفى والغربة عن مصر عندما هربا الى الجزائر ثم بلاد الفرنج .

وعندما دب الصراع على أشده فى أواخر القرن الثامن عشر بين ( مراد بك وابراهيم بك ) — وهما خشداشية من أتباع ( محمد بك أبو الذهب —

---

(١٦) الجبرتى : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٧٠ .

— مصطفى بن ابراهيم : تاريخ وقائع مصر القاهرة ، مخطوط بدار الكتب برقم ٤٠٤٨ تاريخ ، ص ٢٢٧ — ٢٣٥ .

(١٧) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٢٤ .

المحمدية ) وبين ( اسماعيل بك الكبير ) وجد الأخير أنه لا مناص من مغادرة مصر ، ووقف بجانبه خشداشه ( على بك السروجى ) وخرج معه الى بلاد الشام هو وأتباعه (١٨) .

ورغم هذه الرابطة وتلك الوشائج بين المماليك الخشداشية ، فان الصراع على النفوذ كان فى بعض الأحيان يجعل المملوك يتخلى عن كل تقاليده المملوكية ، فعلى سبيل المثال عندما وصل ( حسين بك الصابونجي ) الى شياخة البلد بتزكية خشداشيته ، شرع فى التخلص من كبار خشداشيته وأقواهم ليأمن خطرهم ، فنفاهم خارج القاهرة ، بينما استمال الى جانبه عددا منهم وأغراهم بتولى المناصب الهامة فى الولاية ، مما أدى الى تكتل هؤلاء الخشداشية المنفيين وعلى رأسهم ( حسين بك كشكش ) ودبروا مؤامرة لاغتياله وتمكنوا من استقطاب بعض أتباعه من المماليك الذين شاركوا فى قتله بمنطقة الامام الشافعى ، وعندما ظهر على بك الكبير على المسرح السياسى عمل على التخلص من كافة الصعوبات التى تعترض سيادته ، فتخلص من خشداشيته وعمد الى الحيلة فى صراعه ضد أشد منافسيه ( حسين بك كشكش ) وهو من خشداشيته حيث أغرى أخلص مماليكه ( حسن بك جوجو ) ليتآمر معه ضد سيده سرا حتى خلص الأمر لعلى بك وتمكن من دخول القاهرة بعد صراعه الطويل فى أكتوبر ١٧٦٧ ، وبعدها قتل هذا المملوك المنافق لسيده (١٩) .

## المماليك فى الأوجاقات فى القرن الثامن عشر :

سبق أن تناولنا وجود المماليك فى صدر العصر العثمانى ابان قوة الدولة وتماسكها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وان شراء المماليك على ايدى رجال الطبقة الحاكمة فى مصر كان ضمن وسائل تزويد الأوجاقات بما يلزمها من الجند ورغم مخالفة هذا المسلك لقانون نامه مصر الذى حدد منذ صدوره سنة ١٥٢٥م قصر السلك العسكرى على العنصر

---

(١٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣١٢ — ٣٣٢ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
(١٩) الجبرتى : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٥٥ .

العثمانى . تزايد ورود المماليك الى مصر بشكل متدفق خلال القرن الثامن عشر بعد أن تراخت قبضة الدولة على ولاياتها ، مما أفسح المجال للعصبيات المحلية لأن تقوى على حسابها (٢٠) .

ويظهر من خلال دراسة وثائق المحاكم الشرعية فى القرن الثامن عشر أن الأوجاقات العسكرية العثمانية قد امتلأت بأعداد هائلة من المماليك بصورة أفقدت العنصر العثمانى فيها فاعليته ونفوذه خاصة وانه لم يحدث توازن فى تزويد الأوجاقات من الجانب العثمانى وانعاش من حين لآخر ، فرجحت كفة المماليك فيها ، وأصبحت قيادات الأوجاقات فى أيديهم وشغلوا المناصب الهامة فى ولاية مصر .

ومن الأمثلة الواردة بالوثائق يبدو تغلغل المماليك فى كافة الأوجاقات ، وقد يخدم المماليك مع سيدهم جنبا الى جنب فى أوجاق واحد وخاصة فى الأوجاقين الرئيسيين ( مستحفظان وعزبان ) ، أو يسعى الأمير المملوكى الى ادخال مماليكه فى عدة أوجاقات ليضمن بذلك وجود أتباع يخضعون لسيادته داخل الاطار العسكرى للأوجاقات ، يقفون بجانبه أثناء الأزمات والصراعات المملوكية المستمرة فى سبيل السلطة (٢١) .

من ذلك أحد الأمراء المماليك بأوجاق مستحفظان وأتباعه فى نفس الأوجاق ، كما نجد أحد كتخداوات عزبان له أتباعه فى نفس أوجاقه وآخرين فى جماعات السباهية ، بينما يجعل جوربجى عزبان مماليكه فى أوجاقى المتفرقة والجاويشية وهكذا .

---

(٢٠) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٨١ .

— قانون نامة مصر ، ورقة ٢٩ .

(٢١) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية س ١٢٥ ق ٦٢٦ ، س ١٢٤ ق ٤٥٤ ، س ١٢٠ ق ٤ ، ق ٨٥ ، س ١٢٢ ق ١١ ، ق ٧١ ، ق ١٦٨ ، ق ٥٤ ، س ١٢٤ ق ٤١٨ ، س ١٢٠ ق ٢١ ، س ١١٩ ق ٥١٦ ، س ١١٨ ق ٨٢٢ .

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٩ .

وكان للبكوات من امراء الالوية الشريفة الذين عملوا حكاما فى الاقاليم ( صناجق — كشاف ) أتباعهم الكثيرين فى سائر الأوجاقات ، يرتقون للرتب العسكرية العالية ( جوربجى — كتخدا — اغا ) ، من ذلك أحد المماتيق وصل لرتبة جوربجى بأوجاق عزبان وهو تابع أمير لواء وصاهر أحد الأمراء ليرتفع الى الطبقة الأرستقراطية ، ومارس نشاطا زراعيا فحقق ثروة بلغت ما يزيد عن عشرة أكياس مصرية .

بينما نجد أحد أغوات الكوملية ( السباهية ) وهو من أتباع أحد الأمراء المماليك ، قد تمكن عن طريق نشاطه فى مجال الزراعة ومصاهرة أحد كبار التجار من تحقيق ثروة هائلة بلغت ما يقرب من خمسمائة كيس مصرى سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٤م ، على حين لم يزد دخل أحد جوربجية الكوملية عن كيس مصرى واحد عام ١١٣٦ هـ ، رغم اتجاهه الى الميدان الزراعى وهو من المماليك . وفى أوجاق تونفكجيان بلغ مستوى أحد المماليك — وهو تابع كتخدا عزبان — درجة بسيطة حيث وصلت مخلفاته كيسين مصريين (٢٢) .

وقد انخفضت مكانة الجاويشية والمتفرقة من حيث المستوى الاجتماعى لرجالهما من المماليك ويظهر ذلك من دراسة مخلفاتهم بعد أن حظيتا فى القرن السادس عشر بدرجة مميزة عن بقية الجماعات العسكرية لارتباطهما بالسلطة الحاكمة ( الباشا ) وحصل رجالهما على رواتب عالية . من ذلك أحد مماليك الجاويشية بديوان مصر بلغت مخلفاته مبلغا متواضعا حيث وصلت حوالى واحد على ثلاثين من الكيس المصرى سنة ١١٣٦ هـ ، ولم يعد رجال هذه الجماعة يستخدمون الخيول فى تحركاتهم بل انحدرت أحوالهم لاستخدام الحمير .

---

(٢٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٨ ق ٨٢٢ ، س ١١٥ ق ٧٠٥ ، س ١١٦ ق ٤٤ ، س ١٢٢ ق ١٦٨ ، س ١٢٠ ق ٢١ ، ق ٢٨ ، ق ٥٤ ، ق ٩٠ ، س ١١٩ ق ٥١٦ ، ق ٣٣ ، س ١١٨ ق ٨٢٢ ، س ١١٩ ق ٣٤ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة س ١٨ ق ٢١١ ، ق ٣١٥ .

— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٨٨ وما بعدها .

كما أن رجال المالية وكتبة الأوجاقات كانت لهم اتباعهم فى سائر الأوجاقات ، ووصل بعضهم الى أعلى الرتب حينئذ ( رتبة الصنجقية ) التى تؤهل صاحبها لشغل منصب هام . وللأهالى أيضا من الشيوخ والتجار اتباعهم الذين دخلوا الأوجاقات وتدرجوا فى الرتب العسكرية المتعددة (٢٣) .

ومن المألوف وراثة العمل العسكرى حيث يخلف الابن أبيه فى مكانته ، من ذلك أحد البكوات المماليك وصل ابنه الى رتبة اغا جماعة توفكجيان ، بينما أتباعه فى بقية الأوجاقات .

**أهم البيوت المملوكية فى القرن الثامن عشر :**

يرجع ظهور البيوت المملوكية الى بداية تأسيس السلطنة المملوكية فى مصر منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، ورسخت تدريجيا النظم والتقاليد المملوكية واستمرت حتى زوال سيادة المماليك فى أوائل القرن السادس عشر بعد الفتح العثمانى للبلاد ، وكما هو معلوم لم يستأصل العثمانيون شأفة خصومهم المماليك نهائيا بل استعانوا بخبراتهم الادارية من خلال وجودهم ضمن الأوجاقات العسكرية بمصر والتى نظمها ( قانون نامة مصر ) (٢٤) .

وتعد البيوت المملوكية التى عرفتها مصر ابان القرن الثامن عشر امتدادا للتقاليد المملوكية السابقة وان كانت فى صورة مضطربة عن ذى قبل ، فتغيرت الأهداف والوسائل ، اذ أصبحت طموحات هذه البيوت المملوكية تتجه الى الفوز بمنصب ( مشيخة البلد ، زعامة المماليك بمصر ) ، وليس عرش السلطنة المملوكية كما هو الحال سابقا ، واذا كان السلطان المملوكى قد منح مماليكه الاقطاعات الواسعة مكافأة لهم على خدماتهم وضمانا لولائهم نحوه ، أصبح مؤسسو البيوت المملوكية فى القرن الثامن عشر يحرصون على الحاق اتباعهم فى الأوجاقات العسكرية للحصول على رواتب نقدية وعينية ( جرايات ) مع استمرار رابطة الولاء تجاههم ، ويتركون

(٢٣) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ١٣٤ .
(٢٤) قانون نامة مصر ، ورقة ٣٣ .

لاتباعهم وسائل النهب والسلب لأموال الرعية وممتلكاتها دون مراعاة لمصالح المحكومين وتدهور الأوضاع الداخلية بالبلاد ( اتباع جركس بك — أتباع مراد وابراهيم بك ... ) .

ولقد شهد القرن الثامن عشر صراعات دموية متلاحقة بين هذه البيوت المملوكية بعضها البعض وقد ينقسم البيت المملوكى الواحد الى عدة فروع ، وهكذا تتسع حلقات الصراع فى سبيل السلطة والاستئثار بشئون الحكم (٢٥).

ويمكن أن نرجع ظهور البيوت المملوكية فى القرن الثامن عشر وتعددها من وقت لآخر الى سببين :

**أولا** : اهتزاز قبضة الدولة العثمانية من خلال ممثليها ( الباشوات ) وتداعى النفوذ العسكرى للأوجاقات دعامة السلطة العثمانية بمصر ، الأمر الذى هيأ للبيوت المملوكية الفرصة لملء هذا الفراغ السياسى لصالحها ، وأن تشارك بدورها فى اضعاف الوجود العثمانى حتى انفرد المماليك بالنفوذ فى النصف الثانى من هذا القرن بشكل واضح .

**ثانيا** : الصراعات المستمرة بين الكيانات المملوكية فى سبيل السلطة والاستئثار بالمناصب الهامة فى الولاية ( شياخة البلد — الدفترادرية — امارة الحج ) ، وقد حاول الباشوات استغلال هذه الصراعات أحيانا لضرب البيوت المملوكية بعضها ببعض فكانوا من عوامل دوام هذه التنافس المملوكى بمصر ، حتى قدوم الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ .

ويعد الصراع بين طائفتى الفقارية والقاسمية خلال القرن السابع عشر بولاية مصر البداية الحقيقية لهذه البيوت المملوكية ، ويشير الجبرتى

---

(٢٥) الجبرتى : المصدر السابق ج ١ ص ٦٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
— محمد مصطفى زيادة : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر — بحث ضمن حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٧٠ — ٧٥.
— محمد شفيق غربال : محمد على الكبير ، ص ١٥ .

الى ذلك فيرى أن غالب أمراء مصر وحكامها ابان القرن الثامن عشر ينحدرون من هاتين الطائفتين . وبالنسبة للفقارية ظهر من البيوت المملوكية فى القرن السابع عشر : البلفية (٢٦) ، بيت رضوان (٢٧) بك الشـــهير ( أمير الحج ) والذى تمتع بنفوذ هائل فى مصر حتى وفاته سنة ١٠٦٥ هـ / ١٦٥٥ م .

أما بالنســـبة للقاســـمية ، فقد انقسمت الى : بيت رضوان بك أبو الشـــوارب ــ وهو أستاذ ايواظ بك الكبير ــ وظهر هذا البك بعد وفاة ( رضـــوان بك أمير الحج الفقارى ) وانفرد بالنفوذ بمصر ، ثم ظهر بيت البشانقة ( أحمد بك بوشناق المعروف بقناطر السباع ) وهو صاحب دور كبير فى منافسة طائفة الفقارية وخلفه ابن أخيه ( ابراهيم بك بوشناق الشهير بأبو شنب ) . وفى منتصف القرن الثامن عشر انقسم القاسمية الى فرعين متصارعين :

( أ ) بيت أبى شنب ( الشنبية ) بزعامة ابراهيم بك أبو شنب ثم تابعه جركس بك وابنه محمد بك ابى أبى شنب .

( ب ) بيت ايواظ بك ( الايواظية ) برئاسة ابنه ( اسماعيل بك بن ايواظ ) وأتباعه ، واستمر النزاع المملوكى بين الفرعين قائما حتى مقتل اسماعيل بك فى الديوان بمؤامرة من جركس بك فى سنة ١٧٢٣ ، ثم غرق جركس بك أثناء الصراع ضد الفقارية سنة ١٧٣٠ ، وعـــلى هذا النحو انتهت سيادة البيوت المملوكية التى تفرعت فى أصولها عن القاسمية (٢٨) .

---

(٢٦) البلفية : نسبة الى ( الأمير حسن أغا بلفية أغا الكوملية ) وخلفه ابنه ليكون أمير الحاج ( محمد بن بن حسن أغا ) سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٥م .

(٢٧) رضـــوان بك : أمير الحجاج المشهور لم يترك أبناء ، وانما خلفه مماليكه ، وكان رجلا صاحب خيرات وأعمال خالدة منها قصبة رضوان التى أنشأها خارج باب زويلة ، وقد أوقفها على مماليكه .

(٢٨) الجبرتى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ١٧٠ ــ ١٧٥ ، ص ١٨٣ .
ــ احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ص ٢٣٨ ــ ٢٤٠ .
ــ مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٦٥ ــ ١٩٠ .

دب الصراع بين الفقارية بزوال العدو الذى وحد صفوفها ، وظهرت عدة بيوتات مملوكية على التوالى حتى وصول بونابرت فى نهاية هـذا القرن سنة ١٧٩٨ ، ومن أهم هذه البيوت ( القطامشية ) نسبة الى محمد بن قطامش الذى ظهر على المسرح السياسى وبلغ ذروة نفوذه باعتلائه منصب ( قائمقام ) ثم شيخ البلد سنة ١٧٣٣ ، وتطورت الأحداث الى القضاء على هـذا البيت المملوكى على أيدى الفقارية أنفسـهم ، وكان من أبرزهم ( عثمان كتخدا ) القازدغلى ) الذى أسس بيت ( القازدغلية ) (٢٩) يشاركه رضوان كتخدا الجلفى صاحب بيت الجلفية (٣٠) .

آلت رئاسة القازدغلية الى ( ابراهيم كتخدا القازدغلى ) وانفرد بالسيادة بعد وفاة ( رضوان الجلفى ) سنة ١٧٥٤ ، الذى انتهى بموته بيت ( الجلفية ) .

أسس ( ابراهيم كتخدا ) المذكور بيتا جديدا عرف باسمه ( الابراهيمية ) واهتم بحيازة الكثير من المماليك من أبرزهم ( عثمان بك الجرجاوى ، حسين بك كشكش ، على بك الغزاوى ) ، الذين حصلوا على رتبة الصنجقية أثناء حياته ، كما حصل آخرون من بينهم ( حسين بك الصابونجى — على بك بلوت قبان — اى قابض الغمام — ( الكبير ) على هذه الرتبة بعد وفاة أستاذهم سنة ١٧٥٤ (٣١) .

---

(٢٩) يرجع تأسيس بيت القازدغلية الى ( مصطفى القازدغلى ) وهو سراج ( الأمير حسن أغا بلفيه ) وبلغ مكانته بفضل سيده ، ويرجع معظم أمراء المماليك فى القرن الثامن عشر الى هذا البيت المملوكى .

(٣٠) ترجع أصول هذا البيت الى ( الامير على كتخدا الجلفى ) تابع حسن كتخدا الجلفى ، وهما من كبار رجال عزبان وسمى بالجلفى نسـبة الى ( محمد اغا ) وهو مؤسس هذا البيت ، كان متزوجا من ( خديجة الجلفية ) ابنة احد أهالى قرية سنجلف بالمنوفية .

الجبرتى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ١٧٠ .

(٣١) الجبرتى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٦٠ ، ١٠٠ ، وما بعدها ، ص ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ٢٥٠ ، حـ ٢ ص ٢ ، ١٤ — ١٦ .

Savary : op. cit., pp. 260-265.

وبرز على بك الكبير بين خشداشيته وصار شيخا للبلد واستكثر من المماليك مكونا بيتا جديدا عرف ( بالعلوية ) حتى انقلب ( محمد بك أبو الذهب ) على سيده واسس بيتا باسمه عرف بـ ( المحمدية ) ومن أشهر أتباعه كل من ( مراد بك وابراهيم بك ) اللذان انفردا بالحكم ، فى مصر حتى قدوم حملة حسن باشا قبطان سنة ١٧٨٦ ، ثم وصول حملة بونابرت سنة ١٧٩٨ .

**مكانة الأمراء المماليك :**

شهد القرن الثامن عشر ارتفاع مكانة المماليك السياسية والاقتصادية بولاية مصر ، فقد شغلوا المناصب الهامة التى تتحكم فى تصريف شئون الولاية ( شياخة البلد — الدفتردارية — امارة الحج — حكم جرجا .. ) الى جانب الصنجقيات والكشوفيات وتغلغل الوجود المملوكى واستفحل داخل البناء العسكرى للأوجاقات بمصر ، وسيطر أمراء المماليك على قياداتها التى خرجت من أيدى العثمانيين تدريجيا منذ القرن السابع عشر .

وفى المجال الاقتصادى تمتع الأمراء بنفوذ هائل من خلال ادارة المقاطعات الهامة والجمارك التى تدر دخلا هاما منذ أن انتزع على بك الكبير هذه الدعامة الأساسية من أيدى الباشا والأوجاقات ( مستحفظان ، عزبان ) .

وقد تراوح متوسط دخل أحد البكوات المماليك سنويا ما بين ستمائة الى ألف كيس مصرى ، بينما تضاعف هذا الدخل بالنسبة لكبار الأمراء المماليك ، وصار الحد الادنى لأقل البكوات ثلاثمائة كيس مصرى سنويا (٣٢).

ومن الملاحظ أنه فى الوقت الذى احتل فيه البكوات المماليك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر مكانة السلطة العثمانية وصاروا أرباب النفوذ ، استتبع ذلك تأكيد نفوذهم الاقتصادى فأشرفوا على المقاطعات الهامة منذ سنة ١٧٧٠ ذات الدخل الواسع كالجمارك ، وفقد الباشا العثمانى والأوجاقات بذلك دعامة أساسية ، وعلى سبيل المثال أصبح محمد بك أبو

(٣٢) Browne : op. cit., pp. 76-79.
Raymond : op. cit., pp. 782-783.

الذهب ملتزما لجمارك ( الاسكندرية ودمياط وبولاق ) ثم انتقلت ادراتها الى كل من ( ابراهيم بك ومراد بك ) ، فاختص ابراهيم بك بجمرك السويس الذى بلغ دخله سنة ١٧٩١ ما يقرب من ٤٠٩ ألف كيس مصرى ، والتزم مراد بك ( جمارك اسكندرية ورشـــيد ودمياط ، وبولاق ) التى وصل دخلها مجتمعه : اربعمائة وثمانون ألف كيس مصرى فى نفس العام .

بالاضافة الى ما سبق جمع البكوات المماليك عوائد على تركات الحرفيين والتجار وخاصة أثريائهم وتراوحت النسبة من ٦ر٣٪ الى ١ر٩٪ من التركة ، واذا قورنت بتلك العوائد التى تحصل عليها الأوجاقات وهى ما بين ٧ر١٪ ، ٥ر٪ وذلك فى الفترة من ١٧٦٦/١٧٩٨ ، لكانت النسبة الأخيرة متواضعة (٣٣).

كما أشرف البكوات المماليك على الطوائف الحرفية وأخذوا رسوما ( ضايل ) عليها وعلى التجار ، كما شغل المماليك وظيفة المحتسب المسئول عن هذه الطوائف السابقة . ولم تنته حاجة الأمراء المماليك المتزايدة الى المال وابتزاز الرعية وخاصة للانفاق على حملات على بك الكبير ومحمد بك أبو الذهب ( ١٧٧٢ — ١٧٧٥ ) ، وعلى الصراعات المحتدمة بين البكوات : اسماعيل بك الكبير ، ومراد بك وابراهيم بك الأمر الذى ارهق التجـــار والحرفيين بشكل متزايد وكلف أبناء الرعية العديد من الخسائر .

لقد مثل المماليك الذين بلغ تعدادهم ما يقرب من عشرة آلاف رجل طبقة حاكمة مميزة فى مصر استأثروا بالموارد الاقتصادية التى تكفل لهم الامساك بزمام السلطة السياسية .

ومن العرض السابق يمكن استخلاص بعض الحقائق على النحو التالى :

أولا : يرجع وجود العنصر المملوكى فى الأوجاقات الى صدر العصر العثمانى فى القرن السادس عشر ، فقد كان شراء المماليك وادخالهم كـــافة الأوجاقات من الوسائل التى اتبعت لتزويد الأوجاقات .

(٣٣) Perry : op. cit., p. 225.
Raymond : op. cit., pp. 782-783.

**ثانيا :** استمر ورود المماليك البيض ـ بصفة خاصة ـ بشكل مستمر ، الى مصر خلال القرن الثامن عشر ، ولم تجد محاولات الدولة لوقف هـذا الزحف ـ باصدار فرمانات من حين لآخر الأمر الذى عمل على تقوية وانعاش العنصر المملوكى ، بينما تراجع العنصر العثمانى ، فى الكيان العسكرى ، لافتقار الدولة الى سياسة تعمل على تجديده بصـفة دورية ..

**ثالثا :** نشأت البيوت المملوكية وتغلغلت داخل الأوجاقات ، ولم يعد الانتماء الى الأوجاق والخضـوع للأغا ، بل أصبح ولاء الجند ( المماليك ) لأستاذهم ، فهم يدخلون الأوجاق لتقاضى الرواتب النقدية والعينية .

**رابعا :** عملت التقاليد المملوكية ( رابطة الولاء تجاه المعتق ـ رابطة الزمالة ) ـ وان كان قد شـابها القصـور أحيانا ، على دعم الكيان المملوكى وتماسكه ، فضلا عن السيطرة على اقتصاديات البلاد .

**خامسا :** أبقى المماليك على فنونهم العسكرية المتوارثة ، وأساليب القتال ، دون تطوير لملاحقة التقدم فى مجالات الحرب الحديثة ، وعاشوا بعقلية العصور الوسطى ، عندما واجهوا الحملة الفرنسية بخيولهم وأسلحتهم التقليدية .

# الفصل الرابع

## العنصر المحلى

### بداية دخول العنصر المحلى الأوجاقات :

تطالعنا وثائق المحاكم الشرعية التى ترجع الى الربع الأخير من القرن السادس عشر باشـارات لبداية التحاق العناصر المحلية فى الأوجاقات العثمانية ، رغم تحريم (قانون نامه مصر) هذا الاتجاه لغير العثمانيين ، وكان فى طليعة هذه الجماعات أصحاب النفوذ الدينى من الأشراف وأبناء الشيوخ والعلماء الى جانب أصحاب الحرف والتجار القاهريين ، ويؤيد القنصل الفرنسى بالقاهـرة فى ذلك الـوقت ما جاء بالوثائق فيوضح أن الأوجاقات أصـبحت مسرحا لدخول أعداد من رجال التجارة والحـرف القاهريين ، منذ السنوات الأخيرة للقرن السادس عشر ، ولم يقتصر اقبال العناصر المحلية على المصريين فحسب ، بل نجد بعض الشوام والأكراد والمغاربة الذين استقروا بمصر فى أعمال التجارة والحرف كان لهم دور مماثل (١) .

واستمر هذا النشاط قائما خلال القرن السابع عشر فى سائر الأوجاقات وتزايدت درجة الاقبال من جانب كافة العناصر المحلية سواء المصرية أو الاسلامية الوافدة الى البلاد ، وينبغى هنا أن نذكر ، أن بداية الاحتكاك بالأوجاقات كان مرتبطا بفرق عسكرية معينة صاحبة النفوذ السياسى والاقتصادى المدعم من جانب السلطة العثمانية بولاية مصر ، وبصفة خاصة أوجاق المتفـرقة وجماعة الجاويشية حيث تميز هذين الأوجاقين برواتب

(١) عراقى يوسف : المرجع السابق ص ٨٩ وما بعدها .
Raymond : op. cit., pp. 661-663.

أعلى من غيرهما فضلا عن اهتمام الباشوات العثمانيين ، باعتبارهما مرتبطين أساسا بخدمة الباشوات ممثلى السلطة العثمانية ، وتطورت الأوضاع فى القرن السابع عشر بعد أن ضعفت تدريجيا قبضة العثمانيين على الولايات وتراجعت مكانة أوجاقات السلطة ليحتل الأكثر عددا تلك المنزلة ، فتصدر أوجاقا الانكشارية والعزب بقية الجماعات العسكرية وأصبحت المتفرقة والجاويشية تدوران فى فلك هاتين الجماعتين (٢) .

**دوافع الالتحاق بالأوجاقات :**

تعددت الدوافع التى حدت بالعناصر المحلية الى الالتحاق بالأوجاقات العثمانية فى مصر ، كما هو الحال بالنسبة لبقية الولايات التابعة للدولة العثمانية والتى مرت بنفس التطورات السياسية والاقتصادية بدرجات متفاوتة ، ويمكننا تحديد هذه الدوافع على النحو التالى :

**أولا** :الرغبة فى الحصول على مورد مالى شبه منتظم من خلال الرواتب النقدية ( العلوفات ) والعينية ( الجرايات والعليقة ) ، ويظهر ذلك من خلال دراسة تركات الذين التحقوا بالأوجاقات من فئات اجتماعية مختلفة بالمجتمع المصرى من ذوى الدخول البسيطة أصحاب الحرف ( النحاسون — الدلالون — القهوجية .. ) الى جانب المشتغلين فى أعمال التجارة على نطاق محدود ( تجارة الخردوات — تجارة الدخان .. الخ ) ، كما نصادف فى القرن الثامن عشر عددا من شيوخ الأسواق واتباعهم وهم فى مستوى اجتماعى افضل من سابقيهم المذكورين بصفة عامة ، وان كانت تركات بعضهم لا تزيد أحيانا عن خمس كيس مصرى ، الباقى لاورثة بعد سائر المصروفات (٣) .

---

(٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٤٥٤ ، ق ٢٨ ، س ١٢٥ ق ٦٢٦ ، س ١١٩ ق ٣٣ ، ق ٥٠٨ ، س٢١٢ ق ١٧٢ ، س ١٢٠ ق ٢١ .
— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، وما بعدها .

(٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٤ ق ٣٧٦ ، س ١٢٣ ق ٢١٧ ، ق ٣٨٧ ، ق ٤١٧ ، س ١٢٥ ق ٣١٣ ، س ١٢٤ ق ٢٠٨ ، س ١١٥ ق ٦٤٨ ، ق ٢٠٦ .
— سجلات محكمة بولاق : س ٦٣ ق ١٧٩ .

وشارك رجال العلم من صغار الشيوخ الذين عملوا فى مجال الحرف والتجارة ( القبانة ، العطارة ، الطحانة ، الأمانة ، الخ ) ، وتميز بعضهم بتحقيق ثروات أعلى نسبيا ، فتصل تركة أحدهم الى ثمانية اكياس مصرية وبطبيعة الحال لم يكن هذا الدافع مقصورا على أبناء المجتمع المصرى فحسب بل كان وراء التحاق عناصر اسلامية أخرى من الشوام والمغاربة والأحباش والعجم ( الفرس ) (٤) .

**ثانيا :** التمتع ببعض امتيازات الطبقة الحاكمة ، وقد اهتم بذلك أبناء الرعية من المحكومين وبصفة خاصة أولئك الذين عانوا بشكل مباشر من سطوة الحكام سواء الكشاف أو الملتزمين ورجال الأوجاقات العاملين بخدمتهم فى الاقاليم ، وكانوا يجبرون على دفع أموال الميرى والفائض وحق الطريق وغيرها من المظالم فى مجال الزراعة ، فكانت أمنية الفلاح أن يكون ابنه على الأقل من المنتسبين الى الكيان العسكرى حتى يرتفع بذلك — ولو بشكل محدود — الى درجة اجتماعية أعلى (٥) .

**ثالثا :** الدخول فى حماية الأوجاقات صاحبة النفوذ والسلطة وخاصة ( مستحفظان ، وعزبان ) فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وأقبل على ذلك جماعات كبار التجار أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة مثل : بيت الشرايبى الشهير وآل المحروقى فضلا عن شيوخ طوائف الحرف وشيوخ الأسواق بالقاهرة ومصر القديمة وبولاق ، ومن الملاحظ أن معظم هذه العناصر كانت من غير المصريين ( المغاربة والشوام والأحباش ) وقليل من أبناء المجتمع . فكان انتساب هذه الفئات الاجتماعية صاحبة النفوذ الاقتصادى

---

(٤) سجلات محكمة القسمة العسكرية ، س ١٢٥ ق ٤١٥ ، س ١٢٠ ، ق ٤١٥ ، س ١٢٠ ق ١٦٨ ، ق ٣٧٤ ، ق ٤٥٨ ، ق ١٩٠ ، ق ٥١٨ ، ق ٢٠٣ ، ق ٢١٦ ، ق ٢٤٣ ، ق ٩٠ .

(٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ١١٤ ، س ١١٩ ق ١٩٢ س ١٢٢ ق ٢١٥ ، ق ١٢٨ ، ق ٦٨ ، ق ٩٠ ، ق ٨١ .

— عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٤ ، ص ١٤٢ .

للأوجاقات يوفر لهم نوعا من الحماية ، والضـمان ، ويقربها من رجـال الطبقة الحاكمة لتكتسب نفوذا سياسيا ووجاهه اجتماعية .

وفى هذا المجال يجب أن نشير الى أن بعض التجار الأثرياء وأبنائهم كانوا أعضاء فعليين فى الأوجاقات ، بلغ عدد منهم مراتب قيادية بينما كان البعض الآخر مجرد متمتعين بحماية الأوجاقات الأقوى ، ويمكننا أن نفسر قوة أوجاق مستحفظان من الجانب السياسى والاقتصادى ازاء بقية الأوجاقات لانتساب معظم أثرياء التجار الى هذا الأوجاق وحصوله — بالتالى — على عوائد معينة من تركاتهم ، فكان بذلك مكسبا ماديا ملحوظا للأوجاق(٦) .

**تطور الالتحاق بالأوجاقات :**

توضح وثائق المحاكم الشرعية صـورة شـبه متكاملة عن نوعيـات العناصر المحلية التى بادرت بدخول الأوجاقات ، ويظهر أن كبار التجار فى أسواق ( خان الخليلى — الهرامزة ) كانوا من أوائل هذه العنصر حيث نجد تركاتهم فى أوائل القرن السابع عشر بالسجلات وهذا يعنى انخراطهم فى السلك العسكرى منذ أواخر القرن السادس عشر على الأقل ، ثم تطورت المسألة ، ففى الربع الأول من القرن السابع عشر لوحظ دخول عـدد من أثرياء التجار العاملين فى تجارة الحرير والأقمشة والصاغة والبن والتوابل ، وانحصر دخولهم فى أوجاقى المتفرقة والانكشارية حتى هذا الوقت . كما اقتحم شيوخ الحرف هذا المجال جنبا الى جنب مع كبار رجال التجارة ، ويبدو أن جذب الأوجاقات لهؤلاء الشيوخ الحرفيين قد اتضح بصورة فعالة بعد أن صاروا أعضاء داخلها ، فمارست الأوجاقات من خلالهم ضغطها على طوائف الحرف ووجدت بذلك الوسـيلة لبسط حمايتها على هذه

---

(٦) سجلات القسمة العسكرية : ص ١١٩ ق ٢٥٣ ، س ١٢٠ ق ٧٦١ ق ٦٠٨ ، ق ١١ ، ق ٥١٨ .

Raymond : op. cit., pp. 660-668.

الطوائف ، وفى هذه الحالة يكون الاشراف أكثر فعالية بعد أن انخـرط شيوخها فى الأوجاقات (٧) .

تصاعدت هذه الظاهرة فى الثلث الأخير من القـرن السابع عشر وبلغت ذروتها فى أوائل القرن الثامن عشر ، وكان معظم العناصر المحلية من تجار البن والتوابل الذين تزايدت ثرواتهم ، وصار الاقبال واضحا على أوجاقى الانكشارية والعزب ، وتشير تركات هؤلاء التجار الى ثراء ملحوظ كان لهذين الأوجاقين نصيب منها ، على شكل عوائد ورسـوم واحتفظ أوجاق الانكشارية بالكفة الراجحة تجاه منافسة العزب الذى كانت قبضته واضحة على طوائف الحرف ذات الطابع الحضرى ، وتوارى نفوذ أوجاق المتفرقة فيما بعد منتصف القرن السابع عشر على أكثر تقدير (٨) .

ولم يكد يبدأ القرن الثامن عشر حتى توغل العنصر المحلى فى صفوف الأوجاقات وشـكل ابناؤه نسبة عددية كبيرة ارتبطت مصـالحهم بالكيان العسكرى ، وان كانت درجة فعاليتهم لا تتناسب مع هذا التزايد العددى ، فلم يشكل ذلك عاملا مؤثرا فى هذا الكيان كما هو الحال بالنسبة للعنصر المملوكى الذى استفحل خطره فى القرن الثامن عشر بصفة عامة ، ولعل أوضح دليل على تشابك مصالح العنصر المحلى فى الأوجاقات موقف كبار التجار والحرفيين من أوامر الدولة الصادرة فى سنة ١٧٠٩ بفرض استبعاد ( اولاد العرب ) من الفرق العسكرية فوقف هؤلاء أمام القاضى العثمانى موقفا صلبا وأوضحوا انهم ( عسكر وأبناء عسكر ) ، ويؤكد هذه الظاهرة القنصل الفرنسى بالقاهرة ، الذى يشير الى أن هذا العنصر المحلى قد

---

(٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٢١٦ ، س ١١٩ ق ٤٣٨ س ١٣٤ ق ٢٢ ، س ١٦٧ ق ٢٤٨ ، س ١٨١ ق ٣٥٥ .

Raymond : op. cit., p. 670.

(٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١٧٢ ق ٤٩٧ ، س ١٨٢ ق ٢٩١، س ١٢٠ ، ق ٢١ ، ق ١٨ ، س ١٥٨ ق ٧٠٥ ، ق ١١١٠ .

ـــ مضابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصورة : س ٤٩ ق ١٤٤ ، ق ٥١٣ ق ٨١٨ .

Raymond : op. cit., p. 668.

تغلغل بشكل واضح داخل الأوجاقات وتمكنت هذه الأوجاقات من السيطرة على طوائف الحرف والتجار بصـورة فعالة منذ أواخر القـرن السابع عشر (٩) .

ولا شك أن دخول شيوخ طوائف الحرف الأوجاقات بصفة عامة قد فتح المجال أمام أبناء هذه الطوائف من الحرفيين لأن يحذو حذو شيوخهم من هؤلاء ( شيخ طائفة السكرية ، شيخ طائفة الصباغين ، شيخ طائفة القاووقجية ( الطواقى ) ، الى جانب العديد من التجار فى مختلف البضائع ، ولعل الاستثناءات الوحيدة داخل بعض الحرف ( الصاغة — الترزية — الفرايين ) من الأقباط وهم أصحاب الغلبة فيها ، لم يكن بمقدورهم دخول الأوجاقات العسكرية .

لقيت حركة الالتحاق بالأوجاقات نوعا من الفتور فى أواخر العقد الاول من القرن الثامن عشر ( ١٧٠٩ — ١٧١٢ ) وارتبط ذلك بتلك الفتن المخربة التى اندلعت بين الأوجاقات ( فتنة افرنج أحمد سنة ١٧١١ ) والتى تركت آثارا واضحة على المجتمع (١٠) .

ويمكن القول بأن ظاهرة الالتحاق بالأوجاقات التى بدأت فى مصر منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر واشتدت خلال القرن السابع عشر ، أخذت فى الانحسار منذ النصف الأخير من القرن الثامن عشر عندما انتقلت السلطة السياسية والنفوذ الاقتصادى الى البكوات المماليك واتباعهم بعد أن ملأوا الفراغ الناجم عن ضعف السيادة العثمانية والأوجاقات العسكرية .

---

(٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢١٥ — ٢٢٨ .
Raymond : op. cit. p. 665.
— أوليا جلبى : أوليا جلبى سياحتنامه سى ، نسخة مصـورة عن مخطوط ، استانبول ، حـ ٩ ص ٢٨٠ — ٣١٥ .

(١٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٤ ق ٣٧٥ ، ق ٣٧٦ ، ق ٥١٢ ، س ١٢٣ ق ٢١٧ ، ق ٣٨٧ ، ق ٤١٥ ، س ١٢٥ ق ٢٠٩ ، ق ٢١٣ ، س ١٢٠ ق ٣٦٨ ، ق ٢٠٣ ، ق ٢١٦ ، ق ٩٤ ، ق ٢٤٣ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ص ٢٤٥ — ٢٥٠ .

**نوعيات العناصر المحلية فى الأوجاقات :**

يجب أن نشير بوضوح الى تزاحم رجال العنصر المحلى بصفة خاصة على أوجاق الانكشارية ، ويتضح ذلك من دراسة عينة فى سجلات المحاكم الشرعية بلغت مائة ، وكانت النسب كالآتى :

**جدول رقم ( ١ )**

| الأوجـــاق | النسـبة |
|---|---|
| أوجاق مستحفظان | ٦٥ فى المائـــة |
| أوجاق عزبـــان | ٢١ فى المائـــة |
| أوجاق الجاويشية | ٦ فى المائـــة |
| أوجاق المتفرقـــة | ٦ فى المائـــة |
| أوجاقات السباهية الثلاثة | ٢ فى المائـــة |

ومن هذا التوزيع يتبين درجة اقبال الاهالى على الاوجاقات المسيطرة فى المجالين الاقتصادى والسياسى (١١) .

---

(١١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٨١ ق ٥٣٢ س ١٤٩ ق ٦٢٤ ، س ١١٩ ق ٢٠٦ ، ق ٣١٥ ، س ١٢٠ ق ١١٤ ، س ١١٩ ق ١٩٢ ، س ١٢٢ ق ١٢٨ ، س ١٢٢ ق ١٢٨ ، س ١٢٢ ق ٢١٥ ، ق ٦٨ ، ق ٩٠ ، ق ٨١ ، ق ٢٥٣ ، ق ٧٦١ ، ق ٦٠٨ ، ق ١١ ، ق ٥١٨ ، س ١٣٤ ق ٢٢ ، س ١٦٧ ق ١٤٨ ، س ١٨١ ق ٣٥٥ .

ـــ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٦ ، ق ٢١٨ ، ق ٥١٧ .

ـــ محفظة دشت رقم ٢٢١ ق ٥٨٩ ، ق ٤١٨ ، ق ٧١٥ .

وسوف نتناول نوعية العناصر المحلية فى كل أوجاق على حدة :

أولا : فى أوجاق مستحفظان :

جـــدول (٢)

| الفئة الاجتماعية | النشاط الاقتصادى ( تجارى وحرفى ) |
|---|---|
| المغاربة | تجارة الأقمشة الهندية والحراير بخط الغورية وخان الخليلى<br>تجارة البن والتوابل وأنواع العطارة بخط الغورية .<br>تجارة الزيت بوكالة الزيت ببولاق .<br>التجارة فى الاقاليم ( تجارة الحبوب والماشية ) . |
| الشوام | تجارة البن بوكالة المنلا بخط باب النصر .<br>تجارة الأقمشة وأنواع المكسرات والصابون بالغورية وخان الخليلى . |
| الأحباش | تجارة البن والأقمشة بخان الخليلى . |
| الحرفيون المحليون | ادارة الأسواق ( شيوخ الأســواق ) والقبانية والطحانين والمباشرين بالســلخانة والقهوجية والجيارين والحــلاقين وغيرهم . |
| العلماء وابناؤهم | نجارة الخردوات والأقمشة والعطارة وبعض الحرف كالقبانة وغيرها |

ويتضح من الجدول السابق أن العاملين فى التجارة الكبيرة كانوا فى معظمهم من العناصر الوافدة على المجتمع ، واثبتوا وجودهم فى المجال الاقتصادى ، وهم يتاجرون فى البضائع المستوردة من بلادهم وغيرها من السلع الأخرى ، وقد وجدوا فى حماية أوجاق مستحفظان والانتساب اليه ضمانا كافيا للحفاظ على ثرواتهم الواسعة فضلا عن الارتفاع لمصاف الطبقة الحاكمة والمسيطرة سياسيا ، كما اهتم شيوخ الحرف والعلماء وهم من ذوى الكيان الاجتماعى بالتمتع بامتيازات هذا الأوجاق القوى .

**ثانيا : فى أوجاق عزبان :**

**جدول رقم ( ٣ )**

| الفئة الاجتماعية | النشاط الاقتصادى ( التجارى والحرفى ) |
|---|---|
| التجار | تجارة العطارة والتوابل والحبوب والنيلة وهم من الشوام وبعض المصريين . |
| شيوخ الحرف | شيوخ بعض الحرف ( شيخ طايفة الصباغين فى الأزرق ، وشيخ طائفة الدلالين ، شيخ طائفة القندلجية ( صناع القناديل ) ، وغيرهم . |
| الحرفيون | وهم من الشوام والمصريين فى حرف مختلفة ( الخشابون ـ الزياتون والقصابون ، الحانوتية ، القهوجية ، الساعاتية ، الصباغون وغيرهم ) . |
| أبناء الأفندية والعلماء | العاملون فى الحسابات ( رجال المالية ) والكتبة والمشتغلون بالحرف المختلفة . |

من الجدول السابق يظهر أن أوجاق عزبان قد احتل المركز الثانى فى أقبال العناصر المحلية بعد أوجاق مستحفظان وحصل على نسبة من التجار وشيوخ الطوائف الحرفية أصحاب النفوذ فى المجال الحضرى والاستهلاكى ( القندلجية ـ القصابون ـ الزياتون ... ) ، كما ضم أبناء رجال المالية والكتبة وابناء العلماء وهم من ذوى الحيثية أيضا (١٢) .

---

(١٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢١ ق ٨٨٥ ، س ١٥٢ ق ١٣٠ ، س ١٤٨ ق ٣٩٠ ، ق ٤١٨ ، ق ٣٣٧ ، ق ٣١٠ ، ق ٤٨٥ ، س ١٦٧ ق ١٩ ، س ١٧٢ ق ٤٤٧ ، س ١٢٠ ق ٢٣٩ ، س ١٥٢ ق ٧٤ ، س ١٢٤ ق ١٣١ ، س ١٢٥ ق ١٣٦ ، س ٢١٣ ق ١٧٧ ، س ٢٠٩ ق ٣٨ ، س ٢٠٣ ق ٤٧٦ ، س ١٩٨ ق ١٣٩ ، س ١٤٨ ق ٢٩ ، س ١٤٩ ق ٥٥٧ ، س ١٤٨ ق ٦٥٢ ، س ٥٨٥ ق ٥٨٩ ، س ١٨١ ق ٤٩١ .

ثالثا : فى أوجاقى المتفرقة والجاويشية :

جدول رقم ( ٤ )

| الفئة الاجتماعية | النشاط الاقتصادى ( التجارى والحرفى ) |
|---|---|
| التجار | وهم من العلماء وأبنائهم العاملين فى تجارة الأقمشة الجوخ والأطلس والقطيفة بخان الحمزاوى . |
| الحرفيون | وهم من المغاربة والمصريين العاملين فى حرف متعددة ( القصابة ـ الحلاقة ـ الصباغة ـ السمسرة ـ السراجة ـ العقادة ... ) . |

من الجدول السابق يتضح أن الأوجاقين الرئيسيين فى القرن السادس عشر قد فقدا مكانتهما وأصبح الاقبال عليهما محدودا من جانب صغار التجار وأهل الحرف البسيطة ، فلم يعد هناك ما يغرى الكثيرين للالتحاق بهما فى القرن الثامن عشر (١٣) .

رابعا : فى أوجاقات السباهية ( التوفكجية ـ الكوملية ـ الجراكسة ) :

جدول رقم ( ٥ )

| الفئة الاجتماعية | النشاط الاقتصادى ( التجارى والحرفى ) |
|---|---|
| اهالى القرى | وهم من أبناء الفلاحين سواء المصريين أو الشوام المستقرين فى أعمال الزراعة بمصر . |
| أهالى البنادر | من المصريين العاملين فى مجال التجارة الداخلية بين القاهرة والاقاليم . |
| أبناء القاهرة | وهم من المصريين والمغاربة الذين خرجوا عن دائرة النشاط التجارى والمزاحمة التجارية على ما يبدو فى قلب العاصمة ولاذوا بالقرى للعمل فى الزراعة وهم قليل . |

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٣٤ ق ٢٥ ، س ١٥٤ ق ٨١٠ ، س ١١٩ ق ٣ ، س ١١٤ ق ٣٠ ، س ١٤٨ ق ١٧٥ ، س ٢٠٤ ق ٥٦ ، س ١٤٩ ق ٢١٣ ، س ١٨١ ق ١٨ ، ق ٦٨ ، ق ٥٦٤ ، ق ٥٧٥ ، ق ٥١٨ .

يظهر من هذا الجدول أن غالبية العناصر المحلية الملتحقة بأوجاقات السباهية العاملة فى الاقاليم فى خدمة الصناجق والكشاف كانوا من أبناء الاقاليم الذين راودهم الأمل فى كسب منزلة اجتماعية طيبة بالنسبة لهم ، فضلا عن أعداد قليلة من القاهريين الذين ابعدتهم المنافسة التجارية عن الاستمرار فيها ، وهم غالبا من أصحاب رءوس الأموال المحددة ، ومن الطبعى أن يكون الاقبال على أوجاقات السباهية بطيئا بالمقارنة بأقوى الأوجاقات ، فهى أوجاقات دائرة فى فلك الكيانات العسكرية المملوكية المتنفذة ونشاطها بعيدا عن العاصمة ، كما أن رواتبها وامتيازاتها المادية أقل من غيرها (١٤) .

## الأوضاع الاجتماعية للعناصر المحلية في الأوجاقات :

تمدنا وثائق المحاكم الشرعية بمعلومات متناثرة عن الاطار الاجتماعى لهذه العناصر المحلية التى التحقت بالأوجاقات العسكرية ، ويمكن من خلالها — الى حد ما — تحديد أوضاعها الاجتماعية ، وسوف ندرس كل مجموعة على حده :

**أولا — العناصر الاسلامية الوافدة :** ونقصد بهم الشوام والمغاربة والأحباش الذين برزوا فى المجال الاقتصادى والتحقوا بالكيان العسكرى أيضا وهم غرباء عن المجتمع المصرى ، وقد غادروا بلادهم سعيا وراء الرزق فى بلاد اسلامية أخرى وقت ان كانت مصر مركز جذب اقتصادى رغم أحوالها السياسية المضطربة فى القرن الثامن عشر .

ومن دراسة حصر تركات هذه العناصر يتبين أن معظمهم كان يقيم

---

(١٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٢ ق ٨٢ ، س ٢١٤ ق ٢٥١ س ٢٠٨ ق ١٨٢ ، س ٢٠٣ ق ٢١١ ، س ١٩٠ ق ٢٢٣ ، س ١٧٢ ق ١٠٥ ، س ١٥٤ ق ٨١٢ ، ق ١٧٠ ، ق ٣١٨ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٢٢١ ، ٨١٥ — محكمة المنصورة س ٥٣ ق ٩ ، ق ٢٩ .

بمفرده فى القاهرة ، تاركا أسرته فى بلدته الأصلية ، وهذا يعنى استمرار الصلة بين موطنه الجديد الذى نزح اليه للعمل ، وبين موطنه الأصلى حيث تعيش أسرته وأهله ، وفى حالات قليلة استقر البعض لفترات أطول وبدأ حياة إجتماعية جديدة فى مصر ، وكونوا اسرات بها وشاركهم الأبناء أعمالهم ، فى المجال الاقتصادى والسلك العسكرى ، سواء فى العاصمة التى تزخر بألوان النشاط التجارى والحرفى أو فى الأقاليم المختلفة حيث مجال التجارة الداخلية ، وأعمال الجند السباهية (١٥) .

( أ ) الشوام : يلاحظ كثرة أعداد الشوام فى القرن الثامن عشر فى مصر ، وخاصة أولئك الذين دخلوا الفرق العسكرية ، ويعود هذا النشاط فى الواقع الى القرن السابع عشر ، لظروف محلية خاصة ببلادهم التى بقيت مراكز طرد بشرى كان نصيب مصر منها وفيرا ، باعتبارها الامتداد الجغرافى الجنوبى الغربى ، خاصة وأن الحكم العثمانى قائم فى معظم الولايات العربية . وينتمى الشوام الى مدن مختلفة من أقصى الشمال الى الجنوب ( ديار بكر — حلب — حماه — حمص — دمشق — نابلس — القدس ) (١٦)

ومما يذكر أن عددا من الشوام بلغ رتبا كبرى فى الأوجاقات ( جوربجى مثلا ) وهذا يعنى ملائمة هذا العمل العسكرى لطبيعتهم البشرية ، فضلا عن اقامتهم الطويلة بمصر ، وحقق البعض ثروات كبيرة ، حيث يصل متوسط

---

(١٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٤ ق ٣٧٦ ، ق ٥١٨ ، س ١٢٣ ق ٣٨٣ ، ق ٢١٧ ، ق ٥٢٠ ، س ١٢٥ ق ٣١٣ ، س ١١٥ ق ٢٠٦ ، س ١٢٤ ق ٢٠٨ ، س ١١٥ ق ٦٤٨ ، س ١٢٠ ق ٣٦٨ ، س ١٢٠ ق ١٩٠ ، ق ٤٥٨ ، ق ٣٧٤ ، ق ٩٤ ، ق ٢١٦ ، ق ٢٤٣ ، ق ٢١٦ ، ق ٢٠٣ .

(١٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٨١ ق ٣٥٥ ، س ١٦٧ ق ٢٤٨ ، س ١٣٤ ق ٢٢ ، س ١١٩ ق ٤٣٨ ، س ١١٩ ق ٤٨٣ ، س ١٥٢ ق ٢١٦ .

Raymond : op. cit., p. 620.
Holt. T. : Egypt and the fertile crescent (1516 -1922). pp. -103-110.

تركاتهم ( عشرين كيسا مصريا ) ، كما نجد آخرون فى مستوى بسيط ( كيس مصر أو أقل ) .

وباعتبار الشوام جالية اسلامية لها أصولها المشتركة كانوا حريصين على التعامل فيما بينهم فيما يختص بشئونهم الاجتماعية ، فكانوا يختارون فيما بينهم الأوصياء والنظار على التركات لاستخلاص حقوق الورثة المقيمين فى بلادهم الأصلية بعد استقطاع كافة المصروفات من ديون ، ورسوم للقسام ، وعوائد للأوجاقات ، كما يوكلون بعضهم فى الدعاوى والقضايا المختلفة ، وبهذا الشكل كانت تخرج من مصر رؤوس أموال ناتج النشاط البشرى للشوام فى مصر الى ذويهم وأقربائهم كورثة شرعيين (١٧) .

ورغم أن الغالبية منهم كانوا يقتصرون على زوجة واحدة ، فان البعض وخاصة الذين اشتغلوا بالتجارة والترحال بين بلاد الشام ومصر تعددت زوجاتهم الى ثلاث أو أكثر .

( ب ) **المغاربة** : شكل المغاربة نسبة كبيرة فى الأوجاقات تأتى فى المرتبة التالية بعد الشوام — حسبما صادفتنا الوثائق — وان كان دورهم الاقتصادى فى مجال التجارة الواسعة أكثر وضوحا ، ومما يذكر أن المغاربة شكلوا عسكرا مرتزقة استعان بهم الباشوات والبكوات المماليك خارجا عن النطاق الرسمى للأوجاقات .

وينتمى هؤلاء المغاربة الى مدن متعددة ( فاس — طرابلس الغرب — تونس — جربه .. ) وتشير الوثائق أن غالبية المغاربة بقيت صلاتهم بمدنهم

---

(١٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٣١٦ ، س ١١٥ ق ٢٨٩ ، س ١١٥ ق ٣٥ ، ق ٣١ ، ق ٢٨ ، س ١٤٩ ق ٤٣ ، س ١٤٩ ق ٦٨ ، ق ٢٤٠ ، ق ٢٥٥ ، ق ٢٨٢ ، ق ٦٠٩ ، ق ٧٢٩ ، ق ٢٩٧ ، س ١٩٥ ق ٥٨٦ ، س ١٢٥ ق ١١٦ ، س ١٢٣ ق ٣٦٤ ، س ١١٤ ق ٣٢٧ .

— عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ، تونس ، ١٩٨٢ ، ص ٦٤ — ٧٠ .

الأصلية قائمة حيث تعيش أسراتهم بها ، ولعل موكب الحج المغربى كان وسيلة منتظمة للانتقال من المغرب الى الحجاز عبر مصر ، وكما هو الحال بالنسبة للشوام كان حرص المغاربة واضحا على اسناد الوصاية والنظارة على تركاتهم الى بنى جنسهم ، ويتطوع أحدهم وكيلا عن ورثته للحضـــور الى مصر لاستلام حصص الورثة الشرعيين (١٨) .

**( جـ ) الأحباش :** اشـــتغل عدد منهم فى مجال التجـــارة فى مختلف البضائع ، وان كان نشاطهم غير ملموس ، كما هو الحال بالنسبة للمغاربة والشوام ، وحقق نفر منهم ثروات لا بأس بها حيث يصل متوسط تركاتهم ( خمسة أكياس مصرية ) ، ومن الملاحظ أن نسبة كبيرة من الأحباش ممن استوطنوا مصر لم يكونوا أسرات بها ، وعزفوا عن الزواج طيلة حياتهم ، فكانت تركاتهم تنتقل الى أقاربهم فى الحبشة .

**( د ) العجم والأكراد :** وهم يشكلون أقلية عددية بسيطة ـــ كما تشير الوثائق ـــ ليس لها دور كبير فى المجال الاقتصادى ، وانما التحق نفر منهم فى الفرق العسكرية (١٩) .

**ثانيا ـــ المصريون :** تعددت الفئات الاجتماعية المصرية التى انتظم أبناؤها فى السلك العسكرى ، واختلفت دوافع كل فئة ـــ كما سبق أن رأينا ـــ ويبدو أن أعداد المصريين الذين التحقوا بالأوجاقات كانت أقـــل

---

(١٨) سجلات القسمة العسكرية : س ٢١٣ ق ٣٤٩ ، س ٢١١ ق ٢٧٩ ، س ٢١٠ ق ٣٤٣ ، س ١٥٤ ق ٤ س ١٩٩ ق ١٨١ ، س ١٩٨ ق ١٥٠ ، س ١٢٠ ق ٣٦٨ ، س ١٢٠ ق ١٩٠ ، ق ٤٥٨ ، س ١٢٢ ق ٩٠ ، ق ٨١ ، ق ٦٨ ، ق ٥١٠ ، ق ٥١١ .

(١٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٣١٣ ، س ١٢٤ ق ٢٠٨ ، س ١١٥ ق ٦٤٨ ، ق ٢٠٦ .

ـــ مضابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصورة س ٥٠ ق ١٤٢ ، ق ٣٥٤ ، ق ٣٧٥ ، ق ٤٣٣ ، ق ٣٢٧ ، ق ٨٥١ .

من العناصر الاسلامية السابقة فى مجموعها ، فكانت فرصة هؤلاء الوافدين الى مصر أوسع فى التغلغل داخل الكيان العسكرى والاقتصادى ، خاصة وقد تجشموا صعوبات ودفعتهم ظروف قاسية للارتحال طلبا للرزق ، ولعل الظروف السياسية — حيث حكم المماليك — وهم أيضا غرباء عن المجتمع — كانت تتيح مجالا أوسع امامهم .

واذا اعتبرنا اسهام المصريين فى مجال التجارة الكبيرة كان محدودا ، فان نشاطهم فى المجال العسكرى كان معقولا الى حد ما (٢٠) .

ولعل أبرز هذه الفئات الاجتماعية المصرية فئة العلماء وهم ممن احترفوا مهنا شتى الى جانب كونهم رجال العلم ، والحقوا أبناءهم فى الأوجاقات كما اشتروا لأنفسهم ولزوجاتهم العلوفات دون أن يكونوا أعضاء فعليين داخل الفرق العسكرية ، ولعل الشيوخ الذين انتهجوا هذا المسلك كانوا من أصحاب الدخول البسيطة ، فلا يزيد متوسط تركاتهم عن ( نصف كيس مصرى ) وان كان البعض قد حقق مستوى معقولا حيث ارتفع المتوسط الى ( ثلاثة أكياس مصرية ) . ولقد أتاح اقتحام هؤلاء العلماء للمجال الاقتصادى من تجارة وحرف الى جانب العمل العسكرى وسائل الاحتكاك بالفئات الأخرى ، فنجد مصاهرات تتم بين هؤلاء من ناحية والتجار والحرفيين من ناحية أخرى أو العكس ، ولم يقتصر ذلك على القاهرة ، بل امتد الى الاقاليم من ذلك زواج أحد تجار الاقمشة والبن بابنة أحد العلماء ، ومصاهرة أحد العلماء لحرفى ( صباغ ) وان بقيت السمة الغالبة حرص العلماء على التزواج فيما

---

(٢٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٤٩ ، س ١٢٥ ق ١٠٢ ، ق ٥٠١ ، س ١٤٨ ق ١٠٢ ، س ٢١٠ ق ٤٠٧ ، س ١٥٤ ق ١١٩ ، س ٢٠٦ ق ١٣٨ ، س ١١٥ ق ٧٦ ، س ١٥٤ ق ٣٧٦ ، س ١٢٣ ق ٢١٧ ، ق ٣٨٧ .

— سجلات محكمة بولاق : س ٦٣ ق ١٧٩ ، ق ٢٠٥ ، ق ٦٠١ .

بينهم كفئة اجتماعية لها ظروفها ومصالحها الخاصة (٢١) .

ومن الملاحظ اقبال أبناء هذه الفئة على تعدد الزوجات رغم بساطة المستوى الاجتماعى فى بعض الأحيان وبالتالى كثرة النسل .

وبناء على ما تقدم ، وفى ظل احتكاك العناصر الاسلامية السابقة بأبناء المجتمع المصرى من خلال النشاط الاقتصادى والزمالة فى الأوجاقات العسكرية الى جانب الاستقرار فى أحياء وخطط سكنية متقاربة ، ظهرت تدريجيا — ولو بشكل محدود — العلاقات الاجتماعية حيث جرت بعض المصاهرات فيما بينهم .

فنجد بعض الشوام من التجار ورجال الأوجاقات يصاهرون العلماء ممن شاركوهم هذا النشاط ، كما صاهر عدد من الأشراف المصريين الشوام وتزوجوا بشاميات سواء فى القاهرة أو بنادر الاقاليم ، وقد تكون الشامية الزوجة الثانية تزوجها الشريف بحثا عن الأبناء الذكور ، وقد سبق له الزواج ، وبلغت بناته مرحلة النضج من زوجة سابقة ، ولم تكن صدقاتهن مرتفعة فقد تصل للحد العادى ( أقل من الف نصف فضة ) (٢٢) .

ورغم اهتمام المغاربة المقيمين بمصر بالتزواج فيما بينهم وخاصة أصحاب

---

(٢١) مضابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصورة س ٤٩ ق ١٩٩ ، ق ٥٠١ ، ق ٦١٣ .

سجلات القسمة العسكرية : س ٢١٣ ق ٣٧١ ، س ٢٠٦ ق ٣٣٣ ، س ١٩٩ ق ١١ ، ق ٣٤ ، ق ٦٤٩ ، محكمة الباب العالى : س ١٨٠ ق ٩١٦ ، ق ١١٠٥ .

(٢٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١٧٢ ق ٤٤٨ ، س ١٨٢ ق ٢٩٢ ، س ١١٥ ق ٣٦٠ ، س ١٢٥ ق ١٩٨ ، س ٢٠٤ ق ٣١١ ، س ١٩٨ ق ١٤٠ ، س ٢٠١ ق ٥٩٤ ، س ١٧٨ ق ١٠٢ ، س ١١٥ ق ٧٥ ، س ١٤٩ ق ١٦٨ ، س ٢٠٥ ق ٣٨١ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٥٨٧ ، ٦١٨ .

الكيان الاقتصادى والاجتماعى المرتفع ( أسرة الشرايبى مثلا ) فبمرور الوقت بدأت هذه القيود تتداعى بشكل محدود وخاصة بالنسبة لأصحاب الدخول المتوسطة من رجال الحرف والتجارة ، حيث صاهروا زملاءهم فى هذه المهن من المصريين ، كما صاهر أبناء أسرة الشرايبى العريقة تجارا من المصريين فى نفس المستوى . وصاهر بعض العلماء تجارا من المغاربة العاملين فى وكالة الزيت ببولاق خاصة وأنهم يشتغلون معا فى نفس المجال ( القبانة — الحسابات ) وينتمون لأوجاق مستحفظان (٢٣) .

ومن الجدير بالذكر اهتمام المغاربة برصد أموال لصالح رواق المغاربة فى الأزهر للانفاق على طلبة العلم من بنى جنسهم الى جانب التوصية لبعض قرائنهم وأقاربهم بحصص من تركاتهم داخل الثلث المسموح به خارجا عن نصيب الورثة .

والى جانب هذه المصاهرات قامت المعاملات المالية بين هذه العناصر المحلية سواء الوافدة أو المصرية على شكل القروض والرهون . وفى بعض الأحيان كانوا يختارون أوصياء على تركات بعضهم البعض .

وقد اتضحت عادات وتقاليد للمجتمع المصرى الذى ضم هذه العناصر الاسلامية ، منها شيوع الطابع الدينى بين أبناء هذا المجتمع والحرص على أداء فريضة الحج بشكل هام رغم الصعوبات التى تعترض هذه الرحلة الشاقة ، كما اهتم الكثيرون باقتناء الجوارى والعبيد لانجاز أعمال الخدمة فى البيوت والحرص على عتقهم قبل الوفاة رغبة فى الثواب أو التوصية بذلك ، وهناك اهتمام ملحوظ بانجاب الأبناء الذكور وقد يستدعى ذلك الزواج أكثر من مرة ولو فى مرحلة الكهولة . وقد ساد نوع من التكافل الاجتماعى داخل المجتمع الذى يقوم على اسناد القسام مهام الوصاية على

---

(٢٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٣٦٨ ، ق ٤٥٨ ، ق ١٩٠ ، ق ٦١٨ ، ق ٧١٥ ، س ١٢٥ ق ٢٠٨ ، س ١١٥ ق ٢٠٦ ، س ١٢٠ ق ٢٠٣ ، ق ٢١٦ ، ق ٢٤٣ .

القصر سواء كانوا من نفس الفئة الاجتماعية أو غيرها وتقرير المصاريف الشهرية للقاصر ، ويتولى الناظر محاسبة الوصي كل فترة (٢٤) .

وعلى هذا النحو نجد أن العناصر المحلية شكلت مصدرا هاما لامداد الأوجاقات بما يلزمها من الرجال ــ رغم مخالفة القانون ــ ووصل قليل منهم رتبا قيادية ( كتخدا عزبان ــ أغا المتفرقة ) ورغم هذا لم يشكل ذلك مصدر خطورة بالنسبة للعنصر المملوكى ، وخاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وافتقدت هذه العناصر أيضا الفعالية فى المجال السياسى .

وخلاصة القول أن العناصر المحلية بدأت تتسرب الى الأوجاقات منذ الربع الأخير فى القرن السادس عشر ، بعد أن انقضى عصر قوة الدولة وسيطرتها ، وتمثلت طلائعها فى أصحاب النفوذ بالمجتمع المصرى من العلماء والتجار وشيوخ الحرف ، واشتد الاقبال فى القرن السابع عشر ، وتزايد فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ثم اخذ فى الانحسار عندما تسلم امراء المماليك زمام السلطة فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، وكان للعناصر الاسلامية ( الشوام ــ المغاربة .. ) الواردة ، اسهام واضح فى هذا المجال الى جانب المصريين ، ورغم هذا ، لم تصل هذه العناصر الى مستوى مؤثر فى الكيان العسكرى للأوجاقات .

Mahmoud

---

(٢٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٢١٦ ، س ١١٩ ق ٤٣٨ ، س ١٣٤ ق ٢٢ ، س ١٦٧ ق ٢٤٨ ، س ١٨١ ق ٣٥٥ ، س ١٧٢ ق ٤٩٧ ، س ١٨٢ ق ٢٩١ ، س ١٢٠ ق ٤ ، ق ٢١ ، س ١٥٨ ق ٧٠٥ ، ق ٧٥٨ ، ق ١١١٠ ، ق ١١١٣ ، س ١٥٤ ق ٣٠٩ ، س ١٥٨ ق ٨٤ ، س ١٤٩ ق ١٤ ، س ١١٩ ق ٤٨٩ .

# الفصل الخامس

## اربــاب العلوفات

### ( المتسبون الى الأوجاقات )

**التعريف بالعلوفات :**

ظهرت فى الوثائق اشـــارات الى ( العلوفات ) وأربابها من مختلف العناصر ، وأمكن من خـــلالها التعرف على بعض الجوانب ، كما تناول المؤرخون المعاصرون — أحيانا — هذا الموضوع باشارات موجزة (١) .

كانت تباع العلوفات ( الجامكيات ) على أيدى دلالين من رجال الأوجاقات المختلفة وخاصة المتمركزة بالقاهرة ( مستحفظان ، عزبان ، جاويشان ، المتفرقة ) ، وبعض السباهية الذين زاولوا أنشطة تجارية وحرفية بالعاصمة ؛ ويرأسهم ( باش دلالين العلوفات ) وهو عادة يكون من جورجية الأوجاقات ( مســتحفظان ، عزبان ) ومن أعيانها المعروفين وتتم هــذه المعاملات فى الديوان ، بمعرفة كبار رجال ولاية مصر ، كما هو الحال بالنسبة لحصص الالتزامات وحلواناتها (٢) .

---

(١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ١٧٣ ، ق ١٥٠ ، س ٢١٢ ق ٣١٣ ، محكمة طولون : س ٢١٩ ، ق ٩٤ .

محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ق ٦٤ ، ق ٧٣٠ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٦٥ ، ٢١٥ .

(٢) سجلات محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٣٧٧ ، ق ٥١٤ ، ق ٥١٨ ، ق ٦١٨ ، محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٨٥ .

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ ، ٥٤٠ .

تنتمى هذه العلوفات الى كافة الأوجاقات السبعة ( مستحفظان ، عزبان ، جاويشان ، متفرقة ، توفكجيان ، كومليان ، الجراكسة ) ، فضلا عن بلوكات ( الجوالى — الايتام — الكشيدة ) .

وتختلف العلوفات من حيث أثمانها ، والايرادات التى يمكن ان يحصل عليها صاحب العلوفة (٣) ، واذا كانت العلوفة كبيرة من حيث الكم فهى تنقسم الى ( مواجب ) — أسماء (*) .

---

(٣) من الصعب تحديد قيمة كل علوفة فى مختلف البلوكات والأوجاقات حيث أن ما ورد فى الوثائق عبارة عن اشارات مختصرة وغير متكاملة ، وان كان قد تم التعرف على بعضها ، فعلى سبيل المثال نجد علوفة فى أوجاق مستحفظان سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م ثمنها ١٣٫٦٠٠ نصف فضة ولم يذكر دخلها .. بينما يصل ثمن علوفة فى أوجاق ( جاويشان ) قدرها ثلاثون عثمانيا الى ( واحد وخمسين ألفا وسبعمائة وخمسين نصف فضة ) ، اى بواقع العثمانى الواحد الف وسبعمائة وعشرين نصف فضة ، وتدر هذه العلوفة دخلا سنويا قدره ٤٫٨٠٠ فضة سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م ، ولكن انخفض هذا القدر ليصل ثمن العثمانى فى علوفة أخرى الى الف وثلاثمائة وعشرين فضة سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م .

(*) وفى نفس أوجاق الجاويشية ولكن بدفتر المتقاعدين نجد علوفة ( ١٥ عثمانى ) وجراية بثمن قدره أربعمائة د. محبوب سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ويصل دخل علوفة بأوجاق الجاويشية أيضا قدرها ( ٤٢ عثمانى ) الى ٤٣٠ نصف فضة شهريا سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ، أما فى أوجاق المتفرقة فنجد علوفة ( مائة وثلاثة عثمانى ، وخمسة عشر عثمانيا ، بأوجاق الجاويشية ) ثمنها مائة وثلاثة وسبعون ألفا نصف فضة سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م ليصل ثمن العثمانى الواحد حوالى ( ١٤٦٨ نصف فضة ) .. وفى أوجاق توفكجيان يصل ثمن علوفة ( أربعة عثمانى ) سبعة آلاف وثمانمائة وعشرون نصف فضة فيكون العثمانى الواحد ١٩٥٥ نصف سنة ١١٣٨هـ/١٧٢٥م . وفى نفس الأوجاق ( توفكجيان ) ولكن بدفتر متقاعدين نجد علوفة ( ٢١ عثمانى ) بثمن قدره ٣٣٦ د. زنجرلى فيكون العثمانى بـ ١٦ د. زنجرلى أى حوالى ١٫٧٦٠ نصف فضة ( الدينار الزنجرلى = ١١٠ نصف فضة ) سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٥م . أما فى بلك الجراكسة فنجد علوفة قدرها ٤٤ عثمانى ثمنها ٦٠٫٠٠٠ نصف فضة سنة ١١٥٤ ويصل دخل علوفة بهذا البلك ،

وتحتوى العلوفة على اصفر وحدات لقيمتها وهى ( العثمانى ) .

ويرتبط بالعلوفات النقدية أيضا حصول أربابها على جرايات من الأنبار الشريفة وهى تجعل لصاحبها الحق فى قدر معين من القمح شـهريا ، أو سنويا ، وقد يشترى ـ فضلا عن ذلك ـ عليقة من الأنبار لتوفير ما يلزم دوابه من الشعير بشكل منتظم شهريا (٤) .

ولا شك أن هذه العمليات كانت تجرى بتدخل الدفتردار المسـئول عن كافة الشئون المالية بولاية مصر .

وظهر من الوثائق أن العلوفات قد جـرى عليها العديد من أشـكال التعامل ، فكان يجرى وقف العلوفة وقفا أهليا ليصرف ريعها على صاحبها فى حياته ثم على أبنائه وذريته ومماليكه ( معتوقيه ) كما يحدد الواقف فى وقفيته .

واتجه البعض الى جعلها وقفا خيريا ينفق منه على وجوه الخير كالأسبلة المعدة للشرب سواء للناس أو الدواب ، ووقف البعض علوفاتهم للانفاق على قراءة القرآن الكريم ، وتخصيص المقرئين ورمى الريحان والخوص وغيرها على المقبرة من أجل الثواب ، واهتم بعض الأبناء بهذا الشـأن

---

ولكن بدفتر متقاعدين وهى ( ٧ عثمانى ) حوالى ٩٤ نصف فضـة . وفى بلك الجوالى نجد علوفة ٢١ عثمانى يصل ثمنها الى ٥٨٫٠٠٠ نصف فضة سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م . كما أن علوفة ببلك الأيتام ( دفتر الأيتام ) ٧ عثمانى ثمنها ٤٫٥٥٣ نصف فضة سنة ١١٣٣هـ ، وتدر دخلا شـهريا ٩٥ نصف فضة ، وقد تكون العلوفة مركبة من هذين البلكين حيث نصادف علوفة ١٤ عثمانى ، ٩ عثمانى منها بالجوالى وخمسة منها فى الأيتام وثمنها ٢٩٫٠٠٠ نصف فضة سنة ١١٣٥ هـ ، ويصل ثمن جراية بالعنبر الشريف ٤٫٣٧٧ نصف فضة سنة ١١٣٤هـ ، ( وعليقة شعير أردبين شهريا ) ٤٫٣٠٠ نصف فضة سنة ١١٣٣هـ .

(٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٩٠ ق ٣٠١ ، محكمة بولاق : س ٦٣ ق ١١٨ ، سجلات الديوان العالى س ٢ ق ٨١ ، ق ٩٥ .

للانفاق على ذلك بالنســبة لمقابر الآباء حتى ولو كانت خارج مصر ، فى الحجاز مثلا ، مما يؤكد الطابع الدينى للمجتمع فى ذلك الوقت (٥) .

وتعد العلوفة جزءا من التركة ، ومن حق الورثة المشاركة فيها ، وقد تحدث نزاعات تصل الى المحاكم الشرعية للفصل فيها ، من ذلك قيام أحــد الازواج باثبات صحة دعواه على أم زوجته التى استحوزت على تركة زوجته المتوفــاة ، ومنعت حصــوله عــلى حقه فى العلوفة التى بلغت قيمتهــا حوالى نصف كيس مصرى ، بينما يرث أحد الحرفيين ( قواف ) علوفة زوجته لانحصار ارثها فيه سنة ١٣٣١ هـ / ١٧١٩م .

ويرث المماليك فى علوفات سادتهم من الأمراء بعد أن جرت المصاهرات فيما بينهم ، ويحق للأمراء وراثة مماليكهم ( معاتيق ) أيضا هم وأبناؤهم . ويستتبع حق الارث حدوث انتقال ريع العلوفة الى الورثة حتى ولو كانوا خارج مصر ، واتضح ذلك من وثائق تبين وجود ورثة ( زوجات وأقارب ) للعسكر الذين يرجعون لأصلى رومى ( عثمانى ) فى بلادهم الأصلية ، وأحقيتهم فى ذلك (٦) .

ويختار أصحاب العلوفات فى وصاياهم الأوصياء لاستلام دخل العلوفة ( اشتغال العلوفة ) وتسليمه للورثة خاصة اذا كانوا قصرا ، ويقوم الناظر الشرعى بمحاسبة الوصى كل مدة للتحقق من حسن قيامه بواجبه ، عــادة ما يكون كل ثلاث سنوات . من ذلك اختيار جوربجى جاويشان — وهو ابن أحد الأمراء المشهورين ( حسن أغا بلفية كتخدا جمليان ) — وصيا على

---

(٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٩٢ ق ١١٢ ، ق ١١٨ ، ق ٢١٥ ، س ١١٥ ق ٤٩٨ ، ق ٢٣٩ ، ق ١٧٥ ، ق ٥٠٥ ، س ١٢٠ ق ٣٧٦ ، ق ٥١٨ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٤٤١ ، ق ١١٠ ، ق ١٢٨ .
(٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٤٤٦ ، ق ٥٢٩ ، ق ٥٣١ ، ق ٣٨٨ ، ق ٤٨٣ ، ق ٣٩٣ ، ق ٢٩٧ ، ق ١٣٠ ، س ١١٥ ق ٤١١ ، س ١١٩ ق ٢٤٨ ، ق ٣٠٦ ، ق ٣٠٧ .

تركه احد العسكر من جماعة مستحفظان وعلوفة دخلها الشهرى خمسة وتسعون نصف فضة سنة ١١٣٣ هـ / ١٧٢١ م . ويمكن لصاحب العلوفة أن يتخلى عن علوفته مقابل تعويض نقدي ، أو يسقطها لمن يرغب لينتفع بدخلها ، من ذلك تعويض احدى الزوجات زوجها عن مبلغ اقترضته مقابل علوفتها بدفتر الأيتام ، واسقاط أحد أرباب العلوفات علوفته لأبنائه فى حضور اختيارية الأوجاقات بمجلس الشرع وتقسيمها عليهم (٧) .

ويقايض صاحب العلوفة بعلوفته مقابل وظيفة أو حصة فى وظيفة فى الروزنامة أو الأوقاف وغيرها ، أو مقابل حصة التزام فى الأقاليم من ذلك مقايضة صاحب علوفة — ( واحد واربعين عثمانيا ) قيمتها اربعة وخمسون ألفا ومائة وعشرون نصف فضة — ملتزم لحصة قدرها قيراطين من كامل اراضى ناحية ( دموة ) بالجيزة حلوانها واحد وستون ألفا وستمائة نصف فضة ودفع الفارق نقدا للملتزم (٨) .

**أصحاب العلوفات :**

لم تكن العلوفات مقصورة على فئة اجتماعية معينة ، بل شملت كافة فئات المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر ، ويمكن تقسيم هذه العناصر الى قسمين رئيسين :

**أولا — رجال الطبقة الحاكمة :**

رغم امتيازات رجال الطبقة الحاكمة تجاه أبناء الرعية حرص الكثير منهم على شراء العلوفات لأنفسهم ولأبنائهم الصغار لتكون مصدرا لزيادة دخولهم وتنمية ثرواتهم .

وقد اهتم كبار رجال الأوجاقات العسكرية من أغوات وكتخداوات

(٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٢ ق ١٣٤ ، ق ٣٨ ، ق ١١٨ ، س ١١٤ ق ٤٠٤ ، س ١٢٠ ق ٦٩٠ ، ق ٥٥ ، ق ٦٤ ، ق ١٠ ، ق ١٩ .
(٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٥٠٢ ، س ١٢٠ ق ٣٥٢ ، س ١١٩ ق ٢٥ ، ق ٧٤ ، ق ١١٦ ، س ١٢٥ ق ٣٣٦ ، ق ٥١٣ .

بشراء العلوفات ، من ذلك احد كتخداوات أوجاق مستحفظان — أقوى الأوجاقات واغناها — الذى اشترى علوفات لأبنائه الثلاثة القصر ، يصل دخلها السنوى ما يقرب من ( نصف كيس ) بالرغم من نشاطه التجارى الواسع بخط الأزهر من حيث حيازة عدة حوانيت ووكالات فضلا عن التزاماته المتعددة فى الأقاليم (٩) .

كما نجد أحد كتخداوات عزبان — وهو من أصل محلى شريف — واصبح باش اختيارية الأوجاق يهتم بشراء علوفة وجراية لابنه ، واحد كتخداوات الجاويشية يشترى لحفيده علوفة فى أوجاقه ( الجاويشية ) واخرى فى بلك ( الكشيدة ) بثمن يصل الى حوالى كيسين مصريين ، لتدر دخلا يبلغ حوالى ربع كيس سنويا ، ونظرا لهبوط مكانة أوجاق المتفرقة نجد احد أغوات هذا الأوجاق يسعى لشراء علوفة لنفسه بدفتر متقاعدين تونكجيان ليرتفع بذلك مستواه الاجتماعى (١٠) .

وتشير الوثائق الى اهتمام أمراء المماليك فى سائر الأوجاقات بهذا الأمر ، من ذلك ( الأمير أحمد أغا بوشناق ) يشترى لزوجتيه — احداهما معتوقة ابراهيم بك أبو شنب — ولأبنتيه علوفات ببلك ( الجوالى ) وجرايات من الأنبار الشريفة ، وعاش بمصر نفر من رجال الدولة ( اغوات الحريم السلطانى — قزلار — ) واهتموا بشراء علوفات كبيرة لابنائهم باوجاقى المتفرقة والجاويشية بلغت قيمة احداها حوالى سبعة أكياس .

---

(٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٢٩ ، س١١٤ ق ٤٤٦ ، س ١٥٢ ق ٤٣٩ ، س ١١٥ ق ٨٥ ، س ١١٤ ق ٣٦٢ ، س ١٢٢ ق ٣٧ ، س ١١٥ ق ٦٦٨ ، ق ١٩٥ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٧ ، ص ١٠٨ ، ص ٥١٢ .

(١٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٣٧ ، ق ١٠٥ ، محكمة الباب العالى : س ٢٨٣ ق ٩ ، ق ١٥٥ ، ق ٢١٣ ، س ١١٦ ق ٣٩٩ ، س ٢٨٣ ق ٢٩ .

سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢ ، محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥٤٦ .

ولجأ جوربجية الأوجاقات المختلفة — سواء كانوا من أصل مملوكى أو عثمانى أو محلى — لهذا الأسلوب ، من ذلك أحد الجوربجية المماليك الذين حققوا ثراء فاحشا حيث بلغت تركته ما يقرب من ألف وخمسمائة كيس مصرى ، ولم يكن له ولد ، ومن أرباب العلوفات ، ولذلك تبرع لمماليكه وخدمة وأهل الجامع الأزهر بعدة مبالغ وورثة أبناء معتقة . كما نجد جوربجيا من أصل عثمانى بأوجاق توفكجيان — السباهية — حرص على شراء علوفة لابنته القاصرة بدفتر أوجاقه ، وهى علوفة بسيطة ( أربعة عثمانى ) تتناسب ومستواه الاجتماعى ، ويختار كتخدا الجاويشية ليكون وصيا عليها بعد وفاته . وعندما يتقدم السن بالجوربجية أيضا يعملون على توفير مورد لهم بشراء العلوفات ، من هؤلاء أحد جوربجية ( اختيار توفكجيان ) يشترى علوفة بأوجاق جاويشان وجراية أيضا بثمن قدره ٤٠٠ دينار ( ذهب محبوب ) عام ١١٦٨ هـ / ١٧٥٥ م (١١) .

وفضلا عما سبق تشير الوثائق الى اهتمام الأوده باشية وسائر العسكر من الأجناد بحيازة العلوفات والأمثلة كثيرة ، من ذلك أحد رجال الكوملية يشترى علوفة فى ( الجاويشية ) ٤١ عثمانى بما يقرب من ٢½ كيس مصرى ، وآخر من المتفرقة وله علوفة صغيرة ( سبعة عثمانى ) دخلها الشهرى ٩٤ نصف فضة . ويلاحظ اهتمام أمراء المماليك من سائر الرتب العسكرية بشراء علوفات لأبنائهم وأتباعهم سواء فى أوجاقاتهم أو غيرها لتكوين كيانات مملوكية تتغلغل داخل الكيان العسكرى للأوجاقات (١٢) .

---

(١١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٩٠ ق ٣٠١ ، ق ٣١٨ ، ق ٥١٣ .

سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١١٠ ، ق ١١٣ ، ق ٥٨٠ .

سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٢٣٩ ، ق ٥٠٥ ، ق ١٧٥ ، س ١٢٠ ق ٣٧٦ ، ق ٤٤٦ ق ٣٩٣ ، ق ١٩٧ ، محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥٤٦ ، ق ٨١٣ .

— خليل ادهم : مسكوكات عثمانية ، استانبول ١٢٨٨ هـ ، ص ٤٢٨ ، ٤٣٣ .

(١٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ١٩٨ ، ق ٢١٥ ، =

**ثانيا — طبقة المحكومين :**

لاشك أن امتيازات الطبقة الحاكمة وأوضاعها الاجتماعية المرتفعة كانت تجذب اهتمام أبناء طبقة المحكومين الذين حرصوا بشكل ملحوظ على الارتفاع بمكانتهم ، تمثل هذا فى دخول الأهالى الأوجاقات العسكرية ، وشراء العلوفات فى سائر البلكات ليضمنوا موارد ثابتة لهم ولأبنائهم .

ويمكننا تحديد أهم العناصر المحلية ( أرباب العلوفات ) فيما يلى :

**( ا ) العلماء والشيوخ :** تعد جماعات العلماء فى قمة المجتمع المصرى من طبقة المحكومين لما تتمتع به من منزلة سامية فى النفوس ، سواء لدى الحكام أو أبناء الرعية ، ورغم ثراء بعض العلماء بشكل ملحوظ الا أنهم كانوا من أرباب العلوفات ، من ذلك نجد ( شيخ الاسلام علامة الأنام الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ على من أعيان السادة المالكية وشيخ الافتاء والتدريس من أرباب العلوفات بمصر .. ) وقد بلغت تركته المورثة لأبنائه ما يزيد على ١١٦ كيسا مصريا (١٣) .

كما نرى احد الشيوخ ( الشيخ محمد شنن ) يشترى علوفة لقاصره الصغير فى بلك الكشيدة دخلها الشهرى ما يقرب من ألفين نصف فضة ، وخصص لخدمته جاريتين ، وبلغ نصيب القاصر من التركة حوالى عشرين كيسا مصريا .

ومن العلماء من اشتغلوا فى مجال التجارة وصاروا فى عداد أصحاب العلوفات ( فى أوجاق مستحفظان ) وغيره من البلوكات — لما يبسطه هذا الأوجاق من نفوذ فى أوساط التجار والحرفيين (١٤) .

---

= س ١٢٢ ق ٣١١ ، ق ٦٥ ، س ١٢٠ ق ١٩ ، ق ٦٩٠ ، ق ٦٤ ، ق ١٠ ، ق ٥١٥ .

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٤٠٤ ، س ١١٩ ق ٢٥ ، س ١٢٠ ق ٣٥٢ ، س ١١٩ ق ٧٤ ، س ١٢٢ ق ١١٦ ، س ١٢٥ ق ٣٣٦ .

(١٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ، ق ٥١ ، ق ٥٥ .

كما لجأ صغار الشيوخ من أصحاب الدخول المتوسطة والبسيطة الى شراء العلوفات خاصة اذا كانت مخلفاتهم لا تتناسب مع عدد الأبناء ، وقد يصلون الى عشرة أبناء .

وهناك من العلماء من كانت لهم أنصبة فى عقارات ومرافق عامة كالحمامات ، أو شاركوا فى مجال تجارة التجزئة ، بشكل محدود ، وعلى مستوى اجتماعى متواضع — كما يظهر من مخلفاتهم — وكانوا ن أرباب العلوفات . وبشكل عام يتضح حرص غالبية العلماء فى هذه الحالات على تعدد الزوجات وكثرة الأولاد واقتناء الجوارى والمماليك للخدمة فى بيوتهم .

( ب ) **اهل الحرف والتجارة** : أقبل أهل الحرف من أصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شراء العلوفات لتكون موردا هاما لتحسين أوضاعهم من ذلك نجد بعض العطارين بخط الباسطية وقد ورثوا هذه المهنة عن آبائهم ، فضلا عن المشتغلين فى عمليات الشحن والتفريغ ببولاق ( العتالون ) بوكالات متعددة كوكالة الزيت (١٥) .

كما اهتم العقادون فى البسط والسجاجيد بشراء علوفات فى أوجاق مستحفظان وصناع ( القفف ) ومدولبو الحمامات والحلاقون والصرامجية ( صناع الأحذية ) فى هذا الأوجاق وغيره من الأوجاقات .

وحرص صناع المأكولات من الكبيجية وغيرهم أيضا على شراء علوفات بأوجاق العزب والبلكات الأخرى . ويسكن هؤلاء الحرفيون فى الأحياء

---

١٥٩ ، س ١٢٢ ق ١٢٩ ، ق ١٨٠ ، س ١٢٥ ق ٦٥٥ ، ق ٦٩٢ ، س ١٢٥ ق ٧٢١ .

— محكمة طولون س ٢٢٤ ق ٧٢٧ ، ق ٨١٥ .

(١٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٥ ق ٦٠ ، س ١٨١ ق ١٥٥ ، س ١٢٠ ، ق ١٤٤ ، ق ٤٩٤ ، س ١٤٨ ق ٣٧ ، محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥١٤ ، ق ٥٧٧ .

— محفظة دشت : رقم ٢٢١ ض ١٦٥ ، ص ١٧٨ ق ٦٠٨ .

الشعبية ببولاق ( كفر الطماعين ) وخط الشوايين والباسطية وحى القلعة والدرب الأحمر ، وغيرها (١٦) .

وبالنسبة للتجار أيضا اتجه البعض الى شراء علوفات من هؤلاء نفر من تجار سوق الشرب وسوق السلاح الذين يتاجرون فى الأقمشة والملابس والمناديل والخردوات البسيطه ، يرجع بعضهم الى أصول محلية سواء من الأقاليم أو القاهرة ، والبعض الآخر من أصل مملوكى أو عثمانى ، وعلى درجة متواضعة من المستوى الاجتماعى . فضلا عن ذلك اهتم الأهالى من القاهريين بشراء علوفات لأبنائهم فى أوجاقات الجاويشية والسباهية ( توفكجيان — كومليان ) من ذلك شراء أحدهم علوفة بالجاويشية ( اثنين وأربعين عثمانى ) اشتغالها الشهرى ٤٣٠ نصف فضة فضلا عن جرايتين بثمن قدره ستمائة وعشرون ديوانى سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م ويسكن هؤلاء فى الأحياء الفقيرة بخط الباطنية وخط الجودرية وغيرها .

ويظهر من الوثائق أيضا دخول الأهالى من الأشراف هذا المجال ، فنجد أحدهم يشترى علوفة سبعة وثلاثين عثمانى موزعة على قاصرتيه ومعتوقته بدفتر الأيتام ، كما اشترى لمعتوقته ( مملوكه ) علوفة خمسة عشر عثمانى بدفتر جمليان وهذا يعنى متانة الروابط الاجتماعية بين الأشراف وأتباعهم من الجوارى والمماليك (١٧) .

( جـ ) **النســاء** : من الملاحظ ذلك الاقبال المتزايد من جانب النساء ،

---

(١٦) سجلات الديوان العالى : س ٢ ق ٨١ ، ق ١٠٩ ، ق ٥٢٧ .
— سجلات محكمة بولاق س ٦٣ ق ١١٨ ، ق ٣٠٧ ، ق ٣١٤ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٩٠ ق ٣٠١ ، ق ٢١٨ ، ق ٥٤٣ .

(١٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٥١ ، ق ٥٥ ، ق ١١٨ ، ق ١٥٩ ، س ١٢٢ ق ١٢٩ ، ق ١٥٩ ، س ١٢٥ ق ٦٥٥ ، ق ٦٩٢ ، ق ٧٠٨ .
— محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٧٢٧ ، ق ٨١١ ، ق ٩٥١ .

اللاتى ينتمين الى فئات اجتماعية متباينة على شراء العلوفات ، ويمكن ابراز أهم هذه الفئات فيما يلى :

( أ ) بنات الأمراء المماليك وهن زوجات للأفندية من رجال المالية ، أو القاصرات منهن ، فضلا عن زوجات المماليك أيضا ، وهذه الفئة تتميز بمستوى اجتماعى متوسط ( ان لم يكن مرتفعا أحيانا ) (١٨) .

( ب ) زوجات جوربجية وأوده باشية الأوجاقات ، ولم يقتصر الأمر على أوجاق معين بل امتد الى سائر الأوجاقات فهناك زوجات لرجال أوجاق مستحفظان سواء من الجوربجية أو الأوده باشية أو العسكر أنفسهم ، وقد تنتمى البعض منهن الى أصل عثمانى الا أن الغالبية من المعتوقات ( الجوارى ) ، فضلا عن زوجات رجال الجاويشية والمتفرقة ، وقد يرجع ذلك الى استقرار رجال الأوجاقات السابقة بالعاصـــمة حيث مجال العمل الرئيسى وبالتالى ارتباط الأسرات بالقاهرة .

ويرتبط بهذه الفئة اهتمام الكثير من المماليك فى الأوجاقات بشراء علوفات لمعاتيقهم ومعاتيقهن ( العبيد والجوارى ) كنوع من المكافاة نظير الخدمات التى يقدمونها لسادتهم ، وغالبا ما يوصى الأمير بذلك من خلال ثلث التركة المسموح له التصرف فيه شرعا ، وفى بعض الأحيان كانت تنشب خلافات بين الوصى عـــلى التركة من ناحية ومعتوقات المتوفى من ناحية أخرى لاهمال الوصى فى تنفيذ ما ورد بالوصية لصالحهن الأمر الذى يؤدى الى اجباره بذلك من قبل مجلس الشرع (١٩) .

---

(١٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٤٩٨ ، ق ٢٣٩ ق ١٧٥ ، ق ٥٠٥ ، س ١٢٠ ق ٣٧٦ ، ق ٤٤٦ ، ق ٣٠٧ ، ق ٤٨٤ ، س ١١٩ ق ٢٥ ، ق ٨١٢ ، ق ٥٠٢ .

(١٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٥١ ، ق ٥٥ ، ق ١٥٩ ، ق ١٢٩ ، س ١٢٥ ق ٧٢١ ، ق ٧١٨ ، س ١٥٥ ق ٦٠ ، س ١٤٨ ق ٣٧ ، س ١٨١ ق ١٥٥ ، ق ١٢٨ .

( جـ ) بنات الأفندية : وهن زوجات لبعض العسكر أو رجال الادارة والمالية ، ومستوى هذه الفئة متوسط نسبيا حيث تصل مخلفات احداهن كيسين مصريين .

( د ) بنات الشيوخ والعلماء وزوجاتهم : وهذه الفئة يبدو مستواها الاجتماعى متواضع فلا يزيد دخل احداهن عن نصف كيس ، ويسكن هؤلاء فى حى القلعة وطولون والحسين والأزهر ، ويرتبط بهذه الفئة بنات الأشراف اللاتى حرصن على شراء علوفات بالجاويشية ، وجرايات بدفتر المشايخ بالأنبار الشريفة ، وهن أحسن حالا من سابقاتهن ، فقد اتخذن جاريات سوداوات للخدمة فى بيوتهن وعلى مستوى معقول ، وقد تزوجن بأزواج من أصل عثمانى أحيانا (٢٠) .

**الدولة والعلوفات :**

ومن الطبعى أن تكون الدولة ونوابها من الباشوات على علم بهذه العلوفات ، التى اصبحت فى متناول الكثير من أبناء المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر ، ويتضح ذلك من مكافأة أحد الباشوات ( محمد باشا النشنجى ١٧٢٥ — ١٧٢٨ ) ، لجارية كانت تعمل فى خدمة الروزنامجى ( أحمد أفندى ) بعد أن دلت على مخبآت سرية لسيدها الذى قتل على أيدى الباشا ،متهما بالتلاعب فى الأموال الميرية ، ومن خلالها دفع ما عليه من ديون ، أنعم عليها بجامكية ( علوفة ) ومبلغا من المال ، كما أمر الباشا الروزنامجى الجديد بتجهيزها ، وتزويجها لأحد أتباعه (٢١) .

ومن المعلوم أن الباشا العثمانى كان يقدم التراقى ( عثامنة ) للعسكر

---

(٢٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ٤٧١ ، س ١٢٢ ق ١٣٤ ، ق ٦٥٧ ، س ١٢٥ ق ٣٣٦ ، ق ٤٢٧ ، ق ٨١٩ ، س ١١٤ ق ٤٤٠ ، ق ٥٦٣ .
— سجلات الديوان العالى س ١ ق ١٣٢ ، ق ١٣٣ ، ق ٤١٥ .
(٢١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٦ وما بعدها .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٩٧ — ٥٩٩ .

عند سفرهم الى جبهات القتال ، أو لمرافقة الخزينة السلطانية سنويا ، فضلا عن مكافأة من يبدى شجاعة وصلابة ضد العربان اذا ما اغاروا على الأقاليم ».

وكانت هذه التراقى موضع تساؤل لدى الباشا الجديد عندما يتسلم مهام منصبه ويتأكد من قيام سابقه بتسليمها للعسكر ، فعندما قدم ( باكير باشا ) فى أواخر سنة ١٧٢٨ طلب من الروزنامجى محاسبة ( محمد باشا البستنجى ) الذى بقى واليا على مصر حوالى سبع سنوات ، فاتضح أنه مدين بما يقرب من عشرة آلاف عثمانى فحوسب عليها نقدا ، بعد أن تعهد الدفتردار وزين الفقار بك صاحب النفوذ فى ذلك الوقت بجمع الترقيات من أيدى العسكر عن طريق دلالى العلوفات وبلغ مقدار العثمانى الواحد ( عشرين دينار زنجرلى ) ».

وفى الواقع شهد عهد هذا الباشا السابق تحديدا فى العلوفات المرتبة على بلوكات ( الأيتام — الجوالى — الكشيدة — المتقاعدين ) ، وانخفض ( العثمانى ) من مائة وعشرين زنجرلى الى عشرين زنجرلى ، ونقلت هذه العلوفات من البلكات المذكورة الى الأوجاقات العسكرية .

ولم يكن هذا التطور من تصرف الباشا نفسه ، وانما بموجب أمر الباب العالى فى مايو ١٧٣٥ ، مما أثار العلماء بصفة خاصة ، وعقدوا الجمعيات لمناقشة القضية ، وتم ضبط هذه العلوفات فبلغت حوالى ثمانية وأربعين الف عثمانى ، استقر رأى رجال الولاية والعلماء على ارسال عرض الى الدولة يحمل توقيعاتهم للتوسل لابقائها لأنها مرتبة على وجوه خيرات عديدة من مساجد واسبلة وكتاتيب وسوف يؤدى ذلك الى خرابها (٢٢) .

---

(٢٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٢ .

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ص ٤٩٢ ، ٥٤٠ ، ٥٩٦ — ٦٠٣ .

جرت محاولة لاسترضاء الباشا ــ وقد دب الفساد الادارى فى الدولة ــ بعد أن جمع أفندية البلكات أربعة وعشرين ألف زنجرلى كان نصيب الباشا أربعة آلاف وأغا الدولة المرسل بهذا الأمر ألفين زنجرلى وتقاسم الأفندية الباقى ، وسافر الأغا حاملا العرض وسعى سعيه فى أوساط الباب العالى فكانت النتيجة قبول توسل العلماء على شريطة عدم العمل بهذه العلوفات بعد وفاة أصحابها .

ومما سبق يمكن القول ، بأن أرباب العلوفات ، قد انتسبوا الى مختلف الأوجاقات والبلوكات الأخرى ( الجوالى ــ الكشيدة ) ، لمجرد الحصول على رواتب نقدية وعينية منتظمة ، دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى ، وهم ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة ســواء من رجال الطبقة الحاكمة بالولاية وذويهم ، أو من أبناء الرعية من العلماء والتجار والحرفيين ، ومن النساء أيضا .

ويجرى على العلوفات كافة أشكال التعامل ، كما أن ريعها يجــوز توريثه ، وترتبط هذه الظاهرة ، باختلال نظم الادارة بالدولة وولاياتها ، فى القرن الثامن عشر .

# الباب الثانى

## الأوجاقات والحياة السياسية

# الفصل السادس

## الأوجاقات العثمانية

### من ثورات الجند السباهية حتى واقعة الصناجق
### ( ١٥٨٧ — ١٦٦٢ )

ان رتبة البكوية ( الصنجقية ) التى لمع نجمها فى القرن السابع عشر على أيدى الأمراء المماليك ، ترجع فى الواقع الى ما بعد الفتح العثمانى لمصر فى مطلع القرن السادس عشر ، عندما أبقى السلطان العثمانى سليم الأول سنة ١٥١٧ على جماعة الجراكسة للافادة من خبراتهم فى ادارة مصر ، وكون هؤلاء أوجاقا ضمن أوجاقات السباهية بعد صدور ( قانون نامة مصر ) الذى حدد مهام كل أوجاق ( أعداده ورواتبه ) (١) .

ولعل الانتفاضة التى قام بها نفر من أمراء المماليك ( جانم السيفى ، اينال ) ، وهما من الكشاف الذين حكموا بعض الأقاليم ، كانت تعنى عدم خضوع هؤلاء المماليك بشكل قاطع للسيادة العثمانية ، ورغم أنه تم القضاء عليها بسرعة ، الا أن بذور الانفصال لدى المماليك لم تنته تماما وانما كانت فى انتظار الفرصة المواتية لها .

وقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر ( ١٥٨٧ — ١٦١١ ) ارتباكا مفاجئا لسيادة الباشوات العثمانيين ، لما تعرضت له مصر

---

(١) Holt : The belicate in Ottoman Egypt during the seventeenth century London, 1961, p. 216.

— قانون نامه مصر ، ورقة ٣٣ .

من ثورات العسكر وخاصة أوجاقات ( السباهية ) الفرسان والتى تعمل فى خدمة حكام الأقاليم — ومن بينهم جماعة الجراكسة المماليك — والتى أدت لمصرع أحد الباشوات ( ابراهيم باشا ، فى ٢٥ ديسمبر ١٦٠٤ ) على أيدى العسكر الثائرين ، وقد تم القضاء على هذه الثورات الدامية بمعرفة احد الباشوات الأقوياء ( محمد باشا قول قران ١٦٠٧ — ١٦١١ ) ، وأحبطت محاولة جديدة للماليك الذين شاركوا فيها تحدوهم أطماع معينة خاصة وأن السباهية ، كانوا فى مكانة أدنى من بقية الأوجاقات سواء فى الرواتب أو المكانة والنفوذ . ويتضح فى خضم هذه الأحداث المتتالية أن الباشوات العثمانيين قد تحالفوا مع البكوات الصناجق لمواجهة هذا الخطر المتزايد ، وبعد اختفاء قوة الأجناد من المسرح السياسى كان من الطبعى أن يسعى البكوات لملء هذا الفراغ خاصة وقد أحسوا بأهمية جهودهم التى بذلوها ، فلم يرتفع لهم شأن قبل ذلك ابان القرن السادس عشر ولم يشاركوا فى صنع الأحداث .

اغتنم البكوات الصناجق الفرصة وقوى نفوذهم لدرجة أنهم فى العقد الثالث من القرن السابع عشر اتخذوا مواقف صلبة تجاه الباشوات العثمانيين ، فقد رفضوا حكم احد الباشوات وصمموا على وال آخر ، كما واجه الصناجق استبداد موسى باشا ( ١٦٣١ ) بعد أن ظهرت أساليبه المختلفة فى ابتزاز الأموال بمصادرة بعض الموظفين وكبار الأجناد (٢) .

---

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور . تحقيق ، محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦١ ، ج ٥ ص ٢٠٢ — ٢١٣ .

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١١ وما بعدها .

— محمد بن أبى السرور البكرى : كشف الكربة فى رفع الطلبة ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، المجلة التاريخية ( مجلد ٢٣ ، ١٩٧٣ ) ص ١٣ وما بعدها .

وقد أوضح بأن الدولة أرسلت تطلب تجريدة عسكرية الى بلاد الفرس ، فاختار لقيادتها أقوى الصناجق ( قيطاس بك ) ، ولكنه عدل عنها بعد أن استولى على الأموال التى أعدت لهذا الغرض ، وبلغت حوالى ( مائة كيس ) ، وفضلا عن ذلك فقد حاول ادخال الرهبة فى نفوس البكوات فدبر مقتل ( قيطاس بك ) عندما اتجهوا لتهنئته بالعيد ( فى يوليو ١٦٣١ ) ومنع الصناجق رجال الباشا من مصادرة أموال الصنجق المقتول ، ووقفت العسكر بجانب الصناجق لوقف هذا الظلم ، كما أيدهم العلماء ، واختاروا ( قائمقام ) ، وتم عزل موسى باشا ، وغادر مصر فى أغسطس ١٦٣١ ، بعد أن وافقت الدولة على تعيين باشا جديد (٣) .

واتضحت البداية الفعلية لنفوذ الصناجق منذ أن تولى رضوان بك الفقارى (*) امارة الحج لسنوات متعددة فى الفترة من ١٦٣١ — ١٦٥٦ ،

---

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٤٢ وما بعدها .
Holt : Egypt and the Fertile crescent 1516-1922, London 1966, p. 79.

(*) ظهر فى مصر — كغيرها من الولايات العربية الأخرى — خلال القرن السابع عشر انقسامات داخلية ، نتيجة لزيادة قوة العصبيات المحلية من ناحية ، وتراخى قبضة الدولة العثمانية من جهة ثانية ، الى جانب افتقارها الى أيديولوجية معينة فى معالجة التطورات السياسية والادارية فى أملاكها من ناحية ثالثة ، وقد اتخذت هذه الانقسامات المتصارعة أسماء مختلفة ، ففى لبنان كان الصراع بين القيسية واليمنية ، وفى دمشق كان بين اليرلية ( المحلية ) والانكشارية ، وفى مصر ظهر هذا الصراع منذ منتصف القرن السابع عشر ، بين الفقارية والقاسمية ( البكوات المماليك ) ، وقبل ظهور هذا الانقسام كان يوجد بمصر انقسام سابق بين ( نصف سعد ، نصف حرام ) ويشير مؤرخو القرن الثامن عشر أن طائفة الفقارية كانت تؤيد ( نصف سعد ) ، بينما شجعت القاسمية ( نصف حرام ) ، وعلى حين صور المؤرخون الفقارية بأنهم يتصفون بالكرم والسخاء ويتميزون بالبيرق الأبيض ولهم مزاريق على شكل رمانة ، كان القاسمية معروفين بالغنى والثراء وشدة البخل ، وبيارقهم حمراء اللون لها مزاريق بجلبة ، وهذه العلامات هى التى تميز الطائفتين فى المواكب والمناسبات ، ويرى المؤرخون ان اهل

وكان المسيطر على مقاليد الأمور السياسية فى ولاية مصر حتى وفاته ، فكان زعيم طائفة الفقارية المملوكية وصاحب اتصالات واسعة فى الباب العالى مما جعل الباشوات العثمانيين يخشون نفوذه .

كان الصناجق وكبار أغوات الأوجاقات العسكرية هم الذين يشاركون فى تصريف شئون الولاية مع الباشا خلال القرن السابع عشر . أما الكشاف فهم حكام الاقاليم الذين لم يحصلوا على رتبة البكوية ( الصنجقية ) وهم غالبا أتباع الصناجق فى القرن السابع عشر . وهناك مهام متعددة للصناجق منها تولى مهمة التجاريد المكلفة بالمشاركة فى حروب الدولة سواء على الجبهة الفارسية أو الجبهة الأوربية خلال القرن السابع عشر ، أو فى الحجاز واليمن وايالة الحبش ، وهى تجاريد تتكون من سائر الأوجاقات بمصر ، وقيادة قافلة الخزينة التى ترسل سنويا الى استانبول ، وكذلك تولى امارة الحج وهى مهمة كبيرة حيث يجب مراعاة وتأمين سلامة الحجاج فى الطريق والمحافظة على المحمل والكسوة حتى مكة ، ومواجهة الصعوبات فى طريق العودة الى مصر حيث اخطار العربان . فضلا عن شغل وظيفة ( القائمقام ) فى فترة الانتقال من حكم باشا عثمانى الى باشا جديد ، وتولى هؤلاء وظيفة الدفتردار (٤) .

---

مصر قد مالوا الى ( الفقارية ) بينما ساند القاسمية أصحاب السلطة العثمانية ، ويحاول الجبرتى ارجاع هذا الانقسام الى بداية الفتح العثمانى لمصر فى أوائل القرن السادس عشر ، ولكنه أورد فى ذلك رواية لم يتناولها المؤرخون المعاصرون للفتح تفتقر الى الأدلة الثابتة . انظر : مصطفى ابراهيم : وقائع مصر القاهرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٠٤٨ ص ٣ — ١٤ ، — أحمد كتخدا عزبان ( الدمرداش ) : الدرة المنصانة فى أخبار الكنانة ، مخطوط بالمتحف البريطانى برقم or. 1973-4 ص ٢٢ — ٤٣ ، — الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار طبعة بولاق ج ١ ص ٢١ — ٢٤ ، — عبد العزيز نوار : الأزمة اللبنانية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٨ — ١٥ .

(٤) يوسف الملوانى ( ابن الوكيل ) تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، مخطوط بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج برقم ٨٠ تاريخ ، ص ١٧٥ — ١٩٥ .

وخلال النصف الأول من القرن السابع عشر تقاسم زعماء الطائفتين ( الفقارية ، القاسمية ) أهم المناصب كامارة الحج والدفتردارية وحكم الصعيد والقائمقامية ، وان كانت كفة الفقارية هى الراجحة فى أغلب الأحيان .

وقد حصل الفقارية بالاضافة الى امارة الحج ، على منصب حاكم الصعيد منذ سنة ١٦٣١ ، وظهرت مكانة رضوان بك الفقارى لدى الباشا الحاكم ، عند رجوع التجريدة وعودة الحجاج ، ورغم أنها قد نجحت فى مسعاها ، الا أن الباشا لم يقبل دخول سردارها الى القاهرة قبل رضوان بك أمير الحج واختصه باهتمام كبير .

وحين أرسل الباب العالى سنة ١٦٣٥ الى باشا مصر بشأن تكوين تجريدة من رجال الأوجاقات قوامها ثلاثة آلاف جندى ، ويتولى قيادتها أحد زعيمى الفقارية ( رضوان بك ) أو ( على بك ) للمشاركة فى حرب الدولة ضد الصفويين ، لعل ذلك كان يعنى ثقة الدولة فى كفاءة كبار الفقارية أو خشيتها من تزايد نفوذهم فى مصر ، وبالتالى تفكيرها فى ابعاد أحد زعمائها . ولم يكن يغيب عن أذهان الفقارية خطورة الانشغال بهذه المسائل خاصة وأنها تجعل خصومهم السياسيين ( القاسمية ) يسعون لتولى أحد المنصبين الهامين ( امارة الحج — حكم الصعيد ) ومن ثم طلب الفقاريين من الباشا الاعفاء من هذه المهمة (٥) .

---

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٤٥ — ١٥٣ .
Holt : The belicate, pp. 219-221.

— عبد الكريم بن عبد الرحمن : تاريخ الولاة العثمانيين فى مصر ، مخطوط تركى محفوظ بالمتحف البريطانى برقم Add. 7878 ورقة ٩٨ — ورقة ١١٠ .

(٥) محمد بن السرور البكرى : الكواكب السائرة فى أخبار مصر القاهرة — نسخة مصورة عن مخطوط المتحف البريطانى ، محفوظة بمكتبة معهد الدراسات العربية برقم ( ٤١٩ ) تاريخ ، ص ٤٣ — ٥٠ .
Holt : Egypt and the Fertile crescent. pp. 79-81.

وارتفع شأن الفقارية فى نفس العام ( ١٦٣٥ ) بجعل ( رضوان بك الفقارى ) قايمقاما بعد عزل ( حسين باشا ) وكان ( رضوان بك ) حريصا على كسب شعبية أهالى مصر وخاصة من التجار الذين تعرضـوا لظلم ( حسين باشا ) ورجاله فكانوا يلجأون اليه لمواجهة الباشا العثمانى ، وبعد ثلاث سـنوات ( ١٦٣٨ ) أرسلت الدولة من جديد فى طلب تجريدة عسكرية وأسندت الى رضوان بك الفقارى قيادتها ، ولكنه — كعادته — رفض هذا الأمر ، واشترى موافقة الباشا ، اذ أعطاه حوالى ( أربعين كيسا مصريا ) وارسلت التجريدة الى الجبهة الصفوية ، ولا شك أن هذا الموقف الذى اتخذه رضوان بك الفقارى تجاه أوامر الباب العالى كان له أثره البالغ فى غضب السلطان ( العثمانى ) ( مراد الرابع ) .

وعاد رضوان بك يطالب الباشا باعادة الرشوة السـابقة ( أربعين كيسا ) فأسرها فى نفسه ، وأراد الكيد له ، وسنحت الفرصة بعد خلو منصب والى ( ايالة الحبش ) سنة ١٦٣٩ ، فأوعز للسلطان باختياره واليا — وكان حينئذ فى موسم الحج — وأرسل اليه الأمر بذلك ، فتظاهر بقبوله ، ولم يتجه الى مقر حكمه الجديد ، بل أخذ طريقه الى الباب العالى ليقدم شكواه ضد والى مصر ، مما هيأ المجال لمصادرة أملاكه وبيعها بالمزاد (٦) .

وقد اتخذ السلطان موقفا عنيدا تجاه رضوان بك وأصدر الأمر بقتله ، فتوسط الصدر الأعظم وسعى لخلاصه ، فاقتصرت العقوبة على السجن ، فكانت نكبة حلت بالفقارية . واتاحت هذه التطورات المتعاقبة الفرصـة للقاسمية بزعامة ( أحمد بك بوشناق ، ماماى بك ) ، فحاولا استقطاب رجال الأوجاقات العسـكرية لصالحهما ضد الفقارية ، محاولين بذلك الافادة والحصول على مكاسب تدعم نفوذهما ، ولم تفلح محاولات القاسمية نظرا لشعبية ( رضوان بك الفقارى ) بين أهالى مصر ، فقد اكتسب مكانة دينية

---

(٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٤٧ — ١٥١ .
**Pallis : In the Days of te Janissaries, London, 1950, pp. 30-42.**

فى نفوسهم لنجاحه المستمر فى مواكب الحج ، وعرف بحرصه على منع ظلم الولاة للرعية والعسكر (٧) .

انفرجت الأزمة أمام الفقارية بعد تعيين الصدر الأعظم ( مصطفى باشا النشنجى ) علـى ولاية مصر ، الذى بذل جهودا للعفو عن رضوان بك واعادته الى منصبه كأمير للحج وقوبل هذا النبأ بارتياح فى مصر ، مما يؤكد استمرار أهمية الفقارية وعلو شأنهم . وكان من المتوقع بدء الصراع بين الطائفتين الفقارية والقاسمية ، على أثر هذه الأحداث السياسية ، غير أن ظروفا طبيعية حلت بالبلاد أرجأت هذا الصراع الى حين ، اذ انتشر وباء الطاعون ( ١٦٤٠ ـ ١٦٤٦ ) مما أدى الى وفاة أعداد من الأهالى وتعطل الأيدى العاملة فى مجال الزراعة ـ أساس ثروة مصر ـ فأغتنم الباشوات الفرصة لمصادرة أموال المتوفين ممن لا ورثة لهم . كما أن القاسمية حاولوا كسب ود ( محمد باشا حيدر زاده ) ، ( ١٦٤٦ ـ ١٦٤٨ ) على حساب خصومهم باظهار الفقارية وراء الفتنة التى نشبت بين صفوف أوجاق الانكشارية فى مطلع حكمه ، فأخبر الباشا الدولة بأن الفقارية عطلوا ارسال الخزينة السنوية . واقترح انتزاع منصب أمير الحج وحكم الصعيد من أيديهم ليتمتع بها القاسمية . ففطن الفقارية ـ بزعامة رضوان بك ـ وأسرعوا بمراسلة السلطان وتكذيب ما بلغه من طرف الباشا العثمانى بمصر بشأنهم ، وشرع رضوان فى الاستعداد لجولة ضد القاسمية والباشا ، فأرسل الى ( على بك الفقارى ) حاكم الصعيد ، فوصل الى القاهرة فى قوة كبيرة ، مما جعل الباشا يحنى رأسه للعاصفة وينزل من القلعة الى قراميدان ـ وهذا لم يحدث من قبل ـ لمقابلة حاكم الصعيد (٨) .

---

(٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٥١ وما بعدها .
ـ محمد بن أبى السرور البكرى : الكواكب السائرة ، ص ٤٨ ـ ٥٧ .
ـ Holt The exaled of Ridwan. London, 1959, pp. 224-226.

(٨) يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ـ ٢١٥ .
ـ Holt : The exalted of Ridwan Bey, pp. 224-226.
ـ رضوان زاده عبد الله أغا : عساكر السلطان ، مخطوط تركى ، محفوظ بالمتحف البريطانى برقم Add. 24, 956 ورقة ١٧٥ ـ ورقة ١٨٠ .

وقد تخلى الباشا عن صداقته وتحالفه للقاسمية ، وانتهت الأزمة بتأكيد نفوذ الفقارية ، ومقتل زعماء القاسمية ( مماى بك ، قانصوه بك ) . فكانت هذه النتيجة ضربة لمكانة الباشا أمام الفقارية ، الذين بزغ نجمهم من جديد بشكل يهدد نفوذه ، فبدأ بالعمل على اضعافهم فأصدر أمره الى على بك الفقارى بالاتجاه الى مقر حكمه فى الصعيد ، ليحول دون تكتل الفقارية بالعاصمة ، ثم قام بعزل رضوان بك من امارة الحج ، وعين صنجقا آخر ، كما أنه عزل على بك من منصبه كحاكم للصعيد واختار ( يوسف بك الدفتردار ) مكانه . واتخذ رضوان بك موقفا عدائيا ، فجمع رجاله من الفقارية ، وغادر العاصمة نحو البساتين اعلانا عن تمردهم على الباشا ، مما جعله يأمر بتجهيز تجريدة بقيادة عابدى بك لمحاربتهم ، بيد أن رجال الأوجاقات من العسكر المشاركين فى التجريدة رفضوا هذه المهمة ، وطالبوا الباشا بالاطلاع على أوامر الدولة بذلك مما جعله يتراجع عن موقفه وفشلت محاولات القاسمية ضد خصومهم . ويبدو أن الفقارية قد بذلوا جهودا مكثفة فى أوساط الباب العالى لتدعيم مكانتهم ، حيث أرسلت أوامر سلطانية باستمرار كل من رضوان بك فى امارة الحج وعلى بك حاكما على الصعيد .

وفى سنة ١٦٥٠ نقم ( أحمد باشا ) على سطوة الفقارية بمصر ، فعمل على عزل رضوان بك من امارة الحج ، وتعيين رفيقه على بك حاكم الصعيد مكانه ، محاولا بذلك ضرب كل منهما بالآخر ، كما أبعد باقى الفقارية عن وظائفهم ، الا أن رضوان بك واجه الموقف بحكمه ، ولم تفلح محاولات الباشا ، فقد وصل الأمر بعزله (٩) .

ولما فقد الفقارية أحد زعمائهم ( على بك حاكم الصعيد ) ، جعلوا تابعه ( محمد بك ) عوضا عنه ( ١٦٥٢ — ١٦٥٣ ) ، فى منصبه وبعد سنوات قلائل ( ١٦٥٦ ) انتهت حياة رضوان بك أمير الحج ، مما أدى الى ضعف

---

(٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٥٣ — ١٥٧ .

— Holt : op. cit., pp. 229-230.

الفقارية ، وحدوث فراغ كبير فى صفوفهم خاصة وان أتباعهما لم يكونوا على نفس المستوى من القوة والدراية بتطورات الأوضاع السياسية (١٠) .

وكانت هذه هى الفرصة المواتية أمام زعماء القاسمية ، الذين نشطوا من جديد بمؤازرة الباشا العثمانى ، فقد تحالف كبيرهم ( أحمد بك بوشناق ) مع ( محمد باشا أبو النور ) وأختير ليتولى منصب أمير الحج خاصة وقد عاد ظافرا من تجريدة عسكرية لتوطيد السيادة العثمانية فى ايالة الحبش . كما حاول الباشا تهدئة نفوس الفقارية باختيار أحد رجالهم أميرا على الخزينة السلطانية ، الا أنهم رفضوا هذا التعيين وعدوه انتقاصا لشأنهم ، وتطورت الأحداث بعزل الباشا — بموافقة الباب العالى — وتولى ( حسن بك ) الفقارى امارة الحج .

وعمل الباشا العثمانى القادم ( مصطفى باشا ) على التوفيق بين الفقارية والقاسمية وان كانت أهم المناصب لا زالت فى أيدى الفقارية ( امارة الحج — حاكم الصعيد — القائمقامية ) الا أن صراعا داخليا جرى بين صفوف الفقارية أوهن من جانبهم (١١) . وقد أثبتت الأحداث أن زعماء الفقارية الذين خلفوا رضوان بك اعوزتهم الحكمة والمرونة السياسية ، فقد تمكن زعيم القاسمية من ارضاء السلطات العثمانية ( فى استانبول ) وحصل على أمر يجعله حاكما على الصعيد بدلا من ( محمد بك الفقارى ) الذى اختير واليا على الحبش ، الا أن الزعيم الفقارى رفض هذا المنصب الجديد ولم يعمل على كسب زملائه من الفقاريين بل انه تعاظم فى نفسه عليهم الأمر الذى أدى الى حدوث تفكك بين صفوفهم ولجأ بعض الفقارية المناوئين له الى جانب الباشا ( محمد باشا الغازى ) الذى حصل على فتوى من علماء مصر بقتاله فى ٦ فبراير ١٦٥٩ ، واتجهت تجريدة بقيادة الباشا نفسه

---

(١٠) البكرى : الكواكب السائرة ، ص ٦٠ — ٦٧ .
— رضوان زاده عبد الله أغا : المصدر السابق ، ورقة ١٨٢ .
(١١) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٥١٥ — ٥٢٤ .
— البكرى : الكواكب السائرة ، ص ٦٣ — ٦٥ .

نحو البساتين ثم الوجه القبلى ، وتمكن من هزيمة محمد بك الفقارى وقتله هو ورجاله فى نفس العام ( ١٦٥٩ ) (١٢) .

على هذا النحو قوى جانب القاسمية تدريجيا ، وتمكن زعيمهم ( أحمد بك بوشناق ) من تحقيق أطماعه بتولى حكم الصعيد ، ثم اختير ( قائمقاما ) فى يونيو ١٦٥٩ ، وتطورت الأحداث فى غير صالح الفقارية ( سنة ١٦٦٠ ) عندما تورط كبارهم الى جانب أحد الملتزمين — حين لجأ اليهم — بعد أن تعرض لنفر من أوجاق عزبان بناحية صنافير بالقليوبية خوفا من معاقبة الباشا العثمانى . وتكتل غالب الأوجاقات الى جانب أوجاق عزبان ، وأيدهم الباشا ، ولم يساند الفقارية سوى قلة من أوجاق الانكشارية ، وأمر الباشا بقتل ( عثمان الملتزم ) وشهر به باب عزبان ، وتأزمت العلاقات بين العزب والأوجاقات ضد الفقارية الذى هربوا الى الوجه القبلى تاركين القاسمية فى القاهرة ، فتفرق الفقارية شيعا وجماعات ، سار بعضهم نحو البحيرة والبعض الآخر الى جرجا ، ومنها الى السودان فاغتنم القاسمية هذه التطورات ، وتزعم ( أحمد بك بوشناق ) قوات الباشا وتعقب الفقارية فى الجيزة وجرجا ، وقتل غالب الصناجق الفقارية سنة ١٦٦٠ وبهذا تدهورت مكانتهم السياسية حتى نهاية القرن السابع عشر (١٣) .

ولم يكن الباشوات مخلصين للقاسمية — كما كانوا يتوقعون — فما أن قضى على الصناجق الفقارية حتى اتضحت نية ( ابراهيم باشا الشيطان ) للتآمر على قتل زعيمهم ( أحمد بك بوشناق ) بعد سنتين من نهاية الفقارية ( يوليو ١٦٦٢ ) ، ولم يكن للقاسمية قدرة على الصمود فى وجه السلطة العثمانية ، كما كان الحال بالنسبة لخصومهم .

---

(١٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٥٥ وما بعدها ،

— Holt : The exalted lineage of Ridwan Bey., p. 230.

(١٣) يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٠١ — ٢٠٦ ،

— Holt : Egypt., pp. 83-85.

— أحمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ وما بعدها .

ويجب أن نضع هذا التطور السياسى لولاية مصر فى ستينيات القرن السابع عشر ، فى الاطار العام للدولة العثمانية حيث انتعشت السيادة العثمانية على عهد « أسرة كوبريلى » بعد أن تولى رجالها منصب الصدارة العظمى ، وفى نفس الوقت اتخذت الدولة موقفا صلبا تجاه العصبيات المحلية فى جبل لبنان وأقامت ولاية صيدا سنة ١٦٦٠ لمراقبتها كما أخمدت تمردا عنيفا قام به الانكشارية فى دمشق سنة ١٦٥٩ (١٤) .

ولا شك أن القضاء على طائفتى الفقارية والقاسمية قد أجل الصراع بينهما خلال الثلث الأخير من القرن السابع عشر ، كما تداعت بذلك قوة الصناجق المماليك فى المسرح السياسى ، فقلت أهمية « رتبة الصنجقية » حيث انخفضت العوائد التى يتقاضاها الباشا والتى تراوحت بين ٢٠ : ٣٠ كيسا مصريا ، حتى سنة ١٦٦٢ لتصل الى ١٥ كيسا مصريا فقط (١٥) .

ومما سبق يمكننا أن نحدد عدة أمور نعرضها على النحو التالى :

**أولا :** امتدت جذور الوجود المملوكى بمصر فى العصر العثمانى الى مطلع الحكم العثمانى بها ، عندما استعان السلطان سليم الأول بالبقايا المملوكية فى شئون الادارة ، وحفظ الأمن بالولاية .

**ثانيا :** من دوافع ثورات السباهية التى نشبت فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر — والتى هددت السيادة العثمانية بشكل مباشر — أطماع العنصر المملوكى التى تراوده كلما سنحت الفرصة للتعبير عنها .

**ثالثا :** ارتفع شأن الصناجق « البكوات المماليك » بعد أن استعان الباشوات العثمانيون بهم فى اخماد ثورات السباهية المذكورة .

---

(١٤) ابراهيم الصالحى : تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق ، خطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٣٦٩ ، ص ٥٨٠ — ٦٠٣ .

— عبد العزيز نوار : المرجع السابق ، ص ١٧ وما بعدها .

(١٥) Holt : Egypt. p. 84.

**رابعا :** تحالف كبار الصناجق مع ( رجال الأوجاقات من العسكر ) — فى بعض الأحيان — لوقف استبداد بعض الباشوات ، تمهيدا للسيطرة على الأوجاقات .

**خامسا :** يدخل الانقسام الفقارى القاسمى الذى ظهر فى مصر — بشكل واضح — منذ ثلاثينيات القرن السابع عشر ، فى الاطار العام لهذه الظاهرة التى انتشرت فى الولايات العربية مع اهتزاز السيادة العثمانية بها .

**سادسا :** غلبت كفة الفقارية خلال فترات الصراع ضد القاسمية ، ولم تصمد القاسمية طويلا بعد أن تصدعت طائفة الفقارية بوفاة كبار زعمائها .

**سابعا :** انتابت الدولة العثمانية صحوة مفاجئة فى ستينيات القرن السابع عشر — على عهد أسرة كوبريلى — فضربت بقوة على العصبيات المحلية المتنفذة ( ومن بينها طائفة القاسمية بمصر ) .

# الفصل السابع

## الأوجاقات العثمانية

### من نهاية واقعة الصناجق ، حتى فتنة افرنج أحمد
### ( ١٦٦٢ — ١٧١١ )

**الأوضاع السياسية فى مصر فى النصف الأخير من القرن السابع عشر :**

كان القضاء على الفقارية سنة ١٦٦٠. وما تلاه من كسر شوكة القاسمية ١٦٦٢ قد أدى الى ضعف جانب البكوات الصناجق الذين ابعدوا عن مجال التنافس على السيادة ومارسوا شئونهم ومسئولياتهم لقيادة التجاريد سواء ضد العربان داخل مصر أو المشاركة فى مهام خارج البلاد ، وقد حاولت عدة قوى سياسية القيام بأدوار مختلفة نتيجة الفراغ السياسى الذى نجم عن تحطيم كل من الفقارية والقاسمية ، وقد تمثلت هذه القوى فى الباشوات العثمانيين ، وظهور بيوتات مملوكية جديدة (*) مثل ( البلفية ) ومؤسسها ( حسن بلفية ) ( أغا الكوملية ) والذى تداخل سواء بالمصاهرة أو بالتحالف مع الفقارية ، كما تكونت القازدغلية وهى التى اتخذت جانب الفقارية فيما بعد (١) .

كما شاركت الأوجاقات — من خلال بعض شخصياتها — وخاصة أوجاق الانكشارية — فى لعبة الصراع على السلطة ( كوجك محمد — افرنج

---

(*) انظر الباب الأول ( ترتيب الأوجاقات العثمانية فى مصر ) الفصل الخاص بالعنصر المملوكى ، وتكوين البيوت المملوكية .

(١) ابراهيم الصالحى : المصدر السابق ، ص ٥٨٥ — ٦٠٥ .

أحمد ) ، وانعكست قوة الدولة العثمانية ( آل كوبريلى ) على باشوات مصر ، وتمكن بعضهم من الامساك بزمام الأمور بشكل ملموس ، وحاولوا الاثراء على حساب المحكومين ، ففى حكم ( أحمد باشا الدفتردار ) فرض ضرائب جديدة على العقارات والمتاجر وغيرها من المرافق العامة ( ١٦٧٥ — ١٦٧٦ ) الأمر الذى جعل رجال الأوجاقات من العسكر يعارضون سياسته وأخبروا الباب العالى بذلك ، فوافقت الدولة عى تعيين وال جديد .

تغلغلت البيوتات المملوكية داخل الأوجاقات العثمانية التى شهدت انقسامات مختلفة فيما بينها تبعا لتعدد الزعامات ، كما ظهرت الانقسامات داخل الأوجاق الواحد ، ولعل أوجاق الانكشارية قد شهد جانبا كبيرا من الاضطرابات لهذا السبب ، وخاصة على أيدى ( كوجك محمد ) الذى شغل منصب ( باش أوده باشى ) بأوجاق الانكشارية فى الفترة ( ١٦٧٦ — ١٦٩٤ ) وحاول الاستئثار بالسلطة فى هذا الأوجاق ، وأعمل القتل والنفى فى زعماء الانكشارية ، واهتم بتعيين أتباعه فى المناصب الهامة (٢) . الأمر الذى أدى الى ضيق الانكشارية من تصرفاته فاتحدوا ضده فى أغسطس ١٦٧٨ . ولا شك أن محاولات وأعمال كوجك محمد قد أضعفت من جانب أوجاق الانكشارية الذى كانت له الكلمة العليا فى الأوجاقات العثمانية بمصر ، مما أتاح المجال من جديد لظهور نشاط كل من ( الفقارية والقاسمية ) ، ويشير المؤرخ بأن رئاسة مصر بعد سنة ١٦٨٠ انتهت الى كل من ( ذى الفقار الفقارى ) ، و ( قيطاس بك القاسمى ) حيث تولى الأول ( امارة الحج ) وشغل الثانى وظيفة ( القائمقام ) . ثم بدأ كل من الفريقين فى تدعيم نفوذه بشغل المناصب الهامة ، وفى أواخر ١٦٨٦ تمكن كوجك محمد من العودة الى مصر صحبة تجريدة من العسكر ليشغل من جديد منصبه السابق ( باش أوده باشى ) ، بيد أنه عاود سيرته الأولى ، مما أثار عليه نقمة

---

(٢) Holt : The career of Kûçûk Muhammad (1676-94), London, 1962, pp. 277-279.

— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢١٠ — ٢١٥ .

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٧٢ — ١٧٥ .

زعماء الانكشارية ـــ وكانوا من القاسمية ـــ فأبعدوه عن الأوجاق . فلجأ الى ( حسن أغا بلفيه ) وهو من حلفاء الفقارية وجعله فى رتبة ( جوربجى كوملیان ) ، والمعروف أن العنصر المملوكى قد اشتد تسلطه داخل الأوجاقات (٣) .

صمم ( كوجك محمد ) على استعادة نفوذه بأوجاق الانكشارية وعمل على التخلص من منافسيه ، فدبر اغتيال كتخدا الوقت ( جابى خليل ) فى يونيو ١٦٩٢ ، مما أدى الى حدوث تفكك وتصدع فى الأوجاق ، حاول استغلاله لصالحه ، وفى الواقع ، كان ( كوجك محمد ) هو المسيطر على شئون ولاية مصر خلال الفترة ١٦٩٢ ـــ ١٦٩٤ ، وتمكن بمعونة أتباعه الفقارية من العودة الى منصبه فعلا ، واتخذ كوجك محمد جانب الفقارية بصفة خاصة لضرب القاسمية الذين شغلوا زعامات الانكشارية ، وأخذ الحليفان فى نفى خصومهما حتى لقى مصرعه ( كوجك محمد ) فى سبتمبر ١٦٩٤م ، وأشيع أن ( مصطفى كتخدا القازدغلى ) وراء هذا الاغتيال ، وهو الذى شغل الفراغ الناجم عن وفاة خصمه فى أوجاق الانكشارية حتى توفى سنة ١٧٠٤ (٤) .

حصل ( ابراهيم بك أبو شنب ) على رتبة الصنجقية سنة ١٦٨٢ ، وهو ابن أخ احمد بك بوشناق ، فكان ذلك كسبا للقاسمية ، أما الفقارية فقد جعلوا ( ابراهيم بن زين الفقار ) صنجقا خلفا لأبيه ( أمير الحج ) سنة ١٦٨٧ ، وحرصوا على بقاء امارة الحج فى أيديهم وبدأ التنافس بين الطائفتين من خلال ( ابراهيم بك الفقارى ـــ أمير الحج ) ضد ( ابراهيم بك أبو شنب ) ( قائمقام ) فى أغسطس ١٦٩٥ . كما تعرضت البلاد لطاعون

---

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .
ـــ Holt : hTe carer of Kucuk Muhammad, p. 279.
ـــ ابراهيم الصالحى : المصدر السابق ، ص ٥٢٢ ـــ ٥٣٧ .
(٤) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٧٥ ـــ ٨٠ .
ـــ ابراهيم الصالحى : المصدر السابق ، ص ٧٢٠ ـــ ٧٣٥ .

راح ضحيته ( ابراهيم بك الفقارى ) ، فانتقلت الصنجقية الى ( قيطاس بك الفقارى ) وشغل امارة الحج بعده ( أيوب بك ) . وانصرف الباشا العثمانى لمصادرة الأموال وخاصة — المتوفين دون ورثة — ومرت البلاد بظروف اقتصادية قاسية ، واتضح جشع الباشا ، مما دفع رجال الفقارية الى تزعم معارضته حتى عزل سنة ١٦٩٧ (٥) .

**مقدمات فتنة افرنج أحمد :**

حدثت تطورات داخل أوجاق الانكشارية فى خلال الفترة ( ١٦٩٧ — ١٧٠٧ ) ، تمخض عنها ظهور شخصية متنفذة جديدة ( افرنج أحمد ) باش أوده باشى ، ايتسلط على هذا الأوجاق خاصة بعد وفاة ( مصطفى كتخدا القازدغلى ) . واتسعت دائرة الخلاف الى بقية الأوجاقات الأخرى ، فقد طالبت أوجاقات السباهية الثلاثة بالحاق ( افرنج أحمد ) وزميله فى صفوفها وساندتها فى ذلك أوجاقات ( عزبان والمتفرقة والجاويشية ) وبذلك صارت الأوجاقات الستة فى جانب ، وأوجاق الانكشارية فى جانب آخر (٦) .

وتأزمت العلاقات بين الفريقين خلال السنوات التى تلت عودة ( افرنج أحمد ) فى أواخر سنة ١٧٠٧ حتى انفجار الموقف سنة ١٧١١ . ويلاحظ احتدام حدة العداء المستحكم بين الأوجاقين الكبيرين : الانكشارية من ناحية ، والعزب من ناحية أخرى ، وهو خلاف ظهر عشية الفتح العثمانى فى مطلع القرن السادس عشر ، وبعد صدور ( قانون نامه مصر سنة ١٥٢٥ ) ، ويرتبط بأسباب ودوافع اقتصادية ومكانة كل منهما . ولما كانت أوجاقات السباهية الثلاثة اقل شأنا من الناحية المادية من حيث الرواتب النقدية ولم تكن لهم امتيازات تذكر لانصرافهم للعمل فى خدمة حكام الأقاليم ، كما أن

---

(٥) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٧٧ وما بعدها .
— Holt The career of Kûçûk Muhammad. pp. 283-285.

(٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١٩٥ — ٢٠٧ .
— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ — ٢٣٧ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٩٥ — ١٠١ .

أوجاقى ( المتفرقة والجاويشية ) ـــ اللذين تمتعا بمكانة متميزة فى القرن السادس عشر ارتباطا بقوة السلطة العثمانية ـــ قد تغيرت أحوالهما فى القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ، ونجح أوجاق العزب ـــ الأقل شأنا ومكانة من منافسه الانكشارية ـــ فى استقطاب هذه الأوجاقات السابقة . وعلى هذا النحو ظهر التكتل داخل البناء العسكرى للأوجاقات ، والذى أصابه الوهن ، فوقف أوجاق الانكشارية عنيدا بمفرده متحديا الأوجاقات الستة التى يتزعمها خصمه اللدود أوجاق العزب (٧) .

ومن الجدير بالذكر أن الخلافات المستمرة والصراع بين طائفتى ( الفقارية والقاسمية ) والانقسام بين صفوف الطائفة الواحدة ، قد اندلع داخل الأوجاقات ـــ خاصة وقد تزايد بها الوجود المملوكى ـــ فصارت الأوجاقات ـــ بشكل واضح ـــ اداة لهذا الصراع المتوصل . فنجد الفريق الذى يتزعمه العزب يؤيد القاسمية ونفر من الفقارية المنشقين ( القازدغلية ) بينما تعصب الانكشارية لجماعة الفقارية مؤيدى ( افرنج أحمد ) كما نجد الانقسام يمتد الى الرعية سواء من العلماء وابناء الحرف والتجار ، وان كانت هناك نسبة أكثر أيدت جانب العزب ( القاسمية ) مع الأوجاقات الخمسة ( السباهية الثلاثة والمتفرقة والجاويشية ) .

بدأت الأزمة سنة ١٧٠٧ عندما طالبت الأوجاقات الستة ( بزعامة العزب ـــ القاسمية ) خصومهم ( الانكشارية ـــ الفقارية ) بابطال الحمايات التى يفرضها الأوجاق على الحرفيين والتجار ، ونقل ( دار الضرب ) الواقعة فى حوزتهم بالقلعة . وكان رد الانكشارية بابطال مظالم السباهية فى الأقاليم ، ورفضوا نقل دار الضرب ، لما فيه مساس بكرامتهم . وفى داخل أوجاق الانكشارية ـــ نتيجة لجهود افرنج أحمد لفرض السيطرة على الأوجاق ـــ تكونت جبهة معارضة فأدت محاولاته الى نفيه ( بالطينة )

---

(٧) قانون نامه مصر ، ورقة ٢٩ ـــ ٣٣ .
ـــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢١٤ ـــ ٢٣٥ .
ـــ Holt : Egypt and the Fertile crescent. p. 87-89.

سنة ١٧٠٧ ، مما جعل معارضيه من الانكشارية ( الثمانية ) يعودون الى أوجاقهم بعد لجوئهم للعزب ( كور عبد الله الذى يشغل منصب باش أوده باشى الانكشارية ) (٨) .

عاد افرنج أحمد بعد شهور قليلة بمساعدة الفقارية ، ودخل القاهرة ليلا ، الا أن الانكشارية المعارضين له رفضوا ذلك ، وطالبوا الباشا بنفيه من جديد ، ثم تدخل العلماء لدى الصناجق لحل هذه الأزمة واستقر الرأى على منحه رتبة ( صنجق ) على يد كتخدا الباشا ، فتمكن افرنج أحمد من دخول الانكشارية سنة ١٧٠٩ بمساعدة الفقارية ، الأمر الذى جعل معارضيه ( الثمانية ) يتعرضون للنفى (٩) .

واستغل خصوم افرنج أحمد ( الثمانية ) حدوث انقسام فى الفقارية واتصلوا بالجناح الذى يرأسه ( محمد بك قطامش ) ، ( حسين بك بارم ديله ) ، وذلك لتمهيد السبيل لعودتهم الى القاهرة ، فعادوا فى أواخر ١٧١٠ ، وتم — بالتوسط لدى اختيارية السباهية — الحاقهم بأوجاقات السباهية الثلاثة ( الجراكسة ، الكوملية ، التوفكجية ) رغم معارضة أحد أغواتها . وحتى ذلك الحين عد الصناجق — من زعماء الفقارية والقاسمية — هذه الأحداث تخص الأجناد ( رجال الأوجاقات ) ، ويمكنهم تفادى وقوع الأزمة . وكان رجوع الانكشارية الثمانية الى أوجاقهم أمرا طبيعيا لتجنب حدوث اضطرابات داخلية ، بيد أن افرنج أحمد — الذى عاد لمنصبه السابق باش أوده باشى — رفض بشده طرح هذه القضية للنقاش ، واستمرت مقدمات الأزمة تتفاقم خلال الأشهر التالية ( ديسمبر ١٧١٠ — مارس ١٧١١ ) . وبدأ أوجاق العزب — زعيم الأوجاقات الخمسة الباقية — يكشف عن عدائه للانكشارية ،

---

(٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢١٥ — ٢٢٤ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠٧ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٧٥ — ٦٣ .

(٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ وما بعدها .
Holt : Egypt p. 89.

ويثير مشاعر رجالهم باظهار حمايته للمنشقين من الانكشارية ( الثمانية ) عندما يخرجون على الملأ فى شوارع المدينة (١٠) .

وفى داخل أوجاق الانكشارية ، كان يجرى فى نفس الوقت صراعا حاميا ضد ( افرنج أحمد ) قام به أتباع ( مصطفى كتخدا القازدغلى ) ، وقد استأنسوا بهذه الحماية من جانب أوجاق العزب واعلنوا مطالبهم صراحة ، اما عزل افرنج أحمد ، أو خروجهم من أوجاق الانكشارية ، وكانوا يشكلون عددا كبيرا نسبيا يصل الى ستمائة ، منهم قيادات مختلفة ( كتخداوات — جوربجية — أوده باشية ) ، ورغم ما بذل من مساعى لتلافى هذا التصدع فى أوجاق الانكشارية — بسبب تسلط افرنج أحمد — انتهى الأمر بخروجهم الى الأوجاق المعارض ( العزب ) ولا شك أن هذه الحركة ستكون ذات أثر عميق فى اضعاف الانكشارية (١١) .

حاول زعيم القاسمية ( ايواظ بك ) بعد رجوعه من الحجاز ( أميرا للحج ) أبريل ١٧١١ التوصل الى اتفاق مع زعيم الفقارية ( أيوب بك ) من شأنه منع اندلاع القتال بين الفريقين ، ولكن لم تكن الفرصة مواتية لمثل هذه المحاولات ، فقد غدا أمر التفاوض مستحيلا لاصرار كل فريق على موقفه ، فبينما كان القاسمية يريدون رجوع الانكشارية المنشقين الى أوجاقهم وعزل افرنج أحمد ، أصر الفقارية على مؤازرة افرنج أحمد وبقائه ومنع الانكشارية الثمانية من رجوعهم للأوجاق (١٢) .

---

(١٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ وما بعدها .
— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ — ٢٧٠ .
— على بن محمد الشاذلى : ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة ، تحقيق عبد القادر طليمات ( المجلة التاريخية ، المجلد ١٤ ، ١٩٦٨ ) ، ص ٣٥٨ — ٣٦٠ .

(١١) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(١٢) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٨٥ — ٩٠ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣١ وما بعدها .

**فتنة افرنج أحمد :**

كشرت الأزمة عن أنيابها ، ولـم يبق هناك سـوى الشرارة الأولى لاشتعالها ، وتمثلت فى قيام ( الانكشارية ــ القازدغلية ) المنشقين بقطع ( طريق المحجر ) المؤدى الى القلعة ، والمار بباب ( مسـتحفظان ) ، كما منعوا تزويد القلعة بالمياه اللازمة بفك السواقى الكائنة قرب ( عرب اليسار ) جنوبى القلعة . وكـان افرنج أحمد ومؤيديه من الانكشـارية ، وقاضى العسكر ، وخليل باشا داخل القلعة ، وعندما علم افرنج أحمد بذلك عرض الأمر على الباشا والقاضى ، فأعلن أن هـذا السلوك يجعل ( العزب ) ــ الفريق المعارض ــ خارجين على السلطة وتجوز محاربتهم . وحصـل افرنج أحمد على فرمان من الباشا واعلام من القاضى ليبدأ فى قصف ( باب العزب ) فى ١١ أبريل ١٧١١ ، مما دفع البكوات الصناجق زعماء القاسمية ــ مؤيدى العزب ( ايواظ بك ــ قانصوه بك ــ ابراهيم بك أبو شنب ) ــ يسارعون بعقد اجتماع قرروا فيه محاربة خصومهم ( الانكشارية ــ الفقارية ) وفكروا فى البداية أن يتجهوا الى ميدان الرميلة لبـدء الحرب ، الا أنهم تراجعوا عن ذلك بعد أن علموا بقيام زعيم الفقارية ( أيوب بك ) بنصـب المدافع فى الطريق وفوق قلعة الكبش ، لضرب من يتجه من خصومهم الى الرميلة فتحصنوا فى بيوتهم .

وواصل افرنج أحمد قصفه لباب العزب لمدة ثلاثة أيام متواصلة ليلا ونهارا ، وكان موقف رجال العزب هو تشديد الحصار على القلعة ، ومنع تزويدها بالمياه اللازمة ، وجرت محاولة صلح مبكرة بين الجانبين ، ولكنها اصطدمت من جديد باصرار كل جانب على موقفه (١٣) . فعلى حين تمسك العزب بالانكشارية المنشقين والأمير حسن الأخميمى المحتمين ببابهم وبعزل ( افرنج أحمد ) من منصـبه ( باش أوده باشى الانكشارية ) ، ثم اعادة الانكشارية المنشقين الى أوجاقهم ، أصر خصومهم من الانكشارية ( اتباع

---

(١٣) مصطفى بن ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٩٨ وما بعدها .
ــ الشاذلى : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ــ ٣٦٥ .

افرنج أحمد والبكوات الفقارية ) على تسليم الأمير حسن الأخميمى للباشا ، ونفى الانكشارية مسببى الفتنة — من وجهة نظرهم — الى الأرياف بدلا من حماية العزب لهم .

وأعقب ذلك تدخل فعال من جانب كبار الصناجق لدى ( أيوب بك زعيم الفقارية ) — ومؤيد الانكشارية — واجتمع هؤلاء فى بيت ( ابراهيم بك أبو شنب ) من كبار القاسمية واتفقوا على اجراء الصلح بأى شكل ، وهنا يظهر تأثير الزعيم الفقارى واضحا على افرنج أحمد حيث استجاب لتدخله ومنع اطلاق المدافع على باب العزب لفترة امتدت ما يقرب من ( ثلاثة عشر يوما ) وكانت فى الحقيقة بمثابة هدنة للطرفين ، فى انتظار الصلح المزعوم . وانتهز افرنج أحمد هذه الفرصة لتحصين القلعة ، واقامة المتاريس ونصب المدافع وملء الصهاريج بالمياه ، بعد أن رفع العزب حصارهم ، كما أفاد العزب بتعزيز مواقعهم حول القلعة (١٤) .

كان افرنج أحمد والانكشارية — على ما يبدو — هو البادىء بخرق الهدنة واستئناف القتال ضد باب العزب ، مما جعل العزب يدبرون هجوما على باب مستحفظان أثناء الليل الا أنهم عجزوا عن مواصلته أمام نيران المدافع الكثيفة . وهكذا تطورت أزمة سنة ١٧١١ ودخلت جولة جديدة ذات طابع أكثر شمولا ، بعد أن أرسل الباشا المحاصر بالقلعة الى حاكم الصعيد — وهو من كبار الفقارية — وذوى الكفاءة العالية فى شئون القتال (١٥) ، فاصطحب حاكم الصعيد ( محمد بك الفقارى ) جنده وأتباعه فضلا عن عربان هواره أوائل مايو ١٧١١ ، لتتسع بذلك ميادين القتال من حول القلعة ورأس الصليبة الطولونية ، حتى سبيل المؤمنين ، حيث كان يتحصن العزب والقاسمية ، ولم يفلح محمد بك الفقارى الا فى ابعاد العزب عن

---

(١٤) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٤٤ — ١٥٠ .
(١٥) الشاذلى : المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

( سبيل المؤمنين ) جنوبى ميدان الرميله . وانعكست هذه المعارك الدامية على أحوال سكان حى القلعة الذى لحقه الخراب من جراء طلقات المدافع ، فهربوا الى المدينة تاركين بيوتهم يطلبون النجاة من القتل . ولم يكتف افرنج أحمد بذلك فأرسل من عساكره من احتلوا عدة مساجد داخل المدينة تتحكم فى الشوارع والطرق الرئيسية وذلك لمنع وصول الامدادات الى خصومهم ( العزب ) ، وما أن علم العزب بذلك حتى أحبطوا خطته ، وبقيت مدافع العزب فى الرميلة وجامع السلطان حسن (١٦) .

اتسمت الجولة الثانية بمشاركة عدة عناصر فى القتال ، فعلى حين دخل عربان ( الهواره ) الى جانب الانكشارية — بزعامة محمد بك حاكم الصعيد — ثم استعان زعيم الفقارية ( أيوب بك ) بعربان ( أولاد حبيب ) من القليوبية . انضم عربان السلالمة والهنادى بالبحيرة الى صف ( العزب — القاسمية ) بطلب من ( ابراهيم بك أبو شنب ) القاسمى ، كما تحزب أهالى القاهرة من العلماء والعامة الى حزبين على النحو التالى :

١ — **الفريق ( القاسمى — عزبان )** : ويضم زعماء القاسمية ( ايواظ بك أمير الحج ، ابراهيم بك أبو شنب — قانصوه بك ) ، الفقارية المنشقين ( قيطاس بك الدفتردار وتابعه محمد بك الصغير ، عثمان بك بارم ديله ، رجال أوجاقات السباهية الثلاثة : الكوملية — الجراكسة — التونكجية والمتفرقة ، والجاويشية ، الانكشارية المنشقين ( عربان السلالمة والهنادى ) ، الأمير حسن الأخميمى (١٧) .

٢ — **فريق افرنج أحمد ( مسبب الفتنة )** : ويضم زعماء الفقارية ( أيوب بك ، محمد بك حاكم جرجا ، أغوات السباهية ، أغا المتفرقة ، كتخدا

---

(١٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ وما بعدها .
— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ — ٢٨٠ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٠٢ — ١٠٦ .
(١٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

الجاويشـــية ــ مؤيدى افرنج أحمد من الانكشارية ــ ، الباشا العثمانى « خليل باشا » ، قاضى العسكر ، عربان الهواره ، عربان أولاد حبيب ) .

وكان كل فريق يسعى لمحاصرة خصمه باحتلال مواقع داخل المدينة تحول دون حصول العدو على المؤن والامدادات ، ولكن فريق ( العزب ــ القاسمى ) ظل مسيطرا على الشوارع المؤدية الى معسكره بالقلعة وحصنه الأمامى ( مسجد السلطان حسن ) بالرميلة .

وبلغ عدد العسكر الهوارة والفلاحين الذين زحفوا بقيادة حاكم الصعيد محمد بك الفقارى حوالى عشرة آلاف ــ وهو على ما يبدو ــ رقم مبالغ فيه ، وقد ضرب فى طريقه مدينة أخميم ، ونهب ما فيها باعتبارها من أملاك خصومه الأمير حسن الأخميمى حليف ( العزب القاسمية ) (١٨) .

واصل افرنج أحمد قتاله المستمر من القلعة تجاه باب العزب وبلغت طلقات المدافع أعدادا كبيرة وصلت ما يقرب من ١٢٫٠٠٠ طلقة ، وقاسى العزب فى بابهم من مخاوف هجوم مباغت من جانب الانكشارية عليهم ، ولذلك رتبوا عددا من العسكر للحراسة ليلا . وتفاقمت الأزمة وتزايدت نفقات القتال على الصناجق القاسمية ومؤيديهم من ( الفقارية المنشقين ) ، فكان ينفق يوميا على العسكر ما يقرب من أربعة أكياس مصرية بخلاف ما يقدمه التجار الأثرياء من المؤن اللازمة . ولاحت من جديد فكرة الصلح للخروج من هذا المأزق الحرج ، بيد أنها اصطدمت بتشبث كلا الفريقين المتصارعين بموقفه المتشدد .

وقد اجتمع ( القاسمية ــ عزبان ) فى ( مسجد يشبك ) بدرب الجماميز ، واتفقوا على عزل ( خليل باشا ) واختيار ( قانصوه بك ) قايم مقاما بعد أن

---

(١٨) الشاذلى : المصدر السابق ، ص ٣٦٣ وما بعدها .

ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر الســابق ، ص ٢٣٨ ومـــا بعدها .

أفتى بعض العلمـــاء بذلك ، وباشر ( القائمقام ) مهامه بتعيين أغـــوات جدد لأوجاقات السـباهية والمتفرقة والجاويشية بدلا من المنحازين الى خصومهم (١٩) .

كان موقف افرنج أحمد هو تقوية جانبه بضم عدد كبير من الأجنـاد المرتزقة ، ودفع لهم رواتب مجزية ، كما أن الباشا عد هذا الاجراء السابق من جانب القاسمية باطلا ، وأصدر فرمانا باستمرار القتال ضد الخارجين عن طاعة السلطان ، ولاشك أن الأحداث وتطوراتها كانت تجرى فى غـير صـالح افرنج أحمد ومؤيديه من الانكشارية ، وبقيت قبضة ( العـزب ، القاسمية ) قوية على منطقة القلعة وما حولها ، مما جعل الباشا العثمانى يضيق ذرعا بطول الحصار ، فأرسل الى الصناجق القاسمية للحضـور الى الديوان بالقلعة لاجراء مفاوضات جديدة مع ( زعماء الانكشـارية ــ الفقارية ) ولكنهم اعتذروا عن ذلك خوفا على حياتهم .

ولما أصبح أمر تفوق افرنج أحمد ومؤيديه على خصومه ضعيفا ، استقر الرأى على نقل ميدان القتال خارج المدينة ، لتبدأ الجولة الثالثة هناك . فاستعان زعيم الفقارية ( أيوب بك ) بالعربان من أولاد حبيب فى مايو ١٧١١ ، فى جمع الابل والحمير التى يستخدمها السقاؤن لنقل المياه من شاطىء النيل الى المدينة ، وذلك بغرض التحكم فى هذا المصدر الرئيسى للحصـول على المياه ، فكانت النتيجة ارتفاع أسعارها بشكل كبير وندرتها (٢٠) . وما ان علم ( القاسمية ــ العزب ) بذلك حتى أرسلوا بعض العسكر الى منطقة قصر العينى لاستخلاص هذه الدواب ، ولكنهم تلقوا هجوما مفاجئا بقيادة

---

(١٩) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٥٠ وما بعدها .
ــ مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
(٢٠) يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٥ .
ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ وما بعدها .
ــ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٦٣ وما بعدها .

( محمد بك الفقارى ) وعربانه من الهوارة ، ولحقت بهم الهزيمة ، مما أثلج صدر الباشا ، بعد أن حملت اليه رءوس القتلى ، ولم يرض الصناجق القاسمية بذلك ، وصمموا على مواصلة القتال . وكان اللقاء الحاسم فى أوائل يونيو ١٧١١ على شاطىء النيل ( من قصر العينى حتى الروضة ) وتبادل الفريقان الهجمات المتتالية ، واظهروا فروسية المماليك وأساليبهم فى القتال ، حيث اتسع ميدان القتال بعيدا عن شوارع المدينة الضيقة (٢١) .

ومن الملاحظ أن محمد بك الفقارى حاكم جرجا استبسل فى القتال أملا فى تحقيق النصر لفريقه . وانتهت معارك هذا اليوم لصالح ( الفقارية — افرنج أحمد ) وخسر القاسمية زعيمهم ( ايواظ بك ) الذى لقى مصرعه ، وقدمت رأسه الى الباشا الذى أنعم بكيس من المال على من قدمها اليه . وكانت صدمة قوية للقاسمية ، فتوقف القتال على أثرها ثلاثة أيام يرتب كل فريق خططه المقبلة ، وعقد القاسمية خلالها اجتماعا مع ( القائمقام قانصوه بك ) وقرروا اختيار تابعه ( يوسف بك الجزار ) خلفا لسيده ، وتزعم الثأر لمقتله ، فأخذ ( أيوب بك ) زعيم الفقارية جانب الحذر الشديد ، خوفا من انتقام خصومه القاسمية ، فشدد من التحصينات حول بيته ، ونصب المدافع وعمد الى التخفى فى ملابسه والتمويه حتى يصعب التعرف على شخصيته ، كما اهتم القاسمية أيضا بتحصين بيوت قادتهم (٢٢) .

وتعددت لقاءات المبارزة بين الفريقين منذ ٦ يونيو حتى أواخر يونيو ١٧١١ فى المنطقة السابقة ، وكاد زعيم الفقارية أن يقع فى أيدى خصومه أسيرا ، وشرع القاسمية فى تخريب قصور أعدائهم ( افرنج أحمد ) الواقع على طريق بولاق ، ولم تسفر هذه المعارك عن نتيجة حاسمة لأحد الفريقين . الا أنه جرت عدة تطورات اتخذها ( القاسمية — عزبان ) فى النصف الثانى من يونيو ، أهمها قيام ( القائمقام ) بتعيين ( كتخدا مستحفظان ) ومقره

---

(٢١) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١١٦ — ١٢٠ .
— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٤١ وما بعدها .
(٢٢) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١١٣ وما بعدها .

فى بيت الوالى على مقربة من باب زويله ، كما اضطر على أغا ( أغـــات مستحفظان ) — تحت ضغط القاسمية والقائمقام — لتسلم مهام منصبه فى يونيو ١٧١١ ، ومباشرة مسئولياته لاعادة الأمن بالمدينة (٢٣) .

ولما كان ( القاسمية — العزب ) أصحاب السيطرة على منطقة القلعة وما حولها حيث تقع بيوت كثير من الأجناد ، فانهم هددوا العسكر الانكشارية المحاربين مع افرنج أحمد اذا لم يتوجهوا الى ( كتخدا مستحفظان ) الجديد فسوف تنهب بيوتهم ، الأمر الذى أدى الى فرار أعداد منهم وخروجهم من صفوف افرنج أحمد . ودبر ( القاســمية — عزبان ) خطة جديدة تقضى بارسال الفرسان الى منطقة قصر العينى للقتال بينما يتجه العسكر الباقون من المشاه سرا — لمهاجمة قصر زعيم الفقارية ( أيوب بك ) الواقع بين مسجد ابن طولون وقناطر السباع ، وأفادوا من اتخاذ بيت ابراهيم بك أبو شنب المجاورة نقطة ارتكاز ، وقد نجح القاسمية فى تنفيذها مما أدى الى هروب ( أيوب بك ) الى بلاد الشام ، ومنها الى استانبول ، كما اتخــذ محمد بك حاكم الصعيد طريقا نحو بلاده ، وتصدع بذلك كيان ( فريق افرنج أحمد ) ومؤيديه وصار فى عزلة شديدة ، واتبع القاسمية ذلك بارســـال العسكر فى ٢٤ يوليو الى جبل الجيوشى لتصويب المدافع نحو قصر الباشا وباب مستحفظان بالقلعة ، ولم يجد الباشا بدا من اعلان استسلامه ، فنصب بيرقا أبيض على القلعة ، وأرسل الباشا طالبا الأمان على يد قاضى العسكر ، ولكن الصناجق القاسمية أصروا على عزله ، فنزل مهزوما ذليلا يحوطه بعض الاختيارية يحفظونه من سفهاء العسكر والرعية ، وقــد

---

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ص ٢٤٣ وما بعدها .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٩٦ ، ١١٦ .
(٢٣) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٧٥ — ١٨٠ .
— Holt : Egypt pp. 90-92.
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٦ وما بعدها .

ازدحم الناس فى الرميلة يسبونه علنا لما حل بهم من خراب وقتل وتشريد (٢٤).

ثم تمكن ( العزب ـــ القاسـمية ) من اقتحام باب مستحفظان ونهبه والقبض على مسبب الفتنة ( افرنج احمد ) الذى طلب الأمان ولكنه قتل هو وأتباعه ، وقد لعب ( على أغا ) دورا هاما فى تعقب انصار ( افرنج أحمد ) ، ورجع الانكشارية المنشقون الى أوجاقهم ، واستقر ( على اغا ) فى منصبه وبقى القائمقام ( قانصوه بك ) والأغوات الجدد .

استغرقت هذه الأزمة أكثر من شهرين ، ذاقت القاهرة وأهلها ويلات الحرب وتعرضت للتخريب .

ومما سبق يمكننا أن نحدد بعض الملاحظات ، نوجزها فيما يلى :

أولا : تغلغل الصراعات المملوكية ( القاسـمية ـــ الفقارية ) داخل كيان الأوجاقات العثمانية ، التى فقدت تماسكها بشكل واضح منذ أوائل القرن الثامن عشر .

ثانيا : انعكاس الخلافات بين أبناء الطائفة الواحدة ( الفقارية ) على الأوجاقات حيث كانت جماعة من الفقـارية فى جانب مع العـزب والأوجاقات الأخرى ، وبقية الفقارية مع الانكشارية و ( افرنج أحمد ) فى جانب آخر .

ثالثا : حدوث تصدع فى أوجاق الانكشارية ، نتيجة لجهود ( افرنج احمد ) للسيطرة على الأوجاق ، محاولا بذلك ملء الفراغ السياسى بالولاية ، بعد أن اهتزت السلطة العثمانية .

---

(٢٤) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصـدر السابق ، ص ٢٤٥ وما بعدها .
ــ مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ـــ ١٣٢ .
ــ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٣٩ وما بعدها .
ــ يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ـــ ٢٩١ .

**رابعا :** ظهور التباعد بين اغوات أوجاقات السـباهية ـ المؤيدين لافرنج أحمد ـ من ناحية وبين عسـكر السباهية ـ المتحالفين مع أوجاق العزب من ناحية أخرى ، وبذلك أصبحت هذه الأوجاقات تدور فى فلك الأوجاقين المتصارعين .

**خامسا :** أهمية منصب حاكم الصعيد الذى يصل الى القاهرة بالمدد اللازم لفريقه من ( العسكر ) والمؤن والعتاد الى جانب المشاركة فى رسم خطط القتال .

**سادسا :** الاستعانة بقبائل العربان فى حسم الصراعات الدائرة فى العاصمة حول السلطة ، مما كان له أثره السلبى على أبناء الرعية ، فقد تطاول العربان ، نظرا لما حل بالجهاز الحاكم من تمزق .

**سابعا :** اتباع أساليب الفروسية المملوكية ، فى المعارك الناشبة بين المتخاصمين ( القاسمية ـ عزبان ) ، ( الفقارية ـ مستحفظان ) ، دليل واضح على تفوق العنصر المملوكى بالأوجاقات .

**ثامنا :** انقسم أهالى القاهرة من العلماء والعامة الى فريقين خلال ( فتنة افرنج أحمد ) ، وبذلك تأثرت طبقة المحكومين ـ الى حد ما ـ بما يجرى من صراعات بين أبناء الطبقة الحاكمة .

# الفصل الثامن

## الأوجاقات العثمانية

### من نهاية فتنة افرنج احمد ، الى فتنة جركس بك
### ( ١٧١١ — ١٧٣٠ )

**نتائج فتنة افرنج أحمد :**

انتهت فتنة افرنج أحمد فى سنة ١٧١١ بانتصار محور ( القاسمية — عزبان — القيطاسية ) ، وسعى ( القيطاسية ) وهم من الفقارية المنشقين الى اقتسام ثمرات النصر نظرا لما قدموه من جهود ، فحصل قيطاس بك على منصب ( الدفتردار ) وتولى تابعه ( محمد بك الصغير قطامش ) امارة الحج . ولا شك أن هذا الأمر جعل القاسمية — حلفاء الأمس — يحقدون عليهم هذا النفوذ ، فقد استأثروا بأهم مناصب الولاية دونهم .

وحانت الفرصة أمام القاسمية بزعامة ابراهيم بك بوشناق ( ابو شنب ) — عندما تغيرت سياسة الباشا العثمانى تجاه الفقارية ( الجناح القيطاسى ) الذى شك فى نواياهم فيما يتعلق بالأموال السلطانية ، بينما لقى قيطاس بك مصرعه فى ٦ يوليو ١٧١٥ — بأمر الدولة — كما أشار بذلك الباشا (١) .

صار الميدان السياسى مهيئا للقاسمية الذين فقدوا زعامتهم الكبرى

---

(١) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٦٠ — ١٦٧ .
— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ص ١٠١ وما بعدها .

خلال أحداث فتنة افرنج احمد السابقة سنة ( ١٧١١ ) ( ايواظ بك ) ، وكما هو المعتاد تظهر الانقسامات بين رجال كل طائفة مملوكية اذا ما اختفى العدو الذى يجعلهم متحدين — ولو ظاهريا — ومن ثم اتضح انقسام جديد بين القاسمية ، فعلى حين أصبح أكبر القاسمية ( ابراهيم بك بوشناق الشهير بأبو شنب ) وله أتباعه ( الشنبية ) ، صار اسماعيل بك ابن ( ايواظ بك الزعيم السابق للقاسمية ) يتزعم ( الايواظية ) وبوفاة ( ابراهيم بك أبو شنب ) تاركا ولده محمد بك وتابعه ( محمد بك جركس ) وغيرهم ، تزعم تابعه ( جركس بك ) طائفة الشنبية ، ودخل فى صراع مرير على السلطة مع ( اسماعيل بك بن ايواظ ) استغرق ما يقرب من عشرة أعوام حتى وفاة الأخير سنة ١٧٢٣ ، وكان ( ابن ايواظ ) قد تولى امارة الحج وتولى جركس بك الصنجقية ، وحكم ولاية جرجا فى أوائل سنة ١٧١٦ . وقد أثبت ابن ايواظ كفاءة عالية فى تقلده لامارة الحج واكتسب بذلك مكانة طيبة لدى الأهالى رغم حداثة سنه — لا يتجاوز عمره العشرين عاما — . وشرع جركس بك فى تدبير المؤامرات للتخلص من ابن ايواظ ، واستغل خروجه الى القلعة لحضور الديوان فى ٦ يوليو ١٧١٩ وأرسل أعوانه لاغتياله ، وفوجىء ابن ايواظ بطلقات نارية دون معرفة مصدرها وتفرق عنه مماليكه فيما عدا يوسف بك الجزار تابع أبيه (٣) .

وقد صحبه يوسف بك الى باب العزب وأرسل لافادة الباشا بما تم ، فجمع الباشا العثمانى أغوات الأوجاقات وكبار الصناجق وأوضح لهم مؤامرة جركس السابقة خاصة وأن الذين نفذوها قد انصرفوا الى بيت جركس ، وانتهى المجلس بحصول ابن ايواظ على فرمان من الباشا للتقاضى مع جركس بك ، وأرسل هذا الفرمان صحبة عشرة أغوات من أتباع الباشا

---

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ — ٢٩٧ .

— Perry : A view of the Levant, London 1743. pp. 169-171.

— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ — ٣٦٥ .

الى جركس الذى تظاهر بجهله بهذه الأمور وانه على استعداد للتقاضى مع ابن ايواظ ، وسوف يتحمل ما يحكم به المجلس — اذا ثبتت ادانته — واشترط أن يتخلى ابن ايواظ عن استعداداته التى جمعها فى بيته ، والا فانه سوف يعلنها عليه حربا شعواء . ولم تفلح الوساطة بين الجانبين واستعد كل منهما للقتال بعد أن تم تحصين البيوت وشحنها بالمماليك والأسلحة والمؤن (٣) .

تميز ابن ايواظ بنفوذه الهائل لدى الأوجاقات الستة — فيما عدا ( الانكشارية ) — وحمل مماليكه بيارقهم الى طياون والصليبة الطولونية وأقيمت المتاريس ونصبت المدافع ، كما اهتم جركس بتأمين بيته ووضع قوات فوق ( قلعة الكبش ) ومتاريس وتهيأت القاهرة لتكون مسرحا لصراع مملوكى بين أبناء ( القاسمية ) ، واندلعت الحرب بين الجانبين لمدة عشرة أيام وخسر كل منهما العديد من الضحايا ، سواء من العسكر أو البكوات المماليك ، ولم تنته لصالح أحدهما ، فخشى ابن ايواظ أن تطول الفتنة مما جعله يعمد الى الاستعانة ببعض المدافع الضخمة والتى تبلغ حمولة كل منها نحو خمسة وعشرين جملا ، نقلت من جهة الشيخ قمر عبر باب النصر الى معسكره ، وما أن علم جركس بذلك حتى أصابه الرعب ، فاتخذ سبيله للهرب هو وأتباعه من قناطر السباع قاصدين ولاية القليوبية (٤) .

أرسل ابن ايواظ بعض رجاله لتتبع جركس ، وحاربوه ولكنه أفلت منهم حتى وصل الى عربان الصوالحة قرب ( أبى زعبل ) وبعد أن أكرموا وفادته وأظهروا له المحبة والعون ، قبضوا عليه واقتادوه مكتوف الأيدى الى القاهرة لتقديمه لابن ايواظ الذى عاتبهم لتركه على قيد الحياة . ورغم

---

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ وما بعدها .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٤ .
(٤) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٨٩ — ١٩٥ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٥ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
— Perry : op. cit. pp. 171-172.

تحمس أتباع ( الايواظية ) لقتله ، الا ان الشهامة والمروءة جعلته يعارض قتله ، وقدم له ما يحتاجه من مساعدات ، وقام بعلاجه وحصل على فرمان من الباشا بنفيه الى جزيرة قبرص فى رفقة بعض رجاله حتى وصل فى ٩ شعبان ١١٣١ هـ / ٢٧ يونيو ١٧١٩م . وكان من الطبعى — بعد أن صارت الغلبة لابن ايواظ — أن يتتبع رجال جركس والشنبية فى القاهرة ، وأمر بهدم قصره . ولم يمكث جركس طويلا فى منفاه بقبرص ، حيث تصادف وجود أحد القباطنة الذى تعرف عليه أثناء توليه كشوفية البحيرة وقدم له العون اللازم والحماية ، فأراد أن يفى له بما صنع ، وساعده فى الهروب من قبرص والوصول الى دمياط سرا .

وكان القاضى العثمانى مرافقا لجركس بك فى عودته الى مصر ، ولما بلغ الباشا هذا الخبر أرسل اليه لحضور الديوان وأحسن استقباله وأعاد اليه رتبة الصنجقية ، وارتكز جركس على أوجاق الانكشارية ليجد لنفسه مخرجا ، وبظهوره من جديد تجمع رجاله الذين اختفوا من قبل (٥) .

وفى مقابل هذا ، تعرض ابن ايواظ لأزمة مفاجئة بعد أن ساء موقف الباب العالى تجاهه وأبرز الباشا فى ٢٤ نوفمبر ١٧٢٠ خطا شريفا بالديوان لقتله هو وتابعه ( اسماعيل أغا كتخدا الجاويشية ) وأمر القاضى بضبط ممتلكاتهما . وبدأت السلطة العثمانية — ممثلة فى الباشا — فى استخدام الأوجاقات العسكرية ، والاستعانة برجالها — بتقديم المال — فبعث الباشا العثمانى رجاله لتوزيع مائة وعشرين كيسا مصريا ، وتعيين تجريدة عسكرية قوامها ألف من الأجناد لملاقاة موكب الحج ، وتولى سرادرية التجريدة ، أمير الحج الجديد لاستلام الموكب ، وما أن بلغ ابن ايواظ هذا الخبر فى ديسمبر ١٧٢٠ حتى لاذ بالفرار تاركا الموكب .

---

(٥) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ وما بعدها .

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٦ وما بعدها .

— Perry : op. cit,, p. 173.

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ — ٢٥٠ .

— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٩٢ وما بعدها .

### موقف الباشا العثمانى من الصراع المملوكى :

تسرب الى جركس ورجاله نبأ مؤامرة يخطط لها ( رجب باشا ) للتخلص من الفريقين المتصارعين ( الشنبية — الايواظية ) ليطلق يده فى شئون مصر ، ويقوم بتغيير العملة السائدة فانقطع صناجق الشنبية عن حضور جلسات الديوان ، وحاول بعض العلماء — بايعاز من الباشا — التدخل لاظهار حسن النية ، ورغم أن أحمد بك الأعسر واجهه بما أشيع ، أقسم ( رجب باشا ) بأن هذا لا حقيقة له . وهكذا ظهر عدو جديد يهدد القاسمية المنقسمين وهو الباشا العثمانى ، الأمر الذى جعل جركس يسعى عن طريق يوسف بك الجزار تابع ايواظ للوساطة لدى ( اسماعيل بك ) ابن سيده للصلح والتكتل ضد الباشا .

تهددت مصالح القاسمية جميعا ، وتمكن ابن ايواظ من جمع مائتى كيس ، واتجه لتوزيعها على كافة الأوجاقات العسكرية التى قبلت — فيما عدا الانكشارية — فتدخل ( جركس بك ) وهدد باش اختيارية الأوجاق بالقتل اذا رفض ، وتعهد الجميع بالوقوف صفا واحدا . من الملاحظ أن ابن ايواظ كان يحظى بشعبية كبيرة فبمجرد ظهوره أقبل الأهالى لتهنئته وأمام تكتل القاسمية عقدت جمعية ضمت أغوات كافة الأوجاقات والصناجق والعلماء ، واتفق فيها على عزل الباشا واختيار تابع ايواظ بك ( يوسف بك الجزار ) ليكون قائمقاما ، وكان نصيب الباشا المعزول اهانات أبناء الرعية (٦) .

وارسل العلماء عرضا الى الدولة يوضحون فيه ظلم ( رجب باشا ) وسطوته وتسلطه عليهم عندما فرض كتابه عرض يشير فيه الى مظالم ( ابن ايواظ ) — وهو مخالف للواقع — اصبحت الأمور غير واضحة أمام

---

(٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣١٤ وما بعدها .

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٢ وما بعدها .

— Perry : op. cit., pp. 171-173.

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ — ٢٩٠ .

الباب العالى فيما يتعلق بأوضاع ولاية مصر ، فأرسلت الدولة فى شعبان ١١٣٣ هـ / يونيو ١٧٢١م تطلب من صناجق مصر الاهتمام بأمر الرعية وشئون الحرمين والفقراء حتى يصلهم ( محمد باشا النشنجى ) ، وعندما وصل الأخير الى مصر أبرز خطا شريفا للتأكد من قضية ( ابن ايواظ ) خاصة بعد وصول أنباء متعارضة على لسان العلماء ، ففى يونيو ١٧٢١ طلب الصناجق معرفة مصير ابن ايواظ وموقف الدولة ، فاتضح عفوها عنه بشروط أهمها :

١ ـ تعويض الدولة عن مصاريف ـ ٥٠٠ كيس ـ التجاريد التى أرسلها الباشا ( رجب باشا ) ضد ابن ايواظ .

٢ ـ الحصول على باقى تركة كل من اسماعيل بك الدفتردار واسماعيل بك كتخدا الجاويشية . فضلا عن مائتى كيس مصرى كان قد تعهد بها جركس وقدم بها ( تمسكات ) مقابل عفو الدولة عنه هو واحمد أفندى الروزنامجى السابق ، وحتى ترجع اليهم بلادهم والتزاماتهم (*) .

وطالب الصناجق من الباشا عقد جمعية لمناقشة هذه القضايا وكان رأى ابن ايواظ الوفاء بكل ما سبق أن تعهد به ، ولكن جركس ابدى تحلله من وعده وطلب مهلة مائة يوم (٧) .

سعى ابن ايواظ ـ بعد انفراج الأزمة ـ الى كسب ود الباشا بدعوته الى عدة ولائم ( أغسطس ١٧٢٠ ) . بيد أن ( ابن ايواظ وجركس ) تخلفا عن حضور جلسات الديوان ، وعادت مشاعر العداء بين الرجلين . ثم توصل ( احمد بك الأعسر ويوسف بك الجزار ) لجعل المال المطلوب للسلطنة بايصالات وليس نقدا .

---

(*) بلغت قيمة الأموال التى تطالب بها الدولة ( بقية تركات وقيمة تمسكات ) حوالى ١٢٠٠ كيس مصرى .

(٧) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ وما بعدها .

Perry : op. cit., p. 174.

بدأ التوتر من جديد بين جركس وابن ايواظ وأخذت العلاقات تسوء وتدخل كل منهما لدى الأوجاقات لايجاد وسائل النفوذ والدعم ، واتخاذ اجراءات ضد أتباع كل منهما ، من ذلك عمل ابن ايواظ على اجبار أوجاق العزب فى ديسمبر ١٧٢١ لعزل ابراهيم افندى ( باش اوده باشى العزب ) من منصبه ، وجعله جوربجيا — مرغما — مع أنه كان يستند الى تأييد جركس بك ، وهو الذى استخدم هذا ( الأفندى ) وبعض العزب للتمرد على ( أحمد كتخدا أمير البحرين ) ونفيه . ولكنه هرب الى أوجاق مستحفظان واصر هذا الأوجاق على قبوله رغم أوامر الباشا بابعاده من كافة الأوجاقات (٨) .

عقدت جمعيات متعددة لمنع تدخل الصناجق المماليك فى شئون الأوجاقات، الا أنه بمجرد الانتهاء منها يعود كل منهم الى مسلكه ، فقد أصبح أغوات الأوجاقات وكبار القادة — غالبا — مسلوبى الارادة على أوجاقاتهم ، وصارت للصناجق السلطة فى اجراء تعديلات وفرض التغييرات المناسبة لمصالحهم .

خسر الايواظية ( يوسف بك الجزار ) فى فبراير ١٧٢٢ ، وتولى ابن ايواظ نظارة الجامع الأزهر خلفا له ، وفى نفس الشهر أرسلت الدولة فرمانا بالعفو عن جركس بك ، وخلع عليه الباشا ( كركا سمورا على جوخ أحمر ) ، وتعيين أحمد أفندى — الروزنامجى سابقا — على الروزنامه ، وبذلك توازن نفوذ كل من ابن ايواظ وجركس ، واتسع مجال الصراع بينهما الى الأقاليم ، اذ وقعت فتنة فى مارس ١٧٢٢ بين ( قائمقام ) ابن ايواظ وهو ( سليمان أبو دفية ) من ناحية وبين ( سالم بن حبيب ) وعربان الجزيرة من ناحية أخرى ، وهو الذى يحظى بتأييد جركس بك ، وارسل كل منهما مددا لتقوية ومساندة حليفه ، وسقط الضحايا ، وتطاول ابن حبيب — بدعم من

---

(٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ — ٢١١ .

جركس ــ الى قتل القائمقام ( نائب ) يوسف بك الجزار . فادرك الباشا بضرورة احتواء هذه الفتنة ، وعقد الصناجق جمعية فى بيت ( أغا المتفرقة ) حضرها ابن ايواظ وجركس ، وتمكن الصناجق من اجراء الصلح ووقف الاشتباكات .

تجدد النزاع مرة اخرى فى القليوبية بين ( قايمقام ) ابن ايواظ ، وابن حبيب ، فتدخل ابن ايواظ والصناجق وأجبروا الباشا على ضرورة ارسال تجريدة تتكون من كافة رجال الأوجاقات لمحاربة ( أولاد حبيب ) ومعاقبة البلاد التى تأويهم ، كما ضغط اختيارية الأوجاقات على جركس لاحترام الصلح ، ومنع حدوث الفتن ، فتظاهر بذلك وأعيد الصلح بحضور كتخدا الباشا والدفتردار وطلب من قائد التجريدة الأمان على باقى العربان والرعية ، فيما عدا العصاة من أولاد حبيب (٩) .

ومما يذكر أيضا جهود الشيوخ والعلماء فى تحسين العلاقات بين المتنافسين وتهدئة الأحوال ، فنجد الشيخ السادات يقيم مأدبة لكافة الصناجق حضرها ابن ايواظ وجركس بك لمحاولة تصفية المشكلات .

قامت التجريدة بالمهام المطلوبة حيث خربت ( دجوة ) ــ معقل أولاد حبيب ــ الذين هربوا الى الصعيد ، وشارك عرب الصوالحة فى نهب هذه الناحية وعادت فى ابريل ١٧٢٢ ، ولم يتخل جركس عن صداقته لأولاد حبيب فراسلهم سرا للعودة الى دجوة ، ووعدهم بالحصول على فرمان بالأمان ، وطلب جركس من أحمد بك الأعسر الدفتردار السعى لذلك الا أنه أوصى بضرورة موافقة ابن ايواظ ، فاشتعلت نفسه حقدا على خصمه ( ابن ايواظ ) (١٠) .

---

(٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
ــ مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢١٤ ــ ٢١٧ .
ــ يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ ــ ٣٩٧ .
(١٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ وما بعدها .
ــ Holt : Egypt. p. 90.

موقف الباب العالى من ( اسماعيل بك بن ايواظ ) :

تحسنت علاقة ابن ايواظ بالدولة وأرسل الباب العالى فى مايو ١٧٢٢ بالعفو عنه وخلع عليه الباشا قفطانا ، بعد أن عقد الديوان فى قراميدان — لأول مرة — كما صاحب ذلك دعاء وتقدير من السلطنة لابن ايواظ ، وفى هذا — كما أوضح المؤرخ — اهتمام من الدولة لم يسبق له مثيل . وانعكس هذا الاهتمام على علاقته بالباشا ، فتوثقت الصلة بينهما ، بينما زاد حقد جركس بك على خصمه ، وظهر من جديد تأييد الناس وحبهم لابن ايواظ ، فقد أقبلوا لتهنئته بالأمان ومنزلته لدى الدولة . وقد طالب الباشا — من جديد — جركس بك بما عليه من مال سبق أن تعهد به ، ولكنه تعلل بعدم قدرته على الدفع ، وساء موقف جركس لدى الدولة بعد أن أرسل طالبا تقسيط المبلغ على أربع سنوات فرفض الصدر الأعظم (١١) .

ضاقت السبل أمام جركس ، فاتجه الى أوجاق مستحفظان ليسانده ضد ابن ايواظ ، الا ان كبار الأوجاق طالبوه بدفع مال السلطنة ، فلا يجب أن يكون خصما لسيده السلطان ، وامتنع رجال الأوجاق عن التدخل فى صراعه ضد ابن ايواظ ، متمسكين بخضوعهم للسلطان فقط وأنهم جند الدولة ، وأمام هذا الموقف اضطر جركس لدفع ما عليه من المال ، وحصل على فرمان بالسداد والبراءة .

تطور النزاع بين جركس وابن ايواظ ووقف كل منهما لخصمه بالمرصاد ، واستعد كلاهما لجولة أخرى ، فبينما ملك جركس من الرميلة حتى قرب درب السادات ، ووزع رجاله وحصن بيوت مماليكه فى هذه المنطقة (١٢) . أرسل ابن ايواظ بحضور كافة نوابه ( قايمقامات ) بالأقاليم واستند على

---

(١١) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٤٣ — ٢٤٥ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ وما بعدها .
(١٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : ص ٣٥٦ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ وما بعدها .

توزيع رجاله فى بابى العزب ومستحفظان ، وفى الأوجاقات الأخرى ، وفى جامع السلطان حسن .

## دور اختيارية الأوجاقات فى الصراع المملوكى :

كان ابن ايواظ يشترى ولاء وتأييد رجال الأوجاقات — كما سبق — بالمال ، ولما انقطع توزيعه اجتمع اختيارية الأوجاقات — بعد أن رأى العسكر عدم جدوى هذا التدخل الذى يطول وأظهر الاختيارية استعدادهم للوساطة فى الصلح منعا للحرب ، واستقر الرأى على عقد جمعية فى بيت الشيخ ( عبد الخالق السادات ) حضرها ابن ايواظ وعن جركس حضر ( أحمد بك الأعسر ) وتداولوا القضية — وانحصرت شروطها على ما يأتى :

١ — استبعاد الصناجق عن التدخل فى شئون الأوجاقات .

٢ — عودة كل من خرج من أوجاقه الى رتبته فى نفس الأوجاق ويخلى سبيله من الأوجاق الذى احتمى به .

٣ — يتم تقسيم المناصب ( صنجقيات — كشوفيات ) مناصفة بين الشنبية والايواظية .

٤ — عدم التدخل فى وظيفتى الدفتردارية وأمير الحج وحسب القوانين القديمة يمكن التعيين من الدولة .

٥ — اعادة المنهوبات التى جمعها حمزة بك تابع ابن ايواظ .

وكان اسماعيل بن ايواظ متفقا على هذه الشروط فيما عدا بعض الملاحظات :

( أ ) اعترض على اجبار العسكر فى بقائهم بأوجاقاتهم مرغمين ، ورأى أن كل فرد فى الأوجاقات له الحرية فى الانتساب أو الالتحاق بأى أوجاق يروق له ، وهذا يعنى اباحة التنقل دون قيود .

( ب ) أن يعمل بتقسيم المناصب التساوى منذ بداية العام القادم وليس على الفور .

(ج) اعفاء تابعه من اعادة المنهوبات لمشتهر ، لأن عمله كان منصبا على العصاة من العربان الذين اتخذوها مأوى لهم (١٣) .

وبدا للصناجق والاختيارية أن المشكلة قد انتهت بعد موافقتهم على هذه الشروط ، وقرأوا الفاتحة للالتزام بها ، وتناولوا الشربات احتفالا بهذه المناسبة ، كما فرق كل من جركس وابن ايواظ جموعه من المماليك والعسكر المرتزقة .

وظهر من جانب جركس — بعد فترة قصيرة — عدم الالتزام بالاتفاق السابق ، وتعدى بعض مماليكه على خصومهم الأمر الذى جعل أغوات الأوجاقات والصناجق يلقون باللوم على جركس فى جمعية عقدوها فى بيته ( يناير ١٧٢٣ ) ، وعنفوه بشدة مهددين باخلاء سبيلهم فى هـذا الشأن ، فأبدى من جديد استعداده للذهاب الى بيت ابن ايواظ مباشرة اعلانـا للصلح ، فأحسن الأخير استقباله وقدم له هدية .

وفى مايو ١٧٢٣ حصل الايواظية على امارة الحج ( عبد الله بك تابع اسماعيل بك بن ايواظ ) فضلا عن الدفتردارية ، وأصبح ابن ايواظ نفسه — شيخا البلد — وبذلك يكون قد اكتمل نفوذه وسطع نجمه فى مصر (١٤) .

**دور البلاط الحاكم فى الباب العالى :**

لم يكد يمضى شهران حتى أفسدت التطورات على الايواظية هذه المكانة ، فقد عاد ( محمد بك بن أبى شنب ) من استانبول — وكان سردارا للخزينة — وقد سعى جاهدا لدى الأوساط الحاكمة الحصول على منصب بمصر ، فكانت ضربة للايواظية ، فهدد ابن ايواظ واتباعه الباشا العثمانى — نتيجة لما حل

---

(١٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ وما بعدها .

— الدمرداشى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ وما بعدها .

(١٤) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٦٨ وما بعدها .

— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ وما بعدها .

بهم — ، وانتقلت الخلافات بين الفريقين ( الايواظية ، والشنبية ) الى جلسات الديوان ، خاصة وقد خاب ظن الشنبية الذين اعتقدوا ارتفاع مكانتهم بعد حصولهم على الدفتردارية ، وتحكمهم فى شئون الولاية ، الا أن ابن ايواظ — وهو شيخ البلد — استمر متمتعا بهيبة ونفوذ سواء على رجال المالية ( الروزنامجى ) أو على العسكر ، الذين يقصدون قصره بمصر القديمة ، وتطورت الأمور الى صغار المماليك التابعين لكليهما واحتك السراجون ببعضهم فى شوارع القاهرة ، مما أدى لوقوع الفوضى والاضطراب وتعرض بعض الأهالى للقتل الخطأ ، فاضطر ( أغا مستحفظان ) — مكلفا من الباشا — فى ديسمبر ١٧٢٣ لمنع نزول السراجين شوارع المدينة تحاشيا لهذه التعديات (١٥) .

**دور القاضى العثمانى بمصر :**

حاول ( الشنبية ) استقطاب القاضى العثمانى والباشا الى صفهم لتعزيز جانبهم ضد الايواظية ، خاصة وقد تصادف رجوع ( محمد بن أبو شنب ) من استانبول مع هذا القاضى الذى كان فى حاجة الى المال فأقرضه ابن أبى شنب ( عشرين كيسا روميا ) وأبقى على علاقته الطيبة معه ، فكان كثيرا ما يدعوه الى الولائم ويصله بالهدايا .

تعرض القاضى العثمانى لأزمة حرجة ، بعد أن تقاضى رشوة — كيسا مصريا — ليجيب زوجة خازندار الى الطلاق بعد أن اجبر الزوج على ذلك ، فالتجأ الى أوجاق المستحفظان — وهو ينتمى اليه — فرفع الأوجاق العسكر الانكشارية المحافظين بباب القاضى وهددوا باحراجه لدى الباب العالى ، فانتهز ابن ايواظ هذه المناسبة ودعا الانكشارية لاختيار وكيل عن الزوج من الانكشارية ليقوم بالسفر الى استانبول لعرض الأمر على الصدر الأعظم ، فخشى القاضى المرتشى من هذا التصرف واضطر للجوء الى ( الايواظية ) طالبا العفو ، فتدخل ( ابن ايواظ ) لدى أوجاق مستحفظان.

---

(١٥) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

للصفح عنه ، ورغم ما بذله ابن ايواظ فى سبيل هذا القاضى ، الا أنه انقلب عليه وسعى لدى الباشا — بتأثير من الشنبية — وخاصة جركس بك ، العدو اللدود لابن ايواظ ، وتكونت مؤامرة تزعمها جركس والقاضى — بمعرفة الباشا — وتطور الأمر لدرجة عقد تحالف مؤقت بين الشنبية ( القاسمية ) وأعدائهم ( الفقارية ) ضد ( الايواظية ) القاسمية ، فاستغل جركس حدوث خلاف بين ابن ايواظ وأحد الفقارية حول حصة التزام ( قمن العروس ) ببنى سويف وشجعه على كتابة عرضحال الى الباشا يأخذ بموجبه فرمانا لصالحه (١٦) .

**اتفاق المصالح بين القاسمية ( الشنبية ) والفقارية :**

اتفق الفقارية مع جركس على تنفيذ هذه المؤامرة شريطة وجود جركس ورجاله بالديوان لحمايتهم ، وبث جركس عيونه يترقبون تحركات ابن ايواظ ، وفى ١٨ نوفمبر ١٧٢٣ عقد الديوان وحضره الجميع ، وتم تنفيذ المؤامرة بعد أن قدم زين الفقار لابن ايواظ فرمان الباشا حول حصة الالتزام ، وتظاهر باسترضائه وتقبيل يديه ، ثم طعنه فأراده قتيلا بالديوان ، وهرب جركس ومماليكه ، وكانت مفاجأة مذهلة لم يتوقعها الايواظية . وقد جنى المتآمرون ثمرة المؤامرة ، وظهر الفقارية — بمعونة القاسمية المتصارعين — من جديد وشغلوا المناصب التى كانت فى أيدى الايواظية .

وهكذا ارتفع شأن جركس الذى أصبح — شيخا للبلد — وتعقب الايواظية بالنفى والقتل حتى شتت شملهم ، وأمر الباشا ببيع مخلفات الصناجق الايواظية الخمسة ، وأتباعهم فى الديوان ، وتوثقت علاقة القاضى العثمانى مع جركس (١٧) .

---

(١٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .
(١٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٨٣ وما بعدها .
— Perry : op. cit., p. 175.
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ وما بعدها .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٨ .

وأفادت الدولة من الصراعات المملوكية السابقة فأرسلت تطلب فائض التزامات الصناجق الايواظية الخمسة لتضاف للخزينة السنوية .

كما ظهر العداء التقليدى بين القاسمية ( الشنبية ) والفقارية الذين تحالفوا من أجل مصالحهم ، وبدا هؤلاء يتمادون فى مطالبهم ، فتخوف جركس منهم ، وحتى يأمن جانبهم ، أخذ فى ابعادهم عن القاهرة فى ابريل ١٧٢٤ ، وأجبر اختيارية الأوجاقات على تأييده ضدهم متعللا بأنهم يسعون لقتله ، ورتب بذلك حجة مزورة بمحكمة طولون ، واتخذ اجراءات مشددة فأكثر من أتباعه المسلحين فى كل مكان خوفا من الانتقام والأخذ بالثأر . ورغم هذا لم يستقر جركس — لما عرف عنه من الجبن والخوف — الا بعد توسط الاختيارية وتدخل الباشا العثمانى لعقد صلح بين جركس وزين الفقار الذى تولى كشوفية المنوفية ، وألح جركس على خروجه الى الولاية وأعطاه بعض البلاد ( التزامات الايواظية ) لارضائه . وأحس جركس أنه يواجه عدوا قويا ومن المناسب أن يعفو عن الباقين من جماعة ابن ايواظ ويعيد بلادهم اليهم ، ليجد بذلك سندا ضد الفقارية ، كما وثق صلاته بالهوارة فى الصعيد . وكان جركس يخشى جانب زين الفقار — كاشف المنوفيـة — ورغم أن الأخير قد تسلط على ناحية ( البتنون ) وفرض مظالم جعلت أعيانها يشكون الى الباشا ، فطلب الكاشف الى الديوان ، الا أن جركس خشى من ذلك ، اذ ظن أنها مؤامرة للتخلص منه ، فعقد جمعيته وأظهر أن سبب الظلم هما آخران ( رضوان أغا — محمد أغا ) ، وتم نفيهما وحاسب الفقارية على التزاماتهم وأرسل الى كاشف المنوفية — الذى اعتذر عن هذه المحاسبة حتى يصل الى القاهرة — وكان جركس متيقظا لكل محاولة من شأنها الاطاحة به ، وعندما علم بأن الدولة أرسلت خطا شريفا بجعله حاكما لايالة جدة لابعاده عن مصر تمهيدا لقتله — بعث نفرا من رجاله استعانوا بالعربان لمقابلة أغا الدولة فى طريقه الى ( قطيا ) وقتلوه ، وأخفى الخط الشريف فى أواخر يوليو ١٧٢٤ (١٨) .

---

(١٨) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ وما بعدها .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ — ٣٣٥ .
— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤١٥ — ٤١٨ .
Perry ; op. cit., p. 177.

انتهز جركس فرصة وجود عدوه زين الفقار فى مولد السيد البدوى بطنطا ، فاستصدر فرمانا من الباشا بنفيه الى ( قمن العروس ) تمهيدا لقتله سرا ، ورفع صنجقيته ، الا أن الأخير كان داهية ، ولم تنطل عليه وتحايل على الحرس الذين قبضوا عليه حتى أفلت من أيديهم فى أغسطس ١٧٢٤ .

تزايدت سطوة جركس واستشرى ظلمه ، بعد أن عين أحد أتباعه ( أحمد أغا لهلوبه ) واليا ، وقد استبد بالرعية كما أن جركس كان يبعث أتباعه للاستيلاء على أموال كبار التجار ونهب بيوتهم ، ثم عين هذا الوالى ( أغا مستحفظان ) لتكون له اليد الطولى على الأوجاق ، والهيمنة على شئون الأمن بالقاهرة . كما تعاظم جركس فى نفسه ، فامتنع — هو وصناجقه — عن حضور جلسات الديوان ، الأمر الذى أساء الى الباشا وفكر فى التخلص منه ، فأظهر خطا شريفا برفع صنجقيته وبعث بفرمانات الى كافة الأوجاقات والعلماء والأشراف باعتزاله وعدم الاجتماع به ، وحذرهم من مغبة المخالفة (١٩) .

ولم يكن الباشا حكيما فى تصرفه ، فما أن علم جركس بذلك حتى أرسل تذاكره الى كافة الأغوات بالأوجاقات واختياريتها والعلماء ، وقد تردد هؤلاء عن الحضور اليه ، الا انه كان معروفا بظلمه يخشون مخالفته ، وكان جركس قد أعد كمينا لهؤلاء ، فبعد أن أكرمهم ولاطفهم شرح لهم ما بلغه من نية الباشا ، وهددهم جميعا بالقتل اذا رفضوا الموافقة على عزل الباشا فما كان أمامهم سوى الاذعان له ، وكتبوا عرضا يتناول ظلم الباشا واثارته الفتن بمصر يحمل توقيعاتهم فى يوليو ١٧٢٥ ، وأرسل جركس عددا من الفرسان الى جبل المقطم لتوجيه بنادقهم نحو القلعة وبعث الى الباشا مخيرا اياه أما النزول سلما أو المحاربة ، فاختار الأولى ، وفى ١١ أغسطس

---

(١٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٣٨ .
Perry : op. cit., p. 178.

أرسل العرض السابق الى الدولة ، واختار جركس بك ابن سيده ( محمد بك بن أبى شنب ) ( قائمقاما ) وأصبح الأخير يعقد الديوان فى ( قصره ) مخالفا بذلك المألوف : « هذا لم يقع لغيره من القايمقامات وصفا الزمان لجركس ... » (٢٠) .

**موقف الباب العالى من ( جركس بك — شيخ البلد ) :**

مكث ابن أبى شنب أربعة أشهر ( قائمقاما ) حتى وصل ( جن على باشا ) فى نوفمبر ١٧٢٥ ، ولم يخف جركس لاستقباله كالعادة فى بولاق ، بل اكتفى بتهنئته بعد وصوله ( قصر العينى ) وخلع الباشا الجديد عليه وكافة الصناجق . ويبدو أن الدولة قد بلغها — عن طريق الباشا المعزول — ما وصل اليه جركس من تحدى للقوانين السائدة ، فأرسلت خطوطا باجراء تغييرات جديدة ، حيث أسندت الدفتردارية الى ( أحمد بك الأعسر ) وشياخة البلد الى ( محمد بك بن أبو شنب ) بدلا من جركس ، ومنعت عقد أن جمعية أو ديوان خارج القلعة الا بفرمان من الباشا نفسه ، ورغم هذا لم يحضر ابن أبى شنب أول ديوان عقده الباشا فى ديسمبر ١٧٢٥ متعللا بمرضه ، وقد تكرر هذا الموقف من جركس وابن سيده (٢١) .

وكان الباشا ورجاله مكلفين من الباب العالى بدراسة ما يجرى بولاية مصر من قبل أمراء المماليك ، فعندما سعى جركس لكسب ( جاويش الباشا ) لم يجد استجابة وأوضح أن ما يدور فى أذهان السلطنة أقل بكثير مما يحدث فعلا فى شئون مصر السياسية ، وكان دأب الصناجق وأمراء المماليك دائما التظاهر بالخضوع للدولة وأنهم عبيد السلطان ، وشراء عطف الباشا ورجاله بالهدايا الثمينة فى كل مناسبة ، لكن ( جن على باشا ) اتخذ — فى البداية — موقفا صلبا تجاه جركس وصناجقه من الشنبية ، بعد

---

(٢٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٥٦ وما بعدها .

(٢١) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ — ٢٤٢ . — الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ وما بعدها .

أن عقد ديوانا ضم كبار أغوات الأوجاقات وطلب من كتخدا مستحفظان ( أحمد كتخدا الخربطلى ) متابعة تنفيذ ذلك واعلام باقى الأوجاقات . ووافق اختيارية الأوجاقات على أوامر السلطنة ، فكتب حجة بموافقتهم فى ٢٤ ديسمبر ١٧٢٥ ، حتى يخلى الباشا مسئوليته تجاه الدولة فى هذا الشأن . ومن ناحية أخرى اتخذ جركس موقفا متشددا واستمر على تخلفه عن الديوان وبدأ يتحرش برجال الباشا ، كما أمر العلماء بعدم الاجتماع بالباشا أو القاضى العثمانى (٢٢) .

**ارتفاع شأن جركس بك :**

لم يجد الباشا أمامه سوى قبول الأمر الواقع ، وقبل الرشوة وسلم بسيادة جركس ، وانتهت بذلك رياسة مصر الى جركس وملك ما لم يملكه غيره .. « وهو جالس ببيته لم يطلع منه ولا الى صلاة الجمعة » . وتمكن جركس فى فترة قصيرة من احتواء الباشا ورجاله وذلك باغداق الصلات وسعى الى ارسال عرضين ردا على تساؤلات السلطنة ، عن أحوال مصر ، مبينا للباب العالى أن جركس بسبب صلاح الأمور بها ، وأنه تمكن من استئصال شأفة المفسدين — الايواظية — ولولاه لكانت البلاد خرابه ووجوده بمصر كوجود النيل بالبلاد على حد قول المؤرخ (٢٣) .

وكان جركس يعرف كيف يتعامل مع رجال الدولة فى استانبول ويحوز رضاهم فأرسل صحبة أغوات دار السعادة حوالى مائة الف دينار زنجرلى للسلطنة والصدر الأعظم وأغوات الحريم لاظهاره مطيعا له والسلطان وابراز أهمية وجوده فى مصر .

---

(٢٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : ص ٤٥٨ — ٤٦٠ .

— Perry : op. cit., p. 179.

(٢٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٦٤ وما بعدها .

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٦ وما بعدها .

أسر الباشا المعزول ( محمد باشا النشنجى ) فى نفسه حقدا على جركس بك ، وكان لا يزال فى القاهرة — وربما بايعاز من الباشا الحاكم ( جن على باشا ) — حيث قام جاويشه بالاتفاق سرا مع زعماء الفقارية الموجودين بالقاهرة ( زين الفقار ) وبقايا القاسمية ( الشواربية ) ( أتباع رضوان بك أبو الشوارب ) وحصل منهم على المال اللازم ( ثلاثمائة كيس مصرى ) ، لاستخدام رجال الأوجاقات الخارجين على طاعة جركس ، وتمكن المتآمرون من تملك باب العزب وأسهم الباشا الحاكم بدوره بأن عين أغوات جدد للأوجاقات بعيدا عن تأثير جركس ، كما اختار أغا مستحفظان وواليا من الفقارية (٢٤) .

أمر الباشا الحاكم ( أغات مستحفظان ) بنصب بيرق فى الرميلة والنداء على كافة الصناجق والأغوات والعسكر الطائعين للدولة بالحضور ، وأظهر خطا شريفا يجعل ( جركس بك ) ( باشا ) ويتوجه لحكم ( غزة ) واذا رفض وجب قتله بموجب فتوى شيخ الاسلام .

**نهاية جركس بك ( الشنبية — القاسمية ) :**

لم يقبل جركس هذا الأمر الصادر له من الدولة — كما يدعى الباشا — ودارت المعارك بين الجانبين تبادلا فيها النصر والهزيمة ، وانتهت بهزيمة جركس وفراره هو وأتباعه فى فبراير ١٧٢٦ ، ونهبت بيوت جركس وصناجقه .

حرض ( جاويش الباشا ) العلماء والصناجق على عزل سيده ( جن على باشا ) لاخفائه أمر الدولة بتعيين جركس باشا على غزة هذه الفترة ، ليتولى ( الباشا ) المعزول من قبل جركس الحكم ( محمد باشا النشنجى ) .. وعمد اختيارية الأوجاقات الى استبعاد كافة العناصر الموالية لجركس ، من صفوف الأوجاقات وقتل ونفى أغلبهم .

---

(٢٤) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ — ٢٦٩ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٦٩ — ٤٧١ .

كان خروج جركس حادثا سعيدا لأهل مصر ، بل اقيمت الاحتفالات ، بسبب ما أصابهم على يديه من ظلم فادح . أما جركس فقد اتخذ طريقه الى عربان البحيرة — حيث كان كاشفا من قبل — وسافر ورجاله صحبة الركب المغربى الى المغرب فى يوليو ١٧٢٦ ، ولجأ الى سلطان المغرب ، وهنـاك تبدلت أحواله من العز الى الذل ، ورفضت الدولة وساطة سلطان المغرب ، ونظرا لحاجتها للمال ، وافقت على عرض ملك فرنسا نظير ( ثلاثة آلاف كيس ) تسلم من قنصل فرنسا باستانبول ( ديسمبر ١٧٢٦ ) (٢٥) .

وفى أواخر ١٧٢٧ ، تمكن جركس بك من العودة — سرا — الى مصر ، واخذ فى تهديد ( زين الفقار بك ) بمراسلاته — لاقتحام مدينة القاهرة ، مما جعله يخشى شـبح ( القاسمية ) واحتاط لنفسـه فتتبع بقاياهم فى الأوجاقات العسكرية والمنتشرين بالأقاليم . فجهز ( زين الفقار بك ) تجريدة فى أبريل ١٧٢٩ اتجهت الى جرجا ، حيث يستقر جركس بك لدى حاكم جرجا ( سليمان بك ) ، ولكنها عادت مهزومة ، وتشتت رجالها ، بعد أن تعرضوا للنهب من جانب مماليك سليمان بك ، وعربان وأهالى طحطا ، وواصـل جركس بك وبقايا الشنبية ( القاسمية ) زحفهم لمطاردتها حتى البدرشين (٢٦) .

أصيب زين الفقار بك بخيبة أمل ، وفكر فى انفاذ تجريدة أخرى بأقصى سرعة لتدارك الموقف ، الا أنه اصطدم برفض الباشا امداده بالمال اللازم — فاتجه الى ابتزاز التجار للحصول على المال ، وفى أيام قلائل كون التجريدة التى ضمت حوالى أربعة آلاف من العسكر يساندهم عربان ( بنو حبيب — الجزاير — العشير ) ، وتمكنت هذه التجريدة من تحقيق الانتصار عـلى

---

(٢٥) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٧٢ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ص ٤٩٢ وما بعدها .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .
Perry : op. cit., pp. 179-181.
(٢٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٤ .

قوات سليمان بك فى البدرشين والقاء القبض عليه ، وبعد أن فقد جركس حليفه ، عرج الى ولاية البحيرة ، وعاث فسادا ونهبا ، ثم تراجع الى البهنساوية والواحات ، وهو يتهرب اذا ما أحس بقدوم تجريدة ضـــده ، واستمرت مطاردته حتى لقى حتفه فى ١٨ ابريل ١٧٣٠ ، عندما كان يحاول عبور النيل الى البر الشرقى متجها لناحية ( شرونه ) بالمنيا ، ولم يظفر ( زين الفقار بك ) بخصمه ، فقد اغتيل قبل نهاية جركس بعدة أيام ، على أيدى بقايا الايواظية ( القاســمية ) فى مؤامرة خادعة . ويرى المؤرخ أن التجاريد التى أرسلت لمحاربة جركس بك وحلفائه كانت متعددة ، واستغرقت ما يقرب من عام ، وكلفت الفقارية حوالى عشرة آلاف كيس مصرى (٢٧) .

وبوفاة جركس بك انتهت سيطرة القاسمية بشكل قاطع ، وصــار للفقارية أصحاب النفوذ فى السنوات التالية إبان القرن الثامن عشر .

ومن خلال التطورات السياسية السابقة ، يمكن أن نستخلص عدة أمور :

**أولا** : استخدام أمراء المماليك ــ المتصارعين حول شياخة البلد ، والمناصب الأخرى ( اسماعيل بك بن ايواظ ــ محمد بك جركس ) ــ الأوجاقات العسكرية لتكون بمثابة وسيلة يرتكزون عليها فى سبيل تحقيق هذه الأطمــاع .

**ثانيا** : تمكن أمراء المماليك من الحصول على دعم رجالات الأوجاقات ــ فى بعض الأحيان ــ باغداق الأموال لتوزيعها على العسكر .

**ثالثا** : تدخل أمراء المماليك فى الكيانات الداخلية للأوجاقات ، لاجــراء تعديلات ــ بما يخدم مصالح كل منهم ويحمى نفوذه .

---

(٢٧) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٥٨ ــ ٣٨٥ .
ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٥٧ ــ ٥٦٧ .
Perry ; op. cit., pp. 181-184.
ــ الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ــ ١٤٠ .

رابعا : صار أغوات الأوجاقات مسلوبى الارادة فى شئون أوجاقاتهم ، وأصبح الأمر بأيدى كبار الأمراء المماليك من الصناجق .

خامسا : رغبة كبار أمراء المماليك فى التخلص من نظم الأوجاقات وتقاليدها الباقية باتاحة الفرصة أمام رجالها للانتقال من أوجاق لآخر — بما يتمشى مع رغباتهم — مخالفين بذلك بنود قانون نامه مصر .

سادسا : اتجاه الباشا العثمانى — أحيانا — لاستخدام الأوجاقات بتقديم المال ، وذلك لتنفيذ أوامر الدولة تجاه بعض أمراء المماليك مما يعكس فقدان سيطرته على الكيان العسكرى بالولاية .

سابعا : لعب اختيارية الأوجاقات — أحيانا — دورا فى تصفية العلاقات المتأزمة بين أمراء المماليك المتنافسين .

ثامنا : ضياع هيبة السلطة العسكرية الحاكمة ، فى نظر أمراء المماليك خاصة وقد نفذت فى الديوان بحضور الباشا مؤامرة لقتل ( اسماعيل بك بن ايواظ ) ، كما رفضوا الامتثال لأوامر الدولة وقتلوا مبعوثيها .

تاسعا : اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية فى لدول العثمانية يجعلها تغض الطرف عن خطورة أمراء المماليك ( جركس بك ) ، وتقبل الأموال للعفو عنهم ، ووساطة الدول الأوروبية ، كما أنها تؤثر السلامة تاركة البيوت المملوكية تصفى بعضها بعضا ثم تطالب بالتركات والحلوانات .

عاشرا : تعد حركة ( جركس بك ) ارهاصا للتفوق الواضح لأمراء المماليك على عهد ( على بك الكبير ) فى ستينيات القرن الثامن عشر .

حادى عشر : انقسام القاسمية الى بيتين متصارعين ( الايواظية والشنبية ) ولجوء أحدهما ( الشنبية ) لضرب الآخر عن طريق العدو المشترك ( الفقارية ) .

ثانى عشر : انتهاء تسلط القاسمية ( الشنبية ) بعد نهاية جركس بك (١٧٣٠) ليخلو المسرح السياسى أمام الفقارية حتى أواخر القرن الثامن عشر .

# الفصل التاسع

## الأوجاقات العثمانية

### من نهاية فتنة جركس بك حتى حملة حسن باشا قبطان

### ( ١٧٣٠ — ١٧٨٦ )

**نتائج فتنة جركس بك :**

بانتهاء ( فتنة جركس ) التى شغلت المسرح السياسى بولاية مصر لفترة ليست قصيرة ، حافلة بالتطورات والأحداث ، انزوت طائفة القاسمية بعيدا عن معترك الصراعات السياسية منذ سنة ١٧٣٠ ، وأصبحت الساحة مهيأة أمام طائفة الفقارية صاحبة الغلبة . ولقد شهدت الفترة التالية ( ١٧٣٠ — ١٧٦٠ ) صراعات مماثلة لما سبق داخل كيان الطائفة الفقارية نفسها خاصة وقد انعدم — تقريبا — تأثير القاسمية الذى يوحد صفوف الفقارية . وبموت زين الفقار بك على أيدى ( الأيواظية ) القاسمية ، غابت أكبر زعامات الفقارية ، وبدأ يتصدر هذه الطائفة فرع جديد من بين صفوفها ( القطامشية ) بزعامة ( محمد بك قطامش ) ، وتمكن من شغل منصب أمير الحج هو وتابعه ( على بك قطامش ) فضلا عن منصب الدفتردار ، وتوجت مكانته السياسية بوصوله الى ( قائمقام ) الباشا وشياخة البلد ( زعيم المماليك ) يوليو ١٧٣٣ ، ولم يرض الفقارية عموما بهذا التفوق للقطامشية ) فسرعان ما تحاك المؤامرات ، ضد زعامة القطامشية متخذة أسباب شكلية ، ومن الطبعى أن يستجيب الباشا العثمانى لهذه الصراعات ،

ليضمن لنفسه مصادرة المهزومين والحصول على حلوانات المناصب من جديد (١) .

وكان أطراف المؤامرة ( صالح كاشف القاسمى ) ، ( عثمان كتخدا القازدغلى ) وقد تمتع الأخير بنفوذ هائل فى باب مستحفظان وشئون الولاية ، وحقق المتآمرون بغيتهم بالتخلص من ( محمد بك قطامش ) وتابعه على بك ، وذلك بعلم الباشا .

انتقلت رئاسة الفقارية الى ( عثمان بك ذو الفقار ) وكان قد شغل عدة مناصب ادارية وكشوفيات خلال وجود سيده ( ذو الفقار بك ) وتولى ، خلفاء القطامشية ، امارة الحج عدة مرات ، وأحس بقوته ، فسعى للانفراد بالسلطة ( ١٧٣٧ — ١٧٣٨ ) ، وفى عهده أرهب قبائل العربان وأوقف غاراتهم على الأقاليم ، كما أمن المدن من عناصر الفوضى والشغب ، وحظى ازاء هذه الجهود بحب الشعب لعدالته وحزمه ، كما كان يجالس أهل العلم ، ويسعى لحضور دروسهم ومن هؤلاء الشيخ ( حسن الجبرتى ) — والد المؤرخ المشهور — .

تحالف عثمان بك ذو الفقار مع ( رضوان كتخدا الجلفى ) الا أن الأخير ترك شئون السياسة والسلطة لحليفه وانصرف لحياة الترف وتشييد القصور الفخمة ومجالسة الشعراء والأدباء ، وقد تعرض عثمان بك ذو الفقار لمؤامرة دبرها ضده منافسه ( ابراهيم جاويش القازدغلى ) الذى أيده الباشا ( سليمان باشا العظم ) عندما كان عثمان بك خارج البلاد أميرا للحج الا أن المؤامرة فشلت مما أشعل الصراع بين المتنافسين أبناء الطائفة الفقارية (٢) .

---

(١) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٨٠ — ٥٨٢ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤١٢ — ٤١٤ .
Perry : op. cit., p. 187.
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ — ٣٤٨ .
(٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٠ — ٣٣٣ .

اهتم ابراهيم جاويش القازدغلى بالاكثار من المماليك لتقوية جانبه واستمال حليف منافسه ( رضوان كتخدا الجلفى ) فاصطدم الجانبان عندما ساند عثمان بك ذو الفقار شيخ عربان هواره ( همام بك ) فى نزاعه ضد ابراهيم جاويش القازدغلى ، بشأن احدى حصص الالتزام ، رهنها ( شيخ العرب ) لدى ابراهيم جاويش ، وعمل على التحلل من اتفاق سابق بينهما ، وتعرض عثمان بك ذو الفقار لاعتداءات خصمه ، اضطر ازاءها الى مغادرة العاصمة ، متجها الى الوجه القبلى ، بعد أن نهبت بيوته هو ومماليكه ، وأحرقت على أيدى خصومه . ولم تجد محاولاته لاستمرار الصراع مستندا الى بقايا القاسمية المشتتة بالصعيد ، فاختار مغادرة مصر الى استانبول ، التى قضى فيها بقية حياته الطويلة ، وكان خروجه سنة ١٧٤٤ حدثا سيئا لدى أهالى مصر لما كانوا يكنونه له من تقدير ومكانة طيبة ، واتخذوا هذا العام بداية لتاريخ حدوثهم (٣) .

**ارتفاع شأن القازدغلية :**

تقاسم الحليفان ثمرات الانتصار على عثمان بك ذو الفقار ، وخلت الساحة لابراهيم كتخدا القازدغلى ، الذى تولى كتخدائية مستحفظان ، وهى تعطى لصاحبها صلاحيات ومكانة مرموقة ، وتعرضا لمؤامرة من جانب الباشا العثمانى ، محاولة منه للانفراد بالسلطة دونهما فى شئون الولاية ، ولكنهما بادرا بالتصدى للمؤامرة فى مهدها ، واستعان كل منهما بمماليكه وتحرج مركز الباشا ( محمد باشا راغب ) ولم يكن أمامه سوى ترك مقر حكمه معزولا ( سنة ١٧٤٨ ) . وطغت شخصية ( ابراهيم كتخدا القازدغلى ) على حليفه ( رضوان بك الجلفى ) ، وبعد وفاته سنة ١٧٥٤ ، تعرض الأخير لمناورة المماليك القازدغلية واغراهم فى ذلك قلة مماليكه وابتعاده عن شئون السياسة ، واندلعت المعارك بين الجانبين أسفرت عن تغلب القازدغلية .

---

(٣) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٣٥ — ٤٣٨ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٨ — ١٨٥ .
Perry : op. cit., p. 188.
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٣٨٥ — ٣٨٨ .

وفرار ( رضوان كتخدا الجلفى ) الى الوجه القبلى حيث توفى بعد شهور قلائل ، وبوفاته تداعى بيت ( الجلفية ) .

سيطر القازدغلية على شئون الولاية ، وكان يتصدرهم عدد من الصناجق الذين حصلوا على الصنجقية فى حياة أستاذهم ( ابراهيم كتخدا القازدغلى ) وهم ( عثمان بك الجرجاوى ، على بك الغزاوى ، حسين بك كشكش ) .

وأصبح عثمان بك الجرجاوى صاحب الكلمة والسيادة سنة ١٧٥٦ ، ولم يكن ( عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ) — وهو كبير القازدغلية — من الكفاءة العسكرية لما يؤهله لتولى منصب شيخ البلد ، وهو الذى عرف بصاحب العمائر والخيرات بمصر . كما لم يحسن عثمان بك الجرجاوى التعامل مع خشداشيته وتطلعت نفسه للتسلط والنفوذ ، الأمر الذى جعلهم يعملون على خلعه عن ( شياخة البلد ) واختيار خشداشهم ( حسين بك الصابونجى ) فى بداية ١٧٥٧ (٤) .

شرع حسين بك الصابونجى فى تهيئة المناخ السياسى ، وكان عادة ما يفكر فى التخلص ممن يخشى خطرهم فأخذ فى نفى خشداشيته من اتباع ( ابراهيم كتخدا القازدغلى ) معتمدا على فرمان من الباشا ، ولم يكد ينقضى عام على حكمه حتى دبر خصومه مؤامرة استعانوا فيها ببعض أتباعه وقتل فى ٢٥ نوفمبر ١٧٥٧ . فأصبح على بك الغزاوى — بموافقة ( الابراهيمية ) — شيخا للبلد ، وحاول كسب خشداشيته الى صفه فأعادهم من المنفى ، وصار أميرا للحج سنة ١٧٥٩ ، وترك فى مشيخة البلد بدلا عنه ( خليل بك الدفتردار ) ، وكان الغزاوى قبل سفره الى الحجاز قد اتفق مع شيخ البلد المذكور على التخلص من ( عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ) ولكن الحيلة لم تنجح وافتضح أمرهما .

---

(٤) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٢ وما بعدها .
Perry ; op. cit., pp. 210-215.
Holt : Egypt and the Fertile crescent, p. 92.

تزايدت الأحقاد بين عبد الرحمن كتخدا والغزاوى ، وسعى الأول الى كسب ( على بك بلوط قبان ) ، وتغلب على كل الصعوبات حتى يتمكن من تنصيبه شيخا للبلد ، ليستعين به على خصومه السابقين ، ونظرا لما يتمتع به عبد الرحمن كتخدا من مكانه فى نفوس المماليك الابراهيمية ــ باعتباره ابن أستاذهم ــ وافقوه على جعل ( على بك ) المذكور شيخا للبلد فى أوائل ١٧٦٠ ، فى غياب على بك الغزاوى بالحجاز ، وعندما علم بهذه التطورات التى أصبحت فى غير صالحه لم يرافق موكب الحج الى مصر ، بل اتخذ طريقه الى غزة محاولا بذلك الاستعداد لمنافسة شيخ البلد ، ولكنه لم يتمكن من ذلك (٥) .

وعندما وصل على بك الى مشيخة البلد بتعضيد عبد الحرمن كتخدا ، وموافقة المماليك الابراهيمية ، لم يكن مستندا الى أساس ثابت يدعم مركزه ، فقد كان من الضرورى تكوين عدد كبير من المماليك التابعين لسيادته والعاملين فى خدمته ، ومن هنا شرع على بك فى الاكثار من شراء المماليك وتقليدهم المناصب ، وظهرت ثمار جهوده منذ سنة ١٧٦٧ عندما أصبح معظم البكوات والصناجق فى سائر الأوجاقات من اتباعه وخشداشيته الموالين له ، فضلا عن اهتمامه بالاعتماد على المرتزقة من مختلف الجنسيات ( مغاربة ــ متاولة ــ دروز ــ يمانية ) .

وتولى على بك امارة الحج ( ١١٧٧ ــ ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م ) فجعل ابن سيده ( عبد الرحمن كتخدا ) شيخا للبلد ، وبعد رجوعه من الحجاز اخذ يسعى للانفراد بالسلطة ، وبدأ فى ابعاد الصناجق ذات النفوذ ، وعلى رأسهم ( عبد الرحمن كتخدا ) نفسه الذى تم نفيه الى الحجاز بموجب فرمان من الباشا ، فى أوائل ١٧٦٦ .

---

(٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٣ .

Hammer : Histoire de l'Empire Ottomane : Tome 16. — Paris 1839, pp. 146—148.

ولم يبق أمامه سوى ( حسين بك كشكش ) خشداشة و ( صالح بك ) — وهو من بقايا الاقاسمية — لذلك أسرع بنفى صالح بك ، وأبعد الى حسين بك حكم جرجا ، ولكن صالح بك استطاع الهروب من منفاه فى دمياط الى الصعيد ، ولجأ الى شيخ العرب همام واجتمع مع كافة أعداء على بك من البيوت المملوكية السابقة (٦) .

خشى على بك من تزايد خطر خصومه فى الصعيد ، فحصل على فرمان من الباشا بانفاذ تجريدة عسكرية بقيادة تابعه أبو الذهب ضد صالح بك ، وذلك بحجة أنه منع ارسال الغلال وأموال الميرى الى القاهرة ، ولكن التجريدة فشلت فى مهمتها .

كما تعرض على بك لعداء خشداشة ( حسين بك كشكش ) الذى خشى على نفسه من المؤامرات ، وترك منصبه فى جرجا ، متجها الى القاهرة ، ولم يستجب لفرمان الباشا بنفيه ، وساءت العلاقات بين الجانبين لدرجة اضطر أمامها على بك أن يحنى الرأس للعاصفة ، تاركا منصبه وممتثلا لعدوه واتجه منفيا الى غزة ومعه عدد من مماليكه على رأسهم أبو الذهب سنة ١٧٦٧ . وفى هذه الأثناء انفرد ( حسين بك كشكش ) بامارة الحج ، وتولى خليل بك ( مشيخة البلد ) واتجهت نيتهما الى مقاومة صالح بك فى الصعيد ، الا أن على بك رجع من منفاه الى القاهرة فجأة وسعى لكسب ود خصومه الذين اختلفوا فى أمره واستقر رأيهم على نفيه الى الصعيد حاكما على ( النوسات ) بينما أبعد مماليكه فى أسيوط (٧) . ويشير المؤرخ بأن على بك عندما كان فى حكم النوسات بالصعيد تمكن من تدبير مؤامرة بالاتفاق مع ( حسين بك جوجو ) تابع كشكش ونفر من الجلفية بغرض القضاء على الحاكمين بالقاهرة ، وذلك عندما خرجوا لتهنئة ( حمزة باشا ) بالعيد فى قصره ، وانتهت بمقتل ( عثمان بك الجرجاوى ) وجرح حسين بك كشكش ، وقد

---

(٦) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٦ — ٢٥٩ .

Holt : Egypt, p. 94.

(٧) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥٥ وما بعدها .

شك الصناجق فى نية الباشا فعزلوه ونصبوا خليل بك ( قائمقام ) ( سنة ١١٨٠ هـ / ١٧٦٧م ) .

ونفى على بك الى أسيوط أصبح على مقربة من صالح بك القاسمى واتفق المنفيان المطرودان على التحالف فى ضيافة شيخ العرب همام ، وحلفا على الكتاب والسيف ، فتمكن الحليفان من تجهيز قوة عسكرية كبيرة وزحفا الى القاهرة .

وأمام هذه التطورات أخذ ( حسين بك كشكش ) فى تكوين تجريدة للتصدى لخصومه ( المنافى ) الا أن العلماء وعلى رأسهم الشيخ ( الحفناوى ) رفضوا ذلك لما فيه من اضطراب للأمن وهلاك للرعية ، وسعى الشيخ للوساطة بين المتخاصمين ، الا أنه مات قبل ابرام الصلح (٨) .

وتقدمت التجريدة بقيادة حسين بك كشكش نفسه وعدد من الصـــناجق الآخرين ، الا أنها هزمت فى ( بياضيه ) ببنى سويف فى ١٢ أكتوبر ١٧٦٧ . ولم يوافق الباشا على امداد شيخ البلد ( حسين بك كشكش ) بالمال اللازم ( مائتى كيس ) لتجهيز تجريدة أخرى ، ومنع رجال الأوجاقات من الاستجابة لرغبته مما اضطره الى مغادرة القاهرة قاصدا بلاد الشام ، يصحبه مماليكه وصناجقه .

ونجح على بك فى العودة الى القاهرة فى اكتوبر ١٧٦٧ واتبع سياسة معتدلة تجاه أتباع خصمه ( حسين كشكش ) والتف حوله معظم الصناجق وقادة الأوجاقات ، كما اهتم بكسب عطف الباشا وتأييده ، وشرع فى التخلص من المنافقين ، وممن يخشى خطرهم من الصـــناجق القازدغلية ورجـــال الأوجاقات .

اضطر على بك الى استئناف الصراع على السلطة بعد أن فوجىء

---

(٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ص ٣٥٧ وما بعدها .

بعودة خصومه ، فقد جمع حسين بك كشكش وصالح بك المماليك وجهزوا العديد من المرتزقة وزحفوا الى دمياط ثم المنصورة فى منتصف ١٧٦٨ واستمالا الى جانبهما عربان ( بنى حبيب ) ، وأرسل على بك تجريدة من المماليك ورجال الأوجاقات وساندة الباشا حيث أمر كل من كان وجاقليا بالخروج الى التجريدة أو ارسال بدل . وقد تمكن حسين بك كشكش من هزيمة التجريدة قرب ( سمنود ) وواصل زحفه الى ولاية الغربية ( طنطا ) بينما اتجه صالح بك الى شيخ العرب همام (٩) . فتحرج موقف على بك من جديد واضطر الى تجهيز تجريدة ضخمة بقيادة مملوكه أبو الذهب وعدد كبير من الصناجق واتجهت الى ( طنطا ) مايو ١٧٦٨ ، حيث عسكر خصمه ولجأ الى محاصرة المدينة وقطع المؤن والعتاد والذخيرة عنه ، الأمر الذى أجبر حسين بك كشكش ورجاله على طلب الأمان ، بعد عجزه عن مواصلة الصراع . وانتهت هذه المعركة الفاصلة لصالح على بك ، وتمكن من القضاء على خصومه كلية .

وخلال تلك الجولة كان صالح بك قد وجد أنه لا سبيل لديه سوى الانضمام الى على بك ، وشارك فى التجريدة السابقة ، وبعد النصر رجع الى القاهرة ، ولكنه كان يخشى سوء نية على بك الذى تخلص من كل خشداشيته تقريبا ( القازدغلية ، الابراهيمية ) وكون لنفسه بيتا مملوكيا جديدا ( العلوية ) ولم تكد تمضى عدة شهور حتى دبرت مؤامرة أودت بحياة صالح بك القاسمى ، وبذلك قضى على بك على كافة الصناجق الأقوياء الذين أعترضوا طريقه للقبض على زمام السلطة فى ولاية مصر سنة ١٧٦٨ ، والاستمرار فى منصب ( شيخ البلد ) (١٠) .

---

(٩) نفس المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٦ وما بعدها .

Holt Egypt, p. 95.

(١٠) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٧ وما بعدها .

— Bruce : Voyage aux Sources du Nil. Tome II. Lonres, 1791, pp. 277–285.

**انفراد على بك الكبير بشئون الولاية ( المماليك العلوية ) :**

انتهج على بك أسـلوب استرضاء الدولة العثمانية فى البداية فاهتم بارسال المال الميرى والهدايا للسلطان ورجال الباب العالى ، وحرص فى نفس الوقت على ايجاد دعامات قوية تسانده فى دوائر الباب العالى ، وأظهر خضوعه وامتثاله لسلطة الباشا العثمانى بمصر ، ونجح بهذا الاسـلوب فى أن يحوز رضا الدولة وأرسلت ما يؤكد هذا المعنى ، ومن دلائل حسن العلاقة التى توثقت بين على بك والباشا العثمانى ، قبول الأخير دعوتـه الى بيته — القائم على بركة الأزبكية — لحضور الولائم واستقبال الهدايا ، وامتدت سياسته لتشـمل أعيان الولاية من كتخدا الباشا وكبار رجالات الأوجاقات وخاصة قادة الانكشارية الأقوى نفوذا .

اتخذ على بك خطوات هامة فى سبيل اضعاف الكيان العسكرى للأوجاقات العثمانية حتى لا تشكل عنصر خطورة تهدد استئثاره بالسلطة هو ومماليكه . اذ تخلص من كبار الأغوات — ذوى المكانة بالأوجاقات — وعين كبـار قادة أوجاق مستحفظان — صاحب النفوذ — وكما سبق أن ذكرنا — أفقد الأوجاقات كيانها الاقتصادى بحرمانها من ايرادات الجمارك والمقاطعات (*) ، وانقص أعداد أوجاق مستحفظان — بصفة خاصة — وعمد الى تجهيز تجاريد الى خصومه فى مصر من الخشداشية وغيرهم ، من رجال الأوجاقات ، حتى يضعف من شأنهم ، كما استخدمهم فى جيوشه المرسلة لتحقيق أطماعه فى الحجاز وبلاد الشام (١١) .

كما أنه ارتأى ضرورة التصدى لقبائل العربان سـواء فى الوجـه البحرى ( أولاد حبيب ) أو فى الصعيد ( الهوارة ) ، ليحقق بذلك أمنا داخليا ، ويقضى على كل مصدر من شأنه اثارة القلاقل والاضطرابات السياسية ،

---

(*) انظر ادارة الجمارك .

(١١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ .

حيث كان الخصوم كثيرا ما يلجأون لحماية شيوخ الهوارة من أرباب السلطة بالقاهرة ، وعلى هذا النحو تهيأت أمام على بك فرصة السيطرة التامة على شئون مصر السياسية ، واتجه ببصره لاحياء الدولة المملوكية (١٢) .

**وصول محمد بك أبو الذهب وأتباعه لشياخة البلد ( المحمدية ) :**

بعد وفاة على بك الكبير فى ٨ مايو ١٧٧٣ — على أثر موقعة الصالحية — التى انتصر فيها أبو الذهب أصبح الأخير صاحب النفوذ بمصر سنة ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م وفكر فى الزحف تجاه بلاد الشام لمحاربة ظاهر العمر ومواصلة التوسع ، فوزع الأموال على الأمراء والعسكر المماليك وجهز الأسلحة من ( ذخيرة وجبخانة ومدافع وقنابر ) .

سافر أبو الذهب بجيشه فى المحرم ١١٨٩ هـ / مارس ١٧٧٥ ومعه عدد من البكوات الأتباع والخشداشية ، وجعل ابراهيم بك نيابة عنه فى حكم مصر وبعض الأمراء المماليك الى جانب ( مصطفى باشا النابلسى ) ، وتمكن من اقتحام مدينة يافا بعد مقاومة شديدة ومثل بأهلها ، وأوقع مذبحة هناك ، مما جعل ظاهر العمر يترك عكا دون مقاومة ، وداخله الغرور وفرح بما أوتى ، وأرسل البشائر الى مصر تحمل أبناء الانتصار ، ولم تمض أيام حتى توفى أبو الذهب ، ووقع الاختلاف بين مماليكه ، وتمكن مراد بك من حسم الخلافات واتفق مع خشداشيته على ضرورة العودة الى مصر حاملين معهم جثمان أستاذهم خوفا من انتقام الشوام .

أصبح مراد بك وابراهيم بك على رئاسة مصر بعد وفاة أستاذهم ؛ وبذلك صارت الزعامة فى أيدى المماليك ( المحمدية ) أتباع محمد بك أبو الذهب ، على حين كانت هناك بقايا البيوت المملوكية السابقة ( حسين بك ، رضوان بك بلفيا ، ابراهيم بك طنان ، عبد الرحمن بك الجرجاوى ، سليمان

---

(١٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٧١ — ٣٧٧ ، ص ٤١٤ .
Holt ; Egypt. p. 99.

بك الشابورى ) والأمراء العلوية ( نسبة الى على بك الكبير ) وبقية اختيارية الأوجاقات .

وفى نفس الوقت كان ينافسهما احد رجال ( المماليك العلوية ) اسماعيل بك الكبير ، الذى شغل عدة مناصب هامة ، فى حياة أبى الذهب ، بعد أن خان سيده ( على بك الكبير ) ، وانضم اليه ، وقد شكل خطورة بالنسبة لهما ، وجرت صدامات متتابعة انتهت بهروب كل من ( مراد وابراهيم ) الى الوجه القبلى فى يوليو ١٧٧٧ ، وصار اسماعيل بك بذلك شيخا للبلد بعد أن أقره الباشا العثمانى . ولم يستسلم الأميران للأمر الواقع ، وأخذا يتحينان الفرصة لاستعادة نفوذهما ، فاستوليا على المال الميرى ، ومنعا ارسال الغلال الى العاصمة ، وفشل حاكم الصعيد ( حسن بك ) فى التصدى لنفوذهما ، الأمر الذى جعل اسماعيل بك — شيخ البلد — يفكر فى انفاذ تجريدة عسكرية لوقف نشاطهما ، وكان من عسكر التجريدة ( رضوان بك ) ومعه عدد من أمراء المماليك العلوية ، كما أرسل الباشا فرمانا الى كافة الوجاقلية ( رجال الأوجاقات ) وأمرهم جميعا بالخروج صحبة التجريدة ، وما أن علم ( مراد بك وابراهيم بك ) بذلك ، هربا من طريقها ، ولم يلتق رجال التجريدة حتى المنيا بالعدو ، مما جعل اسماعيل بك يعفى ( الوجاقلية ) من هذه المسئولية رفقا بهم ، ويبدو أنهم قد بلغوا من الضعف درجة كبيرة ، ولم يعد بمقدورهم مواصلة الزحف ومواجهة ( القبالى ) (١٣) .

ولعل افتقار اسماعيل بك الى قوات عسكرية قادرة دفعه الى التراجع الى القاهرة فى فبراير ١٧٧٨ ، فانتهز خصومه هذه الفرصة وزحفوا على العاصمة ، فلم يجد امامه سوى الفرار متجها هو وخشداشه ( على بك السروجى ) الى بلاد الشام .

---

(١٣) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢ — ١٤ .
— مؤلف مجهول : ( تاريخ ما وقع بمصر من ابتدا عام ١١٩٠ — ١١٩٨ ) ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم Ar. 1856 ورقة ١ : ورقة ٥ .

وعلى هذا النحو ، تطورت الأحداث بتغلب المماليك المحمدية من جديد والقبض على زمام السلطة فى ولاية مصر ، وأصبح ابراهيم بك شيخا للبلد فى فبراير ١٧٧٨ ، يعاونه مراد بك ، فلا ينفذ أمرا الا بمشورته حتى تاقت نفسه الى الرئاسة ، فدب الخلاف بينهما سنة ١٧٨٤ ، وخرج ابراهيم بك الى الصعيد يصاحبه ( على أغا كتخدا الجاويشية ) وأغا مستحفظان والمحتسب وصناجقه الأربعة ، بعد أن تفرق عند خشداشيته ، وانضموا الى مراد بك الذى ارتقى الى مشيخة البلد وشغل منصب ( القائمقام ) .

تعرضت ولاية مصر فى هذا العام لصعوبات اقتصادية ، حيث تزايدت مظالم الأمراء المماليك فانتشر أتباعهم بالبلاد يفرضون ( الكلف — والفرد ) حتى هرب الفلاحون من قراهم ، وكما يرى المؤرخ انهم تتبعوا كل من يشتم منه رائحة الغنى ، حتى خرب الاقليم ، وزحف الفلاحون الى العاصمة وانتشروا فيها بنسائهم وأولادهم « يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط فى الطرقات .. فلا يجد الزبال ما يكنسه .. » ، سعى مراد بك الى اجراء الصلح مع خشداشة ، وتوسط أحد العلماء ( الشيخ الدردير ) وأجرى الصلح بين الطرفين فى فبراير ١٧٨٥ ، وكان قد خرج لاستقباله ومعه باقى الأمراء والوجاقلية ( رجال الأوجاقات ) (١٤) .

**موقف الدولة العثمانية من أمراء المماليك فى مصر :**

بدأت تظهر بوادر من جانب الدولة تجاه المماليك فى مصر فى أبريل ١٧٨٦ ، — وكالعادة — سعى ابراهيم بك — شيخ البلد — لترضية الدولة ، فجمع الشيوخ وأخبرهم بضرورة ارسال مكاتبات لاعلان توبة الأمراء ورجوعهم عن الظلم ، وأخذوا فى كتابتها الى الدولة والى قبطان باشا . وفى نفس الوقت استعد ابراهيم بك ومراد بك لمغادرة القاهرة ، تحسبا لما سوف يحدث ، وبدأ المماليك فى تأكيد سلطتهم فى البلاد فاتخذوا ( أغا مستحفظان )

---

(١٤) الجبرتى : المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٣ — ٩٢ .
— مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ورقة ٧ : ورقة ١٣ .

المعزول من قبل الباشا العثمانى حليفا لهم ليقوم — مع خازندار مراد بك — باشهار النداء ، بأن حكم الباشا باطل ، وأن أمراء المماليك ( مراد بك وابراهيم بك ) هم أصحاب السلطة والنفوذ ، كما اضطربت أحوال القاهرة وارتبكت الأوضاع المعيشية بها . ففكر كل من مراد بك وابراهيم بك فى اقامة المتاريس جهة السبتية ، وشرعا فى احضار اللوازم الضرورية ، والمدافع الا انهما تركا هذا الأمر ، عندما علما بوصول حملة حسن باشا قبطان ، وحاولا التوسل لدى الباشا العثمانى — عن طريق العلماء وقادة الأوجاقات — لقبول توبتهم والعودة الى الطاعة ، ولكنه أبدى استياءه لهذا المسلك ، فاتخذ الأميران المملوكيان طريقهما الى الوجه القبلى ، وعاث رجالهما فسادا فى كافة الأقاليم التى يمرون بها (١٥) .

وصلت حملة حسن باشا قبطان — فى أغسطس ١٧٨٦ — الى القاهرة ، وفى طريقه من اسكندرية الى القاهرة أصدر عدة فرمانات الى أهالى البلاد يشير فيها بأن الدولة قد استهدفت من هذه الحملة العسكرية ، ايقاف ظلم أمراء المماليك بالرعية وتطبيق القوانين العثمانية الصادرة فى صدر العصر العثمانى بما يحقق مصالح الأهالى ، وتشير مضابط محاكم الأقاليم الى عدد من هذه الفرمانات ، كما يلاحظ استجابة أبناء الرعية لتلك النداءات ، فأقبلوا يقدمون شكاياتهم ضد ظلم الملتزمين والكشاف ، واتخذ حسن باشا مواقف ايجابية فى هذا الشأن ليحظى بتأييدهم ويستعيد بذلك مكانة الحكم العثمانى فى البلاد .

أرسل القبالى ( مراد بك — ابراهيم بك ) — مكاتبات الى حسن باشا تبطان ، فعقد الديوان وجمع كافة الأمراء والأعيان لدراستها فى المحرم ١٢٠١ هـ / نوفمبر ١٧٨٦م — طلبا فيها الأمان ، ورد المنهوبات التى اخذت من ( عابدى باشا ) فى معركة سابقة . تقوى الباشا بوجود مبعوث الدولة

---

(١٥) نفس المصدران السابقان ، الأول جـ ٢ ص ١٠٤ — ١١٤ ، والثانى : ورقة ٢٥ — ورقة ٢٨ .
Holt : Egypt, p. 100.

( حسن باشا قبطان ) وأشار هو ورجاله من البكوات الى ضرورة استردادها بالسيف ، وارتأى ضرورة استبعاد المتظاهرين بالولاء له من المماليك ( المحمدية ) لشكه فى نواياهم ، وحذر حسن قبطان هؤلاء المماليك — مؤيدى الباشا — من الخيانة تصورا منهم بأن العثمانيين يحكمون بلادهم ، وهدد بخراب مصر اذا حدث ذلك . وكان موقف حسن باشا قبطان تجاه ( القبالى ) الموافقة على الصلح على أساس شرطين :

**الأول :** حضور كل من مراد بك وابراهيم بك حتى يراسل السلطان فى شأنهما ، على أن تكون الاقامة خارج مصر .

**الثانى :** وفيما يتعلق بالأمراء المماليك والعسكر الآخرين ، فانهم اذا جاءوا الى القاهرة طائعين كانوا من عسكر السلطان ، واذا رغبوا عن هذا ، استقروا بالصعيد فى أماكن معينة ، وتكون الحرب بديلا عن هذين الشرطين .

فحاول القبالى اثبات حسن النية ، بأن بعثوا ابن أخ الباشا — وكان أسيرا — ومعه منهوبات عمه ، وعدد من العسكر الجرجى ، وذلك فى نفس الشهر ( المحرم ) وأرسلوا فى أواخره مكاتبات الى قبطان باشا يعلنون الامتثال لرأيه فيما عدا مغادرة مصر ، لأن فراق الوطن صعب ومن غير المقبول — من وجهة نظرهم — شماتة خصومهم من الأمراء المماليك (١٦) .

لم يصادف هذا الرد استجابة لدى قبطان باشا ، وأصر على رأيه لأنه من ارادة السلطان نفسه ، وحاول القبالى استمالة مبعوثه اليهم باغداق الهبات والأموال . الا أنهم تحركوا فى أوائل صفر ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م تجاه الوجه البحرى مارين بالجيزة ، وفرضوا الكلف . مما جعل خصومهم بزعامة ( اسماعيل بك وحسن بك ) يتحركان بمماليكهما نحو ( طره والمعادى )

---

(١٦) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٤٩ ق ١٣٣ ، س ٥٠ ، ص ١٤٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١٤ وما بعدها ، ص ١٣٢ .

وعندما طالب اسماعيل بك سلفة من التجار ، اعتذروا بضيق ذات اليد ، وبسفر الأثرياء منهم الى الحجاز ، الا أنه انتزع من تجار البن ( أربعة آلاف دينار ) . ثم أشهر النداء على كافة المماليك ( المحمدية ) بالحضور الى اسماعيل بك استعدادا للقتال ، فأرسل القبالى من جديد ، يوضحون أنه لا مناص من اعلان الحرب ، اذ أنهم طلبوا العفو مرارا دون استجابة ما .

تحركت عسكر قبطان باشا من ( القليونجية ) وانتقلوا الى البر الغربى للنيل ، وأقاموا المتاريس لصد هجمات القبالى . ويشير المؤرخ الى مدى الانهيار الذى لحق برجال الأوجاقات والمماليك المؤيدين للحكم العثمانى فى القاهرة ، حيث اختفى البعض ، وتخفى آخرون فى ملابس رجال الدين من الفقهاء ، ومجاورى الأزهر ، عندما طلبوا للخروج الى معسكر قبطان باشا لما حل بهم من الفقر والعوز . اذ أن غالبهم لا يجد ما ينفقه على أهله ، فانعدم بذلك الدافع لخروجهم فى سبيل الحفاظ على سيادة الدولة تجاه أمراء المماليك . وفى منتصف شهر صفر / أوائل ديسمبر ١٧٨٦ كان موسم رجوع موكب الحج ، ففكر الأمراء القبالى فى شن هجوم مباغت ليلا ظنا منهم بانشغال قبطان باشا بهذا الأمر ، الا أنهم فوجئوا باستعداد عسكره ، الأمر الذى أدى الى انسحابهم الى دهشور ، وجرت محاولة أخرى بطلب الأمان اشترط فيها قبطان باشا أن يقيموا فى الوجه القبلى فى جماعة قليلة على أن يرجع باقى الأمراء والمماليك الى مصر آمنين ، فلم يقبلوا الافتراق عن بعضهم البعض ، واستقروا فى بنى سويف (١٧) .

صنع قبطان باشا مركبا بحريا كبيرا فى ساحل بولاق لاستخدامه فى النيل لشحن العسكر والأسلحة ، والتحصن ضد هجوم الفرسان المماليك القبالى ، فخرج المماليك ورجال الأوجاقات ، وقد تقدم ( عابدى باشا ) بنفر من العسكر متجها الى أسيوط حيث استقر القبالى ، ودارت المعارك بين الجانبين ، واستخدم العسكر هذا ( الشركفلك ) وتمكن عابدى باشا من الحاق هزيمة

---

(١٧) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٦ .

بالقبالى بفضل المدافع المستخدمة ، ويظهر أن القبالى كانوا يستعينون بعربان ( الهنادى ) حيث لقى كثير منهم حتفه (١٨) .

وخلال وجود قبطان باشا بمصر لفت نظره تحلل المماليك ( السراجين ) من التقاليد المملوكية الراسخة ، فأمرهم بعدم الخروج من بيوت سادتهم وركوب الخيل منفردين ، وأشار محتجا على مسلكهم : « .. انه قلة أدب وخلاف العادة القديمة التى رأيناها وتربينا عليها .. » وأصدر الباشا فرمانا بمنع هذه التجاوزات ، ويعلق المؤرخ على ذلك : « ونادوا به من قبيل الشغل الفارغ » (١٩) .

ساءت الأحوال بالقاهرة حيث عقد اسماعيل بك الديوان لمناقشة أمر القتال مع الاختيارية والشيوخ والأمراء وناشدهم التكاتف ضد أمراء المماليك ( القبالى ) بعد أن نقضوا العهد مع السلطان — وتعددت التجاريد المرسلة لمحاربتهم ، وزادت الأعباء المالية لتجهيزها ، وهم يتبعون أساليب المراوغة فى حربهم دون الوصول لنتيجة حاسمة ، فناشد اسماعيل بك كافة البكوات أن يقاتل كل منهم عن نفسه ، بعد أن تعذر الحصول على الأموال ، فأجابه أحد الأفندية بأنهم « فرغوا من المال وصاروا كلهم شحاتين » ، وأمام هذا اضطر الى جمع كافة العسكر السباهية ( السباهية ) المنتشرين بالأقاليم واستعان بالغز ( المرتزقة ) (٢٠) .

لم يستقر حسن باشا قبطان بمصر طويلا حتى يتمكن من تنفيذ المهام المنوطة به تجاه أمراء المماليك بمصر ، اذ دخلت الدولة العثمانية حربا جديدة ضد روسيا ، واضطر الى مغادرة البلاد متجها الى استانبول فى ( ذى الحجة ١٢٠١ هـ / سبتمبر ١٧٨٧ ، تاركا أمر استئناف المفاوضات مع القبالى الى شيخ البلد ( اسماعيل بك الكبير ) الذى عاد من جديد فى ظل حملة قبطان

---

(١٨) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٧ .
(١٩) الجبرتى : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٢٠) نفس المصدر السابق ، ص ١٥٥ وما بعدها .

باشا الى مصر ، وسعى الى تقوية جانبه بالاكثار من المماليك ، وابتزاز الأموال من أبناء الرعية الذين اشتد سخطهم على الطبقة الحاكمة .

ظهرت أطماع القبالى وقوى عزمهم خاصة بعد رحيل حسن قبطان من مصر ، ومن الملاحظ أن ( مراد بك وابراهيم بك ) قد أوضحت مكاتباتهما الى الباشا العثمانى بأنهما لن يقبلا ما تم الاتفاق عليه ، وحاولا ابعاده والوجاقلية ( رجال الأوجاقات ) عن مجال الصراع الناشب بينهم وبين خصومهم من المماليك الحاكمين بالقاهرة ( اسماعيل بك الكبير — شيخ البلد ) . وحاول الباشا العثمانى استغلال العامل الدينى لدى أهالى مصر ، فأظهر فتوى شيخ الاسلام باستانبول التى تفيد بوجوب محاربة أمراء المماليك ، وطالب علماء مصر باصدار فتوى مماثلة تحث أبناء الرعية من المسلمين على التكاتف فى سبيل ذلك وبذل كل مساعدة (٢١) .

سعى اسماعيل بك الى تجهيز تجريدة جديدة ، ولكنه اصطدم بالأمراء الذين طالبوا بالمزيد من المال لتوزيعه على المماليك ( الأولداشات ) ، ويتبين لنا أن رجال الأوجاقات — حينئذ — قد استبد بهم الضعف حتى أنهم صاروا لا يخرجون صحبة التجاريد لمحاربة ( القبالى ) وانما عهد اليهم بمهمة حراسة ( درك ) القاهرة والقلعة ، واقتصر الأمر على المماليك فى أمور القتال . ولم يتمكن اسماعيل بك من اعداد التجريدة ، اذ وقع التكاسل والتراخى بين صفوف المماليك بالقاهرة المؤيدين للسلطة العثمانية ، وفضل أمر التفاوض مع خصومه (٢٢) .

أرسل القبالى طالبين منطقة طحطا شمالا حتى جنوب الوجه القبلى ، وارسال أسراتهم ونسائهم واسترداد ما أخذ من بلادهم ومماليكهم الذين نفوا الى الاسكندرية ، الا ان أرباب الديوان لم يوافقوا على ذلك ، والتزموا بما

---

(٢١) Volney : Travels through Syria and Egypt. Vol. I. London, 1787, pp. 150-158.

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥٥ — ١٥٨ .

(٢٢) نفس المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥٦ وما بعدها .

حدده قبطان باشا خوفا من تطاولهم فيما بعد ، ثم فاوض القبالى من جديد بأن يكون لهم من أسيوط حتى قبلى ، وأنهم على استعداد للصلح ، وتم فعلا ارسال اثنين من العلماء ( محمد الأمير ، اسماعيل أفندى الخلوتى ) ، وسافرا اليهم فى ١٩ جماد أول ١٢٠٢ هـ / ٢٦ فبراير ١٧٨٨ ، ورغم كل هذه التمويهات السابقة ، تحرك مراد بك ومماليكه الى بنى سويف ، فأرسل الباشا مكاتبة تقضى بالتعرف على حقيقة نية المماليك ، وبدأ الاستعداد للدفاع عن القاهرة باقامة المتاريس عند ( طرا والمعصرة ) ونصب المدافع على جانبى النيل . وقد اتضحت نوايا الأمراء القبالى بشكل قاطع ، فهم لا يرضون عن القاهرة بديلا ، وطالبوا أن يتناسى كلا الفريقين المتخاصمين الثأر من صاحبه ، واذا رفضوا فلتكن الحرب التى أزهقت البلاد ، فلم يستجب اسماعيل بك لرغبتهم ، وصمم على محاربتهم (٢٣) .

صدرت الأوامر الى العسكر بالخروج الى المتاريس ، بعد ان يأخذ كل منهم نفقة خمسة عشر ريالا ، من ( باب مستحفظان ) واستمر النداء على الأجناد ، وتهديد من يتكاسل عن الحضور للمشاركة فى القتال . كما استنجد اسماعيل بك بعربان البحيرة والهنادى فعاثوا فسادا ونهبا ، خاصة وقد انقطع السفر من الوجهين القبلى والبحرى الى القاهرة ، واختل الأمن ، « وتعطل السير برا وبحرا ولو بالخفارة حتى ان الانسان يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو جامع باب النصر .. » ، وداخل القاهرة تعددت الصدامات والمشاحنات بين العسكر والأهالى . وفى منتصف شهر رجب ١٢٠٢ هـ / ٢١ ابريل ١٧٨٨ م وصل العسكر وهم من الارنؤد الى ساحل بولاق ، وقوامهم نحو ألف بقيادة ( اسماعيل باشا ) ، وطال الوقت بالنسبة للعسكر القائمين على حراسة المتاريس السابقة ، وتفرقوا ودخلوا المدينة . وأرسل القبالى مكاتبات فى المحرم ١٢٠٣ هـ / اكتوبر ١٧٨٨ لطلب الصلح والعودة الى البلاد التى قررها حسن باشا قبطان ، فقد سئموا الغربة ، وعدم ملاقاة خصومهم ، وأبدوا احجامهم عن قطع ارزاق الناس بتعطل التجارة

---

(٢٣) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٨ وما بعدها .

والنقل ، فاستجابت السلطات الحاكمة على أساس تقديم رهائن من البكوات المماليك مما جعلهم يعودون الى عنادهم والمطالبة بجعل حدودهم من أسيوط حتى الجنوب (٢٤) .

نشب القتال من جديد بين الجانبين ، دون نتيجة حاسمة — فاضطر الباشا الى فرض فردة على البلاد بخلاف الكلف ، وحق الطريق ، وتمخضت الأوضاع المضطربة عن صلح بين الجانبين : أمراء القاهرة والباشا وبين القبالى على أساس أن يكون للقبالى من أسيوط الى قبلى شرقا وغربا على أن يتم دفع الميرى واطلاق سبيل المراكب والسفر ويتعهد أمراء القاهرة لهم بالحصول على ما يحتاجون اليه من القاهرة فيما عدا آلات الحرب ، ويرسل بذلك أعلاما الى الدولة . ولم تكد تمضى عدة شهور على هذا الاتفاق حتى تخلى القبالى عنه ، وظهر للباشا تنصلهم منه ، مما جعله يصر على محاربتهم ، وأشار بالقبض على نسائهم لبيع أمتعتهن للانفاق على العسكر (٢٥) .

هدد الباشا شيخ البلد وأمراء المماليك بالقاهرة بمغادرة مصر ، اذا لم تنفذ أوامره تجاه القبالى الذين عاودوا الاتصال لتحديد أماكنهم بالوجه القبلى ، واتجه بعضهم نحو أقاليم الوجه البحرى . ومن الجدير بالذكر أن الدولة واصلت أوامرها الى باشا مصر بالتصدى لأمراء المماليك ، على أن يسانده الوجاقلية ( رجال الأوجاقات ) فى هذا الشأن ، ظنا منها بأن الكيان العسكرى للأوجاقات لا يزال قادرا على تأكيد سيادتها بولاية مصر .

وقد مرت البلاد بظروف طبيعية سيئة ، اذ انتشر الطاعون فى ( ١٢٠٤ — ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ — ١٧٩١م ) وكان من ضحاياه شيخ البلد ( اسماعيل بك الكبير ) (٢٦) ، وحل محله تابعه ( عثمان بك طبل ) ، الأمر الذى أغرى

---

(٢٤) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥٩ وما بعدها .
(٢٥) نفس المصدر السابق : ص ١٦٠ ، ١٧٣ وما بعدها .
(٢٦) نفس المصدر السابق : ص ١٧٣ ، ١٩٣ ، ١٩٦ .

مراد بك وابراهيم بك بالتقدم نحو العاصمة ، ولم تصادفهما عقبات فى سبيل ذلك ، فعندما وصلت قواتهما من المماليك والعربان الى ضواحى المدينة ، انضم الى جانبهم عدد كبير من المماليك الموالين لشيخ البلد ، ولم يظهر دور ( رجال الأوجاقات ) لوقف هذا الزحف المملوكى ، واضطر الباشا العثمانى الى قبول الأمر الواقع فى يوليو ١٧٩١ ، وأقرهما فى تصريف شئون الولاية حتى أصدرت الدولة — مضطرة — العفو عنهما ، وبقى الحليفان فى حكم البلاد حتى وصول حملة بونابرت سنة ١٧٩٨ .

ومن خلال التطورات السابقة يمكننا أن نشير الى بعض الملاحظات ، على النحو التالى :

**أولا :** كانت الأوجاقات — كما ذكرنا — حتى فتنة جركس بك ، وسيلة فى أيدى أمراء المماليك يستخدمونها فى صراعاتهم التقليدية على السلطة ، خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر .

**ثانيا :** تمكن على بك الكبير من توجيه ضربات مؤثرة لاضعاف الكيان العسكرى والاقتصادى للأوجاقات ، للتخلص من كافة العقبات التى تعترض تحقيق أطماعه فى سبيل اعادة السلطنة المملوكية .

**ثالثا :** بذل على بك الكبير جهودا كبيرة فى سبيل تقوية الوجود المملوكى وتدعيمه ، مما أدى الى سيطرة المماليك على الجهاز العسكرى بولاية مصر .

**رابعا :** استقطب ابراهيم بك بقايا اختيارية الأوجاقات وقياداتها — وهم من المماليك — ابان خلافه مع مراد بك .

**خامسا :** لم يتعد دور اختيارية الأوجاقات — فى الفترة السابقة لمجىء حملة حسن باشا قبطان — سوى الخضوع لأمراء المماليك ، أو القيام بدور الوساطة — الى جانب العلماء — لتصفية الخلافات بينهم ، فى بعض الأوقات .

**سادسا :** أصاب الانهيار كيان الأوجاقات العثمانية بمصر ، عند قدوم حملة حسن باشا قبطان سنة ١٧٨٦ ، فقد تخفى رجالها وتزيوا بزى الفقهاء ، ومجاورى الأزهر ، للتهرب من الانضمام لعسكر قبطان باشا ومحاربة أمراء المماليك .

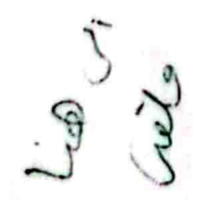
سابعا : ساءت الأوضاع الاجتماعية لرجال الأوجاقات العثمانية ، فقد أصابهم الفقر ، ولم يجد غالبهم ما يكفى لسد نفقات معيشته .

**ثامنا :** يبدو أن الدولة لم تكن تدرى ما أصاب أوجاقاتها بمصر ، من تدهور ، فقد أرسلت عديدا من الأوامر الى الباشا تدعوه لمحاربة أمراء المماليك مستخدما رجال الأوجاقات .

**تاسعا :** انحصرت مهمة بقايا رجال الأوجاقات العثمانية فى حفظ الأمن بالقاهرة ، والقلعة ، لعجزهم عن محاربة أمراء المماليك فى الوجه القبلى — سواء خلال وجود حسن باشا قبطان بمصر — أو بعد خروجه ، حتى وفاة شيخ البلد اسماعيل بك ورجوعهم الى العاصمة سنة ١٧٩٤ .

**عاشرا :** يمكن القول بأن الأوجاقات العثمانية — بعد خروج حملة قبطان باشا — حتى قدوم حملة بونابرت ١٧٩٨ ، لم يعد لها وجود فعال ، فقد آل الأمر لأمراء المماليك فى كافة المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية .

**حادى عشر :** تخلى المماليك عن تقاليدهم الموروثة ، وخرجوا عليها ، كما تخلفوا عن مسايرة تطور الفنون العسكرية العالمية ، ولم يكن بمقدورهم التصدى للحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ .



# الباب الثالث

## الأوجاقات والادارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفصل العاشر

## الباشا العثمانى

### وصول الباشا العثمانى الى مصر :

جرت مراسم استقبال الباشوات العثمانيين — كالعادة — عند وصولهم الى القاهرة سواء اتخذ البعض الطريق البرى حتى العادلية شمالى القاهرة ، ثم يدخلون المدينة من باب النصر ، او يركب البعض الآخر النيل المبارك حتى انبابه ثم ينزلون بقصر الحلى ، ويكون فى استقبالهم كبار رجالات الولاية بمصر من الصناجق المماليك ، ويحضر شيخ البلد احيانا هذا الاستقبال ، مثلما حديث بقدوم ( جن على باشا ) فى نوفمبر ١٧٢٤ عندما خرج جركس بك على رأس صناجقه الأربعة عشر ، لاظهار سطوته ونفوذه امام الباشا العثمانى القادم الى مصر (١) .

وفى النصف الأخير من القرن الثامن عشر — بصفة خاصة — لم يعد وصول الباشا العثمانى يشكل حادثا هاما فى مصر ، ويبدو ذلك فى احجام الكثير من الأمراء المماليك عن الخروج لملاقاته ، واقتصر الأمر على أرباب العكاكيز ( كتخدا الجاويشية ، أغات المتفرقة والترجمان ... ) الذين يخفون لاستقباله على شاطىء النيل ، ويذهب بعض الأمراء فى اليوم التالى لوصوله

(١) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٥٧ وما بعدها .
— أوليا جلبى : المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٤٨ .
— الدمرداش : المصدر السابق ص ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٨ .
Perry : op. cit., p. 146.
— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ورقة ١٠٠ وما بعدها .

للسلام عليه ، وعندما يتحرك الموكب وسط شوارع المدينة كان الأهالى يحرصون على مشاهدته ، وقد يستبشرون لقدومه اذا صادف ذلك استقرار الاحوال المعيشية بالبلاد ، وانتهاء الأوبئة التى تجتاح مصر من وقت لآخر . وقد يلقى الباشا بين ابناء الرعية فى سنوات الشدة والضائقة الاقتصادية مطالبات ملحة باقرار الأمور أو يتعرض للمتاعب من جانبهم . وهنـــاك من الباشوات من كان يرسل الى أمراء المماليك ليخبرهم بوصوله وأنه لا يريد أن يكون فى استقباله منهم سوى ارباب الخدم والعكاكيز (٢) .

## الباشا العثمانى والادارة بالولاية :

يعد الباشا العثمانى قمة الجهاز الادارى بولاية مصر العثمانية فى القرن الثامن عشر ولكنه افتقد الكثير من سلطاته ازاء تغلب الأمراء المماليك وخاصة فى النصف الأخير من هذا القرن . فمن سلطات الباشا تقليد رتبة الصنجقية للبكوات ، وهى التى تؤهل أحدهم لتولى المناصب الهامة فى الادارة بولاية مصر ( امارة الحج ــ الدفتردارية ــ سردارية الخزينة ــ الصنجقيات والكشوفيات ) ، ويعين الباشا ايضا اغوات الأوجاقات العسكرية والمحتسب والوالى وغيرهم . ويحرص الباشـــا على التدخل فى شـــئون أوجـــاق مستحفظان ــ اذا تيسر له ذلك ــ لشغل الهيكل الادارى للأوجاق من بين رجاله الموالين ، نظرا لنفوذ هذا الأوجاق واغاته ( أغات مستحفظان ) فى شئون الادارة بالعاصمة . ويعتمد الباشا على أغوات الأوجاق لفرض حمته على رجال الأوجاقات كلما تعرضت لفتنة عسكرية او حوادث شغب يقوم بها نفر من العسكر (٣) .

ومن وقت لآخر يجرى الباشا تغيرا فى توزيع المناصب السابقة ، حسب

---

(٢) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٨٨ ــ ٦٠٥

ــ الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٢ ، ٤٨ .

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٦٠ .

ــ يوسف الملوانى : تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، مخطوط برقم ٢٨ تاريخ بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج ، ص ٩٠ــ١١٢ ـ

تطورات الأحداث الداخلية من صراعات مستمرة بين البيوت المملوكية ، ورغبة الباشا فى محاولة اصطناع مؤيدين لسيادته تجاه القوى المعارضة ، وأحيانا استجابة لرغبة الباب العالى الذى يموج بتقلبات مستمرة فى غياب سلطة السلطان العثمانى عن مراقبة شئون الولايات بنفسه . كما يتدخل الباشا فى اختيار سرادرة الأوجاقات الذين يستقرون فى بنادر الاقاليم لخدمه أجهزة الادارة المحلية ، يصحبهم اعداد معينة من العسكر لانجاز هـذه المهام (٤) .

ويعاقب الباشا كل من يتعد حدود منصبه خاصة اذا اعتدى عـلى الأموال السلطانية أو غلال الحرمين الشريفين ، وذلك بالعزل واستخلاص ما لديه من اموال للدولة ، وأحيانا بالقتل والمصادرة بعد أن يسـجن بالقلعة ( العرقانة )، ولكن هذه الصلاحيات لم يعد تنفيذها يتم بشكل فعال ، بعد ان اهتزت سلطة الباشا العثمانى بمصر .

وهناك اشارات فى المصـادر الى عدد معين من الباشـوات الذين اصطحبوا معهم اعدادا من العسكر ( المرتزقة ) لتأمين سلطانهم فى مصر ، من هؤلاء ( عثمان باشا ) الذى عزل من ولاية طرابلس الشام ، وتولى حكم مصر فى أواخر ١٧٣٣ ، وجلب معه من الجند ما يزيد عن ألف ومائتى نفر بخلاف اتباعهم ، وقد يستقر بعضهم بالبلاد بعد نهاية حكم سادتهم من الباشوات (٥) .

---

(٤) سجلات محكمة الباب العالى : س ١٨٠ ق ٣٨٣، ق ٤٥٧ .
محكمة القسمة العسكرية : س ١٢٢ ق ٥٥ ، ق ٨٠٥ .
محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥٣ .
محكمة بولاق : س ٦٠ ق ٢ ، ق ١٧ .
محكمة القسمة العسكرية : س ١١٨ ق ٧٧٣ ، ق ٨١٥ ، س ١٧٨ ق ١٥٢ .
ـ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٦٨٤ ، ٩٧٨ .
(٥) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٥٧٦ ، ٥٨٧ ، يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٨٨ وما بعدها .

ويرأس الباشا (*) جلسات الديوان العالى التى تعقد أربع مرات أسبوعيا بالقلعة (**) ، بحضور كافة الصناجق وارباب المناصب وأغوات الاوجاقات ، ومن الملاحظ فى القرن الثامن عشر قلة اهتمام كبار أمراء المماليك بحضور جلساته خاصة ابان الأزمات السياسية الحادة ( فتنة جركس بك مثلا ) ، ولم يكن الباشا قادرا على اتخاذ موقف حازم ازاء هذه التطورات ، فعندما هجر جركس بك ورجاله جلسات الديوان لفترة طويلة أبرز الباشا خطا شريفا برفع صنجقية جركس ، وارسل الى كل أوجاق وكافة العلماء والأشراف لاعلانهم بذلك ليمنع الاتصال به ، والاجتماع ببيته ، وعجز الباشا عن تنفيذ ارادته نظرا لسطوة جركس بك الذى تحايل على العلماء بعقد اجتماع طارىء لمناقشة قضية ملحة ببيته ، وهددهم جميعا بالقتل اذا رفضوا الاستجابة لرغبته فى عزل الباشا الذى تجرأ برفع صنجقيته وأجبرهم على كتابة عرض فى حقه بانه مثير للفتن وداعى لخراب البلاد ، ولم يكد يصدق ( محمد باشا ) حال نزوله من القلعة فى يوليو ١٧٢٤ أنه سيسلم من رجال جركس ويبقى على قيد الحياة ، فامر بذبح عدد من الكباش فداء واضحية (٦) .

---

(*) قد ينوب عن الباشا فى بعض الحالات ( القائمقام ) وهو يختار من بين الصناجق فى القرن الثامن عشر ، الذين ينتمون الى البيوت المملوكية المسيطرة ، ويحل محل الباشا ، اذا انتهت مدة ولايته ، أو تعرض للعزل من جانب أمراء المماليك اصحاب النفوذ فى الولاية .

(**) مقر الديوان بالقلعة فى ديوان الغورى ، وفى بعض الأحيان كان يعقد الديوان فى الرميلة بجوار القلعة او فى العادلية خارج باب النصر خاصة وقت خروج الخزينة الى استانبول او عند حلول موسم الحج سنويا ( المصدران السابقان ) .

(٦) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٥٠ ، ٦٥٨ .

— قانون نامة مصر ، ورقة ٥٢ وما بعدها .

— مضابط محاكم الأقاليم . محكمة اسكندرية ، س ١٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢١٥ .

ويناقش أرباب الديوان فى حضور الباشا العثمانى المسائل الادارية الهامة بولاية مصر كأمور الخزينة السلطانية ( المال الميرى للدولة ) ولوازم موكب الحج الشريف والالتزامات وحلواناتها ومشـــكلات الادارة المحليـــة بالأقاليم ، وأوامر الدولة بارسال التجاريد للمشاركة فى حروبها المختلفة ، ويخلع فيه الباشا ــ حين قدومه ــ على أرباب المناصب القفاطين والخلع ، وتقرأ فيه قرارات الدولة بتجديد حكم الباشا عن السنة الجديدة ، وعندما تصل الأطواخ من الدولة للباشا الحاكم بهذه المناسبة يتبع ذلك احتفال هائل وتطلق المدافع من القلعة . كما يتمكن بعض الباشوات ــ ذوى الشخصيات القوية ــ من فضح المؤامرات المملوكية التى تستهدف تصفية البيت المملوكى المسيطر ، كما حدث فى أغسطس ١٧٢٧ عندما دبر عدد من ( الايواظية ، اتباع ايواظ بك ) مؤامرة لقتل كبار الفقارية بزعامة ( زين الفقار بك أمير الحج ) والتخلص بذلك من خصومهم ، ولكن أنبـــاء المؤامرة تسربت الى أســـماع الباشـــا الذى تمكن ــ بمساعدة الفقارية ــ من القبض عليهم ومعاقبتهم بالقتـــل والنفى ، وانتهى بهذه المؤامرة الفاشـــلة ( بيت ابن ايواظ ) (٧) .

ومن الجدير بالذكر أن الدولة كانت ترسل الى الباشا العثمانى أوامر سرية لا تقرأ فى الديوان وانما يحتفظ بها لنفسه ليقوم بتنفيذها ريثما تستقر الأمور ، من ذلك ما قام به ( عابدى باشا ) فى يوليو ١٧١٥ عندما استدعى احد الأمراء المماليك ( قيطاس بك الكبير ) للاجتماع به منفردا وأظهر الخط الشريف الذى يقضى باعدامه ، ويتولى هذه المهمة رجال الباشا الذين يكونون على أهبة الاستعداد فى انتظار اشارة بذلك ، وتثير هذه المواقف مماليك البك المقتول الذين يسارعون أولا لاستلام جثمانه ، وتفاديا للأزمة التى سوف تندلع من جانب اتباع قيطاس بك بزعامة مملوكه ( يوسف بك الجزار ) ، حيث تحصنوا بمسجد السلطان حسن ، وفى بيت ( قيطاس بك ) ، طلب الباشا

---

(٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٠٥ ــ ٥٠٨ .

ــ عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ورقة ٩٤ وما بعدها .

الصناجق للاجتماع فى الديوان لتوضيح الأمور ، وأمر باشهار النداء على أبناء الرعية بالأمان لتهدأ الأحوال بالمدينة ، بيد أن عددا كبيرا من الصناجق تخوفوا وامتنعوا عن حضور الديوان ، واستقر رأى أرباب الديوان على ترضية مماليك قيطاس بك واسناد بعض المناصب الهامة اليهم ، فقرر الباشا تابعه — (محمد بك قطامش) — لحكم ولاية جرجا ، (عثمان بك بارم ديله) لحكم منفلوط ، فلم يلق هذا استجابة من جانب المماليك ، واستعدوا لطلب الثأر من الباشا ، فما كان منه الا أن استدعى اغوات الأوجاقات ليأخذ جانب الاستعداد لمحاربتهم ، فتدخل العلماء ، وحاولوا اقناع كبار أتباع قيطاس بك باحترام ارادة الدولة (٨) .

وعندما يكون الصنجق الذى أرسلت الدولة بشأنه خارج مصر فى قيادة موكب الحج بالحجاز ، يظهر الباشا الخط الشريف ليقرأ على مسامع أرباب الديوان ، هذا ما حدث فى نوفمبر ١٧٢٠ أثناء حكم ( رجب باشا ) ، عندما طلبت الدولة رأس ( اسماعيل بك بن ايواظ ) أمير الحج ، وتابعه ( اسماعيل أغا كتخدا الجاويشية ) ، وأصدر الباشا أمرا الى القاضى بأن يختم على ممتلكاتهما ، واستعان بقوة عسكرية من رجال الأوجاقات بعد أن رصد مبلغا كبيرا لهذا الغرض ، وأبعد شقيق ( اسماعيل بك ) حيث عينه صنجقا على ولاية جرجا ليكون بعيدا عن الصراع ، ورغم هذه الاجراءات لم يظفر الباشا برأس أمير الحج الذى علم بالمؤامرة وهرب فى طريق العودة بالموكب (٩) .

ويتولى الباشا الحاكم مهمة تنفيذ اوامر الدولة الصادرة اليه سرا ، بقتل الباشا المعزول ، اذا ارتأت ذلك نتيجة لوشاية لحقت به فى دار السلطنة

---

(٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٧٢ وما بعدها .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .
— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٩٥ وما بعدها .

او عقابا لجرم اقترفه ، من ذلك ما قام به ( رجب باشا ) فى أواخر سنة ١٧٢٠ من قتل سابقه ( على باشا الأزمرلى ) بعد أن سجن أهله وأتباعه ليدلوا على أمواله ، وأمر الروزنامجى بمحاسبته ، فكان جملة ما عليه من مال للباب العالى ما يزيد عن ( أربعة آلاف كيس مصرى ) ، تمكن من استخلاصها من ابنه وأرسله الى استانبول (١٠) .

وتبدى الدولة اهتماما بالضربخانة فى مصر ، وسك العملة وتحرص لذلك على اختيار ( صاحب عيار ) الذى يدير أعمالها ويشرف على معايير كل عملة بدقة من الذهب والفضة ، الا أن نفوذ أمراء المماليك كان يحول دون سيطرة الدولة على شئونها ، فعندما أرسلت أحد الأغوات لتولى هذه المهمة لم يمكنه جركس بك ـ شيخ البلد ـ من عمله وجعله ناظرا على الضربخانه بينما استمر القائم على ( العيار ) فى حمايته رغم ما عرف عنه من غش العملة ، ولكن بهروب جركس ، نفذ ( محمد باشا النشنجى ) أمر الدولة وعاقب ( صاحب العيار ) تابع جركس بالقتل (١١) .

**الباشا العثمانى والباب العالى :**

كان الباشا العثمانى بمصر على اتصال دائم بدوائر الباب العالى فى استانبول مقر السلطنة العثمانية ، وذلك لتلقى أوامر الدولة من ناحية ، والأخبار عن أحوال ولاية مصر الداخلية وتطوراتها من ناحية أخرى ، ويهتم الباشا بارسال الخزينة العامرة سنويا فى موعدها وما يلزم من خيرات مصر المختلفة ، ويبعث الباشا نائبه ( كتخداه ) الى استنبول لتقديم الهدايا الى كبار الشخصيات الحاكمة بالباب العالى ، ولتأدية عوائد المنصب التى تبلغ

---

(١٠) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣١٠ وما بعدها .

ـ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢١٥ ـ ٢٢٠ .

(١١) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٥ .

ـ قانون نامة مصر ، ورقة ٦١ وما بعدها .

حوالى ثمانمائة كيس مصرى سنويا ، فى النصف الأول من القـــرن الثامن عشر (١٢) .

ويعنى الباشا بصفة خاصة بالتطورات السياسية فى ولاية مصر من خلال الصراعات المملوكية على السلطة ، ويبعث الى الدولة بما تسفر عنه تلك التطورات من خلال عرض يحمله أحد الأغوات وبرفقته اثنان من اختيارية جماعتى ( المتفرقة والجاويشية ) ونائب عن الشرع الشريف (١٣) .

وفى نفس الوقت كان الباشا فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر بمثابة حلقة الوصل بين الدولة وأمراء المماليك بمصر ، وذلك لتوضيح موقف الدولة من سياستهم ، فعندما كان وصول حملة حسن باشا قبطان الى مصر فى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦م امرا وشيكا ، أرسلت مكاتبات الى الباشا للتأكيد على ضرورة الزام أمراء المماليك بالأموال الميرية المنكسرة ولوازم الحرمين الشريفين ، فحاول كل من ( ابراهيم بك ومراد بك ) استرضاء الباشا واتفق الأمراء والشيوخ وكبار رجال الأوجاقات على كتابة عرض الى الدولة يعلنون فيه توبة الأمراء المماليك ورجوعهم عن ظلم الرعية ، وكان الباشا على بينة من أساليبهم الملتوية فأسرع بالسيطرة على باب العزب ونصب البيرق عليه ، وأمر جاويشية كل من مستحفظان وعزبان بالنداء على العســكر

---

(١٢) تراوحت ايرادات الباشا سنويا بين ٤٨ ، ٢٧ مليون بارة ، ولمزيد من التفاصيل انظر : ليلى عبد اللطيف أحمد : الادارة فى مصر فى العصــر العثمانى ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ ، ص ٩٣ — ١٠٠ .

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ٢ ق ١٩٣ ، ق ٨٧٣ ، س ٢٨ ق ٦٣٣ ، ق ٩٥٨ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٠٨ ، ق ٤١٥ .

— ســجلات الروزنامة : دفتر مواجبات كشيدة ديوان مصر ، برقم ٥٢٤٩ .

— ابراهيم الصالحى : المصدر السابق ، ص ٦٥٣ — ٦٥٥ .

— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ ، ٤٨٧ .

Esteve : op. cit., p. 247.

( الاولداشات ) الطائعين للسلطان العثمانى ، وظهر حينئذ مدى الضعف الذى حل بالأوجاقات ، فهناك الكثير من الجند لم يجدوا أسلحتهم وثيابهم العسكرية ، اكتظت الرميلة وقراميدان بالعسكرية ، وبذلك فوت الباشا الفرصة على الأمراء المماليك لاحتلال القلعة ، ولعب دورا فعالا فى تثبيت السلطة العثمانية الى حين ، وأعطى الأمان لكل من يظهر من البكوات ، وقام الباشا باجراءات عاجلة لانقاذ الموقف بقدر الامكان ، حيث أمر أغا مستحفظان بتوزيع النفقة على من كان معدما من العسكر ممن لا يملك قوت يومه ، وبوصول حسن باشا قبطان الى مصر أبدى اهتماما تجاه الأوجاقات المتداعية محاولا استعادة نفوذها ولو من الناحية الشكلية ، فألزمهم بضرورة اتباع القوانين العثمانية القديمة وعدم الاتصال بالأمراء والصناجق من المماليك ، ليكونوا كيانا مستقلا يحفظ السيادة العثمانية بالبلاد (١٤) .

ولا شك أن الباشا العثمانى قد مهد الأذهان بأهمية حملة حسن باشا قبطان الأمر الذى ساعد على دخولها مصر بسهولة فقد أوهنت دعايته روح المقاومة لدى امراء المماليك ، ويشير المؤرخ أنه : « لولا تمويهاته وأكاذيبه ما تمكن حسن باشا من دخول مصر .. » (١٥) .

**الباشا العثمانى وشئون الرعية :**

يتلقى الباشا فى مقر حكمه شكايات الأهالى بالعاصمة بخصوص الأسعار وعدم وجود البضائع والسلع الضرورية ، عندما تشتد الأزمات الاقتصادية ، فيعقد اجتماعات مع أعيان الولاية من رجال الادارة المركزية ، أو يصدر أوامره ببحث أسباب الأزمة ، ومعالجتها بتسعير السلع وتحديد مقادير العملة وأنواعها ، ويكون ذلك بالاتفاق مع الدفتردار ( المسئول عن

---

(١٤) مؤلف مجهول : تاريخ ما وقع فى مصر ( ١١٩٠ — ١١٩٨ هـ ) ، ورقة ١٥ — ٢٣ .

— مجموعة الفرمانات الشاهانية ( الصادرة الى ولاية مصر وخديويها ) ورقة ١٥ — ٢٣ .

(١٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٣٧ .

كافة الشئون المالية ) ويتولى اغا مستحفظان مهمة ابلاغ اهالى المدينة من التجار والحرفيين بالأسعار الجديدة ويتابع تنفيذها .

كما يصل أهالى الأقاليم فى بعض الأوقات الى القاهرة ، لابلاغ الباشا ظلم الكشاف وجشعهم ، ففى أبريل ١٧٢٤ ، فرض زين الفقار بك — ( كاشف المنوفية ) — كلفه على ناحية البتنون الواقعة فى التزام أحد أمراء العسكر ، ولم يؤد أهلها كلفا من قبل ، فرفضوا أوامر الكاشف حتى لا تكون عادة ، مما دفع الكاشف — ازاء عصيان الأهالى — الى نهب الناحية وتخريبها ، فرفع كبار أعيانها شكواهم الى الديوان ، فطلب الباشا الكاشف للحضور الى القاهرة والمثول أمام الديوان لبحث القضية ومحاسبته ، الا أنه لم يستجب لأمر الباشا واكتفى بارسال ( قايمقامه ) ، وبعث بمكاتبات الى أبناء طائفة ( الفقارية ) بخلاف الواقع ، ولم تسفر جهود الباشا عن معاقبة الكاشف ، ورفع الظلم عن أهالى الناحية ، لعجزه عن مواجهة العصبيات المملوكية وسطوتها المتزايدة فى القرن الثامن عشر (١٦) .

وعندما ضج الملتزمون من ظلم كشاف جركس بك فى مختلف الأقاليم ، اثار جركس قضية العوائد المترتبة على قانون عام ١٦٧٢ الصادر فى عهد ( ابراهيم باشا ) وتبين بالرجوع الى القانون زيادة العوائد عما كان محددا ، بمبلغ يصل الى ( ٦٨٠ كيسا مصريا ) ، فعقد الصناجق مع الأغوات والعلماء والأشراف ( جمعية ) ، وطالبوا الباشا باتخاذ موقف واضح ازاء هذه القضية ، فاضطر الباشا الى ابطال الزيادات المستحدثة فى كافة النواحى وفى المقاطعات المختلفة ، ورغم شكوى أوجاقى ( مستحفظان وعزبان ) من هذا الاجراء ، أصدر أوامره الى اغا مستحفظان بالنداء على الأسعار الجديدة ، وبعث اغوات الأوجاقات — يرافق كل منهم اثنان من رجال أوجاقه — الى الاقاليم لاعلام الأهالى بذلك ، ونودى برفع الظلم فى يناير

---

(١٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤١٦ — ٤١٨ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٤٥ — ١٥٠ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٤٤ — ٣٤٩ .

١٧٢٤ ، والتقيد بدفع الأموال المقررة الى الكشاف ، على موجب القوانين القديمة ، فاستنكر باب مستحفظان هذا الأمر الذى يضر بمصالح رجاله الذين رفعوا عرضا الى الباشا لتوضيح موقفهم ، وأن الأسعار قد ارتفعت بمعدل النصف عن ذى قبل ، وحتى يخلى مسئوليته وخوفا من بطش هذا الأوجاق ، أعطاهم فرمانا بعقد اجتماع يضم أهل الخبرة من التجار والحرفيين لوضع تسعيرة عادلة لكافة السلع والبضائع . وفى نفس الوقت رفض الباشا طلبا تقدم به رجـال أوجاق عزبان لاعادة مقاطعة ( الخردة ) ، ولم يقدر على معارضة مطالب أوجاق مستحفظان نظرا لقوته . ويبدو أن الالتزام بما جاء فى القوانين السابقة لم يستمر طويلا ، وعادت الأمور كما كانت بنهاية حكم هذا الباشا (١٧) .

واستمرت قضية الأسعار تطرح أمام الباشوات بشكل شبه مستمر خلال القرن الثامن عشر ، فيلجأون الى عقد الجمعيات أو مناقشتها فى الديوان لاصدار تعليمات تساهم فى حل الأزمة ، بشكل مؤقت دون علاج حاسـم ، نظرا لما تعرضـت له أجهزة الادارة ونظمها للاختلال والتدهور ، وغياب التخطيط الشامل لمعالجة الأمور الاقتصادية .

وبصفة عامة ، يمكن القول بأن سلطة الباشا العثمانى قد تعرضـت للضعف والتدهور خلال القرن الثامن عشر ، وخاصة تجاه تسلط الشخصيات المتنفذة والطوائف المملوكية المتصارعة ، وتحولت السلطة الفعلية فى شئون ولاية مصر لأيدى أمراء المماليك بزعامة ( شيخ البلد ) ، ولم تؤت محاولة الباب العالى ثمارها لانعاش السلطة العثمانية ـــ من خلال الباشوات والأوجاقات ـــ بعد ارساله حملة ( حسن باشا قبطان ) فى أواخر هذا القرن .

---

(١٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤١٨ وما بعدها .
ـــ يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ـــ ٢٥٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفصل الحادى عشر

## أمير الحج

**أهمية امارة الحج :**

يعد منصب أمير الحج من أهم المناصب فى ولاية مصر العثمانية فى القرن الثامن عشر ، وكان كبار الصناجق (*) — من أصحاب البيوتات المملوكية المعروفة — يحرصون على الوصول اليه ، فأمير الحج يحظى بمكانة سامية من الناحية الدينية ، اذ يتمتع بشرف كبير من خلال قيادته لموكب الحج الى الأراضى الحجازية ، وزيارة الأماكن المقدسة ، كما يحصل على مكاسب مادية تغرى الكثيرين خاصة فى السنوات التى يستولى فيها على مخلفات الحجاج الذين توافيهم المنية فى طريق الذهاب أو العودة ممن لا وارث لهم ، هذا بالاضافة الى نفوذ أمير الحج السياسى فى شئون الولاية وعلاقته المباشرة بالباب العالى ، باعتباره ممثلا عن السلطان العثمانى زعيم المسلمين (١) .

**اختيار أمير الحج :**

حرصت الدولة العثمانية — خاصة فى القرن الثامن عشر — على ممارسة

---

(*) شغل هذا المنصب خلال القرن السادس عشر رجال أوجاق المتفرقة الذى ارتبط بالدولة العثمانية فى مصر ، وبضعف السيادة العثمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر حظى بهذا الشرف أمراء من المماليك .

(١) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ .

— عراقى يوسف : الأوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ١٩٧٨ ، ص ٢٠٦ وما بعدها .

ما تبقى لها من هيمنة وسيادة على ولاياتها العربية من خلال تدخلها لاختيار أمير الحج الذى يعد فى هـذا المجال الدينى رمزا لسـيطرتها على العالم الاسلامى ، ويبدو ذلك واضحا فى ولاية مصر ، ففى النصف الأول من هذا القرن يشير المؤرخون المعاصرون الى وصول خطوط شريفة تنص صراحة على الصنجق الذى وقع عليه اختيار الدولة ليكون أميرا للحج ، من ذلك أنه فى ٢٨ جمادى الثانية ١١٢٤ هـ / ٣ أغسطس ١٧١٢م ، خلعت عـلى قيطاس بك الدفتردار امارة الحج وعزل من الدفتردارية ، ويلتزم الباشـا وباقى الصناجق وأغوات الأوجاقات بما تراه الدولة فى هذا الشأن . وقـد ينوب الباشا العثمانى أحيانا عن الدولة فى تعيين أمير الحج باعتباره أدرى بشئون ولايته ، والشخصيات القادرة على تحمل مسئوليات هذا المنصب ، ففى ١٦ فبراير ١٧٢٦ عين ( محمد باشا النشنجى ) لامارة الحج هذا العام ( قيطاز بك الأعور ) ولم يمهله القدر للعودة بالموكب الى مصر ، حيث توفى فى الحجاز ، فشغل المنصب كتخداه ( نائبه ) ليباشر مسئوليات وتبعات هذا المنصب الهام ، حتى يصـل أمير الحج الجديد ــ الذى وقع عليه اختيار الصناجق وموافقة الباشا ، وكان ( زين الفقار بك ) حيث سافر لملاقاة الموكب فى سبتمبر ١٧٢٦ (٢) .

كما أرسلت الدولة فى نوفمبر ١٧٣٣ أمرا بتولية ( محمد بك قطامش ) امارة الحج ، واضافت الى التزامات أمير الحج للانفاق على لوازم الموكب المختلفة ، ولايتى ( البحيرة والغربية ) بالاضافة الى ما هو معروف ( الشرقية والقليوبية ) من قبل . وقد تنتهز الدوائر الحاكمة فى الباب العالى فرصـة

---

(٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ .

ــ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٤٧ وما بعدها .

ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٢ ، ق ٥٥ ، ١٩٨ .

وجود أمير الخزنة ( سردار الخزينة ) فى استانبول فتكلفه باستلام الخط الشريف الذى يقرر أمير الحج الجديد بمصر (٣) .

ولكن من الملاحظ ان قبضة الدولة قد تراخت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى بعض الأحيان لاختيار أمير الحج ، وبرزت السيطر المملوكية ، فلم تراع كفاءة الصنجق الذى يتولى هذا المنصب ، مما يؤدى الى حدوث صعوبات تعترض موكب الحج لا قدرة له على تذليلها . من ذلك انه فى سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤م شغل امارة الحج احد البكوات ( عمر بك بن حسن بك رضوان ) وكان طاعنا فى السن ، وتولى هذا المنصب رغما عنه على أثر خلاف وقع مع احد الكتخداوات ، وقد تعرض الموكب فى طريق العودة لاخطار طبيعية لم يفلح فى مواجهتها الأمر الذى سبب خسارة كبيرة فى الأرواح ، ولم يعد من الحجاج الا القليل .

ويحرص أمير الحج — الذى وقع عليه الاختيار — على كسب ود باشا جدة الذى ترسله الدولة ، وهو يمر بولاية مصر فى طريقه الى ولايته ، فيحسن أمير الحج استقباله ويقدم له الهدايا ليكون له عونا فى الحجاز ضد اخطار العربان ونقص المياه والمؤن . ففى جمادى الثانية ١١٢٤ هـ / يوليو ١٧١٢م استقبل قيطاس بك ( أمير الحج ) ( خليل باشا ) المتولى باشوية جدة فى القاهرة ، وقد اصطحب عددا كبيرا من العسكر الأروام ( العثمانيين ) ، وتلقى باشا جدة الهدايا من أمير الحج وبقية الصناجق (٤) .

---

(٣) عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ورقة ٩٧ وما بعدها .

— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٨٦ .

Perry : op. cit., p. 265.

(٤) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٠٧ وما بعدها .

— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٤٦ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢ .

— الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٤٩ .

### الاستعداد لموكب الحج :

تجرى الترتيبات لموكب الحج قبل خروجه بثلاثة اشهر على الأقل ، فيستاجر أمير الحج عدة آلاف من الابل لانجاز احتياجات الموكب ، ويهتم بارسال كافة المؤن والمأكولات عن طريق العربان ليتم حفظها فى محطات طريق الحج . وينبغى الانتهاء من هذه التجهيزات قبل حلول وقت الحج بشهر ، ويقدم شيخ العرب همام — سنويا — هدية الى أمير الحج ، تبلغ حوالى ثلاثمائة من الابل ، وكميات كبيرة من الغلال والمؤن ، وقد يضطر أمير الحج أحيانا الى الاستيلاء على جمال السقائين بالقاهرة اذا لزم الأمر . ويكون خروج موكب الحج المصرى عادة فى الفترة من أواخر شهر رمضان حتى شهر شوال من كل عام ، وعادة ما يصل الحجاج المغاربة — بعد رحلة تستمر ثلاثة أشهر — الى مصر ، ويمكثون بها فترة من الوقت ، للانضمام الى الموكب المصرى فى طريقه الى الحجاز ، وكان وجودهم بمصر فرصة للاحتكاك بالمجتمع ، فيتاجر البعض فى أنواع البضائع المغربية ، كما يلتقى البعض الآخر بعلماء الأزهر ، ويتعرف المؤرخون منهم على احوال بلادهم ، وخاصة ما يتعلق بالأمور السياسية العامة (٥) .

ويخلع الباشا على أمير الحج قفطان الامارة ( الخلعة ) ، فى الديوان ، كما يتسلم أموال الصرة الشريفة (*) من الروزنامجى بحضور الباشا وكتخداه ، ويقدم ايصالا بذلك ، وتوضع أموال الصرة فى صناديق محكمة ،

---

(٥) Shaw ; Ottoman Egypt. Harvard. 1962 p. 42.

— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٠٢ .

(*) تزايد مال الصرة الشريفة حتى بلغ حوالى ٢٢٠ر٩٨١ر١٥ بارة ويوزع هذا المبلغ على جزئين : الأول منه وقدره حوالى ١٧٦ر٠٥٦ر٨ بارة وهو ما يخص مكة والمدينة من الصرة للانفاق على عدة مساجد وشيوخ وفقراء ، والثانى وقدره ٤٤٠ر٩٢٥ر٧ بارة وهو ما يتعلق بمستحقيها من أهالى القاهرة على شكل مرتبات لعدد من الشيوخ والأفندية والرجال والنساء ولهم حق التصرف فى هذه المرتبات الا انهم حرموا ايراداتها بعد انفراد ابراهيم بك ومراد بك بالحكم .

يقوم على حفظها اثنان من الموظفين تابعين لامير الحج ( الصراف — الخطيب ) ، كما يحصل أيضا على نفقة ومصاريف الموكب (**) ، والتى تدفع منها عوائد للعربان المنتشرين على طول طريق الحج ، الى جانب نفقات المحمل ، وقد يحتاج الأمير لجانب من أموال الخزينة العامرة المرسلة الى الدولة سنويا ، وذلك بموافقة الباشا والصناجق بالولاية .

ويستعين أمير الحج بعدد من الموظفين خلال رحلته ، منهم كتخداه ( نائبه ) الذى ينوب عنه فى بعض الأوقات خاصة اذا توفى أمير الحج قبل العودة الى مصر ، وناظر الكسوة الشريفة وهو الذى يتولى الاشراف على صنع الكسوة فى القاهرة ، وأمير الركب الشريف وهو من البكوات الصناجق ويضطلع بمهمة تنظيم سير قافلة الحج ، وعادة ما يتقدم الموكب هو وأتباعه لتأمين الطريق ، فضلا عن قاضى المحمل للفصل فى النزاعات والدعاوى وحصر التركات وغيرها ، وينوب عن أمير الحج فى كل اقليم بمصر ( دوادار ) يتلقى أسماء الراغبين فى الحج وينظم وصولهم الى القاهرة مقابل رسوم معينة (٦) .

### مهام ومسئوليات أمير الحج المصرى :

تعددت الأعباء التى كان يضطلع بها أمير الحج المصرى فى القرن الثامن

---

(**) اختلفت الموارد التى يحصل عليها أمير الحج لتغطية نفقات الموكب فكان يحصل على ٤٣٧ كيسا مصريا من خزينة مصر ، الى جانب ٢٠٠ كيس مصرى على حساب الارسالية المقررة للباب العالى ، فضلا عن عوائد على فروق البن الواردة الى السويس والتى تبلغ فى المتوسط حوالى ١٨٧ كيسا مصريا ، وهذا نموذج لايرادات عام ١٧٨٦ من واقع السجلات العثمانية باستانبول ، ويشير المؤرخون الى أنه فى بعض السنوات كان يحدث عجز فى مال الصرة ويفرض على تجار القاهرة تغطيته على شكل ( فردة ) .

(٦) أحمد راسم : عثمانلى تاريخى ، استانبول ١٣٢٦ هـ ، ص ٨٤ .
— Esteve : op. cit., pp. 250-254.
— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ وما بعدها .

عشر ، بصفة خاصة بعد أن اهتزت السيادة العثمانية فى كل من مصر والحجاز ، فكان من الضرورى أن تتوفر فى أمير الحج كفاءات عسكرية وادارية عالية لانجاز المهام التى تفرضها طبيعة عمله ، وأبرز هـــذه المهام المختلفة مسئولياته العسكرية خلال رحلة الحج الطويلة ، فهو بمثابة القائد الأعلى للتجريدة العسكرية المصاحبة للموكب والتى تضم جماعات تنتمى الى سائر الأوجاقات السبعة ، باعتبار هذا الأمر بمثابة واجب تحتمه أوامر الدولة من جهة ، ويفرضه الشعور الدينى من جهة أخرى ، ويأتمر السردارة السبعة الذين يقودون هذه الجماعات بأوامره فى التصدى لهجمات العربان التى حفل بها القرن الثامن عشر ، سواء فى طريق الذهاب الى الأراضى الحجازية أو فى العودة حيث يطيب لهم سلب ما عاد به التجار المصاحبين للقافلة من بضائع وسلع مختلفة فضـــلا عن أمتعة وأموال الحجاج . وقد أنجز العديد من أمراء الحج هذه المسئوليات العســـكرية بجســـارة فائقة وزرعوا فى قلوب العربان الهيبة والخوف من محاولة الاقتراب من موكب الحج المصرى ، كما عجز فى نفس الوقت أمراء آخرون عن القيام بها مما أطمع العربان فى نهب وأسر الحجاج فى بعض السنوات ومعاملتهم معاملة سيئة (٧) .

ويشارك رجال القلاع (*) المنتشرة فى طريق الحج بدور له أهميته فى تأمين سبل الموكب وتزويده بما يلزمه من مؤن وعتاد وان كان دورهم فى القرن الثامن عشر لم يعد ملموسا اذا قورن بمثيله خلال القرن السادس عشر ، كما قام كل من ( باش الأزلم وباش العقبة (**) ، وهما اللذان يرسلان الى كل من ( الأزلم ) — الواقعة فى الحجاز على طريق الحج — والعقبة بقيادة عدد من العسكر لمقابلة موكب الحج فى حين العودة ومؤازرة

---

(٧) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥٥١ ، ٥٨٦ ، ٦٠٢ .

(*) يتم تجديد رجال القلاع بصفة دورية كل عام قبل وصول موكب الحج بشهرين على الأقل ، ومن المعتاد اختيارهم من أوجاق المتفرقة ولهم رواتبهم من الخزينة فضلا عن مكافآت نقدية أخرى مرتبطة بوجودهم فى هذه القلاع .

** يختار البكوات المماليك والباشا العثمانى هذين القائدين وهما =

القوات العسكرية المصاحبة له ، الى جانب تقديم المؤن وحمل احتياجات الحجاج التى يرسلها ذويهم فى مصر (٨) .

أما مسئولياته الادارية ، فهى تنحصر فى جهوده للاعداد والتجهيز لقافلة الحج ، بكافة لوازمها من وسائل النقل وكميات المؤن والمياه ، والمدافع الكبيرة (***) التى يحتاجها لصد هجمات البدو ، فضلا عن تنظيم الموكب وتلقى أسماء الحجاج من كافة القرى والاقاليم عن طريق نوابه ، وترتيب اشتراك أرباب الطرق الصوفية فى الموكب ، والحفاظ على أموال الصرة الشريفة ، وغلال الحرمين (****) المرسلة الى الحجاز سنويا ، وعوائد

---

= ( من الكشاف أتباع الصناجق ) ويضطلعان بمهمة كبيرة خاصة فى السنوات التى يتعرض فيها الحجاج لنقص المؤن وندرتها مما يهدد حياتهم ، كما تقضى طبيعة عملهما الاتجاه الى هذين الموقعين قبل تحرك الموكب فى عودته الى الأزلم ولهما موكب حافل يضم الأسلحة المختلفة من المدافع وغيرها الى جانب فرقة موسيقية كبيرة للترويح عن الحجاج ، واستمر وجودهما حتى حكم على بك الكبير الذى الغى ( باش العقبة ) واستمر باش الأزلم .

(٨) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٤٩ ، جـ ٢ ص ٨٢ ، ٩٢ .
Esteve : op. cit., pp. 251-260.
— حسين أفندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، تحقيق محمد شفيق غربال ، حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ١٩٣٦ ، ص ٥٦ وما بعدها .

---

(***) يهتم أمير الحج بتجهيز الموكب بما يقرب من خمسين مدفعا كبيرا وخمسة عشر مدفعا صغيرا وعدد من المماليك المدربين على استخدامها بعناية وذلك للاستعانة بها فى المعارك الناشبة مع قبائل العربان الضاربة على طريق الحج ، وتبلغ تكاليف موكب الحج فى المتوسط حوالى ٤٢٫٠٧٫٦٥٤ بارة وهى نسبة تزيد عن مرتبات رجال الأوجاقات وهذا يعكس حرص الدولة واهتمامها بمسئولياتها الدينية .

(****) ترسل هذه الحبوب بالسفن من ميناء السيوس الى جدة وهى كميات تصل لحوالى ١٥٨٫٤٦٢ أردبا ويتسلمها شريف مكة ، وتتحمل مصر نفقات نقلها الى هناك ، ولكن على بك الكبير اعفى خزينة مصر من هذه المسئولية ، وصار على الشريف تدبير نقلها على حسابه ، وكانت الدولة تولى اهتماما كبيرا باستعجال ارسال غلال الحرمين الشريفين .

العربان المقررة لهم . كما يتصدى أمير الحج بمعاونة قاضى المحمل لكافة المسائل القضائية المتعلقة بالحجاج سواء النزاعات والدعاوى فيما بينهم أو المواريث والوصاية وغيرها ، ويشمل فقراء الحجاج والمرضى بعطفه ورعايته بما يصرفه لهم من احتياجات عينية ونقدية (٩) .

**وصف موكب الحج :**

ارتبط موكب الحج المصرى بالأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة بولاية مصر من حيث الاهتمام بحجم الموكب ومظهره وتوفير الأمن ، ويصف لنا أحد الرحالة الأوربيين هذا الموكب فى أوائل القرن الثامن عشر على نحو جذب انتباهه وأثار اعجابه ، ويبدو أنه رافق الموكب حتى الأراضى الحجازية متتبعا تحركاته (*) فهو يشير الى الجماعات العسكرية التى تتقدم قافلة الحج ، ويصل تعدادهم لما يقرب من ألف محارب وهم يسيرون فى نظام وترتيب حاملين أسلحتهم وعلى أهبة الاستعداد للحرب ، ويحترمون المهام الموكلة اليهم يؤدونها بجد واقتدار ، ويأتى أمير الحج مرتديا ملابسه البيضاء راكبا أحد الجمال يحوطه صفوة من جند الانكشارية بقيادة سردار ، وقد تزينوا بملابسهم العسكرية ويسير فى ركابهم الأتباع قائمين على خدمتهم ويشكلون بذلك منظرا بديعا ، ويسهر على حراسة خيمة أمير الحج خمسة منهم يتناوبون الخدمة ليلا . ويتبع ذلك جماعات من الجند المرتزقة ــ المغاربة

---

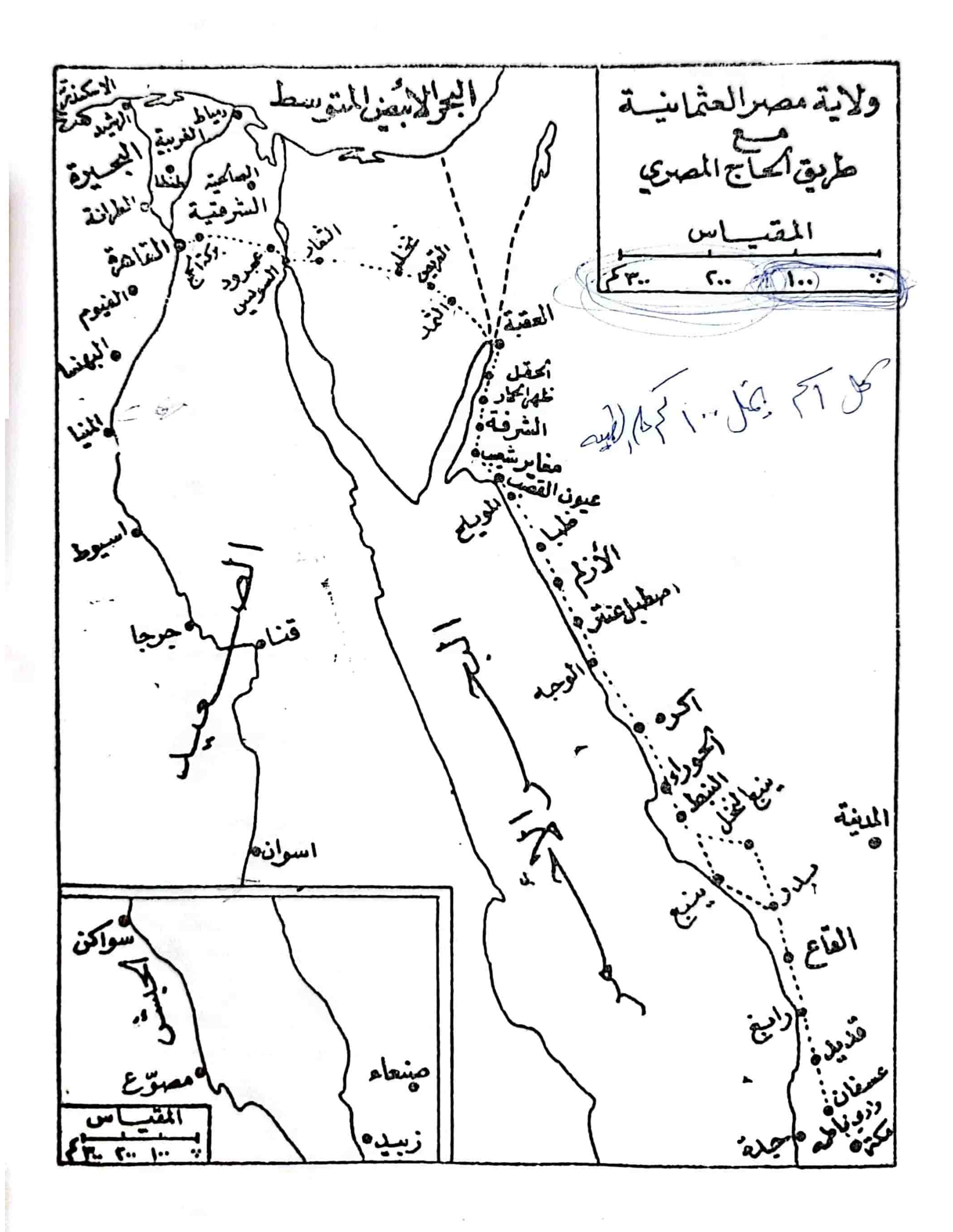
(٩) مجموعة الفرمانات الشاهانية : فرمان رقم (٢١) ص ٢١ .

Esteve : op. cit., p. 262 ;

Shaw : op. cit., pp. 42-50.

ــ عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٧ ، ٢ ، حسين افندى الروزنامجى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(*) يسبق الموكب جماعات السقائين العاملين فى خدمة الحجاج ، وذلك لتطهير الآبار وملء الأحواض لشرب الدواب ، وتوزيع المياه على الناس فضلا عن أحد الشيوخ يقوم بالآذان فى أوقات الصلاة خلال الرحلة حتى الوصول الى مكة .



ولاية مصر العثمانية
مع
طريق الحاج المصري
المقياس
٣٠٠ كم
٢٠٠
١٠٠
٠
البحر الأبيض المتوسط
الاسكندرية
رشيد
دمياط
الغربية
البحيرة
الصالحية
الشرقية
الطرانة
القاهرة
بركة الحاج
عجرود
السويس
نخل
العقبة
الفيوم
البهنسا
الحقل
ظهر الحمار
الشرفة
مغاير شعيب
عيون القصب
المويلح
ضبا
الأزلم
اصطبل عنتر
المنيا
اسيوط
جرجا
قنا
الوجه
أكره
الحوراء
النبط
ينبع النخل
المدينة
اسوان
ينبع
بدر
القاع
رابغ
قديد
عسفان
وادي فاطمة
مكة
جدة
سواكن
مصوع
صنعاء
زبيد
المقياس
٣٠٠ كم
٢٠٠
١٠٠
٠

والمماليك — والأهالى المسلحين ، والجمل الذى يحمل الكشوة الشريفة (**) المرسلة الى الكعبة (١٠) .

ويكون مزينا فى شكل بديع بالقماش المرصع بالذهب وقد اختير خصيصا لهذا الغرض واذا بقى حيا يقوم بحمل الكسوة مرة أخرى ، ويميز بعلامات معينة ، ويحرص الناس على لمسه والتبرك به — وفى المؤخرة كانت هناك جماعات مسلحة أخرى ممن تدربوا على القتال فى مسالك طريق الحج ، وهم يلبسون ما يحميهم من دروع وملابس جلدية (١١) (*) .

ومن المألوف أن موكب الحج كان يمر فى شوارع القاهرة الرئيسية وسط حفاوة أهالى المدينة وأبناء الأقاليم القادمين مع أهلهم المسافرين للحج ، ويكون خروج الموكب مناسبة دينية طيبة يحرص الكثيرون من الأهالى على مشاهدتها ، يتخذ الموكب الطريق من القاهرة الى بركة الحج الواقعة شمالى المدينة التى تبعد عنها — حينذاك — بمسافة تقرب من عشرة أميال ، وهى أول نقطة على طريق الحج المصرى ، وكانت هناك نقطة التجمع لكافة جوانب الموكب ، ويلتقى أقارب الحجاج بالمسافرين لتوديعهم ، وتنتشر بهذه المنطقة الخيام وتعلو أصوات الموسيقى ودق الطبول احتفالا وسرورا ، ومن الناحية الرسمية كان كتخدا الباشا والروزنامجى ومعظم الصناجق والبكوات المماليك واختيارية الأوجاقات يخرجون مصاحبين للموكب حتى بركة الحج لتوديع أمير

---

(**) يتم صنع هذه الكسوة فى القاهرة ، باشراف ناظر الكسوة ، وهى تجهز على أيدى صناع مهرة لتزيين الكعبة ، وقد بلغت تكاليف اعدادها نحو ٨٠٧ر٧٩٠ بارة .

(١٠) Perry : Op cit., pp. 266-270.

Savary : op. cit., pp. 198-200.

— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ورقة ٩٨ .

— Esteve : op. cit., pp. 248-253.

(١١) Perry : op. cit., p. 267

(*) يشير أحد الرحالة ( سافارى ) الى أن قوام التجريدة المرافقة لموكب الحج تصل لحوالى أربعة آلاف محارب من كافة الأوجاقات .

الحج ، وقد يتعطل انعقاد الديوان حتى رجوعهم من هذه المهمة ، وبتحرك الموكب من بركة الحج يعود الأهالى من الأقارب والأصدقاء الى القاهرة (١٢).

وتستغرق هذه الرحلة الطويلة الشاقة — عادة — ما يقرب من اربعة أشهر ( ١٠٠ : ١١٠ أيام ) حتى عودة الحجاج الى مصر ، ويبلغ تعداد المسافرين للحج سنويا فى المتوسط حوالى خمسين الف نسمة ، وينتقل الموكب الى عجرود على مقربة من السويس (**) ثم يتخذ طريقه الى العقبة مارا بعدة محطات ، وبعدها يسير محاذيا للساحل الشرقى للبحر الأحمر حتى ينبع ومنها الى مكة المكرمة ، ويستمر وجودهم بها حوالى عشرين يوما لينتقل الموكب بعدها فى خلال عشرة أيام الى المدينة المنورة لقضاء يومين بها ، وبعدها يحين الاستعداد للعودة الى مصر (١٣) .

**العربان وقافلة الحج المصرى :**

انتشرت قبائل العربان على طول الطريق الذى يسلكه موكبى الحج المصرى والمغربى ، وأهم هذه القبائل الضاربة حول الجزء المصرى من الطريق حتى العقبة ( قبيلة العبايدة والحويطات والتربين والطوايلة ) ، ويستعين أمير الحج بهذه القبائل فى وجوه مختلفة ، فهو يستأجر ابلهم لنقل الحجاج ولوازم الموكب ، كما يسترشد بهم فى ارتياد الطرق الوعرة والتى يتوفر فيها مياه الآبار وهو فى هذا المجال يلجأ الى كبار مشـــايخ هذه القبائل ، خاصـــة وقد اسندت الى هـــذه القبائل مهام خفارة الطريق مقابل عوائد

---

(١٢) احمد شلبى عبد الغنى : المصدر السابق ص ٥٠٩ — ٥١٣ .
Shaw : op. cit., p. 72.
Savary : op. cit., p. 270.

(**) ويتخذ الموكب احيانا الطريق البحرى من السويس حتى ميناء ينبع فى السفن المعدة لهذا الغرض ، خاصة اذا كانت هناك صـــعوبات تعترض استخدام الطريق البرى .

(١٣) Perry : op. cit., p. 267.
Volney : op. cit., pp. 187-192.

معينة (*) فرضت على الأقاليم وتدفع لهم سنويا ، وعندما يتم الاتفـــاق بين أمير الحج وشيوخ هذه القبائل على تقديمهم العون اللازم لموكب الحج وتحمل مسئولية توفير الأمان للقافلة خلال الرحلة الشاقة ، كان أمير الحج يحتفظ برهائن منهم حتى يستوثق من هذا الاتفاق ، ويظلوا فى ضيافة شيخ البلد بالقاهرة حتى عودة المحمل من الحجاز ، كما يصطحب عددا مماثلا منهم يتقدمون الموكب لاستطلاع الطرق وتوجيه الركب ، وفى هذه الأحوال لم يشكل عربان الحجاز مصدر خطورة يهدد الموكب ، ولكن اذا تخلى شيوخ القبائل — لأسباب متعددة — عن دورهم المذكور كان على أمير الحج أن يعضد جانبه بجماعات عسكرية كافية من الأوجاقات بمصر ، وعليه أن يلتزم الحيطة والحذر فى تحركاته على طريق الحج تحسبا لهجوم مباغت أو كمين من جانب العربان (١٤) .

وسوف نعرض فيما يلى للعلاقات بين العربان وأمير الحج خلال القرن الثامن عشر :

نجح عدد من أمراء الحج ابان هـــذا القرن فى قيادة الحج بحســـن سياستهم تجاه العربان ، وشدة بأســـهم فى توفير الأمن للموكب ، فيعود

(*) كان العربان يرسلون الى الباشا العثمانى فى طلب هذه العوائد اذا لم يتسلمها أمير الحج ، ويقومون بأعمال النهب والسلب اذا تأخرت عنهم ، أو حرموا منها فى بعض السنوات .

(١٤) Shaw : op. .cit., pp. 26-29.

— يوسف الملوانى : المصدر السابق ، ص ٢٤١ — ٢٥٨ .

— أحمد شلبى عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ ، ٣٤٠ .

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٦٢ — ٦٥ .

— سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية : س ٣ ، ق ١٣٢١ ، س ٢٩ ق ١٤٥ .

— محكمة بولاق : س ١٠ ق ٩٩٠ ، محكمة الباب العالى : س ١ ق ١١٣٦ .

الحجاج شاكرين لجهودهم التى بذلوها فى سبيل راحتهم لتأدية فريضة الحج ، ويعود هذا النجاح — غلبا — الى كفاءات فردية تتوفر فى أمير الحج ، دون ارتباط بسن معين .

ومن أمراء الحج الذين نالوا مكانة عالية فى النفوس — رغم حداثة سنه — ( اسماعيل بك بن ايواظ ) حيث سافر بالموكب سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥م ، وعاد فى صفر ١١٢٨ هـ / يناير ١٧١٦م ، ومرة أخرى فى عام ١١٣٠ هـ / ١٧١٨م ، حتى صفر ( ١١٣١ هـ / يناير ١٧١٩م ) دون أن يتعرض الحجاج لأذى من جانب العربان أو لصعوبات فى الحصول على المؤن وكافة الاحتياجات ، ثم اختير مرة أخرى لامارة الحج سنة ١١٣٢ هـ / أكتوبر ١٧٢٠م ولكنه تعرض فى العقبة لاغارات من جانب العربان تمكن من التصدى لها بشدة وأمن الطريق الى الحجاز ، ثم أرسل الى باشا مصر بتجهيز تجريدة بقيادة أحد البكوات الى العقبة خوفا من اعتداء جديد عند رجوع القافلة ، اجتمع البكوات والصناجق بأمر الباشا وتم اختيار خمسة بكوات من بينهم جاكم جرجا واغا أوجاق الكوملية على رأس تجريدة قوامها خمسمائة من العسكر تمثل كافة الأوجاقات ، وأعطى لكل منهم مبلغا قدره ألف وخمسمائة نصف فضة كمكافأة ، وتحركت التجريدة فى نوفمبر ١٧٢٠ وقامت بدور فعال فى مؤازرة امير الحج والتغلب على خصومه .

وقد تغيرت سياسة الباشا العثمانى تجاه أمير الحج صاحب الشخصية القوية ( إسماعيل ابن ايواظ ) لصراعات مملوكية فى القاهرة ، فبعث تجريدة هائلة للقبض عليه عند العودة بالموكب ، الا أنه أحس بهذه المؤامرة فترك قيادة الموكب ولاذ بالفرار وحل مكانه أمير الحج الجديد الذى أرسله الباشا مع التجريدة (١٥) .

---

(١٥) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ — ٣٠٨ .
— Perry ; op. cit, pp. 266-271.
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٦٠ — ١٦٥ .

كما تعرض موكب الحج من جديد فى المحرم ١١٣٧ هـ ( اكتوبر ١٧٢٤م ) نقطع الطريق فى العقبة بسبب اعتداء العربان الذين منعوا أمير الحج من التحرك ومواصلة السير ، فاضطر الى التراجع الى قلعة نخل للتحصن بها وأرسل طالبا العون ، فأرسلت اليه تجريدة ضمت عددا من الجند المرتزقة والمماليك برئاسة اثنين من البكوات أحدهما كاشف ولاية الغربية ، رافقت التجريدة موكب الحج حتى العقبة وبقيت فى انتظار عودته من الحجاز ، وعند رجوع الموكب أجبر أمير الحج على اجتياز طريق وعر المسالك بعيدا عن متناول عربان العقبة ، وقد خلا من الآبار ، مما أدى الى قلة المياه وارتفاع أسعارها بشكل حاد حتى بلغت شربة الماء أربعة دنانير زنجرلى .
ويعود عصيان عرب العقبة الى سوء سياسة شيخ البلد ( جركس بك ) ، فكان من المألوف الاستعانة بهم فى توفير الابل المستخدمة لنقل المسافرين والحجاج ، ولكنه طردهم واستعان بقبيلة اخرى فى نقل موكب ( باشا جدة ) المتوجه الى الحجاز مما جعلهم ( عربان العقبة ) يبادرون بنهب قلعة العقبة وردم الآبار والاستيلاء على المدافع وتمكن أمير الحج من استمالة بعض العربان الى جانبه للخروج من هذا المأزق ، فاختاروا له طريقا أطول من المعتاد ليكون فى مأمن من اعتداء عربان العقبة ، وحاول أمير الحج اجراء صلح مع هـذه القبائل المعادية ، ولكنهم حددوا شروطا قاسية ، فطالبوا بتعويض قدره عشرة اكياس مصرية وعشرة أحمال من القماش وأخرى من البن ، ولم يكن بوسع أمير الحج الاستجابة لهذه الشروط فعرض عليهم دفع الف دينار زنجرلى لاخلاء الطريق ولكنهم رفضوا هذا الاقتراح ، فاضطر أمير الحج — استجابة لرأى مؤيديه من العربان الآخرين — الى ارتياد طريق آخر خلسة ، وعندما أيقن عربان العقبة ذلك هاجموا مؤخرة الموكب حيث يضم بضائع التجار وأموالهم الأمر الذى أدى الى خسارة مادية كبيرة ، وقتل عدد من الحجاج . وهذا يشير الى أن مصادقة قبائل العربان كان أمرا هاما ولا يغنى عنها الاعتماد على التجاريد العسكرية ورجال القلاع وذلك لمعرفة هذه القبائل بطبيعة بلادهم وتضاريسها وامكانية تضليل أمير الحج والايقاع به من ناحية ، فضلا عن الضعف العام الذى تسرب الى الكيان العسكرى

للتجاريد والقلاع وانعدام الحافز المادى من ناحية أخرى (١٦) .

وازاء هذه الاهانة التى تعرض لها موكب الحج العائد فى ( ١١٣٧ هـ / ١٧٢٥م ) اختير لامــارة الحج أحد البكـوات الأقوياء ( زين الفقار بك ) ( ١١٣٧ ــ ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ ــ ١٧٢٦م ) ، الذى قاد الموكب قيادة حازمة ، وقد تأهب للانتقام من العربان فقاتلهم عند قلعة نخل ( عربان نخل ) وقتل منهم الكثير ، كما أخذ بالثأر من عربان العقبة وأعدم شيخ القبيلة الذى سخر من زين الفقار نفسه عندما كان مرافقا لأمير الحج فى العام السابق ( محمد بك بن اسماعيل ) واصطحب معه رهائن منهم ( ابن شيخ القبيلة وأخيه ) فى طريقه الى الحجاز ، وعند عودته الموكب طالبوا باعادة الرهائن ولكنه اشترط لذلك اعادة قافلة تحمل البضائع فى طريقها الى السويس ، ولكنهم أنكروا هذه التهمة ونسبوها لقبيلة أخرى ، وبهذا الشكل أعاد زين الفقار بك الى موكب الحج المصرى هيبته فى نفوس العربان كما كانت من قبل خلال امارة ايواظ بك وابنه اسماعيل بك ، وعاد الى مصر فى غاية العز والعظمة ، وكان قد استعان بجماعات من جند الانكشــارية لحراســته خلال هــذه الرحلة (١٧) .

وهكذا شكل عربان العقبة بصفة خاصة عنصر تخريب لموكب الحج ، فقد عاودوا هجومهم فى موسم ( ١٧٣٠ ــ ١٧٣١م ) ولكن أمير الحج كان من ذوى الكفاءات العسكرية والمملوكية ( محمد بك قطامش ) فبادر بالقبض على شيخهم وولده ، مما جعلهم يفكرون فى الانتقام فى الموسم التالى ، خاصة وقد حرموا من الكساوى المعتادة ، وكان أمير الحج قد اعد لمثل هذا الاعتداء اذ شدد حراسة الموكب مستعينا بالعسكر المرتزقة من المغاربة ، وقسمهم جماعات حول الموكب ، وفى نفس الوقت أرسل الى القاهرة طالبا المدد ،

---

(١٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٥٣ ــ ٤٥٨ .
ــ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٩٣ ــ ١٩٦ .
(١٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ــ ٥١٣ .
ــ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٠٦ ــ ٤٠٨ .

فاتجهت تجريدة بقيادة ( صالح بك وتابعه حسين بك الخشاب ) ونجحت في كسر شوكة العربان ونهب بلادهم ، وقتل العديد من رجالهم ، وقد رجحت كفة التجريدة بفضل استخدام المدافع الكبيرة في هذه المعارك ( يوليو ١٧٣٢ ) والقى القبض على عدد من مشايخهم وعادوا مع التجريدة الى القاهرة لينالوا عقابهم في قرا ميدان بالاعدام ، وكان أمير الحج — امعانا في التحدى — قد عـــزم على قطع أشجار النخيل في العقبة اولا توســط عدد من المشايخ الموالين . (١٨)

ولم يقتصر خطر العربان على الجزء المصرى من الطريق ، فقد هدد عربان الحجاز في بعض السنوات موكب الحج المصرى ، ففى يوليو ١٧٣٣ تعرض أمير الحج ( على بك ) عند العودة بالقافلة الى الينبع لخطرهم على أثر خلاف جرى بين أتباعه وبعض العربان مما عرض الحجاج لمشقة بالغة تفاقمت لصعوبة الحصول على المياه اللازمة مما سبب في موت أعداد منهم وهلاك الابل حتى انتقلوا الى الأزلم في أواخر هذا الشهر ( يوليو ١٧٣٣ ) .

وفى موسم ١٧٣٥ تجمع عربان العمارنة ، وبعض عربان الشـــام في منطقة ( ظهر الحمار ) — وهى من محطات طريق شمالى الحجاز — وتصدوا للموكب المصرى عند العودة ، فبعث أمير الحج الى الباشا العثمانى طالبا العون ، وبعد مشاورات تمت بين الباشا والصناجق اتفقوا على اسناد هذه المهمة الى ( على بك الصـــغير تابع زين الفقار ) يرافقه أغا أوجاق الكوملية ، على أن يحصل سردار التجريدة على معـــونة مالية قدرها ٢٥ كيسا مصريا ومساعدة ( أغا الكوملية ) على عشرة أكياس فضلا عن ترقى لكل جندى في التجريدة — البالغ عددها حوالى خمسمائة * محارب — يصل

---

(١٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٧٨ وما بعدها .

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ .

(*) يتبين من تكوين التجريدة أنه حوالى ثلاثمائة منها مائة من رجال الأوجاقات والباقى ( مائتين ) من مماليك الأمراء ، وهذا يعكس مدى قوة العنصر المملوكى في الكيان العسكرى حتى الثلث الأول من القرن الثامن عشر .

لخمسة عشر دينار زنجرلى . وكان من الضرورى أن يستند سردار التجريدة الى تأييد قبائل من العربان معادية لخصـــومة للتعرف على طبيعة المناطق الجبلية وكيفية الافادة منها ، واندلعت المعارك بين الجانبين فى منتصف يونيو ١٧٣٥ بشكل حاد واتبع السردار أساليب الخداع والتمويه ضـــد العربان ، وتمكن من انقاذ موكب الحج والحاق الهزيمة بهم ، وتحرك الموكب دون صعوبة الى العقبة فى طريقه لمصر . (١٩)

ومن أمراء الحج المشهورين بعلو الهمة والشجاعة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ( حسين بك كشكش ) وهو من خشداشية ( على بك الكبير ) الذى ســافر أميرا للحج سنة ١١٧٤ هـ / ١٧٦١م واعترض العربان المطالبين بعوائدهم فتظاهر بمسالمتهم ومنحهم اياها على يد كاتب الصرة والصراف ثم ألقى القبض على مشايخهم وقتلهم ، وتمكن من فرض هيبته على جماعات العربان فى طــريقه الى الحجاز حتى عودته الى مصر ، مما جعل ( على بك الكبير ) يلقى عليه اللوم تخوفا من العربان للثأر ، فأصر حسين بك على التصدى لقيادة موكب الحج أربع سنوات متواليات ( ١١٧٤ ــ ١١٧٧هـ / ١٧٦١ ــ ١٧٦٤م ) كما نجح فى فرض نفوذه على العربان فى مصر ، الذين شكوا مصدر خطورة للفلاحين والقرى (٢٠) .

كما نجح على بك الكبير ــ قبل انفراده بالحكم ــ فى اثبات وجوده السياسى والعسكرى من خلال توليه لامارة الحج مرتين احداها فى موسم ١١٧٧ ــ ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ ــ ١٧٦٥م ) ، ويشير المؤرخ الى أنه عــاد بالموكب فى أبهـــة عظيمة ، وهذا يعنى قدرته على تأمين الطريق وارهاب العربان .

وعندما سافر مراد بك أميرا للحج ( ١١٩٣ ــ ١١٩٤هـ / ١٧٧٩ ــ

---

(١٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٩٠ ــ ٦٠٣ .
Savary : op. cit. pp. 254-263.

(٢٠) الجبرتى : المصدر السابق ، حـ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٣ .

١٧٨٠م ) صادف مقاومة شديدة من جانب العربان (*) فى منطقة ( الصفرة ، الجديدة ) فقد حاصروا الموكب مما أدى الى وفاة كثير من الحجاج والعسكر ، ونهب بضائع التجار وممتلكاتهم ، الى جانب الابل المستخدمة فى نقل القافلة . وتحول اعتداءات العربان فى بعض السنوات دون استكمال شعائر الحج ، ففى موسم ( ١١٩٨ — ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م ) لم يتمكن الحجاج تحت امارة ( مصطفى بك ) من زيارة المدينة المنورة ، بعد أن قطع العربان الطريق اليها ، مطالبين بعوائدهم القديمة وما استحدثوه من عوائد جديدة ، وقتل العديد من الحجاج على أيديهم ، مما جعل البعض يفضلون طريق البحر فى العودة الى السويس ، واتخذ آخرون — الى جانب الموكب المغربى — الطريق البرى فتعرضوا لهجمات عربان العقبة ونهبهم ولم ينج من أيديهم الا القليل بعد أن خرج الأمراء من مصر لملاقاة الموكب فى صفر ١١٩ هـ / ديسمبر ١٧٨٤م (٢١) .

وفى الموسم التالى ١١٩٩ — ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥م أدى جشع أمير الحج وامتناعه عن دفع العوائد السابقة للعربان وصرة المدينة الى تعرض الموكب لنفس المتاعب وحرمان الحجاج من زيارة المدينة المنورة رغم مساعدة أمير الحج الشامى له باعطائه ما يحتاجه من المال والمؤن والذخيرة ، الا أنه اعتذر بحجة عدم وفاء الأمراء المماليك بمصر لهذه الالتزامات الأمر الذى أدى لتدخل شريف مكة وأرسل عرضا الى السلطان العثمانى لأخباره بما يحدث من حكام مصر (٢٢) .

---

(*) كان العربان يطلبون الثار لمقتل شيوخهم ، كما يشير الرحالة سافارى، وتعرض كثير من الحجاج للقتل والتشريد وقد عبر الرحالة عن مشاهد الاسى والحزن العميق الذى ابداه اهالى مصر لهذه النكبة عندما عاد الموكب وقد جاءوا لاستقبال ذويهم ، ويصور جزع النساء اللاتى فقدن أزواجهن واخوتهن وابنائهن وقد قطعن الثياب .

(٢١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥١ ، ج ٢ ص ٥٩ — ٩٣ .

Savary : op. cit., p. 270.

(٢٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٢ .

Perry : op. cit., pp. 142-153.

حدثت اعتراضات فى أوساط الحجاج المصريين لسوء سياسة أمير الحج وتأثروا بعدم زيارة المدينة ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى القاهرة على أيدى مبشر الحج ، أصاب الناس الغم وزادت نقمة ( ابراهيم بك ومراد بك ) على أمير الحج ، الذى تعرض للاهانة وسجن حتى دفع ما عليه من أموال للميرى ، كان ينوى الاستئثار بها لنفسه .

وتؤدى رعونة أمير الحج فى معاملة العربان الى تعرض الحجاج لألوان الاهانات ففى موسم ١٢٠٠ — ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م عندما اتجه موكب الحج المصرى بقيادة ( محمد بك ) لزيارة المدينة ، بعد أن دفع للعربان عوائد سنتين متأخرتين وقسط الباقى بموجب الفرمان ، واحتجز أربعة من مشايخهم كرهائن الا أنه عاملهم بقسوة ، مما اثار العربان ، فتعرضوا للموكب وقتلوا معظم رجال أمير الحج ، ونهبوا أحماله وبضائع التجار ، وأسروا النساء ، وأمام اختفاء الأمير المذكور استغاث الحجاج بأمير الحج الشامى ( أحمد باشا الجزار ) الذى توسط لدى العربان لاعادة الأسرى من النساء مقابل أموال يدفعها ذويهم ثمنا لذلك ، وعاد الموكب فى أسوأ حال من العرى والجوع والضياع فى صفر ١٢٠١ هـ / ديسمبر ١٧٨٦م (٢٣) .

ويهتم شريف مكة بمراسلة الباشا فى مصر لاخباره بعصيان العربان فى طريق الحج حتى يتخذ أمير الحج الاحتياطات اللازمة ، ففى شوال ١٢٠١ هـ يوليو ١٧٨٧م بعث الشريف للافادة بتمرد ( عربان حرب ) وجهوده فى اخماد تمردهم بقواته العسكرية ، وأدت انتصاراته الى اشاعة الطمانينة لدى أهل مصر ، وتمكن موكب الحج فى العام التالى ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٨م ، من زيارة المدينة بفضل جهود شريف مكة ونجاحه فى بسط نفوذه على طريق الحج (٢٤) .

وفى الموسم التالى ١٢٠٢ — ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨م صادف الموكب هجوما

---

(٢٣) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٣٥ .
Savary : op. cit., pp. 270-275.
(٢٤) الجبرتى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٤ وما بعدها .

من جانب العربان فى شهر رمضـــان ١٢٠٢ هـ / يونيو ١٧٨٨ م فى طريق السويس ، ونهبت قافلة التجار وقوامها ستة آلاف من الابل وما تحمله من البضـــائع والأقمشـــة والتوابل والبن ، وسلبوا أمتعة الحجاج ، حتى ملابسهم ، وأسروا النساء وباعوهن كجوارى ، ويصور المؤرخ هذه المأساة « ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ورجع عريانا أو قتل وترك مرميا » (٢٥) .

والى جانب أخطار العربان كان موكب الحج يتعرض لصعوبات أخرى تتمثل فى ارتفاع الأسعار مما يؤدى الى عجز بعض الحجاج عن شراء ما يلزمهم من المؤن فى طريق الحج وما يحتاجونه للابل من غذاء ، فيسبب ذلك خسائر فى الأرواح ، وهلاك دواب النقل ، ويكفى أن نذكر ما حدث فى موسم ١١٣٧ هـ ١٧٢٥م للحجاج فى ينبع ومكة المكرمة من الغلاء الفاحش . ولولا جهود سردار جدة ( عثمان جاويش تابع حسين كتخدا القازدغلى ) فى امداد الموكب بما أمكنه من المؤن اللازمة لتعرض الناس للموت جوعا ، ورغم ذلك تعرض البعض للوفاة وهلكت أكثر من ثلثى الابل المســـتخدمة ، فاضـــطر أمير الحج الى استئجار ابل العربان بالحجاز « ودخل الحاج ( موكب الحج ) الى مصر أضعف من بعوضة .. » (٢٦) .

كما يشكل نقص المياه اللازمة للشرب مشكلة خطيرة فى بعض الأحيان ، ففى سنة ١٧٢٨ بلغ عدد الحجاج الذين ماتوا عطشا — فى طريق الحج حسب تقدير قاضى المحمل — ما يزيد عن أربعة آلاف نفس ، هذا بالاضافة الى السيول الجارفة التى كانت تحول دون مواصلة موكب الحج طريقه ، ففى ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤م اعترض الموكب سيول فى منطقة ( ظهر الحمار ) مما جعل الحجاج يلقون بامتعتهم طلبا فى النجاة بأنفسهم وغرق الكثيرون ، ولم يعد منهم الا القليل ..

---

(٢٥) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٦١ .

(٢٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٣٢ .

وتنتشر الأوبئة احيانا فى طريق الحج أو فى الحجاز مما يؤدى الى وفاة اعداد من الحجاج : « تعلق معهم ( الحجاج ) الفنا الى العقبة فأهلك خلقا كثيرا .. » وذلك فى صفر ١١٣٥ هـ ( نوفمبر ١٧٢٢ ) (٢٧) .

## تطور أوضاع موكب الحج :

لـم يهتم المماليك كثيرا بموكب الحج المصرى منذ تزايد سـيطرتهم السياسية والاقتصادية على ولاية مصر فى مواجهة ضعف السيادة العثمانية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وبدأ على بك الكبير فى التحلل من التزام ولاية مصر بارسال الغلال والمؤن التى ترسل سنويا الى شريف مكة على نفقة خزينتها ، وأصبح نقلها من القاهرة الى جدة على مسئولية الشريف ، ووفر بذلك على بك جانبا من الأموال . ويبدو ذلك بوضوح فى السنوات الأخيرة من هذا القرن ، ابان الحكم الثنائى ( لمراد بك وابراهيم بك ) فيشير المؤرخ الى أن موكب الحج فى شوال ١١٩٨ هـ / اغسطس ١٧٨٤ م كان حقيرا جدا بالنسبة للمواكب المتقدمة ، وماطل الأميران فى دفع ما هو متأخر من مال الصرة الشريفة الى مكة رغم المظالم والفرد التى ارهقت بها البلاد . وبوصول حسن باشا قبطان سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦م أبدى اهتماما ملحوظا ، بتشهيل لوازم موكب الحج ، فطالب التجار بسلفة من المال مقابل ايصالات ، وخرج المركب فى موعده المعتاد فى شهر شوال ، ولكن من الملاحظ اسناد قبطان باشا مهمة حراسة الموكب الى العسكر العثمانى دون أوجاقى الانكشـارية والعزب بمصر تجنبـا لحدوث خلافـات بين الجانبين (٢٨) .

ويبدى مؤرخنا استياءه لموكب الحج لسنة ١٢٠١ — ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧م

---

(٢٧) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٤٩ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٢٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٦١ ، ٨٢ ، ٩٢ .
— مؤلف مجهول : تاريخ ما وقع فى مصر ، ورقة ١٨ — ٢٥ .

بعد خروج قبطان من مصر ، وعودة ( ابراهيم بك ومراد بك ) الى القاهرة ، فيصفه بأنه كان محتقرا للغاية ولم يمهد الى رجال الانكشارية والعزب الى خراسته كالعادة ، ربما يكون السبب فى ذلك هو احجام أمراء المماليك عن اعادة النفوذ العثمانى — من خلال الأوجاقات — على موكب الحج أو الضعف الذى طرأ على الأوجاقات بصفة عامة فى أواخر القرن الثامن عشر (٢٩) .

وبقدوم الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م كان موكب الحج فى رحلته بالحجاز وفى شهر صفر وصلت أخبار عودته الى العقبة ، فاتجه أرباب الديوان من العلماء الى ( بونابرت ) طالبين الامان لأمير الحج لدخول الحجاج الى مصر ، ولكنه امتنع عن اعطائه ، وحدد لموافقته عدة شروط اهمها : أن لا يدخل ومعه عسكر أو مماليك يشكلون خطورة ، وان يبعث بونابرت أربعة آلاف من الجند الفرنسى لملاقاة الموكب واصطحابه حتى القاهرة . فارسل العلماء مكاتبات الى امير الحج العائد بما اشار اليه القائد الفرنسى مع تخفيف حدة شروطه ، ولكن يبدو ان هذه المكاتبات لم تصل أمير الحج ، وتبع ذلك اتصال ابراهيم بك — الذى هرب الى بلبيس — بالأمير المذكور ونصحه بالحضور اليه ، فتوجه الى بلبيس بالموكب وواصل ابراهيم بك فراره الى المنصورة (٣٠) .

وفى ظل الاحتلال الفرنسى للبلاد حرص القادة الفرنسيون على استرضاء المصريين والظهور أمام الشعب بمظهر المهتم بالدين الاسلامى ، فاختير كتخدا الباشا ( مصطفى بك ) لامارة الحج ولبس الخلعة أمام القاضى بحضور مشايخ الديوان ، والتزم بونابرت بتسهيل مهمات الموكب ، وفى شوال ١٢١٣ هـ / مارس ١٧٩٩م نودى فى الأسواق بخروج موكب الكسوه الشريفة من قراميدان — كالعادة — وطلب رجال الأوجاقات وأرباب الأشاير

---

(٢٩) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٤٤ وما بعدها .
(٣٠) احمد جودت : تاريخ جودت ، استانبول ١٣٠٣ هـ ، ( جلد ٧ ) ، ص ٣٨ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٢ .

الحضور فى هذا الموكب حسبما هو مألوف ، فتحرك الموكب فى وجود الوالى والمحتسب وبرطلمين النصرانى ( كتخدا مستحفظان ) يسبقهم عدد من رجال الانكشارية مسلحين وعدد من النصارى الاروام ، ثم مواكب التلقات ( أصحاب الادراك ) يليهم ناظر الكسوة وهو تابع أمير الحج خلفة النوبة ( الموسيقى ) التركية ، وفى ظل هذا التناقض الذى ظهر فيه موكب الحج هذا العام يوضح المؤرخ أنه كان من أغرب المواكب واعجب العجائب : « ... لاجتماع الأضداد وكثرة الحشرات .. » (٣١) .

ولتجنب اعتداءات العربان واحتمال هجمات فلول المماليك على موكب الحج فى الطريق البرى الى الحجاز ، اختار الفرنسيون طريق البحر من السويس واشهروا النداء فى القاهرة على من يريد الحج الخروج صحبة الكسوة والصرة من السويس ، ويبدو ان الفرنسيين تبينوا من خيانة أمير الحج ( كتخدا الباشا ) وتابعه ناظر الكسوة فالقى القبض عليهما ، وعين ( اسماعيل الخشاب ) الذي حظى بمكانة طيبة لدى الفرنسيين وأبدى اهتمامه بمال الصرة الشريفة .

انقطع الموكب المصرى فى سنة ١٢١٤ / ١٨٠٠م عن مواصلة الحج الى الاراضى المقدسة وكان قد اودع المحمل الشريف للعام الماضى فى القدس حتى تقدم العثمانيون واحضروه الى بلبيس ، ورغم انقطاع الموكب المصرى فان الحجاج المغاربة سافروا صحبة أمير الحج الشامى ( عبد الله باشا العظم ) وعادوا فى ربيع الاول ١٢١٤ هـ / أغسطس ١٧٩٩م (٣٢) .

اهتم مينو فى رمضان ١٢١٥ هـ / يناير ١٨٠١م بكسوة الكعبة وحرص على فحصها — وكانت مودعة بالمسجد الحسينى — بما يليق « بالمشيخة الفرنساوية » بعد أن اهمل امرها واصابها التلف ، وخرج الموكب المصرى

---

(٣١) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٩ — ٥٥ .

(٣٢) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ١١١ .

— احمد جودت : المرجع السابق ، ج ٧ ص ٢٨ وما بعدها .

الى الحجاز دون عقبات ، وتمكن الحجاج من أداء الفريضة وعاد الموكب بعد خروج الفرنسيين واتخذ باب النصر – أحد أبواب القاهرة – سبيله الى المدينة واستقبله – كالعادة – رجال الأوجاقات والأوده باشية والأمراء والعلماء ونقيب الأشراف حتى وصل الى قراميدان وتسلم ( محمد باشا أبو مرق ) من سليمان أغا المحمل عوضا عن سيده أمير الحج الذى توفى (٣٣) .

عادت السيادة العثمانية على أهم الولايات العربية – مصر – بعد خروج الحملة الفرنسية ليمارس السلطان من جديد نفوذه الدينى وابتهاجا بهذه المناسبة أرسلت من استانبول فى شعبان ١٢١٦ هـ / ديسمبر ١٨٠١م كسوة الكعبة وخرج موكب الحج بامارة ( عثمان بك ) فى شوال ، ويصفه المؤرخ بالأبهة والفخامة ، وانسرت بذلك القلوب وأنجزت كافة اللوازم من الصرة وعوائد العربان ، واتخذ الموكب الطريق السلطانى ولم تصادفه متاعب من العربان ، وفى العودة وصلت مكاتبات أمير الحج على أيدى جاويشه بوصوله الى العقبة سالما . ويبدو أن الأمن قد استتب – الى حد ما – فى طريق الحج لعودة السيادة العثمانية وحرص السلطان على استرضاء العربان ، فأقبل الناس على الحج فى العام التالى بشكل ملحوظ ، ويظهر ذلك من وصف المؤرخ لموكب ١٢١٧ / ١٨٠٢م بأنه ضم الكثير من الفئات الاجتماعية فى كافة النواحى والبلاد فضلا عن المغاربة الذين وفدوا فى جماعات كثيفة ، وقد تعرض هذا الموكب فى العودة من الحجاز لمشقة بالغة كقلة المؤن والمياه ، وانتشرت الأمراض وتوفى الكثير من الحجاج وخاصة من الفقراء الذين يصفهم المؤرخ : « .. أوباش الناس من الفلاحين والنساء .. » (٣٤) .

تعرض الكيان العسكرى العثمانى المملوكى ابان فترة الانتقال التى تلت خروج الحملة ( ١٨٠١ – ١٨٠٥م ) للضعف ، ويبدو ذلك واضحا من اسناد مهمة حراسة الموكب للعسكر الأرنؤود والدلاة ، فى السنوات التالية ، ففى

---

(٣٣) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٤٤ وما بعدها .
(٣٤) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٥٤ .
– أحمد راسم : المرجع السابق ، ص ٨٤ وما بعدها .

سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣م خرج الموكب الى السويس فى شوال وعهد الى الأرنؤود بمهمة المحافظة والحراسة الى جانب عدد من المغاربة .

وبتولى محمد على الحكم اعتمد على العسكر الدلاة والمغاربة دون غيرهم فى تأمين طريق الموكب ، واصبح أمير الحج من الدلاة وهو يتزيا بزيهم حيث يتميز بلبس ( طرطور الدلاتيه ) ويتناول المؤرخ تبدل الأحوال قائلا : « .. وقد عم الاقليم المسخ فى كل شىء .. » (٣٥) وانعكست على أمور الحج الأوضاع السياسية والاقتصادية المضطربة بالبلاد ففى سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٤م لم يجهز الموكب — كالعادة — حتى شهر شوال ، وطلب من الملتزمين المال الميرى معجلا عن سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م وكتبت بذلك التنابيه على أيدى العسكر العثمانى والجاويشية ، وكان الملتزمون قد أفلسوا وزادت ديونهم عن بواقى الميرى لخراب البلاد وتتابع الطلب والكلف ، ورغم هذه الأزمة اضطر الباشا الى انجاز هذه المسئولية على قدر الامكان ، ونزل الى قراميدان فى حضور القاضى والدفتردارية ليسلم أمير الحج المحمل وقطع الكسوة ، وركب الأغا والوالى والمحتسب وناظر الكسوة — كما يصور المؤرخ — فى هيئة محتقرة دون نظام أو ترتيب ومن خلفهم المحمل ، على جمل صغير أعرج متجها الى السويس حيث الطريق البحرى ، كما أن الصرة الشريفة لم تكن كاملة ، وبعد رجوع القافلة فى جماد الآخر ١٢٢٠ هـ / سبتمبر ١٨٠٥م الى السويس أراد الباشا نهب قافلة التجار من البضائع الا انهم صالحوا على بضائعهم بألف كيس مصرى .

وفى الموسم التالى ( ١٢٢٠ — ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ — ١٨٠٧م ) سافر الموكب ولم يتسلم صراف الصرة أكثر من خمسة أثمان قيمتها ، وكما يشير المؤرخ : « .. وهذا لم يتفق نظيره .. » (٣٦) وبرجوع الموكب فى جماد الآخر ١٢٢١ هـ / أغسطس ١٨٠٦م أفاد أمير الحج باعتراض الوهابيين على

---

(٣٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٨٢ ، ٣٢٠ ، ج ٤ ص ٢٠٢ .

(٣٦) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٥٠ .

البدع ( المحمل المصرى ) وهددوا بكسره اذا تكرر ارساله الى الحجاز من جديد ، وعندما سافر الموكب فى السنة التالية لم يسمح الوهابيون للمصريين بزيارة المدينة ، واحرقوا المحمل فعلا . فانقطع بذلك خروج الموكب المصرى منذ هذا التاريخ ( ١٢٢٢ — ١٢٢٩ هـ / ١٨٠٧ — ١٨١٤م ) نظرا للأحداث السياسـية فى الحجاز ومحاربة الوهابيين عـلى أيدى محمد على بتكليف السلطان العثمانى ، فافتقد الموكب المصري مظاهر العظمة والفخامة ، كما كانت فى صدر العصر العثماني وخلال العصر المملوكى ، ويبدي المؤرخ حسرته لما آلت اليه احواله من السوء وعدم النظام ، ويتذكر المواكب التى أقيمت بمصر وضرب بحسنها وبهائها المثل فى العالم الاسلامى (٣٧) .

### موكب الحج المصري والمواكب الاسلامية الأخرى :

عندما يصل موكب الحج المصري الي مكة كان يستقر بها فترة فى انتظار المواكب الأخري القادمة من استانبول والهند وفارس ، الي جانب بـلاد الشام ، وكان السلطان العثمانى بمثابة الزعيم الروحى لأمراء الحـج المسلمين . ويرتبط شريف مكة بعلاقات وثيقة مع أمراء الحج ، وبالنسبة للأمير المصرى — كما يشير المؤرخون — عندما يصل الى منطقة الشـيخ محمود عـلى مقربة من مكة ، كان ينتظر نزول شريف مكة لمقابلته هناك ، وتجرى مراسم الاستقبال حيث يخلع أمير الحج علي الشريف قفطانا يقوم باهدائه اياه عن طريق كتخداه ، وتكون مناسبة ليتعرف فيها الأمير علي اقتراحات شريف مكة بخصوص أمور الحج والأوضاع بالحجاز (٣٨) .

وقد احتل موكب الحج المصرى مكانة سامية بالنسبة لبقية المواكب ، وتميز بقوة العسـكر الذين يتولون حراسته ، وكفاءة أمرائه — فى غالب الأحيان — ولكن أمير الحج الشامى ( عيسى باشا العظم ) بشخصيته الفذة

---

(٣٧) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٣٨) Perry : op. cit., pp. 266-270.

— احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٥٥ — ٤٥٧ .

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٩٦ وما بعدها .

وسطوته فى بلاد الحجاز ، افتقد الموكب المصرى هذه المكانة السابقة ، وصارت له الغلبة والسيطرة على شريف مكة الذى عدل دخول المواكب الى مكة حسب ارادته فأصبح الموكب الشامى يدخل على يمين المواكب والمصرى على اليسار ، ويتجه الأول من باب السلام والثانى من (باب شبيكه) . وعندما تولى زين الفقار بك سنة ١٧٢٦ — ١٧٢٧ امارة الحج المصرى والتقى بشريف مكة أصر على استعادة مكانة الموكب المصرى لنفوذه مهما كانت الصعوبات ، ورفض محاولة الشريف تجنب حدوث الأزمة بين الأميرين ، وبالفعل كان دخول الموكب — كما هو مألوف — من باب السلام على ميمنة المواكب ، مما جعل أمير الحج الشامى يتحرش بالمصريين ، وفى المزدلفة بدأ فى اطلاق الرصاص عليهم ، وتبادل الجانبان الاشتباكات ، وكانت الخسارة أكبر فى الجانب المصرى الذى أخذ على غرة ، ولم يعد لهذا الأمر المستبعد حدوثه فى الأراضى المقدسة ، وتمكن الشريف من فض النزاع ، واستمر الموكب المصرى فى زعامته لبقية المواكب خلال القرن الثامن عشر (٣٩) .

## عودة الموكب المصرى الى القاهرة :

خلال رحلة الحج كان أمير الحج يرسل رسائله الى الباشا فى مصر ، عن طريق أربعة من الموظفين وهم يستخدمون الابل فى تحركاتهم لابلاغه بتطورات الموكب وما يصادفه من عقبات ، وموعد وصول البضائع الهندية الى جدة وينبع وتأخر المراكب فى بعض السنوات . وعندما يتخذ الموكب طريق العودة نحو العقبة وقلعة نخل كان نجاب الجبل يصل الى القاهرة ، عادة قبل وصوله فى شهر صفر وينتظر الأهالى قدومه فى قلق بالغ ، واذا تأخر عن هذا التاريخ يكون مفهوما حدوث متاعب اعترضت الموكب . وكما سبق خروج الأهالى ورجالات الولاية لتوديع الموكب فى بركة الحج فانهم يخرجون لاستقبالهم احيانا هناك او خارج القاهرة وعند عودته سالما يعد ذلك من المناسبات السارة التى تهم أبناء الرعية فتقام الاحتفالات بالمدينة ،

(٣٩) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥١٠ — ٥١٣ .

وعندما يصل أمير الحج يتجه الى قراميدان بجوار القلعة ليسلم الباشا المحمل كما تسلمه من قبل منذ بداية الرحلة ويقدم الباشا المكافآت ويخلع القفاطين بمناسبة القدوم (٤٠) .

ومن هذه الدراسة السابقة لامارة الحج وتطورها ابان القرن الثامن عشر تظهر لنا بعض الملاحظات نتناولها على النحو التالى :

**أولا :** اهتمت الدولة العثمانية بما تبقى لها من هيمنة دينية على ولاياتها العربية — أبرزها ولاية مصر — تمثل ذلك فى تدخلها من حين لآخر — خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر بشكل خاص — لاختيار أمير الحج المصرى ، كما تجلى بوضوح فى احتفاء الباب العالى بخروج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٠١ فأرسلت كسوة الكعبة الى مصر بهذه المناسبة لاستعادة النفوذ الديني .

**ثانيا :** تمتع موكب الحج المصرى بمكانة خاصة بين المواكب الاسلامية الأخرى ، انبثقت من وضع ولاية مصر المتميز ، خاصة عندما يتولى أمره شخصيات عسكرية قوية .

**ثالثا :** تسابق أمراء المماليك — الذين احتكروا منصب أمير الحج — أصحاب البيوت المملوكية المسيطرة على الفوز بامارة الحج فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ويبدو أن الاضطرابات الاقتصادية التى تعرضت لها الولاية فى النصف الثانى ، مع تزايد تبعات أمير الحج ونفقاته جعلت الاقبال عليها ضعيفا .

**رابعا :** قام رجال القلاع المنتشرة حول طريق الحج المصرى ( مردان قلاع ) الى جانب ( سردار نجدة ) بجهود ملموسة فى خدمة موكب الحج ابان

---

(٤٠) نفس المصدر السابق ، ص ٥٧٨ وما بعدها .
Savary : op. cit., pp. 270-272.

القرنين السادس عشر والسابع عشر ، الا انها تضاءلت فى القرن الثامن عشر ، بعد أن اهمل تجديد حامات القلاع بانتظام ، خاصة وقد جرفت الحياة الاقتصادية بمصر كثيرا من الأجناد — على نحو ما سنرى — ولم يجد العسكر ثمة حافز يشجعهم على البقاء وسط الصحارى والقفار لاداء هذه المسئوليات .

خامسا : تعرض موكب الحج المصرى فى القرن الثامن عشر اعتداءات متزايدة ومعاملة سيئة من جانب قبائل العربان الضاربة على طريق الحج — باستثناء قيادات أمراء الحج المشهورين بكفاءتهم — تبعا لعجز أمراء الحج أحيانا وجشعهم فى عدم تقديم عوائد العربان المقررة ، والحصول عليها لحسابهم أحيانا أخرى .

سادسا : كان من الضرورى على أمراء الحج اصطناع حلفاء من بين قبائل العربان الى جانب الاعتماد على القوات العسكرية الكافية حتى يبلغ موكب الحج منه سواء فى الذهاب ، أو فى العودة .

سابعا : تعرض موكب الحج لكوارث طبيعية ، ومجاعات ( السيول والأوبئة — وانعدام المياه — وندرة المؤن ) ، كان لها أثرها السلبى على حياة الحجاج .

ثامنا : كان من الضرورى استمرار العلاقات بين أشراف مكة من ناحية والباشوات العثمانيين — ممثلى السلطان — من ناحية أخرى حتى يتخذ أمراء الحج حذرهم تحسبا الاعتداءات عربان الحجاز اذا ما خرجت بعض القبائل عن طاعة الأشراف .

تاسعا : انعكست أوضاع مصر الاقتصادية والسياسية المتدهورة فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر على تجهيزات موكب الحج المصرى ، فسارت دون مستوى المواكب الشهيرة التى عرفت بها مصر منذ العصر المملوكى وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر .

**عاشرا** : حاول الفرنسيون استغلال العامل الدينى للتقرب من المصريين ، فاهتموا بخروج موكب الحج المصرى كالعادة فى بداية وجودهم بالبلاد ثم انقطع خروجه ٠

**حادى عشر** : ظهرت تعاليم الدعوة الوهابية فى ابطال ما صاحب الموكب — كغيره من المواكب — من بدع من وجهة نظر الوهابيين فى أوائل القرن التاسع عشر ٠

# الفصل الثانى عشر

## اغـــا مستحفظان

وهو قائد أوجاق مستحفظان ( الانكشارية ) ، وبمثابة الشخصية الهامة بين أغوات الأوجاقات السبعة ، فهو يستمد كيانه ونفوذه من خلال قيادته لأقوى الأوجاقات العثمانية منذ نشأتها فى بداية الحكم العثمانى ، ولم تحدد مدة خدمته بسنوات معينة وهو من البكوات (١) ، وسوف نتناوله فيما يلى :

**كيفية تعيينه خلال القرن الثامن عشر** : فى أوائل القرن الثامن عشر ، وبعد وفاة ( على أغا ) الذى لعب دورا هاما وتمتع بشخصية قوية حتى ترك المسرح السياسى والادارى سنة ١٧١٣ اتفق رأى كبار رجال الأوجاقات على اختيار ( محمد افندى ) ليكون أغا مستحفظان ، وحتى يتم هذا الاختيار بشكل رسمى ، عقد اجتماع بالديوان وخلع الباشا عليه قفطان الأغوية . وعندما تغير الباشا العثمانى الحاكم ، كان الباشا الجديد أحيانا يعزل أغا مستحفظان ويختار من يثق فى ولائه ، وهذا ما حدث فى ذى القعدة سنة ١١٣٣هـ ( سبتمبر ١٧٢١ م ) ويتدخل أوجاق مستحفظان أحيانا ويقرر رجاله من يتولى أغوية مستحفظان خاصة اذا كانت الأمور مضطربة فيما يتعلق بمصـــالح الأوجاق ( الحمايات والمظالم ) وهذا ما فعلوه عندما اختاروا ( باكير أغا ) فى فبراير ١٧٢٤م (٢) .

---

(١) احمد راسم : المصدر السابق ، ص ٧٥ .
shaw : Otoman Egypt. p. 31.

(٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ٣١٧ .
Raymond : op. cit., p. 750.

ومنذ ظهور منصب شيخ البلد ( زعيم المماليك ) فى العقد الثالث من القرن الثامن عشر بدا يتدخل فى هذا الاختيار ، فقام جركس بك فى مايو ١٧٢٤ بعزل الوالى ( أحمد اغا لهلوبه ) وجعله اغا مستحفظان ، ولكن بعد خروج جركس بك ورجاله من القاهرة ، وعادت سلطة الباشا ، وعزل الأغا السابق وعين أحد خصوم جركس ( سليمان اغا أبودفيه ) فى يناير ١٧٢٦ ، على يد الباشا العثمانى (٣) .

وعقب المؤامرات المملوكية التى قد تستهدف التخلص من الباشا ، يضطر الأخير الى عزل الأغا لضعفه أو لتواطئه أحيانا فى هذه المؤامرات ، وهذا ما فعله الباشا فى اغسطس ١٧٢٧ (٤) .

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أصبح اختيار أغوات مستحفظان يتم على أيدى كبار أمراء المماليك أمثال على بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب ، وقد يتعرض الأغا لعداء الأمراء فيلاقى مصرعه على أيديهم ، مثلما قام مراد بك فى شعبان ١١٩١ هـ / سبتمبر ١٧٧٧م بقتل ( عبد الرحمن اغات مستحفظان ) وعندما وصلت حملة قبطان باشا ، استعاد الباشا نفوذه فى اختيار اغا مستحفظان فى القعدة ١٢٠١ هـ / أغسطس ١٧٨٧م . وبقدوم الحملة الفرنسية على مصر ، أسند الفرنسيون فى البداية الى أرباب الديوان مهمة اختيار ( أغا مستحفظان ) ففى منتصف شهر صفر ١٢١٣ هـ / ١٩ يوليو ١٧٩٨م عين ( محمد أغا المسلمانى ) بمشورتهم . وبخروج الفرنسيين من مصر تمتع الباشا العثمانى من جديد باختيار أغا مستحفظان من العثمانيين ، ففى ٢٨ رمضان ١٢١٦ هـ / اول فبراير ١٨٠٢م عزل الأغا الحالى وخرج من القاهرة الى الصعيد ، واختير اغا جديد(٥) .

---

(٣) احمد شلبى بن عبد الغني : المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠٢ .

— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ورقة ٩٦ ، تاريخ الولاة العثمانيين بمصر ، مخطوط تركى بالمتحف البريطانى تحت رقم

وبظهور محمد على فى الحياة السياسية ، أصبح اختيار اغا مستحفظان والمحتسب وباقى رجال الادارة بمشورته ومعرفته ، وذلك ما حدث فى ربيع الأول ١٢٢٠ هـ / يونيو ١٨٠٥م (٥) .

**اختصاصات اغا مستحفظان :**

تعددت اهتمامات أغا مستحفظان فى القرن الثامن عشر — تبعا لازدياد نفوذه — وارتبطت بتطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وسوف نتناول فيما يلى أهم هذه الاختصاصات :

**أولا — دوره في النواحى الاقتصادية :** فى السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر ظهرت شخصية أغات مستحفظان فى المجال الاقتصادى لتملأ الفراغ الذى نجم عن تدهور مكانة المحتسب وأخذ أغا مستحفظان فى ممارسة سلطاته تدريجيا على طوائف الحرف والتجار ، وخاصة أثناء الأزمات التى تعددت فى هذا القرن ، وكان لجولاته المعروفة لمباشرة شئون الأسعار وضبط الأسواق والعملات المتداولة والموازين والمكاييل أثر كبير . وهناك أمثلة كثيرة لشخصيات تقلدت أغوية مستحفظان وقامت بهذا الدور الهام ، نذكر منها ( على أغا ) الذى ظهر نفوذه منذ أوائل القرن الثامن عشر ، ففى سنة ١٧٠٣ ارتقى لهذا المنصب وباشر دوره الاقتصادى من حيث ابطال الحمايات والمظالم والالتزام بتسعيرة السلع والبضائع المختلفة ، ونجح فى هذا الدور لحد كبير ، وكان مثالا للعدل والحزم حتى احترمه الأهالى وهابه الحرفيون والتجار ، الا أن أوجاق مستحفظان انقسم حول هذه الشخصية الفذة ، فبينما سانده فريق تصدى لرفع الظلم عن الرعية ، خالفه فريق آخر اهتم بمصالحه الخاصة ( الحمايات ) (٦) .

(٥) الجبرتى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١١٤ ، ١٩٤ ، ص ٣ ص ٨٠ ، ٩٦ ، ٦ص٣٣ ، ٣٣٧ .

(٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ — ٢٥٥ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٢ وما بعدها .
— أحمد كتخدا عزبان ( الدمرداش ) : المصدر السابق ص ١١٣ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ص ٥٨ وما بعدها .

ورغم نجاح على اغا فى ضبط الأمور واقرارها الا أن هذا النجاح كان مؤقتا ، فقد اصطدم بمعارضة بعض الانكشارية ورجال العزب الذين اهتموا باعادة امتيازاتهم التى تهددت ، وكما يشير القنصل الفرنسى De Maillet كان هذان الأوجاقان على استعداد تام القيام بتمرد ضارى اذا ما تعرضت مصالحهم للخطر . وازاء هذا التحدى أعلن الانكشارية فى مايو ١٧٠٤ بعدم السماح لعلى اغا بالمرور فى أسواق المدينة ، وساندهم فى هذا عدد كبير من رجال عزبان ، واستبدل بشخصية أقل كفاءة ( رضوان اغا ) واختفى بذلك على أغا عن مسرح الحياة الاقتصادية والسياسية حتى سنة ١٧١١ خلال فتنة افرنج أحمد وما بعدها(٧) .

وبنهاية هذه الفتنة أرسلت الدولة أوامرها الى الباشا العثمانى بخصوص العملات (٨) المتداولة فى مصر ، ونزل أغات مستحفظا ( محمد افندى ) فى فبراير ١٧١٢ بموكبه فى الأسواق لاعلان أسعار هذه العملات كما حددتها الدولة وابطال بعضها ، كما اتجه الى الصاغة وأغلق المحلات وأمر بعدم بيع الذهب والفضة الا لدار الضرب حتى يمكن الوفاء بالسبائك اللازمة لصنع العملة الجديدة . ويتدخل الصناجق من أمراء المماليك بالاتفاق مع الدفتردار وبمعرفة الباشا العثمانى فى أسعار العملة فى بعض الأحيان ، ففى يناير ١٧١٦ اعلن أغات مستحفظان ما استقر عليه الراى بشأن الفلوس الجديدة وحدد سعرها كل عشرة بنصف فضة (٩) .

---

(٧) Raymond : op. cit., pp. 750-752.

(٨) من هذه العملات البندقى وحدد سعره بـ ١١٥ نصف فضة ، الطرلى بـ ١٠٠ نصف فضة ، الزنجرلى بـ ١٠٧ نصف فضة ، الريال بـ ٦٠ نصف فضة ، الكلب بـ ٤٥ نصف فضة وابطال المقصوص .

(٩) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .
Deherain : L'Egypt turque. Paris, 1931, pp. 39-43.
Esteve : Memoire sur les Finances de l'Egypt. Paris. Tome 12, pp. 40-55.

وخلال الأزمات التى يختفى فيها القمح باعتباره السلعة الضرورية لصنع ما يلزم الأهالى من الخبز كان الأغا يتدخل لتوفيره ، ففى سبتمبر ١٧٢٢ ارتفعت أسعار القمح واختفت الكميات المطروحة للبيع فنزل الاغا متجها الى بولاق وحدد سعر الأردب ( بسبعين نصف فضة ) ، الا ان ابناء الرعية لم يتمكنوا من الحصول عليه وامتنع التجار عن بيعه ، ولم يصل الوارد الى بولاق والقاهرة ، فاضطر الأهالى الى نهب ما وجدوه مخبأ فى الرقع ببولاق ، وعندما أطلق السعر دون تقيد بالتسعيرة السابقة عرضت كميات وافرة .

وفى اواخر ١٧٢٣ تعرضت القاهرة لحالة من الفوضى والاضطراب عقب مقتل ( اسماعيل بك بن ايواظ ) شيخ البلد وصاحب النفوذ ، فانقطع وصول البضائع من الاقاليم وارتفعت بالتالى أسعارها بشكل حاد ، اتفق أصحاب النفوذ بالعاصمة على نزول اغات مستحفظان ، وأن يتخذ مكانه فى باب زويلة داخل سبيل الدهيشة « فمسك رج البلد شيئا قليلا » (١٠) . وهــذا يعنى ضآلة نفوذه بما لا يقارن مع سابقه ( على اغا ) فى أوائل القــرن الثامن عشر ، وأمام هذا ثارت الرعية على غلاء الأسعار وعجز الأغا عن القيام بواجبه كما سخطت على تصرفات جركس بك وأعوانه ، واهانوا العلماء لعدم تدخلهم ، فصعدوا المنارات فى المساجد يدعون الله لينتقم من جركس فأرسل الأخير الى القاضى ليأمر الأهالى بالتخلى عن ذلك السلوك وقد تعرض عدد من الأهالى للقتل على ايدى مماليك جركس بعد أن اقتحم عدد كبير منهم مكــان الوالى والأوده باشى ، واشــتبكوا معهما وأطلقوا المسجونين . وامام هذا الموقف الايجابى للرعية لمقاومة الظلم ، استقر الرأى على نزول أغوات الأوجاقات الخمسة ( مستحفظان — عزبان — الجراكسة — الكوملية — التوفكجية ) وتعاملوا بشدة مع الأهالى « فابشعوا القاهرة

---

(١٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ .

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١١٥ — ١٢٠ .

وتبوشعت الناس ... » (١١) ، ابدى اختيارية مستحفظان رفضهم لنزول الأغوات الأربعة وذلك للاحتفاظ بالصدارة لآغاتهم مما جعل جركس بك يتهمهم بالتواطؤ مع الرعية وتحداهم بجعل هذا الامر عادة ، ولم يستجب رجال مستحفظان لهذا التدخل وأجبروا الباشا على قبول رايهم وأرسل فرماناته الى بقية الأغوات بعدم نزولهم (١٢) .

أثيرت قضية الأسعار بموجب فرمان الباشا لباب مستحفظان فى يناير ١٧٢٤ ، وبعد أن اجتمع رجال هذا الأوجاق مع اهل الخبرة لتسعير البضائع واشهر النداء على يد أغا مستحفظان وتهديد من يخالفها بالعقوبة ، فكانت النتيجة اغلاق التجار محلاتهم ، ولم يجد الناس شيئا فى الأسواق ، ومضى شهر ولم يكن بالقاهرة لوازم المعيشة والأطعمة فارتفعت أسعارها ، وشكت الرعية لباب مستحفظان ، لما يعلمونه من مكانة هذا الأوجاق ونفوذه ، فكلف الأوجاق ( باكير اغا ) بهذه المهمة وكتبوا له حجة بابطال كافة الحمايات والمظالم وجعلوا له سلطات واسعة للتصدى لأى مخالف حتى ولو احتمى بجركس نفسه . وباشر الاغا الجديد — على هذا النحو — مهامه فى مارس ١٧٢٤ ، ومع هذا لم تنته الأزمة واستمرت الأسعار فى ارتفاع ، وامتنع وصول البضائع الى القاهرة (١٣) .

وبوصول الباشا العثمانى الى مقر حكمه فى مصر ( محمد باشا السلحدار ) فى ديسمبر ١٧٣١ ، أصدر أمره الى اغا مستحفظان بنزول المدينة واشهار النداء على أسعار العملات (١٤) المتداولة ، ويبدو أن الباشا كان يحمل خطوطا

---

(١١) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(١٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٣٥ وما بعدها .

— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ورقة ٩٦ وما بعدها .

(١٣) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٤٢ .

— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٨ .

— Bruce : op. cit., pp. 250-257.

(١٤) أصبح أسعار هذه العملات كالآتى : البندقى ( الفندقلى ) بـ ١٣٠

شريفة من الدولة بهذا الشان ، وقد اختلفت عن الأسعار السابقة المعلنة فى أوائل سنة ١٧١٢ حيث ارتفعت تدريجيا قيمتها مع ارتفاع أسعار السلع المختلفة . واشتدت الأزمة بالرعية فى منتصف سنة ١٧٣٣ ، واستمر جشع التجار والحرفيين ، فلجأ الأهالى الى العلماء فى هذا الشأن وعقدت جمعية ضمت كبار التجار وشيوخ الحرف ، وتم وضع تسعيرة جديدة لكافة البضائع وضرورة الالتزام بها فى يونيو ١٧٣٣ ، واخذ ( عثمان أغا مستحفظان ) يجوب الأسواق لاعلان هذه الأسعار ومراقبة الالتزام بها ، وتمكن من القبض على المخالفين وعاقبهم بشدة ، وأراح العباد من ظلمهم، ولكن بعد فترة لا تعدو شهرا أغلق التجار ورجال الحرف محلاتهم وشحت البضائع ، ومما يذكر ان هذا الأغا قد قبض بحزم على الأمور فأحدث خوازيق يحملها رجالة من التواسة الذين يمشون خلفه فى موكبه لمعاقبة المخالفين ، ولكنه لم ينجح فى معالجة هذه الأزمة المستحكمة بشكل قاطع (١٥) .

وقد واصل العلماء تدخلهم بشأن الأسعار والعملات ، وحضروا جلسات الديوان ، وعقدت جمعيات مع شيخ البلد ( محمد بك قطامش ) شارك فيها رجال الأوجاقات ، واجتمع الرأى على ابطال بعض العملات ( المرادى ) وان يستمر العمل بالاخشا ووافقهم الباشا وأصدر فرمانا فى ٢٤ مايو ١٧٣٦ وقام ( محمد أغا مستحفظان ) بالنداء على هذا التعديل الجديد (١٦) .

كما أن مجاورى الأزهر من الفقراء وطلاب العلم قد تعرضوا لأزمة حادة فى رمضان ١١٩٩ هـ يوليو ١٧٨٤ م بســبب قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة ، فقاموا بثورة حيث اغلقوا ابواب الجامع الأزهر ومنعوا الصلاة

---

= نصف فضة ، الطرلى بـ ١٠٠ نصف فضة ، الزنجرلى بـ ١٠٧ نصف فضة ، والنصف بـ ١٢ جديد ، والريال بـ ٦٦ نصف فضة فى هذا العام .

(١٥) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٨٥ .
Bruce : op. cit., pp. 264-280.
De Forbin : op. cit., pp. 264-280.

(١٦) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦١٤ ومابعدها .

فيه ، كما أغلقوا مدرسة محمد بك أبو الذهب ومسجد المشهد الحسينى وخرج العميان والمجاورون الى الأسواق يخطفون ما يجدونه من الخبز ، وتبعهم فى ذلك العامة والسوقة مستغلين هذه الفوضى ، واستمر هذا العمل يوم الجمعة حتى الليل الأمر الذى جعل اغا مستحفظان يتدخل لفض هذه الاضطرابات فاجتمع بمشايخ الأروقة والقائمين بالثورة ووعدهم باجراء الرواتب ، فقبلوا ذلك وفتحوا المسجد ، ولكن تبين مماطلة الأغا وعدم وفائه بالاتفاق السابق ، مما جعلهم يتخذون نفس الأسلوب من حيث اغلاق الجامع الأزهر عدة مرات حتى أنجز الأغا جانبا من مطالبهم وأجرى لهم الجراية لفترة ، ثم انقطعت عنهم واضطربت الأحوال حتى أوائل السنة الجديدة ( المحرم ١٢٠٠ هـ / نوفمبر ١٧٨٥م ) (١٧) .

مرت البلاد بأزمة كبيرة حيث شح وجود الغلال فى رجب ١٢٠٠ هـ مايو ١٧٨٦م ، كما ارتفعت الأسعار وامتنع بيع الخبز فى الأسواق ، واغلقت — لذلك — الطوابين ، فاضطر أغا مستحفظان ( سليم أغا ) الى مهاجمة المخازن وعاقب تجار القمح ، وأخرجت الغلال للبيع والشراء ، ومنع التجار من زيادة اسعاره حتى سكنت الفتنة « وراق الحال وسكنت الأقاويل » (١٨) .

وخلال وجود حسن باشا قبطان بمصر ، تعرضت البلاد فى أوائل ١٢٠١ هـ / أواخر ١٧٨٦م لارتفاع أسعار البضائع والسلع ، فلعب اغات مستحفظان والمحتسب وباب مستحفظان الى جانب الشيوخ والعلماء دورا هاما لمناقشتها من خلال عقد الجمعيات التى ضمت المعلمين والتجار ، ووقع الاتفاق على تسعيرة يلتزم بها الجميع ، ومن يخالفها أو يحتكر صنفا من البضائع يكون جزاؤه القتل ، ونزل الأغا وبرفقته المحتسب للنداء على هذه التسعيرة الجديدة ، فلجأ الحرفيون والتجار الى اخفاء البضائع

---

(١٧) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٦ .
(١٨) نفس المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٠٦ وما بعدها .

والسلع الجيدة وخاصة المواد الغذائية كاللحوم وغيرها (١٩) .

ويلاحظ من خلال هذه الأزمة ظهور دور المحتسب جنبا الى جنب مع اغا مستحفظان لمعالجة سوء الأوضاع الاقتصادية ، ولم نصادف هذا الدور المشترك من قبل ، ربما يعود ذلك الى أن وجود حسن باشا قبطان فى مصر كان محاولة لاحياء التقاليد والنظم العثمانية ، ومن ثم استعادة المحتسب لجانب من نفوذه السابق فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

وخلال وجود الفرنسيين فى مصر ، تعرضت البلاد لأزمات اقتصادية ، ففى جمادى الثانية ١٢١٤ هـ / نوفمبر ١٧٩٩م ارتفعت الأسعار وحدث الغلاء بشكل فاحش لدرجة أن الماشية نفقت لعدم توفير ما يلزم لتغذيتها ، ولم يكن بمقدور الأغا معالجة هذه الأزمات بشكل فعال (٢٠) .

واستمر دور الأغا فى أوائل حكم محمد على بمصر ، ففى خامس صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يناير ١٨١٤م قام الأغا بجولات فى أسواق المدينة وذلك لاعلان ما اتفق عليه من حيث التعامل بالريال — وهو يساوى تسعين نصف فضة — فى بيع البن والتوابل بعد أن اقتصر التجار على التعامل بالفرانسة مما أدى الى حدوث الضرر الزائد للفقراء وتجار التجزئة ، فأصبح بمقدور الناس التعامل بكافة المعاملات وتحول قيمتها بحساب الريال المتعارف عليه ، وكان للمحروقى دور هام فى تخطى هذه الأزمة (٢١) .

**ثانيا : دوره فى النواحى الاجتماعية الخاصة بالعسكر والرعية :**

لعب اغا مستحفظان طوال القرن الثامن عشر دورا اجتماعيا بناء على

---

(١٩) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٤ .

— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ورقة ٩٦ وما بعدها .

(٢٠) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٩٧ .

Raymond : op. cit., p. 690.

(٢١) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٠٣ وما بعدها .

تعليمات وأوامر صادرة من الباب العالى أحيانا ومن الباشا العثمانى أحيانا أخرى ، وقد تفرض التطورات الاجتماعية والأحوال الداخلية للمجتمع تدخلا ايجابيا من جانبه فى بعض الأوقات .

ففى أوائل القرن الثامن عشر — فى شهر رمضان — ( نوفمبر ١٧١١ ) تعصبت جماعات من العسكر والمماليك لأحد الوعاظ الأروام كان قد تصدى لالقاء دروس دينية بمسجد السلطان المؤيد ، كما وقف بجانبه بعض العامة ، وصارت هناك خلافات حادة حول مسألة كرامات الأولياء بعد الممات ، فنفى الواعظ هذه القضية وأيده فيها العسكر برعونة وقسوة ، واتجهوا الى القاضى واقتادوه عنوة الى الباشا العثمانى ، مما جعله يعطيهم فرمانا لحضور خصومهم الى مجلس الشرع للتقاضى . وأمام هذا التمزق الذى أصاب جماعات العسكر ارتأى الصناجق وكبار الأغوات ( ابراهيم بك أبو شنب ، قيطاس بك ) ضرورة الاجتماع ببيت الدفتردار وأصدر الأمر الى أغات مستحفظان بالقاء القبض على كل من وجده من العسكر فى مسجد المؤيد أو فى الخلاوى المجاورة ، وباشر الأغا هذه المهمة مستعينا بالجاويشية ( على أغا ) الشهير ، وتمكن الأغا من القاء القبض على من وجده ، بينما هرب الباقون وسلم كل جندى الى أوجاقه ليتولى عقابه ، وانتهت حياة هذا الأغا الذى عرف بقوة شخصيته وصرامته ، وهو يصلى بمسجد طيلون (٢٢) .

وقام الأغا بتنفيذ أوامر الدولة الصادرة فى فبراير ١٧١٢ والتى تتعلق بمنع أولاد البلد والتجار من ركوب الخيول والبغال ، محاولة منها لجعل هذه الامتيازات مقصورة على رجال الطبقة الحاكمة من رجال الأوجاقات والصناجق الى جانب العلماء والشيوخ (٢٣) .

---

(٢٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ — ٢٥٥ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٠٢ وما بعدها .
(٢٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ — ٤٨١ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٧٩ — ٨١ .

ويظهر موقف الادارة المركزية واغا مستحفظان سلبيا تجاه بعض فئات المجتمع المصرى ويتضح ذلك من واقعة جرت بين بعض الأشراف فى القاهرة الذين طالبوا بالقصاص من احد المماليك قتل احدهم ، واثبتوا صحة دعواهم فى الديوان ، ولما ظهر تكاسل الباشا ورجال الحكم عن نصرتهم جمعوا بقية الأشراف القاطنين بالأقاليم ، واجتمعوا بمسجد المشهد الحسينى وخرجوا فى موكب كبير يحملون بيارقهم وأيدهم بعض اهالى القاهرة متجهين الى بيت أقوى الصناجق ( قيطاس بك ) والمتكلم فى شئون الولاية ، ولم يتركهم العسكر والمماليك لاستكمال مسيرتهم بل اشتبكوا معهم ، ولم يقتصر الأمر علـى هذا الحد بل أن أغوات السباهية الثلاثة الذين يخدمون أساسا بالأقاليم جاهروهم بالعداء وانضموا الى اغا مستحفظان ، وشقوا شوارع القاهرة لارهابهم ، ونادوا بالأمان على الرعية ليفتح التجار والحرفيون محلاتهم ، ومن المؤسف أن هؤلاء الأغوات حقروا من شأن الأشراف واطلقوا عليهم ( اليهود ) ولم يكن بمقدور الأشراف التصدى لمواجهة هذا الظلم والتحدى ، وتخفى الكثيرون بعد ان خلعوا عماماتهم الخضراء المميزة ، ولولا تدخـل العلماء لنفى العديد منهم (٢٤) .

ومن هذه الحادثة نتبين تسلط رجال الطبقة الحاكمة ـ من البكـوات المماليك واتباعهم ـ وظلمهم الواقع على ابناء الرعية ، وضعف نفوذ الباشا العثمانى ـ ممثل السـلطان ـ وعجزه عن اتخاذ موقف ايجابى لاقامة العدل ، كما تقضى بذلك الشريعة والقانون ( قانون نامة مصر ) .

وعرف بعض الأغوات بقسوتهم وجبروتهم فى معاملة الرعية ، من هؤلاء ( اسماعيل اغا تابع ابن ايواظ ) الذى استخدم وسائل التعذيب متعددة منها الخوازيق والسلخ ، ومن مظاهر قسوته أنه فى احدى جولاته الليلية نحو مصر القديمة ، القى رجاله القبض على اثنين فى محـل خـواطىء ،

---

(٢٤) احمد شـلبى بن عبد الغنى : المصـدر السـابق ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

وعاقبهما بصورة مؤلمة (٢٥) . وفى صفر ١١٢٨ هـ ( يناير ١٧١٦ م ) ، ضجت الرعية لظلم هذا الأغا حتى استجاب الباشا لعزله واختير ( محمد أغا بن الجيعـــان ) الذى أطاعه الأهالى وكـــان عادلا فى معاملته مـــع الناس (٢٦) .

كما لعب أغا مستحفظان أحيانا دورا فى تنظيم العلاقة بين أهل الذمة من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى ، ففى شـــهر المحرم ١١٣٦ هـ ( أكتوبر ١٧٢٣م ) تعرض أحد الشيوخ للاهانة من ذمى يعمل صرافا بباب مستحفظان ، عند ارتياده أحد الحمامات فأخبر الأغا بذلك ، مما جعله يستصدر فرمانا من الباشا يقضى بالزام كافة النصارى واليهود عند دخول الحمامات بضرورة استخدامه علامة (٢٧) تميزهم عن المسلمين ، كما أفاد الفرمان أيضـــا بعدم اشتغال الفتية الصغار فى أعمال الحمامات ، وكان الفرمان قاسيا فى أثره على الحمامية حيث انقطع غالب أهل الذمة عن استخدام الحمامات رافضين لهذا الاذلال ، كما تعطل دولاب العمل بمنع الصبية عن العمل ، فتحرك الحمامية للاجتماع بشيخ الطائفة الذى فكر فى رشوة الأغا لعدم المعارضة « فقطع الأغا لهم تذكرة بما أرادوا ونزل شيخ الحمامية فرقها على كل حمام مايتى نصف فضة » (٢٨) . وبذلك لم يستمر العمل بهذا الفرمان الا أياما قلائل ، وهذا يعكس مدى التدهور الذى أصـــاب جهاز الادارة المركزية بالولاية .

كما وقعت حادثة تمخض عنها صدور فرمان من الباشا الى أهل الذمة فى مارس ١٧٢٢ تولى الأغا ابلاغه الى الأهالى باشهار النداء ، ويتناول منعهم

---

(٢٥) نال الرجال عقابه بتسمير عضوه ، بينما ضربت المرأة مائة نبوت ، وشاعت هذه الحادثة بمصر .

(٢٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .
ــ الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٥٤٦ وما بعدها .

(٢٧) أشار الفرمان الى ضرورة تعليق الجلاجل فى أعناق أهل الذمة

(٢٨) أحمد شـــلبى بن عبد الغنى : المصـــدر الســـابق ص ٣٧٨ وما بعدها .

من استخدام المسلمين فى أعمال الخدمة لدى بيوت النصارى واليهود ، حيث تعرض احد الأشراف للقتل على ايدى يهودى مخمور ، بعد ان تدخل الشريف لفض نزاع بين سيده اليهودى وولده ، ولم يهدأ المسلمون الا بعد قتل هذا اليهودى القاتل وحرقه قصاصا لما كسبت يداه خاصة وانهم قد عرضوا عليه الدخول فى الاسلام فأبى ، وكان للأغا دور فى تمكين المسلمين من اجراء القصاص المذكور (٢٩) .

ويبدو أن أهل الذمة كانوا يميزون بلبس ملابس معينة فى المجتمع خلال العصر العثمانى ، كما قضى بذلك رجال الحكم ، الا أنهم غالبا ما يتخلون عن هذه القيود ، فيصدر بعض الباشوات فرمانات تعيد الالتزام بها ، ففى يناير ١٧٣٦ أمر ( جن على باشا ) أغات مستحفظان ( أحمد اغا لهلوبه ) بالنداء فى شوارع القاهرة الى طائفة اليهود بلبس طراطير وطواقى زرقاء بينما يرتدى النصارى قلايق وبرانيط كما يفعل الافرنج ، وحرم عليهم استعمال ما هو غير ذلك ، وشدد العقوبة على من يخالف هذا الفرمان وأباح للرعية نزع الثياب المخالف على أن يتولى رجال الادارة المسئولين ( اغات مستحفظان ورجاله ) عقابه ، ولم يظهر امتثال أهل الذمة لهذا الفرمان وخالفوه بعد فترة — كما هو معتاد (٣٠) .

وفى بعض الأحيان كان الباشا يستجيب لشكاوى الأهالى ضد تعسف أغا مستحفظان الذى يستبد بهم ، ففى ابريل ١٧٢٧ ، اتجه نفر من الرعية الى الديوان بالقلعة وابلغوا الباشا ظلم ( سليمان اغا ابى دفيه ) لما رتبه من مظالم ومستحدثات على العقارات والمرافق ( الطواحين ) ، وبعد ان تأكد من صدق دعواهم ، عزل الأغا المذكور وولى غيره هذا المنصب الهام (٣١) .

وفى الاحتفالات الدينية كان الأغا ( أغا مستحفظان ) يقوم بدور تنظيمى

---

(٢٩) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .
(٣٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .
(٣١) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠٢ .

له طابع اجتماعى ، فهو يتولى بالاستعانة برجاله تنظيم الزحام والتكدس الذى يحدث فى الموالد مثلما حدث فى فبراير ١٧٢٨ فى مولد ( سيدى أحمد الرفاعى ) بسوق السلاح بالقاهرة ، وقد مات بعض الناس من شـــدة الزحام ، تحت الأرجل ، ودبت الفوضى ، ولم تستقر الأوضاع الا بتدخل الأغا الذى قام بطرد الأهالى وامر اتباعه بحمل الموتى وعين عليهم حرسا حتى طلوع النهار ، واوصى كل من يتعرف على احدهم باستلامه ، وضاعت بذلك على الوالى عوائد (*) مقررة على كل متوفى ، تحت الحاح الأهالى والتماسهم أمام الباشا باعفائهم منها (٣٢) .

ويتولى الأغا أيضا ابلاغ اوامر الباب العالى فيما يتعلق بمنع أولاد البلد والتجار والمغاربة من حيازة المماليك البيض والجوارى ، وذلك منذ يوليو ١٧٣٦ ومن فى حيازتهم لابد من التصرف فيه بالبيع فى أسرع وقت ، ولا يحق لهم سوى استخدام العبيد السود . أما بالنسبة لأهل الذمة من اليهود والنصارى فلا يجوز لهم حيازة الجوارى السود (٣٣) . وهى محاولة على ما يبدو ، قامت بها الدولة لمنع تزايد المماليك فى المجتمع المصرى ، خاصة وقد اتضح أمام الدولة غلبة هـــذا العنصر ، فى اجهزة الادارة والأوجاقات وخاصة المماليك البيض والذين يصلون لمستوى قيادى .

ويبذل الأغا احيانا جهودا طيبة فى سبيل تجهيز المساجد (**) التى تعطلت منذ فترة واهملت ، ففى شعبان ١٢٠٠ هـ / يونيو ١٧٨٦ م اهتم ( سليم أغا ) باعداد مسجد السلطان حسن بن قلاوون الكائن بسوق السلاح بعد أن

---

(٣٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥٢٤ .
Perry : op. cit., pp. 214-216.

(٣٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصـــدر الســـابق ، ص ٦١٤ وما بعدها .

(*) للوالى عوائد تصل الى احد عشر قرشا على كل قتيل .

(**) كما قام عثمان اغا فى ربيع الأول ١٢٢٠ هـ / يونيو ١٨٠٥م — أوائل حكم محمد على — بتعمير مشهد ( زين العابدين ) الذى يقصده أصحاب الطرق الصوفية للزيارة والتبرك .

تخرب — منذ اكثر من خمسين عاما — خلال المؤامرات المملوكية ، فازال المحلات التى شوهت جوانبه وافتتح بابه الكبير تجاه سوق السلاح وجهزه من كل ما يلزمه من أشياء وأمر نظارة بمداومة الانفاق عليه ، وبذلك تمكن الناس من الصلاة فيه بعد ان هجروه . وكان الأغا قد استأذن ابراهيم بك ومراد بك لانجاز هذا العمل بعد شكاوى الأهالى العديدة (٣٤) .

استعان حسن باشا قبطان أثناء وجوده بمصر بأغا مستحفظان فى تنفيذ أوامره تجاه النصارى ، ففى شهر ذى القعدة ١٢٠٠ هـ / سبتمبر ١٧٨٦ م أشهر النداء على كافة النصارى بعدم ركوب الخيول وغيرها من الدواب ، وعدم استخدام المسلمين أو شراء الجوارى والعبيد ، فضلا عن الالتزام بزيهم الأصلى وشد الزنار الذى يميزهم عن المسلمين ، كما طلب تغيير أسماءهم التى تحمل أسماء الأنبياء . وأصر القبطان باشا على ضرورة بيع ما يحوزه النصارى من العبيد والجوارى ، فباعوا البعض وتحايلوا بابقاء البعض الآخر لدى معارفهم من المسلمين ، ولكنه أمر العسكر بمهاجمة البيوت لاخراجهم ، وكانت أعداد كبيرة ، وأمر ببيعهم بالمزاد ، فاشترى الأجناد غالبهم . وواصل القبطان جهوده تجاه النصارى ، فقرر على بيوتهم ممن فروا مع الأمراء القبالى ( المماليك ) غرامة قدرها ( خمسة وسبعين ألف ريال ) كما أحصيت أملاكهم وعقاراتهم وقرر عليهم ( خمسمائة كيس ) فوزعت على كافة النصارى بعد أن خصموا ثمن الجوارى والعبيد ، مما أدى الى تضرر فقراء النصارى من هذه الاجراءات ، وزيدت الجزية المقررة ( العال والدون ) دينارا ، وتم القبض على كبار المعلمين والصيارفة من النصارى الذين اشتغلوا فى خدمة المماليك فضبطت أموالهم الوفيرة (٣٥) .

وبعد خروج الفرنسيين من مصر ، وتقدم العثمانيين الى القاهرة — انتهز الأغا ورجاله من أصحاب الادراك ( القلقات ) الفرصة فى ربيع الأول

---

(٣٤) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٣٥) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١١٦ — ١١٩ .

— أحمد راسم : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

١٢١٦ هـ / يوليو ١٨٠١م واشهروا النداء على كافة النصارى بضرورة الالتزام بملابسهم والتى حددت ألوانها بالأسود والأزرق ، وعدم ارتداء الملابس الملونة ، وأخذ رجال الأغا فى ترصدهم وخلع الثياب المخالف ويشير المؤرخ بأنهم لم يكونوا بذلك ينتصرون للدين بل رغبة فى السلب والنهب ، وقد اشتكى النصارى لكبرائهم ، فأوقف هذا الاجراء (٣٦) .

ويتدخل اغا مستحفظان لفض المنازعات التى تتكرر من حين لآخر بين الأهالى والعسكر بسبب اعتداء العسكر على البنات والنساء ، ونهب الأمتعة وكافة الأشياء وخطفها بدون ثمن ، من الأسواق ، ورغم أن الأهالى — غالبا — ما يكونون عزلا بلا سلاح ، الا أنهم كانوا ينتقمون من الأجناد ، وعندما يشتد أذاهم بشكل كبير ، بما يثير سخط العامة ، يعاقب الأغا مرتكبى هذه الحوادث من العسكر ، وقد يأمر باعدام البعض ، وذلك لتهدئة مشاعر الأهالى (٣٧) .

ورغم هذه الجهود التى يبذلها الأغا تجاه الرعية فان بعض الأغاوات عرفوا بالجشع والاستبداد ، ففى شعبان ١٢١٩ هـ / نوفمبر ١٨٠٤م — خلال الفترة التى تلت خروج الفرنسيين وحتى تولى محمد على الحكم — منع الأغا والوالى استخراج جثث الموتى الذين لقوا مصرعهم تحت أنقاض ربع (*) بجوار حمام المصبغة فى الكعكيين ، الا بعد دفع دراهم معينة ، بل ان رجالهما نهبوا مصاغ وحلى النساء ، وقبضوا على صاحب الربع ومباشر الوقف (٣٨) .

---

(٣٦) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٩١ .
(٣٧) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣١١ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ وما بعدها .
(*) وعندما سقط ربع بسوق الغورية فى صفر ١١٩٠ هـ استولى الأغا على الأماكن الخربة من أصحابها واقام حوانيت وأعلاها الربع والوكالة التى عرفت بوكالة الزيت .
(٣٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣١٢ وما بعدها .

وارتبط بهذا الدور الاجتماعى لآغا مستحفظان ـ الذى سبق تناوله ـ جهود اتسمت بالطابع الحضرى ، من حيث الحفاظ على الصحة العامة للأهالى والعناية بالنظافة ، وهى محاولات نادرة الحدوث لغياب الاهتمام بهذه المسائل بشكل دائم .. من هذه الحالات قيام اغا مستحفظان فى سبتمبر ١٧٣٢ بالتنبيه على الأهالى بعدم استخدام مياه الخليج المصرى للشرب بعد أن تكون قد ركدت وصارت غير صالحة لذلك وهى لا تصل الخليج الا فى موسم الفيضان وتستمر حوالى شهرين تقريبا (٣٩) .

وفى أوائل حكم محمد على اهتم الأغا والوالى ـ أحيانا ـ باجبار الناس على تنظيف الأسواق والشوارع ورشها بالماء ، خاصة أمام الحوانيت فى الوكالات وأماكن التجارة ، وذلك فى ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / مارس ١٨١٣م (٤٠) .

واهتم أغا مستحفظان خلال وجود الفرنسيين بمصر بالزام الأهالى باضاءة القناديل فى الشوارع والأزقة وأمام الحوانيت ، وتابع رجال الأغا من (أصحاب القلقات) أثناء جولاتهم الليلية هذا الأمر بانتظام فاذا وجدوا قنديلا أطفأه الهواء أو فرغ زيته سمروا الدار أو الخانوت التى وضع أمامها ، ولابد أن يحصلوا على ما يريدونه من الدراهم من أصحابها ، بل انهم يتعمدون أحيانا كسر هذه القناديل للحصول على الغرامات المطلوبة ، وصار الناس خلال شتاء ١٢١٣ هـ / ديسمبر ١٧٩٩ م فى ضيق بالغ ولم يعد أمامهم سوى الاهتمام بالقناديل تجنبا للعقوبات المالية الضخمة (٤١) .

وفى جماد الثانية ١٢١٤ هـ / نوفمبر ١٢٩٩م ـ فى عهد كليبر ـ واصل الأغا العناية باضاءة الشوارع والأسواق وأجبر الأهالى بضرورة ايقاد

---

(٣٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ص ٣٤٨ .

(٤٠) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٠٤ .

(٤١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٩ .
Esteve : op. cit,, pp. 115-117.

اربعة قناديل أمام كل دكان ، ومن يخالف ذلك ياق عقابا . ومن الطبعى أن اهتمام الفرنسيين بهذا الأمر لم يكن الهدف منه — أساسا — العناية بشئون الرعية وانما لدواعى الأمن واقرار النظام بالعاصمة واحكام قبضتهم على المدينة (٤٢) .

وعنى اغا مستحفظان بمكافحة الحرائق التى تندلع من وقت لآخر بالقاهرة ، ففى مايو ١٧٢١ احترق مصنع للبارود فى الأزبكية أدى لخسائر فادحة فى الأرواح وخراب عدد من البيوت المجاورة ، وتهدمت حارة ( قلعة الكلاب ) ، واضطر صاحب المصنع الى نقل نشاطه الى مكان آخر ( كوم الشيخ سلامة ) ففزع الأهالى الى أغا مستحفظان خوفا من تكرار المأساة فاستجاب الأغا ، واستعان برجالة وقاموا بهدم هذا المعمل وخلال الهدم تطاير الشرر مما أدى الى نشوب حريق آخر ، فمات العديد من الأهالى الى جانب رجال اغا مستحفظان الذين انشغلوا بالنهب ابان هذه الفوضى (٤٣) .

وفى شهر رمضان ١٢٠١ هـ / يونيو ١٧٨٧ م أسهم الأغا والوالى واتباعهما فى اخماد حريق نشب فى خان الحمزاوى بسبب وجود البارود والرصاص والجلل ( القنابر ) فى أحد محلات العطارة فالتهمت النيران البيوت المحيطة والحوانيت ، فى هذا الخان ، ورغم جهود هؤلاء فى استخراج الاهالى والقتلى ، الا انهم قاموا فى نفس الوقت بنهب البضائع والأمتعة وحتى مصاغ النساء المحترقات ، وادى هذا الحريق لمقتل عدد كبير (٤٤) .

واولى الباشا فى بعض الأوقات اهتماما بمتابعة اطفاء الحرائق ، بالاستعانة بالأغا واعوانه ، ففى شهر ذى الحجة ١٢١٧ هـ / ابريل ١٨٠٣ م

---

(٤٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٢ .
(٤٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣١٧ .
(٤٤) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٣٦ .

— فى عيد النصارى — شب حريق بكنيسة الأروام ، مما جعل الأغا يستدعى السقائين والفعلة واجتهدوا فى اطفائها ، ونظرا لاهتمام الباشا تابع بنفسه هذا العمل خاصة وان الأمر يتعلق بالأروام ( الافرنج ) (٤٥) .

**ثالثا — دوره فى النواحى الادارية والسياسية :** يعد هذا الدور الذى قام به أغات مستحفظان أهم الأدوار التى اضطلع بها خلال القرن الثامن عشر ، وأوائل التاسـع عشر ، وكـان عنصرا مؤثرا فى الادارة المركزية بالقاهرة .

ففى أوائل القرن الثامن عشر قام ( على اغا مستحفظان ) بدور فعال أثناء فتنة افرنج أحمد سنة ١٧١١ وأعقابها للقضاء على العناصر المشاغبة ، من مثيرى الفوضى ، وكان يتعقب هذه الجماعات خلال جولاته المستمرة بالقاهرة سواء كانت من العسكر أو من الأهالى الذين تدخلوا فى هـذه الفتن ، من هؤلاء ابن احد الشيوخ الذى عوقب بالاعدام ، وكان لجهوده أثر كبير فى اقـرار الأمـور بالعاصـمة بعد أن شـهدت فتنة داميـة بين الأوجاقات (٤٦) .

وعندما اشتعل النزاع بين كل من ابن ايواظ وجركس سـنة ١٧١٦ وتطورت الأوضاع بهروب جركس من القاهرة ، لعب الأغا دورا — بأمر الباشا — فى القبض على أتباع جركس ، وهدد كل من يساعد جركس فى التخفى بأن دمه مهدور ، أما من يقدم معلومات للأغا للافادة فى هذا الشأن

---

(٤٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٣٥ .

(٤٦) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ — ٢٥٥ .

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٢ .

— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٧٠ — ٧٥ .

— Raymond : op. cit., p. 751.

فسوف يكافأ بالحصول على التزام فضلا عن خمسمائة عثمانى (٤٧) .

كما استعان الباشا فى اثناء صراعه ضد جركس ــ الذى أصبح صاحب النفوذ فى الولاية ــ بأغا مستحفظان ، ففى فبراير ١٧٢٦ أمر بالنداء على كافة العسكر بالاتجاه الى باب العزب بالقلعة ليحصل الجندى على عثمانيين تراقى وألف نصف فضة ، وتمكن بذلك من جمع ما يزيد عن الفين وخمسمائة من العسكر للتصدى لجركس ومماليكه ، وحقق أعوان الباشا انتصارا على جركس الذى اضطر للفرار تجاه ( كرداسة ) وأوقع العسكر النهب بقصر جركس الذى شيده فى أربع سنوات ، الى جانب بيوت صناجقه ، كما استدعى الأغا كافة البنائين والفعلة لهدم هذا القصر للتنقيب عما بداخله من الأموال ، فكأن العمال والرعية قد سعدوا بما حل بجركس من هزيمة فقد ظلم واستبد بالناس . وتتبع الأغا ( سليمان اغا أبو دفيه ) رجال جركس فى القاهرة وهدد كل من يأوى أحدهم بخراب بيته وهلاكه ومن ساعد فى القبض على أحدهم فله أربعين عثمانيا على بساط السلطنة (٤٨) .

وكلما اشيع عودة جركس الى القاهرة استبد القلق بالباشا فيهرع الأغا الى الأحياء التى يحتمل وجوده بها ، ففى ٢٠ فبراير ١٧٢٦ فتش الأغا خط قناطر السباع بدقة وحتى بيت شيخ البلد ( زين الفقار بك ) خوفا من تواجده . وكان الأغا يتحرى عن صناجق جركس الهاربين ، وكلما قبض على أحدهم عاقبه بالقتل . وينفذ الأغا أوامر الباشا باعدام أتباع جركس واتباع ابن سيده ( ابن أبى شنب ) من الصناجق الى جانب ( أغا مستحفظان ) السابق الذى عمل فى خدمتهم ، ولم يسلم ( محمد بك بن أبى

---

(٤٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .
ــ على بن محمد الشاذلى : ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة ، تحقيق د. عبد القادر طليمات ، المجلة المصرية التاريخية ، ١٩٦٨ ، ص ٣٥٥ ــ ٣٦٠ .
(٤٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ .
ــ مصطفى ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٥ .

شنب ) الذى غير ملامحه وتزيا بملابس النساء وسكن مع امه بدرب الأتراك من القاء القبض عليه بعد موته ، وعوقب صاحب البيت بالسجن وهدم البيت ، ورغم شفاعة بعض البكوات لدى الباشا بدفنه مع أبيه ( ابراهيم بك أبى شنب ) لم يقبل (٤٩) .

ويستعين الباشا العثمانى بأغا مستحفظان فى القبض على المتآمرين خاصة اذا كان المقصود بالمؤامرة الباشا نفسه ، ففى أغسطس ١٧٢٧ دبر بقايا الايواظيه مؤامرة فاشلة ( الشواربية ) ذاع خبرها ، وكان الأهالى يقدمون معلومات للوالى للارشاد عن عناصر المؤامرة ليتولى الأغا ورجاله القبض عليهم ، وعرضوا على الباشا فى الديوان وهم على صورة مهينة ليأمر بقتلهم وكانت هذه المؤامرة نهاية محزنة لأحد البيوت المملوكية الشهيرة ( الايواظية ) (٥٠) .

تخوف ( محمد باشا النشنجى ) فى أواخر ١٧٢٧ من دخول جركس بك خلسة الى القاهرة ففرض — عن طريق أغا مستحفظان — حظر التجول على سكان القاهرة وضواحيها من بعد المغرب ، وسعى الأغا حثيثا فى جولات متعددة ليلا لتطبيق هذا الحظر ومعاقبة من يخالفه ، الا ان أهل الحرف وفقراء الناس استنكروا هذا التوقيت الذى تعارض مع مصالحهم ، فعدل الموعد واصبح من بعد صلاة العشاء وحتى مطلع الفجر ، وخلال هذه المدة كل من يصادفه الأغا يكون مصيره القتل (٥١) .

وعندما تعرض الدفتردار ( على بك الهندى ) وهو من خصوم جركس

---

(٤٩) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ ، ٤٩٠ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ — ٢٣٢ .
(٥٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٠٦ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ وما بعدها .
(٥١) أحمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، ص ٥١٥ .

وهو فى طريقه الى الديوان بالقلعة ، لمؤامرة لاغتياله — وكان برفقة الشيخ البكرى — ، دبت الفوضى بين صفوف العسكر المماليك ، مما جعل الباشا يصدر أمره الى الأغا بالمناداة فى القاهرة ، على كافة العسكر الصعود الى أبوابهم بالقلعة ، ومن يتخلف تقطع علوفته ، وتمكن الأغا بذلك من القبض على المتآمرين ، وأعلن الأمان بعد أن تغلب الفقارية ولم يبق من القاسمية أحد [٥٢] .

وفى سبيل المحافظة على النظام فى المدينة وتعقب خصوم الباشا — من أمثال جركس وأعوانه — كان أغا مستحفظان يقتحم الديوان وقت انعقاده لابلاغ الباشا بما تناهى الى سمعه من وصول بعض الهاربين الى القاهرة ، فيصدر فرمانا بتفتيش الخط الذى يؤويهم ، فقام الأغا بموجب فرمان ( باكير باشا ) فى ١٩ يناير ١٧٢٩ باقتحام نواحى درب المحروق ، يصاحبه الوالى والأوده باشية وأغلقوا الدرب لتفتيش البيوت على أيدى رجال الأغا والوالى ، مما يؤدى الى ارتباك أوضاع الأهالى وتعطيل مصالحهم [٥٣] .

لم تكن مهمة أغا مستحفظان ميسورة ، فقد يتعرض هو ورجاله لأخطار متعددة ، خاصة فى المعارك الضارية التى تنشب لتصفية البيوت المملوكية التى تتصارع فى سبيل استعادة نفوذها ، ففى ديسمبر ١٧٣٠ كلف ( عبد الله باشا كوبريلى ) أغا مستحفظان والوالى وأوده باشه البوابة بمهاجمة الحارات المجاورة للجامع الأزهر ، بعد أن بلغته أخبار تفيد بوجود جماعات من أتباع جركس وبقايا الشواربية ، كما هاجموا درب غزيه ودرب المغربلين بالغورية ، وسقط بعض رجال الأغا قتلى ، فى هذه المعارك ، الأمر الذى جعل شيخ البلد والصناجق وكتخدا الانكشارية وعزبان يتحركون لمساندة الأغا وأغلقوا أبواب الدروب ، واضطروا لاحراق البيوت التى

---

(٥٢) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، ص ٥٢١ وما بعدها .
(٥٣) نفس المصدر السابق ، ص ٥٤٥ .

اتخذها الخصوم نقطة مقاومتهم ، وخلال هذه الصدامات الدامية تعرض رجال الأغا لأهالى حى الأزهر وطلابه وتطاولوا عليهم وآذوهم ، فتدخل العلماء لدى شيخ البلد بعد اغلاق الجامع اعلانا للمقاومة ، فأصدر أمره للأغا بمنع التعرض لهم ونودى بالأمان ، ومن المألوف قيام رجال الأغا والوالى بنهب البيوت التي يحتمي بها بقايا الجماعات المملوكية (٥٤) .

ويتدخل أغا مستحفظان لاعادة النظام بين صفوف العسكر ورد كل منهم الى أوجاقه كما يستعين برجاله فى فك التحصينات التى يقوم بهـا المماليك فى مسجد السلطان حسن وهـذا ما حدث عقب مؤامرة جرت فى نوفمبر ١٧٣٦ أدت لمقتل شيخ البلد ، وتابع الأغا والوالى جولاتهما للقبض على المتآمرين بعد أن أبعدوهم عن المسجد بمساعدة رجال مستحفظان ، وزج بهم فى سجن باب مستحفظان ومن بينهم ابن ( أحمد بك الأعسر ) ، وكان من الضالعين فى هذه المؤامرة ( محمد بك الدفتردار ) الذى قبض عليه الأغا فى قناطر السباع عندما كان مختفيا بها وتسلمه الوالى الذى أوسـعه ضربا بالنبابيت ولم يرض الوالى بتسـليم جثته لأهله الا بعد أن دفعوا مائة دينار فندقلى (٥٥) .

وكان الأغا يعاقب بشدة بالغة من يساعد فى ايواء أحد المتآمرين ، فقام ( سليمان اغا أبو دفية ) بمهاجمة بيت جهة كوم الشيخ سلامة وقبض على أحد الأمراء وكان من الهاربين مع جركس ، فنال صاحب البيت جزاءه ، بأن خوزقه حتى مات . ولعب أهالى القاهرة فى أعقاب هذه المؤامرة دورا مساعدا للابلاغ عن لماكن اختفاء المتآمرين خوفا من سطوة الأغا (٥٦) .

---

(٥٤) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٧٢ ـــ ٥٧٦ .
ـــ مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ـــ ٢٨٠ .

(٥٥) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦٢٨ .
ـــ الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٥٦) نفس المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٦ .

وعندما تولى على بك الكبير زمام السلطة استعان بأغا مستحفظان للتخلص من البكوات الذين يشكلون مصدر خطورة ، الأمر الذى كف الأغا فقدان عدد كبير من رجاله فى هذه المهمة الشائكة . وبوصول محمد بك ابو الذهب الى رئاسة مصر وفرار أستاذه على بك الى بلاد الشام كلف أغا مستحفظان بقتل كتخدا الباشا ، وبالنداء على الرعية لابطال العملة السائدة التى تحمل اسم سيده وكانت من القروش المصنوعة نحاسا . وبخروج اسماعيل بك (شيخ البلد) فى تجريدة ضد خصومه من القبالى فى شهر ذى القعدة ١١٩٠هـ ديسمبر ١٧٧٦م أسند الى أغا مستحفظان (عبد الرحمن أغا) وعدد من الصناجق مسئولية اقرار الأمن والحفاظ على أبواب المدينة ، والسهر على حمايتها ليلا ونهارا من خلال جولات تفتيشية منتظمة (٥٧) .

وبقدوم حملة حسن باشا قبطان الى مصر ، وفى شهر ذى القعدة ١٢٠٠ هـ / سبتمبر ١٧٨٦ م شرعت جماعات من عساكره فى نهب بيوت الأمراء المماليك (القبالى) فأرسل الى الأغا والوالى لمنع هذا التعدى وعاقب بنفسه بعضهم ، قتلا خاصة وقد تبعهم فى ذلك بعض العامة . وعندما تصدى قبطان باشا لمحاربة القبالى لعب الأغا دورا هاما فى النداء بالأمان على أتباعهم من المماليك الذين اختفوا بالقاهرة لكسبهم الى جانب الباشا ، وذلك بتدبير اختيارية الأوجاقات ، وفى المحرم ١٢٠١ هـ / نوفمبر ١٧٨٦م نشط الأغا لجمع كافة العسكر والأولدشات والاتجاه الى بولاق للسفر ، فى تجاريد ضد القبالى صحبة رجال الأوجاقات ، وأخرج البعض بالقوة من الخانات وهدد من يتخلف بالعقوبة ، وقد تضرر فقراؤهم الذين حرموا من النفقة ، بعد أن تعهد الباشا بتقديم ما يلزمهم من الأطعمة (٥٨) .

---

(٥٧) مؤلف مجهول : تاريخ ما وقع فى مصر ( ١١٩٠ — ١١٩٨ هـ ) . مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 1856 ، ورقة ٥ حتى ورقة ١١ .
— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٧١ .

(٥٨) رسم لهم الباشا بأن يأكلون على سماط أوجاقاتهم المعتادة من البقسماط والأرز والعدس دون اللحم لارتفاع سعره وندرته فى ذلك الوقت .

وحتى يضعف الأغا جانب الأمراء القبالى اطلق النداء فى القاهرة فى صفر ١٢٠١ هـ / ديسمبر ١٧٨٦م بأن ابراهيم بك ومراد بك مطرودان من طاعة السلطان ومن تبعهم . كما مارس الأغا نفس الدور فى خدمة الباشا العثمانى بعد سفر حسن باشا قبطان الى الدولة ، فقام بجولات تفتيشية واسعة لجمع الأولداشات المنتسبين الى الأوجاقات لمحاولة اعادة قوتها وتماسكها ، وتوعد من يتأخر عن الحضور الى أوجاقه بالعقاب (*) الشديد (٥٩) .

وفى أول ربيع الثانى ١٢٠٢ هـ / ١٠ يناير ١٧٨٨م نزل الأغا ليعلن عن فرمان الباشا — بموجب فتوى العلماء — الذى يقضى بضرورة محاربة الأمراء القبالى ، ونبه على كافة أعضاء الأوجاقات بالتجمع لدى أبوابهم ، والاستعداد للمشاركة فى التجاريد العسكرية . ويبدو أن الأولداشات تكاسلوا عن الخروج لهذه التجاريد ، مما جعل الأغا يكرر النداء وأعلن عن حصول كل منهم على الف نصف فضة من الباشا لاغرائهم على ذلك . وعندما طالت فترة المراسلات بين الباشا الحاكم والقبالى فى الصعيد ، هرب بعض الكشاف والمماليك من المدينة للانضمام الى الأمراء ، فقام الأغا — بناء على أوامر شيخ البلد اسماعيل بك — بمصادرة أموالهم ونهب بيوتهم ، كما إهتم الأغا والوالى بتعمير الدروب وإغلاق أبواب المدينة ، وتعيين حرس فى مراكز متعددة خوفا من أى هجوم مباغت أواخر سنة ١٢٠٥ هـ / أغسطس ١٧٩١م (٦٠) .

وفى ظل الوجود الفرنسى بمصر ادى الأغا أدوارا هامة فى خدمة الفرنسيين ، فمنذ البداية ( فى صفر ١٢١٣ هـ / يوليو ١٧٩٨ م ) نادى رجال الأغا جماعة القلقات ( الادراك ) على الأهالى بوضع علامات الثورة الفرنسية المعروفة بالوردة — اشارة للطاعة والمحبة للفرنسيين — فأنف معظم

---

(*) كانت العقوبة قطع الأذن أو الأنف كما يشير المؤرخ .

(٥٩) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٥٤ .

(٦٠) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢٢٥ .

الناس من ذلك ، بينما راى البعض أن هذا الاجراء لا يخل بالدين ، وان كان مكروها ، ثم قصر استخدامها على بعض الأعيان ومن له مصلحة ، يريد قضاءها لدى الفرنسيين . كما منع رجال الأغا عامة الناس من الحديث فى شئون السياسة وأمور الحرب ، بين الفرنسيين وأمراء المماليك بالوجه القبلى بعد ان أبدوا استهزاءهم بالعسكر الفرنسيين الذين هزموا وجرحوا فى هذه المعارك ، وأصبح ممنوعا على أصحاب الوكالات وبوابى الاخطاط السماح بسكنى الأغراب أو اخراجهم للسفر بدون اذن اغات مستحفظان ، وذلك لاحكام قبضة الفرنسيين على أهالى المدينة (٦١) .

٧ - وقد لعب الأغا والوالى دورا فى تهدئة الرعية واشاعة الأمان بالبلاد عقب اخماد ثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين ، واعدام الثوار الذين شاركوا فيها فى جمادى الآخر ١٢١٣ هـ / نوفمبر ١٧٩٨م . وعنى اغا مستحفظان بتعقب المماليك الذين يدخلون الى القاهرة خلسة وقد غيروا زيهم وتستروا فى ملابس الفلاحين ، وقدمهم للفرنسيين لمحاكمتهم ، وهو يغريهم باعدامهم . كما امتد نشاطه الى البلاد للبحث عنهم وسجنهم بالقلعة ، وبلغوا أعدادا كبيرة . وقد نال الأغا فى عهد كليبر مكانة مرموقة جزاءا لجهوده ففى رابع ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / سبتمبر ١٧٩٩م خرج أغات مستحفظان فى موكب حافل فى ابهة عظيمة وامامه بعض العسكر الفرنسيين ، وذلك للنداء بما امر به صارى عسكر ، بعد ان تحول اليه سلطة الفصل فى جميع الدعاوى والقضايا العامة فى بيته ومعاقبة المخالفين من أبناء الرعية . وعندما احتفل الفرنسيون فى قصر العينى بعيدهم فى أول جماد الآخر ١٢١٤ هـ / ٣١ اكتوبر ١٧٩٩م كان أغا مستحفظان والشيخ الشرقاوى من الذين أنعم عليهم كليبر بالخلع السمور تقديرا لجهودهما (٦٢) .

٨ - كان أغا مستحفظان اداة استعان بها كليبر فى أواخر ١٢١٤ هـ

---

(٦١) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٢ .

(٦٢) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٠ ، ٨٢ .

أوائل ١٨٠٠م ، لمضايقة الأهالى ، وتحصيل أموال الفردة العامة التى فرضها ، وساعده فى ذلك الوالي والمحتسب ، وبثوا الأعوان لطلب الناس وحبسهم وايذائهم ، وزادت الغرامات عليهم ، الأمر الذى جعلهم يلجأون الى الاقتراض لسدادها ، ولم يجد الدائن من يدينه فباعوا متاعهم « فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه » (٦٣) .

ورغم هذا اللجهود التى بذلها الأغا والوالى والمحتسب فى خدمة الفرنسيين ، الا أنهم حرموا من عوائدهم المرتبة على أهل الحرف والتجارة فى شهر رجب ١٢١٥ هـ / ديسمبر ١٨٠٠م واندرجت فى أقلام العشور وصاروا يتقاضون رواتب ( جامكية ) شهرية عوضا عنها ، وهى لا تجازى العوائد السابقة . وواصل الأغا ورجاله خدماته للجنرال ( مينو ) وساعدوا فى ضبط المواليد والوفيات بالاستعانة بمشايخ الحارات والأخطاط ، وبعد موت الأغا فى الطاعون فى القعدة ١٢١٥ هـ / مارس ١٨٠١م سمح الفرنسيون بتولية أحد أسافل العامة ــ كما يرى المؤرخ ــ أغوية مستحفظان والحسبة ، الذى أبشع فى ظلم الرعية ومصادرة أموالهم ويتحايل فى ذلك ، فكان يتزيا بزى النساء بحجة البحث عن اللائى هربن من سجن القلعة ليستولى على الأموال وغيرها . وعندما تعرض الفرنسيون فى أوائل ١٢١٦ هـ / ربيع ١٨٠١م لهزائم من جانب الانجليز والعثمانيين ، كان الأغا يخفى هذه الأنباء ويعزز موقفهم بشائعات تفيد بوصول بونابرت بقيادة جيش كثيف ، وكان يعاقب بالاعدام كل من يتهم باتصاله بخصوم الفرنسيين . وبخروج الفرنسيين من مصر فى جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / سبتمبر ١٨٠١م قام رجال القلقات من الانكشارية ، برفع البيارق لاعلان الأمان ، والزموا أهل الحارات والأخطاط بمختلف المآكل والمشارب ، وتبع ذلك دخول أغاة الينكجرية العثمانى الى المدينة ، وأمر بمنع الانكشارية من التعرض للأهالى ، ومشاركتهم أرزاقهم دون وجه حق ، وهرع الى القاهرة العسكر العثمانى

---

(٦٣) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٩ .

والمماليك للسكنى بالمدينة بعد خروجهم إثناء الحكم الفرنسى (٦٤) ...

وأعلن اغا مستحفظان الأمان على الرعية ، وارباب الأوجاقات فى شعبان ١٢١٦ هـ / إكتوبر ١٨٠١م ، واطلق الوزير الأعظم سراح عدد من البكوات المماليك واتباعهم ، بينما اختفى البعض والتجأ آخرون الى الانجليز ، فقد تبدلت احوالهم : « وباتو ليلة كانت أسوأ عليهم من كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس ، وخاب املهم ، وضاع تعبهم ، وكان ظنهم أن العثمانلى يرجع الى بلاده ويترك لهم مصر ، ويعودون الى حالتهم الأولى .. » (٦٥) .

وفى فترة الاضطراب السياسى التى تلت خروج الحملة الفرنسية وحتى تولى محمد على (١٨٠١ — ١٨٠٥) ظهر من جديد دور الأغا لخدمة الباشوات العثمانيين ، فقام أغا مستحفظان والوالى والمحتسب بضبط أحوال المدينة والنداء بالأمان على الرعية ، ومنع العسكر من التعدى على الأهالى ، ومن تعرض لأذاهم فعليه الشكاية الى القلق ( الدرك ) الكائن بخطه وابلاغ طاهر باشا لمعاقبته . كما وقف أغا مستحفظان الى جانب الانكشارية لاجبار عسكر الأرنؤود على مغادرة القاهرة ، بعد أن تعددت المناوشات بين الطرفين ، وكان بعضهم قد التجأ الى المماليك ، وتصدى الأغا برفقة الانكشارية والكشاف لاستلام المحمل الشريف من أمير الحج فى بركة الحج شمالى القاهرة ، ومحاسبته قبل دخول المدينة فى صفر ١٢١٨ هـ / يونيو ١٨٠٣م .

وساهم الأغا فى معالجة أسباب الفوضى بالبلاد باجبار العناصر التى تسللت الى القاهرة من اتراك وشوام ليسوا من رجال الأوجاقات لمغادرتها ، وكانوا قد بلغوا اعدادا هائلة ، واستقروا بالمدينة وكونوا اسرا . وعهد الى أغا مستحفظان بمهام جديدة حيث يكون فى استقبال القناصل الأجانب

(٦٤) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ١١١ ، ١٥١ ، ١٨١ ، ١٨٨ .
(٦٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٠٢ .

فى بولاق برفقة الوالى ، وكبار الكشاف الذين اتخذوا لهم عسكرا على النظام الفرنسى (٦٦) .

وخلال عامى ( ١٢١٩ — ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٤ — ١٨٠٥م ) زاد فجور العسكر وأذاهم بالرعية ، من حيث أعمال النهب ، كما اشتد ظلم الباشا العثمانى ورجاله ، مما دفع التجار والحرفيين الى اغلاق متاجرهم وأسواقهم وغيرها ، فتدخل أغا مستحفظان والوالى — يرافقهما محمد على — قبل توليه السلطة — لاشاعة الأمان والاطمئنان لدى الأهالى ، ولكن دوره كان ضعيفا فلم يجسر على معاقبة العسكر الدلاة وغيرهم ، حتى ساءت الأوضاع وأصبح السخط عاما على الباشا بينما سعى محمد على للتودد لدى المشايخ والعامة تمهيدا لاختياره حاكما فى صفر ١٢٢٠ / مايو ١٨٠٥م . وعندما وصلت موافقة الدولة على ذلك فى ربيع الأول ١٢٢٠ / يونيو ١٨٠٥ ركب الأغا صحبة عدد من العلماء للنداء على الرعية بالأمان وترك حمل السلاح ، واذا تعدى احد العسكر فيمكن شكايته الى محمد على ، الا أن الناس أنكروا هذا الأمر خوفا من وقوعهم فى أيدى الأجناد ، ولكن الأغا بدأ فى القبض على المسلحين من العامة ، ولم يستطع ( عمر مكرم ) التصدى لذلك ، واضطر محمد على الى اصدار أوامره فى رمضان ١٢٣٠ هـ / أغسطس ١٨١٤م لكبار العسكر بمنع الأجناد من حمل البنادق تجنبا للفتن والاشتباك بالأهالى وباشر الأغا وكتخدا الباشا تنفيذها ، والمرور بالمدينة لاعادة الحياة الى الأسواق والحوانيت (٦٧) .

وعندما اشيع فى رجب ١٢٣١ هـ / يونيو ١٨١٦م موت محمد على باشا فى القاهرة ، نزل أغات مستحفظان الى الغورية يأمر الناس بفتح الحوانيت ، كما قام الوالى بهذا الدور فى باب زويلة وعوقب شيوخ الأسواق الذين اشاعوا هذا الخبر ، واغلقوا أسواقهم . ثم أسند محمد على اغوية مستحفظان

---

(٦٦) نفس المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٢٣٥ — ٢٦١ .

(٦٧) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٤٤٥ ، جـ ٤ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

والحسبة الى ( مصطفى أغا كرد ) فى جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / مارس ١٨٢٠م ، الذى نشط فى جولاته ليلا ونهارا ، وذلك لتقوية قبضة الباشا على العاصمة وكان يعاقب من يصادفه من الناس يمر بالشوارع ليلا (٦٨) . (*)

ويرتبط بالدور السياسى والادارى الذى لعبه اغات مستحفظان مهام أخرى تتعلق بحفظ الأمن فى القاهرة ، وذلك طوال القرن الثامن عشر — ولعل هذه المسئولية كانت ملقاه على عاتقه منذ بداية نشاطه فى القرن السادس عشر . نجح الأغا فى انجاز هذه المهام خلال القرن الثامن عشر أحيانا وعجز عن تحقيقها أحيانا أخرى تبعا للتطورات السياسية التى مرت بها الولاية .

شكل السراجون ( سراج — تابع ) أتباع الصناجق المماليك فى الربع الأول من القرن الثامن عشر عنصرا للفوضى والاضطراب بمدينة القاهرة فكان لكل صنجق عدد يتراوح ما بين عشرة واربعين سراجا انتشروا فى شوارع المدينة يحملون الأسلحة ، كما تزايد عدد الغرباء من الشوام وغيرهم من الجند المرتزقة ، الذين يعيثون فسادا كلما وجدوا الفرصة متاحة أمامهم . أو دفعهم ضيق ذات اليد فيحتكون بالأهالى طمعا فى الأموال والبضائع .. من هذه الفترات المضطربة سنة ١١٣٣ هـ / ١٧٢١ م ففى هذا العام — كما يشير مؤرخنا المعاصر : « .. انتشر القتل والخطف والتعرية فى داخل القاهرة الى أن نزل الاغا فى مراكب الخليج .. » (٦٩) .

ولم تنته الفوضى الدامية الا بعد نزول الأغا لتتبع المفسدين الذين انتشروا فى كل ناحية حتى المراكب التى اعدت للنزهة فى الخليج المصرى لفترة معلومة عندما تصل مياه الفيضان .

---

(*) كان يعاقب من يصادفه ليلا بقطع اذنه أو أنفه او جزء منها .

(٦٨) نفس المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٦٩) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٥ .

طغت سيطرة شيخ البلد جركس بك ، وانتشر سراجينه فى المدينة للنهب فى شهر رمضان ١١٣٧ هـ / مايو ١٧٢٥ م ، وصاروا يتبعون من يظنون ثراءه ، وتعددت بذلك أحداث السطو على بيوت التجار ، وذلك حتى أواخر العام التالى ١٧٢٦م فى القاهرة وبولاق حتى تسامع الباشا العثمانى بذلك ولم يظهر أثر لنشاط أغات مستحفظان لوقوعه تحت نفوذ شيخ البلد ، فأصدر الباشا أمرا بنزوله الى هذه الجهات والقبض على المفسدين ، فما كان من الأغا الا أنه قبض ظلما على بعض الأفراد الذين لا ذنب لهم بالفوضى وعوقبوا بالاعدام والنفى (٧٠) .

على حين ترك جركس بك وأتباعه ينهبون الأهالى ، وأولى اهتماما زائدا باحكام قبضته على ولاية مصر ، فكلف أغا مستحفظان — بناء على فرمان من القائمقام — بالنداء فى شوارع القاهرة بمنع السكان من ايواء أى غريب عن البلاد فى أكتوبر ١٧٢٤ ، بعد أن وصلت أخبار بقدوم سفينة الى الاسكندرية تحمل عناصر أجنبية ، وشدد العقوبة على من يخالف ذلك ، كما أمر المراكبية بعدم نقلهم من دمياط أو رشيد الى بولاق ، وهددهم بالشنق على مراكبهم .

واستمر نشاط السراجين المخرب حتى أوائل سنة ١٧٢٦ ، عندما تولى اغوية مستحفظان أحد خصوم جركس ، ومنع السراجين ( الأتباع ) الذين خدموا جماعة الشنبية من الدخول فى خدمة غيرهم ، كما حرم على كافة الأتباع بعدم الخروج من المدينة الا مع سيادتهم ، وكل من خالف ذلك يحق للأغا والوالى أن يرمى عنقه ، ولو كان سيده أمير الحج أو الدفتردار وبذلك أمنت المدينة من ظلمهم وفسادهم (٧١) .

---

(٧٠) Shaw : op. cit., pp. 21-23.

— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

(٧١) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢٢ ، ٣٦٩ ، ٤٨٦ وما بعدها .

دبت الفوضى وانتشر اللصوص وقطاع الطرق بالقاهرة وبولاق فى أكتوبر ١٧٣٦ ، وصار دأبهم نهب المحلات بانتظام فى نواحى متعددة بالأزبكية ، وباب الوزير والفوالة والأزهر ، كما تعدوا على البيوت وبلغت بهم الجراة مداها حيث كانوا يخطفون حلى النساء والأمتعة وقد يلقى الأزواج عقابهم اذا قاوموا بالقتل — واصبح الطريق من القاهرة الى بولاق غير مأمون . ولم يكن فى قدرة سردار بولاق وهو من الجوربجية التصدى لهذه الفوضى ، فكتب عرضا الى الباشا يصاحبه أهالى بولاق فى موكب صاخب وأخبروه بخروج الخفراء (*) الذين يتولون حراسة الضواحى وشواطىء النيل مما أتاح الفرصة لنهبهم ، فأمر الباشا باعادة وجودهم حسب القوانين القديمة ، فأرسل أولاد حبيب رجالهم للحراسة (٧٢) .

اختفى وجود أغا مستحفظان ورجاله خلال هذه الأزمة ولم تستقر الأوضاع بفرض حظر التجول — بمشورة أعيان البلد والعلماء — حتى على أرباب الأشاير والطرق الصوفية بعد أن تبين تحايل اللصوص بالخروج معهم لزيارة الأولياء ويخفون أسلحتهم .

ولما تعرضت القاهرة فى ظل حكم الثنائى لمراد بك وابراهيم بك لأذى أتباعهما ، انتشرت الفوضى وزاد النهب فى رمضان ١٢٠٠ هـ / يوليو ١٧٨٦م ، ويصور الجبرتى حالة المدينة بدقة : « واشتد الكرب وضاق خناق الناس وتعطلت أسبابهم ووقع الصياح فى أطراف الحارات من الحرامية والسراق والمناسر نهاراً .. » (٧٣) هذا ولم يحرك أغات مستحفظان ساكنا بل اختفى مع المحتسب والوالى فى القلعة ، لا يجرؤن على نزول المدينة لاقتران

---

(*) كان الخفراء قد تركوا نقاط الحراسة بعد أن أخذت مراكبهم للرسالة أى لاحضار الغلال من الصعيد .

(٧٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦١٨ — ٦٢٢ .

(٧٣) الجبرتى : المصدر السابق ج ٢ ص ١١٤ وما بعدها .

— مؤلف مجهول : تاريخ ما وقع بمصر ، ورقة ١٠ — ورقة ١٧ .

الأمن بها ، وعلق الأهالى آمالهم فى الخلاص بقدوم حسن باشا قبطان بعد أن بلغهم وصوله الى ناحية شلقان فى طريقه الى القاهرة .

**ايرادات ودخول إغات مستحفظان :**

تشير دفاتر الروزنامة الى ما كان يحصل عليه أغات مستحفظان من راتب عينى ( جراية وعليق ) يصرف له سنويا بمقدار ( ٩٦ اردبا من القمح — ١٤٤ أردبا من الشعير ) أما بالنسبة لدخوله النقدية فيبدو أنه لم يكن يتمتع براتب نقدى منتظم ، وانما فرض عوائد ورسـوم على الأسواق المختلفة ( القاهرة وبولاق ومصر القديمة ) ، وهناك من يرى أن عوائده النقديـة كانت تصل فى المتوسط خمسة ملايين بارة سنويا خلال القرن الثامن عشر ، وأشار أحد القناصل الفرنسيين الى دخوله النقدية الضخمة دون تحـديد لها (٧٤) .

ويرى أحد المؤرخين العثمانيين أن أغا مستحفظان فى استانبول كان راتبه النقدى يصل الى ستين ألف قرش شهريا ، وبذلك يعد الأغا من بين أصحاب الرواتب الكبيرة فى مقر السـاطنة نفسها ، مما يعكس مكانتـه المرتفعة (٧٥) .

ومما تقدم يمكننا أن نستخلص عدة أمور تتعلق بدور أغا مستحفظان ومكانته فى القرن الثامن عشر نعرضها فيما يلى :

**أولا :** صار اختيار الأغا وتعيينه — فى غالب الأحيان — يتم على أيدى كبار الشخصـيات الحاكمة ( شـيوخ البلد ) من ذوى البيوت المملوكيـة

---

(٧٤) سجلات الروزنامة : دفتر جراية وعليق لسنة ١١١٩ هـ برقـم ٥٧٧٠ .

— حسين افندى الروزنامجى : المرجع السابق ، ص ٢١ وما بعدها .

Raymond : op. cit., pp. 690-692.

(٧٥) أحمد راسم : المرجع السابق ، ص ٥٧٥ .

المسيطرة ، وافتقد الباشا العثمانى – فى حالات كثيرة – سلطاته فى هذا المجال .

**ثانيا :** تعددت مسئوليات وأعباء أغا مستحفظان تبعا للتطورات السياسية التى شهدها القرن الثامن عشر من ناحية ، وتدهور مكانة المحتسب الذى كان يختار من بين رجال ( أوجاق الجاويشية ) من ناحية اخرى ، فملأ الأغا الفراغ الناجم عن ذلك .

**ثالثا :** أصبح وجود الأغا مرتبطا بخدمة مصالح الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك خلال القرن الثامن عشر ، والفرنسيين ابان وجودهم فى مصر ، ثم محمد على فى أوائل القرن التاسع عشر . ولم يقم بدور فعال فى التخفيف عن أعباء أبناء الرعية ، فكانت محاولاته تهدئة الأهالى كلما تفاقمت الأزمات بشكل حاد .

**رابعا :** فقدت شخصية أغا مستحفظان مكانتها – عما كانت عليه فى القرنين السادس عشر والسابع عشر – فأصبح الأغا يتقاضى الرشوة من الحرفيين والتجار للتغاضى عن التزامهم بالأسعار ، ووقف العمل بالفرمانات التى يستصدرها من الباشا بدعوى تنظيم أمور بعض الطوائف الحرفية ، كما تولى هذا المنصب الهام بعض أسافل العامة فى ظل الوجود الفرنسى بمصر .

**خامسا :** لم يصاحب وجود حملة حسن باشا قبطان بمصر سنة ١٧٨٦م اجراء تعديلات فى الكيان العسكرى للأوجاقات واستعادة العناصر العثمانية – التى كان يختار منها الأغا – لمكانتها السابقة نظرا للضعف العام الذى أصاب الدولة العثمانية فى القرن الثامن عشر .

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفصل الثالث عشر

## المحتسب

### اختيار المحتسب :

عرفت ( أمانة الاحتساب ) فى مصر العثمانية كمقاطعة من المقاطعات الهامة ، ويطلق على صاحبها ( المحتسب ) أو ( أمير الحسبة الشريفة ) كما تشير بذلك وثائق المحاكم الشرعية وكتابات المؤرخين المعاصرين ، وهى امتداد لما هو معروف فى العصور الاسلامية (١) .

كان يختار المحتسب فى مصر فى القرن السادس عشر والقرن السابع عشر ، من بين رجال أوجاق ( الجاويشية ) الذى احتكر أمانة الاحتساب واستمر هذا الأمر فى غالب القرن الثامن عشر ويتم هذا الاختيار بناء على اجتماع يعقده قائد هذا الأوجاق ( كتخدا الجاويشية ) بحضور اختيارية الأوجاق ، ويقدم الشخص الذى وقع عليه اختيارهم الى الباشا الذى يخلع عليه ( قفطان الحسبة ) فى الديوان ، وهذا يعنى بداية تسلمه مهام منصبه بشكل رسمى ، ثم يتجه الى بيت الحسبة يصاحبه عدد من رجاله ومساعدوه وهم غالبا من أعضاء جماعتى الجاويشية والمتفرقة كما يستعين بنفر من الانكشارية لحراسته . ويعد المحتسب من كبار رجالات الجاويشية وفى مكانة هامة فى النظام الادارى ، واستمر اختيار المحتسب يجرى على هذا النحو حتى سيطرت شخصيات مملوكية متنفذة خلال الصراعات المملوكية

---

(١) سجلات القسمة العسكرية : س ٧ ق ٢٠٨ ، ق ٦٠٥ ، س ١٦ ق ١٢ ، ق ٣٨ .

ـ محكمة بولاق : س ١٠ ق ١٠٧٣ ، س ٣ ق ١٢٧٥ .

القائمة فى القرن الثامن عشر ، وأصبح لها تأثير واضح فى هذا الشأن بما يخدم مصالحهم كما هو الحال بالنسبة لأغا مستحفظان (٢) .

وبتغلب المماليك فى الادارة بمصر فى القرن الثامن عشر تغيرت الأوضاع ، وشغل منصب ( المحتسب ) اتباعهم فى بعض الأحيان ولكن بقدوم الحملة الفرنسية امتنع الفرنسيين عن تقليد المماليك المناصب الادارية بصفة عامة ، وطلبوا من أرباب الديوان من العلماء اختيار من يرونه أهلا لهذا المنصب ، فلم يروا بدا من ترشيح أحد المماليك ( على حسن أغا محرم ) وهو من بقايا البيوت المملوكية ، وبرروا هذا الاختيار أمام ( بونابرت ) بأن سوقة مصر لا يخافون الا من هؤلاء ولا يحكمهم سواهم ، وأن هذه البقايا المملوكية لا شأن لها فى تشكيل خطورة على الحكم الفرنسى أو التجاسر على ظلم . وبظهور محمد على فى المسرح السياسى خلال فترة الفوضى حتى أوائل عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م تدخل فى اختيار المحتسب واغا مستحفظان (٣) .

واذا كان المحتسب ينحصر نشاطه فى العاصمة ( القاهرة ) ، فان هناك اشارات يتضح منها وجود شخصيات تتولى أغوية الحسبة فى البنادر والثغور ، حيث نجد أحد الباشوات يعين اثنين من أتباعه فى وظيفتى الحسبة فى سبتمبر ١٧٢٨ فى ( دمياط — جرجا ) ويمارس هؤلاء الأغوات ( المحتسبون بالأقاليم ) تقريبا نفس الدور فى عواصم الصنجقيات والكشوفيات تحت اشراف حكام الأقاليم (٤) .

وباعتبار هذا المنصب ( امانة الاحتساب ) من الالتزامات فانه يبدأ فى مطلع السنة المالية التى يستهلها شهر توت القبطى ( سبتمبر الافرنجى ) ،

(٢) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ وما بعدها .
Raymond : op. cit., pp. 589-591.

(٣) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ .

(٤) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٣٧ ،
مضابط محاكم الأقاليم : محكمة اسكندرية : س ١٣ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٨ .

ويقضى عمل المحتسب أن يكون مقره فى قلب العاصمة حيث مركز النشاط التجارى والحرفى فكان بيت الحسبة فى الغورية . ويستعين المحتسب بعدد من الموظفين فى مباشرة مهام منصبه ، منهم ( كتخدا ) ، وهو ينوب عنه فى بعض الأوقات ، ( خازندار ) المسئول عن الشئون المالية ، ( جاويش ) و ( منادى ) يتولى الابلاغ بأوامر المحتسب فى الأسواق خلال سير الموكب والاعلان عن الأسعار المحددة والمكاييل والموازين ومقاديرها ، وكاتب ، ووزان (٥).

**اختصاصات المحتسب وتطورها :**

لعل أهم واجبات المحتسب الاشراف المستمر على الأسواق والمحال التجارية ، والحوانيت لمراقبة أسعار البضائع وخاصة ( المواد الغذائية ) من اللحوم والخضروات والزيوت والجبن والسمن ، ومباشرة الموازين والمكاييل المستخدمة فى هذه السلع ، وحتى يباشر المحتسب أعماله كان يطوف فى موكب كبير فى شوارع المدينة وأسواقها ، وقد استحوذ موكبه على انتباه الرحالة الأجانب وأعجب به الكثيرون ، فكان المحتسب يتصدر الموكب راكبا أحد الخيول ، وهو يلبس ثيابه ( قفطانه ) الأسود ويحمل على كتفيه شالا خاصا وعلى رأسه عمامة كبيرة من القماش الأبيض ، ويسبقه مساعدوه من الموظفين ويحرس موكبه جماعة من الجند الانكشارية ، والاتباع الذين يحملون وسائل العقاب والتعذيب لمن يخالف التسعيرة والوزن والكيل ، ويتعرض المخالفون من التجار والسوقة لألوان من العقاب تختلف تبعا للجرم الذى ارتكبه كل منهم ، تبدأ بالضرب بالعصى أو القتل والتشهير

---

(٥) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية : س ١٨١ ق ٤٠٠ ، ق ٥٣٧ .

— تقارير النظر : س ١٤ ق ٣١٦ ، ق ٤٥٧ ، ق ٨١٥ .

Raymond : op. cit., pp. 590-593.

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٤٥ .

يهم ليكونوا عبرة للآخرين (٦) .

ويقوم المحتسب بجولات مستمرة فى القاهرة ومصر القديمة وبولاق لمراقبة سلوك الحرفيين والتجار ، ويولى اهتماما بساحل بولاق حيث تنتشر وكالات الغلال والحبوب للتعرف على المكاييل المستخدمة والتحقق من الرسوم التى يتقاضاها ( كيال الغلال ببولاق ) ويقدم الذين يحصلون رسوما أكثر من المتفق عليه ( ثلاثة دراهم عن الأردب ) الى محكمة بولاق لمحاسبته أمام حاكم الشرع ، وتبين الوثائق أن الباشا كان يكلف قاضى محكمة بولاق بالقيام بدور مساعد للمحتسب من حيث الكشف عن الوكالات الكائنة ببولاق بمساعدة عدد من العسكر وتحديد الرسوم المستحقة عن الموازين والمكاييل بناء على اتفاق التجار والقبانية ، وتحصل هذه الرسوم بالتساوى على المشترى وصاحب الوكالة والعتال (٧) .

ظل المحتسب يمارس اختصاصه فى مراقبة الأطعمة والمأكولات وغيرها من السلع خلال القرن الثامن عشر ، وان كان قد تخلى تدريجيا عن الضوابط المفروضة على التجار والحرفيين لمنع الغش والجشع الذى يلحق بأبناء الرعية ، ولم يحدث تطور فى هذا المجال يذكر الا بعد خروج الفرنسيين من مصر ، وعودة السيادة العثمانية للولاية حيث مارس الباشا من جديد سيادته ، واختار فى أواخر سنة ١٢١٦ هـ / ربيع ١٨٠٢ ( واليا ومحتسبا ) اجتمعا ببيت القاضى بحضور أرباب الحرف لتحديد تسعيرة جديدة لكافة السلع والمبيعات ، وتم الاتفاق على ضرورة البيع باستخدام وحدة الوزن ( الرطل ) فى كافة السلع حتى الخبز والليمون والفجل ، وغيرها وأبطل الرطل الزياتى ( أربع عشرة أوقية ) الذى كانت توزن به الخضروات والجبن

---

(٦) Lusignan : A History of the revolt of Ali-Bey against the Ottoman porte. London. 1783. p. 62.
Raymond : op. cit., pp. 593-595.

(٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦٠٦ وما بعدها .
— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ١٨٩ وما بعدها .

والزيوت ، ونودى باستخدام الرطل الجديد ( اثنتا عشرة اوقية ) وازاء هذه الصحوة المفاجئة فى ضبط الأسواق هرع الناس لشراء كافة البضائع حتى فرغت الأسواق ، وكالعادة لم يستمر العمل بهذه الأوامر الا فترة بسيطة ، ولم يبق منها سوى النقص الذى طرأ على الوزن (٨) .

وهو الأمر الذى جعل الباشا العثمانى ( محمد باشا ) يولى اهتماما بهذه القضية العامة فأمر بنصب عدة مشانق على أبواب المدينة لمعاقبة الباعة لكافة السلع ، وأمر أرباب ( الادراك ) بالتجسس عليهم لمراقبة الأسعار وعوقب المخالفون حيث خرمت أنوفهم وعلق البعض على حوانيتهم . وأدت هذه الجهود الى الالتزام بالأسعار وحصول الأمن وكثرة البضائع بعد أن اطمأن الفلاحون بعدم اعتداء العربان والعسكر على ما يجلبونه الى العاصمة وفى الواقع كانت هذه المحاولات مرتبطة برغبة العثمانيين فى تأكيد نفوذهم من خلال الباشوات لاستعادة قبضة الدولة على مصر ، وهى بذلك لم تكن سياسة عامة يلتزم بها المحتسبون . وفى أوائل حكم محمد على فى جمادى الأول ١٢٢٨ هـ / مايو ١٨١٣م أختير السيد ( محمد المحروقى ) شاه بندر التجار بمصر ، وأصبح له الحكم على كافة التجار وأهل الحرف والباعة ، وأسندت الحسبة الى أحد التجار ( الخواجا محمود حسن ) الذى لبس الخلعة وبدأ يمارس اختصاصه فأعاد العمل بالموازين السابقة ( الرطل الزياتى أربع عشرة أوقية ) وقلل من أسعار اللحوم وغيرها من المواد الغذائية ، مما جعل الرعية تستقبل هذا الحكم بنوع من الارتياح ، ولكن لم تستمر فعالية اجراءاته أمدا بعيدا (٩) .

ويظهر المحتسب فى الاحتفالات (*) والمناسبات العامة ، ومنها الاحتفال

---

(٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٩) نفس المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٧٦ ، ٢٦٩ .

(*) من هذه الاحتفالات الأعياد والاحتفال بخروج المحمل سنويا ووفاء النيل عندما يفتح سد الخليج ، الى جانب احتفالات الزواج والختان التى يدعو اليها الباشا العثمانى كبار رجال الولاية ، والاحتفال بانتصارات الدولة .

برؤية هلال شـهر ( رمضـان ) (**) حيث جرت العادة أن المحتسب كان يتخذ موكبا حافلا ليلة الرؤية ويرسل الى مشايخ الأسواق لحضور هذا الموكب الذى يجوب شوارع العاصمة للاعلان عن بداية شهر رمضان على الأهالى ، ويحرص المحتسبون على أحياء هـذا الاحتفال الدينى الهام ولكن فى أواخر القرن السابع عشر ( ١١٠٥ هـ / ١٦٩٤ م ) لجأ بعضـهم الى تحصيل الرسوم المفروضة على مشايخ الأسواق فى هذه المناسبة للانفاق على لوازم الاحتفال ، فى نظير عدم ركوبهم واستمر هذا التجاوز حتى سنة ( ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥م ) عندما أصدر أمر الى المحتسب ( اسماعيل أغا تابع عبد الله الدالى ) بركوب جميع مشايخ الأسواق جميعا ــ حسب العادة القديمة ــ وأرسلت التذاكر اليهم فامتثل غالبهم لهذا الأمر ، ورفض آخرون تزعمهم شيخ الغورية والجملون ، وبعض التجار المغاربة واعترضـوا على دفع تكاليف هذه الليلة « سماط ، وأجرة مهاترة واثنين سعاة ومماليك خلف الراكب وشموع ومشاعل .. » (١٠) وخسر المحتسب بذلك موردا ماليا وانعكس هـذا التطور على موكب المحتسب فى هذه المناسبة ، ففى ٢٩ شـعبان ١١٤٩ هـ / ٢ يناير ١٧٣٦م ، ركب ( محمد أغا المحتسب ) دون المظاهر المألوفة سابقا حيث قلت المشاعل والشموع وتواضع بذلك عن شكل الموكب المعتاد فى نظر الأهالى . وفى ظل الوجود الفرنسى طلب المحتسب من ( بونابرت ) أن يسمح له بالركوب لاثبات هلال رمضان سنة ١٢١٣ هـ ٥ فبراير ١٧٩٩م فوافق على ذلك محاولا كسب ود المصريين ، كما قـدم

---

(**) يتم الاعلان عن رؤية الهلال فى بيت القاضى بحضور المحتسب ومشايخ الحرف وشيوخ الأسواق ، وقد يتعذر رؤية الهلال فيكون إكتمـال شهر شعبان ، وقد يتردد القاضى فى أعلان الرؤية اذا ما تضاربت الأقوال ، ففى سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤م ابلغ بعض الأتراك القادمين من الوجـه البحرى الى القاهرة القاضى برؤية الهلال ولكنه لم يشأ الاعلان عن ذلك مما جعل الوالى يشيع الرؤية بناء على مشاهدة الأتراك فكانت من النوادر ، كما يرى المؤرخ الجبرتى : جـ ٣ ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(١٠) أحمد شـلبى بن عبد الغنى : المصـدر السابق ، ص ٦٠٦ وما بعدها .

الولائم أربعـــة أيام للعلماء ورجـــال الأوجاقات والحرفيين والتجار وأكابر الفرنسيين بهذه المناسبة ، وركب المحتسب فى موكب هائل من جديد أفضل من ذى قبل . واهتم مينو بالاحتفال بهذه المناسبة فى مستهل ١٢١٥ هـ / يناير ١٨٠١م وركب المحتسب وشيوخ الحرف بالطبول والزمور ، وحصـــل المحتسب على خمسين ألف درهم نظير عوائده التى كان ينفق منها عـــلى لوازم الموكب (١١) .

وفى نفس الوقت لعب المحتسب ـــ الى جانب أغا مستحفظان ـــ والوالى دورا مؤثرا بمســـاعدة أرباب الديوان من الشــيوخ ، ومشايخ الحارات والخطط ، فى خدمة الفرنسيين ومنع حدوث الفتن بين أبناء الرعية بعد أن أشيع وصــــول العثمانيين والانجليز الى مصر فى شوال ١٢١٥ هـ / فبراير ١٨٠١م ، وصاروا مسئولين أمام السلطة الفرنسية عن أى فوضى تنشب فى القاهرة ، كما حرص المحتسب على تنفيذ أوامر الفرنسيين وابلاغها للناس للوقاية من الطاعون ومنع انتشاره حفاظا على الصحة العامة . وبرغم جهود المحتسب فى هذا المجال الا أن مينو أمر بالقبض عليه دون سبب واضــح رغم محاولة أرباب الديوان العفو عنه ، ولم يقلد غيره فى منصبه واكتفى بقيام ( كتخداه ) بمصاحبة أغا مستحفظان فى تنفيذ المهام المطلوبة (١٢) .

كان المحتسب يمارس اختصاصا اداريا تفرضه تطورات الأحـــداث السياســـية فى بعض الأوقات ، ففى شـــهر ربيع الأول ١٢٢٠ هـ / يونيو ١٨٠٥م اثناء محاصرة ( أحمد باشا خورشيد ) فى القلعة ورفضه العزل بناء على ارادة الزعامة الشعبية ، اضطربت الأحوال فى القاهرة ، وزاد تعدى العسكر على الرعية ، فنزل المحتسب صحبة عمر مكرم يعلن على الأهالى اتخاذ وسائل الاحتياط وحراسة الأخطاط وحمل الأسلحة لمواجهة ايذاء الجند بالمثل ، فأقام الناس المتاريس على أبواب الأحياء فى سبيل اقرار الأمن

---

(١١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(١٢) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٤٩ وما بعدها .

والنظام ، والحيلولة دون هجوم العسكر عليهم ، وكان ينادى حسبما رسم النقيب والعلماء دلالة على تحدى سيادة الباشا المعزول (١٣) .

اكتسب المحتسب فى أوائل حكم محمد على اختصاصات وسلطات جديدة ارتبطت بالاتجاه السياسى العام ، ففى سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م قام بجولاته المعتادة فى العاصمة وأمر الأهالى بمراعاة النظافة فى الشوارع بالكنس والمواظبة على رشها بالمياه ، واجبرهم على قطع الطرقات فى العطف والحارات والأزقة مما يعوق الحركة فيها من نتوءات ، فاضطر أصحاب البيوت وأرباب الحوانيت الى القيام بذلك بأنفسهم من أعمال الحفر ونقل الاتربة خوفا من عقابه ولانشغال العمال فى عمائر الدولة . فضلا عن الاهتمام باضاءة الشوارع والأسواق ، بتعليق القناديل على أبواب الدور وكل ثلاثة حوانيت قنديل ، للحيلولة دون نشاط اللصوص وقطاع الطرق ، وفى نفس الوقت لفرض نفوذ الحاكم على المدينة (١٤) .

وحاول المحتسب الزام أهل الذمة من ( نصارى الأرمن والأروام والشوام ) بارتداء زيهم الأصلى حيث العمائم الزرق ، ومنعهم من استخدام الخيول والبغال فى تنقلاتهم ، وحرم عليهم تأجير المسلمين للعمل فى شئون الخدمة ولكنه فى هذا المسلك « زاد فى نغمات الطنبور » . على حد تعبير المؤرخ ، واصطدم بنفوذهم ومكانتهم التى احتلوها لدى محمد على باشا ، فصاروا « أخصاء الدولة وجلسان الحضرة وندماء الصحبة .. » (١٥) وبذلك انحسرت سيادة المحتسب على اهل الذمة ولم يحقق مآربه .

ومن الطريف أن المحتسب تعرض لقضية خارجة عن اختصاصه ، وتتعلق باجبار المردان ( الغلمان ) وسائر العسكر وغيرهم باطلاق اللحى ، والمعتاد لدى الاتراك حلق اللحى حتى ولو طعن أحدهم فى السن ، واستعان فى تنفيذ

---

(١٣) الجبرتى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣٢ .
(١٤) نفس المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٧٩ .
(١٥) نفس المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٨٠ وما بعدها .

هـذا الأمر الجديد بالسـيد محمد المحروقى لتطبيقه على كافة التجـار والحرفيين (١٦) .

**المحتسب وتطور نفوذه :**

ارتبطت مكانة المحتسب ونفوذه بأوضاع أوجاق الجاويشية الذى ينتمى اليه ، ومن المعروف أن جماعتى الجاويشية والمتفرقة افتقدتا السلطة والمكانة فى القرن الثامن عشر سواء بالنسبة للقوة العددية أو المرتبات والامتيازات المادية ، ووقعتا تحت تأثير وسيادة الأوجاقين الرئيسيين ( مستحفظان — عزبان ) .

وقد حجب نفوذ أغا مستحفظان الذى تضخم فى القرن الثامن عشر — رغم عيوبه — من وجود المحتسب الذى تقلصـت اختصاصاته وتدهورت مكانته وأخلاقياته ، فأصبح من المحتسبين من يتقاضى الرشـوة ويتغاضى بذلك عن تلاعب السوقه بالأسعار وكافة الموازين والمكاييل المستعملة فى البيع والشراء .

ومن كتابات المؤرخين المعاصرين يمكننا ان نلمس اهتزاز سلطة المحتسب فى نفوس العسكر ، من ذلك انه خلال جولة أحد المحتسبين فى فبراير ١٧٣٦ تعرض لاهانة من جانب ( أوده باشى ) تعرض له بالضرب عندما كان يعاقب أحد الباعة حيث استجار بالأوده باشى فانسحب المحتسب الى باب عزبان بالقلعة مهددا بالتخلى عن منصبه احتجاجا لهذا التصرف ، وكانت النتيجة ابطال الحسبة وأصدر فرمان من الباشا بذلك ، ونزل الوالى وأشهر النداء بهذا التغيير وأغلق بيت الحسبة ، وظلت العاصمة بدون محتسب حوالى خمسة أشهر حتى أسند الباشا الى الوالى السابق ( محمد المغربى ) فى يوليو ١٧٣٦ هذا المنصب وألبسه ( قفطان الحسبة ) (١٧) .

---

(١٦) نفس المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٢٨٠ وما بعدها .

(١٧) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السـابق ، ص ٦٠٦ ، ٦١٤ ، ٦١٦ .

— الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٤٣ .

— مصطفى ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٤٣ .

بيد أنه يجب الاشارة الى جهود فردية بذلها بعض المحتسبين لاستعادة سلطاته ، فى بعض الأحيان ، وتستند هذه الانتعاشات الى تأييد الحاكم فضلا عن كفاءة المحتسب نفسه ، وقوة شخصيته ، من ذلك ( الأمير محمد اغا بن محمد كتخدا اباظه ) الذى شغل هذا المنصب ( سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢م ) وسار سيرا حسنا فى مباشرة مهامه لحد أخـــاف السوقة ، وكان حازما فى معاقبة المسيئين ، فكان يعاقب القصاب الذى يزن لحما ناقصا عن الوزن باستكمال ما انتقص من جسده (١٨) .

ومن الأمثلة النادرة ذلك المحتســب الذى اختاره محمد على سـنة ( ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧م ) ويدعى ( مصطفى كاشف كرد ) وقد خوله سلطات واسعة لضبط الأمور فى مجال الأسواق والتجارة ، وتخلى المحتســب عن المظاهر المعتادة للموكب من مساعدين وخدم يتقدمونه والميزان الذى يحمله أتباعه ، وعاقب بشدة وصار يضرب بالدبوس من يصادفه من الباعة بأدنى سبب ويعاقب بقطع الأذن ، فاضطروا الى اغلاق الدوانيت وقلت البضائع ، ولكنه لم يهتم بذلك ، وبالغ فى تعسفه (*) والطواف ليلا ونهارا يفتش عن المخزون من السلع . كما تعرض المحتسب للعسكر الذين اشتغلوا فى شئون التجارة واجبار الفلاحين على بيع منتجاتهم بأثمان رخيصة ليبيعها للناس بأغلى الأسعار ، فحرم عليهم هذا النشاط ، واحتكار أقوات الرعيــة ، وعاقب من صادفه منهم (١٩) .

**ايرادات المحتســب :**

كان المحتسب ملتزما لمقاطعة ( احتساب نفس محروســة مصر ) كما تشير بذلك الوثائق ، والتى تدر دخلا سنويا يصل الى ما يقرب من ســبع

---

(١٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٦١ .
— احمد شلبي بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦٢٦ .
(*) كان يعاقب باعة الكنافة المخالفين بالجلوس على الصـوانى الموضوعة على النار فترة طويلة .
(١٩) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٦٩ .
— ابراهيم الصالحى : المصدر السابق ، ص ٥٢٩ وما بعدها .

وعشرين ألف بارة ، ويحصل المحتسب على عوائد معينة على كافة البضائع والمنتجات الواردة من الأقاليم للاستهلاك بالعاصمة ، وتختلف من وقت لآخر تبعا لتغير الأسعار منذ النصف الاخير من القرن السابع عشر استحدث المحتسب رسوما غير قانونية ، عرفت بمال الحماية يحصلها من التجار والحرفيين وأرباب الأسواق ، وذلك مقابل عدم التزامهم بالقيود المفروضة على السلعة من جودة ووزن وسعر (٢٠) .

وفضلا عن ذلك كان للمحتسب الحق فى الحصول على تكاليف الاحتفال برؤية هلال رمضان على شكل عوائد مقرره على شيوخ الحرف ومشايخ الأسواق ليختص بجانب كبير منها لنفسه والانفاق على موكبه بهذه المناسبة .

وبقدوم الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م ألغيت ايراداته السابقة سواء القانونية وغير القانونية ، وحددت تكاليف الاحتفال بالرؤية لشهر رمضان بخمسين ألف درهم ، وصار بذلك من أصحاب المرتبات المقررة على الخزينة . وبعد خروج الفرنسيين من مصر يبدو أنه استعاد هذه الايرادات من جديد ، ولكنه حرم منها على أيدى محمد على سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٧م ونودى بالغائها مقابل تخصيص دخل سنوى قدره خمسة أكياس مصرية على الخزينة العامرة (٢١) .

وهكذا تضاءلت (*) دخول المحتسب خلال القرن الثامن عشر ، حتى حددت فى أوائل القرن التاسع عشر ، ولم يعد هذا المنصب يغرى بالتقدم لشغله .

---

(٢٠) سجلات الروزنامة : دفاتر الجمارك ، دفتر سنة ١٠٩٣ برقم ٤١١٤٢ .
سجلات الروزنامة : دفتر اصول مال جمارك ومقاطعات .

(٢١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٤٤ ، ج ٤ ص ٢٦٩ .

(*) قلت مقابل ذلك الرسوم التى يجب أن يدفعها المحتسب كعوائد عن منصبه للخزينة لحوالى الربع ، عما كان عليه فى القرن السابع عشر لتصل فى أواخر القرن الثامن عشر الى ١٤٤٫٩٧١ بارة سنويا .

وعلى هذا النحو ، تدهورت مكانة المحتسب فى القرن الثامن عشر تبعاً لتغير أحوال ( أوجاق الجاويشية ) الذى أصبح يدور — مع أوجاق المتفرقة — فى فلك أوجاق ( مستحفظان ) — صاحب النفوذ والسيطرة — واستولى أغا مستحفظان — كما سبق أن رأينا — على كثير من اختصاصاته ، كما تدنى مستوى المحتسبين مع فساد أجهزة الادارة بولاية مصر ، ولم يعد دورهم فى ضبط الأسواق شيئا مذكوراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفصل الرابع عشر

## الوالى ( الصوباشى )
## واسلوب حفظ الأمن فى العاصمة

**تعيين الوالى :**

يتولى الباشا اختيار الولاة الثلاثة لكل من ( القاهرة — مصر القديمة — بولاق ) وهم تحت اشراف أغا مستحفظان ورئاسته ويعملون ضمن جهاز الأمن بالعاصمة . وبمرور الزمن أصبح لوالى القاهرة سلطة الاشراف على زميليه المذكورين .

ويعرف الوالى أيضا باسم ( الصوباشى ) أو ( الزعيم ) حسبما يرد فى الوثائق ومؤلفات المؤرخين المعاصرين ، وهو امتداد لما كان متبعا فى العصر المملوكى ، وعادة ما يكون من رجال الجاويشية .

وفى القرن الثامن عشر ، تدخل البكوات المماليك — فى معظم الأوقات — فى تعيين الولاة من بين أتباعهم ، كما هو الحال بالنسبة لأغا مستحفظان (١) .

**مقر الوالى :**

يقع مقر الوالى بجوار باب زويلة (*) حيث قلب العاصمة ، وترك

---

(١) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة بولاق : س ٦٥ ق ١٠٩ ، ق ١٨ ، ق ١٣٥ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١٦ ق ٢٧٠ ، ق ٢٣٨ ، ق ٣٤٥ .

— ابراهيم الصالحى : تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق ، ص ٥٢٣ — ٥٣٠ .

— حسين افندى الروزنامجى : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(*) قرب سوق القوافين وهو من الأسواق المغطاة المعروفة فى العصر

نشاطه بصمات واضحة فى هذا الحى ، فقد عرف باب زويلة لدى العامة بـ ( بوابة المتولى ) نسبة الى الوالى ، وهناك كان يتم تنفيذ أحكام الاعدام وسائر العقوبات وهو يستعين بعدد من العسكر سواء من مستحفظان أو الدلاة فيما بعد بينما اتخذ الواليان الآخران موقعهما فى كل من مصر القديمة وبولاق وهما على اتصال بحاكمى الشرع فى الناحيتين لاجراءات الدعاوى والقضايا المختلفة (٢) .

**اختصاصات الوالى وتطورها :**

يقوم الوالى بدور مساعد لأغات مستحفظان فى مباشرة شئون الأمن بالعاصمة حيث يتتبع المفسدين من اللصوص وقطاع الطرق ، ويهتم بالقبض عليهم لاقرار النظام بالمدينة ، وينفذ الوالى الأحكام الشرعية التى يصدرها القاضى ( قاضى العسكر ) . ويراقب الوالى أيضا نشاط جماعات معينة كالمثلين والراقصين والموسيقيين وأرباب البغاء من النساء اللاتى بلغن فى العاصمة حوالى عشرة آلاف فى القرن الثامن عشر ويعنى باغلاق الخمارات ودور البوظة وغيرها من المشروبات المحرمة (٣) .

ويمارس نشاطا فى ضبط الأسواق من حيث مراقبة الأسعار والموازين والمقاييس والمكاييل وهى واقعة ضمن إختصاصات المحتسب ، وقد ينوب

---

= العثمانى ، انشاه أحد البكوات المماليك من أجل صناع الأحذية والعاملين فى تجارتها .

(٢) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٢٩ — ١٣١ .

— عبد الكريم بن عبد الرحمن : المصدر السابق ، ورقة ١٠٠ وما بعدها .

Perry : op. cit., p. 215.

Raymond : op. cit., pp. 608-610.

(٣) — أحمد راسم : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ وما بعدها .

— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ١٦٣ — ١٧٧ ، ١١٠ .

— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ص ٢٥٥ — ٢٦٠ .

عنه فى بعض الأحيان لممارستها ، ويصاحب المحتسب فى جولاته الى بولاق حيث مخازن الغلال لاستخراجها وقت الأزمات عندما يلجأ التجار الى اخفائها للتحكم فى الأسعار ، وتاديمها لأصحاب الأفران وتوفير الخبز للرعية .

ويعنى الوالى أيضا بالنظافة العامة ، فكان يقوم بتطهير الخليج من رواسب المياه والقاذورات التى تلقى فيه بعد ركود مياهه حفاظا على الصحة العامة ، ويباشر أعمال الهدم وازالة الاتربة من الطرقات مستعينا بطوائف الهدادين ، كما يهتم بمكافحة الحرائق بمعونة السقايين ، ويباشر اضاءة الشوارع والأسواق والوكالات مع الأغا والمحتسب ويعاقب من يتهاون فى ذلك من الأهالى (٤) .

الى جانب هذه الأدوار السابقة التى مارسها الوالى ، تطورت اختصاصاته فى القرن الثامن عشر ليقوم بجهود ادارية تفرضها الظروف ، ففى سنة ١٧٠٩ احتدم الخلاف بين مجاورى الأزهر حول ( وظيفة التدريس والمشيخة ) وتعصب الفريقان كل منهما لشيخه ، وقد تطورت الأمور بنشوب مشاجرات بين الفريقين وقتل عدد من المجاورين داخل الجامع الأزهر ، الى جانب النهب والتخريب الذى لحق به ، فتدخل الوالى — بأمر الباشا — لفض النزاع والقبض على البادىء بالهجوم وحددت اقامة شيخهم فى بيته (٥) .

وعقب الفتن المملوكية كان الوالى يتعقب مثيرى الفتن من المماليك واتباعهم ، ففى فتنة جركس سنة ١٧٢٦ كلف بالقبض على رجاله من الصناجق ونفذ أحكام الاعدام الصادرة من الباشا بشأنهم ، واستمر فى البحث عن المختفين من اتباعه ومؤيديه ، حيث قبض على ابن ( احمد بك الأعسر ) الذى سافر صحبة جركس الى الجزائر وتعرض الابن للاهانة

---

(٤) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٠٥ ، ٢٧١ ، ٢٩٥ .

(٥) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

Raymond : op. cit. p. 610.

واجبر على الاعتراف بأموال أبيه وأماكن اختفائها ثم نفى الى دمياط .
ويتخذه الباشا وسيلة فى هذه الاضطرابات لمصادرة أموال المشاركين فى هذه الفتن من الروزنامجية وغيرهم . وهو يصاحب اغات مستحفظان فى تنفيذ أوامر الباشا بالقبض على البكوات المماليك الذين يدبرون مؤامرات تستهدف التخلص من الباشا العثمانى ( مؤامرة الشواربية فى اغسطس ١٧٢٧ ) (٦).

وقد تفرض الأحداث اغلاق ابواب المدينة لتتبع وملاحقة الخصوم من القتلة ، ففى ١٣ أبريل ١٧٣٠ تعرضت القاهرة لموجة من الفوضى عقب مقتل زين الفقار بك ( كبير الفقارية ) على أيدى جماعة ابن ايواظ ، واضطر الصناجق بمعونة الوالى لاتباع هذا الاجراء وفرض على أهالى القاهرة عدم مغادرتها لأى أمر حتى تمكن من القبض على القتلة وقدموا الى شيخ البلد ( محمد بك قطامش ) لمعاقبتهم (٧) .

ويتصدى الوالى لمواجهة تذمر ابناء الرعية ضد الباشا القادم الى مصر من ارتفاع أسعار السلع الأساسية ، ففى ديسمبر ١٧٣١ عندما وصل ( محمد باشا السلحدار ) تعرض لالقاء الطوب من الأهالى بعد أن تعرضوا للايذاء من الوالى وابعادهم عن طريق الموكب . كما يواجه أيضا اعتداءات العسكر المسافرين للمشاركة فى حروب الدولة خارج مصر ، وهو يستعين بالجند المرتزقة ( الغز ) فى حراسة أبواب المدينة لمنع دخولهم وممارسة أعمال النهب والسلب (٨) .

يتضح من هذه الأدوار التى اضطلع بها الوالى فى القرن الثامن عشر انها كانت فى خدمة الباشا العثمانى وأمراء المماليك ، لمحاولة احكام القبضة

---

(٦) الدمرداش : المصدر السابق ، ٣٢٢ وما بعدها .
ــ مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٩١ ــ ١٩٣ .
ــ احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ وما بعدها .
(٧) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠٨ .
(٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٣٤ .

على شئون العاصمة ، وهى اختصاصات ادارية وأمنية متعددة . ومن الملاحظ أن مكانة الوالى قد تدهورت فيما يتعلق بمهامه الأساسية من حيث تتبع المجرمين واللصوص لتوفير الأمن لأبناء الرعية ، ولا ادل على ذلك من شيوع الفوضى والنهب على أيدى هذه الجماعات لدرجة نهب بيت الوالى نفسه ، والحصول على الأموال التى يصادرها من الصناجق المماليك خلال الفتن المملوكية أحيانا ، وبذلك تحول نشاطه لصالح الطبقة الحاكمة دون مراعاة لشئون الرعية (٩) .

**ايرادات الوالى :**

كان الوالى — كما تشير الوثائق — ملتزما بمقاطعة ( الدرك ) من الديوان العالى وهو يؤدى مالا عن هذا الالتزام ، وله عوائد معينة من هذه المقاطعة ويعد مسئولا عن المسروقات ( النقب والهدم والتلبيب واغاثة الملهوف ) ويستعين فى ادارة هذه المقاطعة بمقدم وعدد من الخفراء (١٠) .

ويحصل الوالى على ما يقرب من أربعة أكياس سنويا من مال الميرى نظير قيامه بجرف الخليج الناصرى ، وله راتب نقدى فى كل شهر حوالى كيس مصرى ، وجراية وعليق تصل الى مائتين وثمانية وثمانين أردبا من الغلال سنويا (١١) .

وباختلال نظم الادارة أصبح يحصل عوائد على طوائف العاهرات ( أرباب الفواحش ) عن كل منهن مبلغا يتراوح بين خمسة الى سبعة دنانير وعلى الخمارات ودور البوظة وغيرها ، وهذا يعنى حصوله على ما يقرب

---

(٩) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٥٧٦ ، ٢٧١ .
(١٠) سجلات المحاكم الشرعية ، محكمة بولاق : س ١٨ ق ١٨٣٤ ، ق ١٧٨٩ .
— محكمة قوصون : س ٢٤٠ ق ٢٨٧ .
(١١) يشير حسين افندى الروزنامجى الى أن والى القاهرة كان لـه هذا الراتب ثابتا فى الميزانية دون زميليه ( والى بولاق ووالى مصر القديمة ) شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ، ص ٢٢ .

من خمسة آلاف الى سبعة آلاف دينار سنويا ، ولكنه تعرض للحرمان من هذا الدخل غير المشروع ( المحرم ) بعد أن أصدر احد الباشوات العثمانيين سنة ١٧٣٠ ، فرمانا يقضى باغلاق الخمارات وبيوت البغاء ، واقتصر الوالى على راتبه النقدى المذكور والجراية والعليق ، الا انه ليس من المستبعد حصوله على تلك العوائد فيما بعد خاصة وان الباشوات تتغير اتجاهاتهم واهتماماتهم من وقت لآخر ، كما أن النفوذ المملوكى صار واضحا بصفة خاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر (١٢) .

## أسلوب حفظ الأمن في العاصمة :

يجب القاء الضوء — أولا — على طبيعة البناء العمرانى والسكنى للعاصمة حتى يمكننا تصور النظام المتبع لحفظ الأمن ، انقسمت المدينة الى العديد من الأحياء وهى تعرف باسم الحارات أو ( الأخطاط ) فضلا عن ( الدروب ) ، وتبعا لما قدمه الرحالة الأجانب فانها عبارة عن وحدات سكنية مترابطة كل منها ينقسم بدوره الى شبكة من الشوارع الرئيسية ، ويتفرع منها حوارى ( عطفات ) وأزقة غير نافذة تصب فى النهاية الى الشارع الأساسى الذى يقع فى نهاية باب الحى ( بوابة الدرب ) ، وهذه الأحياء عادة ما تكون لسكنى الطبقات الكادحة من ابناء الرعية سواء رجال الحرف المختلفة وصغار التجار الذين يعملون فى حوانيتهم المتواضعة بالشوارع التجارية والأسواق المنتشرة فى قلب العاصمة ، ورغم الاختلاف فى تحديد اعداد هذه الأحياء فان ما يمكن أن نعده أقرب الى الصواب حوالى مائة حى يصل تعداد كل منها فى المتوسط ما بين الفين وخمسمائة الى ثلاثة آلاف نسمة (١٣) .

كان من الضرورى بالنسبة لكل حى الاهتمام بالبوابة التى تعد المدخل

---

(١٢) مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ — ٣٥٥ ، أحمد راسم : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .
Raymond : op. cit., p. 609.

(١٣) أندريه ريمون : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

الوحيد لكل أبناء الحى والقادمين اليه ، وهى ذات طراز معمارى متشابه يراعى فيه ضخامة البناء وتحصينه ، تصنع من الخشب السميك المدعم بعوارض حديدية عديدة لزيادة متانتها ، ويتولى حراسة البوابة عدد من الخفراء — اشتهروا بثباتهم دائما — وهم مسلحون على أهبة الاستعداد لمواجهة اى خطر ، وتغلق هذه البوابة ليلا لتأكيد الأمن ومنع اللصوص من التسلل ، ولا يسمح بالدخول الى الحى فى هذا الوقت الا لأبنائه وهم معروفون لدى القائم على البوابة (١٤) . (*)

وعلى هذا النحو لم تكن الأحياء متصلة فيما بينها ، وأفاد هذا الانفصال كثيرا أثناء الأزمات التى تجتاح المدينة ، وأحداث الفوضى لأى سبب من مؤامرات مملوكية أو اعتداءات من جانب العسكر ، أو قطاع الطرق ، حيث يلجأ سكان الأحياء المجاورة لاحكام أغلاقها ، ويفهم ذلك مما ردده الجبرتى فى هذه الظروف : « أغلق الناس الدكاكين والدروب .. » (١٥) .

وتخضع الأحياء ( الحارات ) لاشراف شيوخ الحارات (**) وهم غالبا ما يكونون فى نفس الوقت مشايخ الطوائف الحرفية التى تسكن هذه الأحياء ، يعاونهم عدد من النقباء ، وهم يلعبون دورا هاما بين هذه الفئات الاجتماعية من المحكومين وبين الحكام المماليك ، الى جانب حرصهم على حماية حاراتهم من دخول الغرباء والأشقياء (١٦) .

انقسمت العاصمة — كما سبق الاشارة — الى أقسام ثلاثة رئيسية

---

(١٤) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ وما بعدها .

(*) كان البواب يحصل على مكافآت مالية من أبناء الحى كل حسب قدرته .

(١٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٨٥ ، ١٢١ .

(**) كان لشيوخ الحارات عوائد معينة تصل الى ٣ ٪ من تركات المتوفين من ابناء حاراتهم نظير ما يقدمونه من خدمات ، اندريه ريمون : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(١٦) أدريه ريمون : المرجع السابق ، ص ٢٣ وما بعدها .

( القاهرة — بولاق — مصر القديمة ) وعلى كل منها والى ( زعيم ) ، وانتشرت فى غالب الأحياء نقاط للحراسة ( ادراك ) يحرس كل ( درك ) جماعة من الخفراء أتباع الوالى تحت قيادة ( مقدم الدرك ) . وتهتم الادارة بتشديد الاضاءة ليلا ( الفوانيس — المصابيح ) فى الشوارع والأسواق لمساعدة رجال الأمن فى انجاز أعمالهم ، ولضمان يقظة الخفراء كان الوالى يقوم بجولات متعددة مستعينا برجال أوجاق مستحفظان الذين يختارهم أغا مستحفظان . واذا كان الوالى ومساعدوه يقومون بأعمال الشرطة الليلية فى المدينة ، كان إثنان من الصناجق مكلفان بمراقبة ضواحى القاهرة شمالا وجنوبا لملاحقة شراذم العربان وقطاع الطرق الذين يقتحمون المدينة كلما واتتهم الفرصة ، ويستمر نشاط الصنجقين ورجالهما منذ طلوع الفجر حتى غروب الشمس ، ويتناوب الصناجق فى هذه المهمة كل شهر . وأثناء النهار عهد الى رجال أوجاق العزب حراسة القلقات ( مراكز الشرطة ) فكان فى كل ( قوللق ) عدد من الجند برئاسة ( بلوكباشى ) يتناوبون الخدمة فى هذه المراكز المنتشرة بالمدينة (١٧) .

وكان لأغا المستحفظان الكلمة العليا على هذه الأجهزة المتعاونة فى سبيل حفظ الأمن ويقوم بجولاته فى موكب حافل لانجاز مسئولياته المتعددة ومن بينها التأكد من استتباب الأمن فى العاصمة مقر الحكم .

وبشكل عام : كانت قبضة رجال الأمن ( الصوباشية ) قد تراخت فى القرن الثامن عشر وخاصة فى الربع الأخير عن انجاز المهام الملقاة على كاهلهم ، نظرا للاضطرابات السياسية والاقتصادية التى تعرضت لها ولاية مصر ، كما أنهم صاروا يتلقون الرشاوى للتغاضى عن

---

(١٧) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٠٥ .
— حسين أفندى الروزنامجى : المرجع السابق ، ص ٢٢ وما بعدها .
— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١ ق ٩٢ ، ق ١٦٦ ، ق ٥٤ ، س ٣ ق ٧٥ ، س ٤ ق ١١٧ ، س ٣ ق ٩٨ .
— محكمة الباب العالى : س ١ ق ٤١ .

حالات الفوضى والنهب التى يتعرض لها الأهالى ، وازاء هذا القصور الذى لحق بجهاز الأمن الرسمى فى العاصمة ، لعبت الكيانات الذاتية دورا هاما ممثلا فى الأحياء وطوائف الحرف ومشايخهم ، وحمل الناس الأسلحة للتصدى لشغب العسكر ، وايذائهم ، الذى لا يهدأ ، فضلا عن اعتداءات السراجين والأتباع المماليك ، ويشير المؤرخ الى امثلة متكررة فى هذا الصدد لعل أبرزها — أثناء فترة الانتقال والفوضى التى تلت خروج الفرنسيين من مصر — حتى تولى محمد على شئون الحكم سنة ١٨٠٥ ، وكان للزعامات الشعبية اسهام ملموس فى الدفاع عن مصالح الرعية (١٨) .

---

(١٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٢٦ وما بعدها .

# القسم الثانى

## الادارة المـحلية

### الفصــل الخامس عشر

### العســكر والادارة المحلية

**حكم الأقاليم ( الولايات ) :**

أبقى العثمانيون على التقسيمات الادارية لولاية مصر دون تغيير يذكر ، وعهد الى بقايا المماليك ـــ الذين شكلوا أوجاق الجراكسة ـــ مناصـب الادارة المحلية بالولايات .

كما اعتمد الباشوات العثمانيون على رجال الأوجاقات العثمانية فى انجاز مهام الادارة المحلية وشـغل بعضهم المناصـب الكبرى الى جانب المماليك الجراكسة .

انقسمت ولاية مصر ـــ خلال العصر العثمانى ـــ الى عدة ولايات كبرى عرفت باسم ( الصنجقيات ) ، ويتولى ادارتها كبار الصناجق من البكوات المماليك ومن امراء الأاوية الشريفة ، وهم يشكلون عنصرا هاما فى تصريف شئون الادارة المحلية . واهم هذه الصنجقيات : ( الشرقية ـــ الغربية ـــ المنوفية ـــ البحيرة ـــ جرجا ) [1] ، وكان الباشا العثمانى يختار حكـام

---

(١) حسين افندى الروزنامجى : المرجع السابق ، ص ١٦ وما بعدها .
ـــ السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، القاهـرة ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

هـذه الصنجقيات الكبرى من بين اغوات الأوجاقات وامراء المماليك بعد وصول احدهم الى رتبة الصنجقية التى تؤهله لشغل منصب ( حاكم الاقليم ) ومن الملاحظ ان رجال البيوت المملوكية هم الذين استأثروا بحكم الولايات الكبرى خلال القرن الثامن عشر ، ويتم توزيع المناصب بمعرفة الباشا العثمانى الحاكم ، ويهتم بشغلها من بين اعوانه ، وعندما يتولى أحد الباشوات حكم مصر ، كان يجرى تغييرات واسعة فى حكم الولايات ( الأقاليم ) ليصطنع لنفسه — اذا ما أمكنه ذلك — مؤيدين لسياسته .

وغالبا ما كانت تظهر الخلافات بين البكوات الذين ينقسمون الى بيوت مملوكية متعددة ، وحتى بين افراد البيت المملوكى الواحد لتولى هذه المناصب الادارية الهامة ، ويمارس شيخ البلد نوعا من الضغط على الباشا عند توزيع هذه المناصب ليظفر اتباعه بالنصيب الأوفى منها ، من ذلك ما قام به ( اسماعيل بك بن ايواظ ) تجاه ( محمد باشا النشنجى ) فى مايو ١٧٢٢ ، حيث يشير المؤرخ الى ان : « .. كل هذا برأى اسماعيل بك ... » (٢) .

ويحرص الباشا على ارضاء رجال طائفتى ( الفقارية والقاسمية ) وقد انقسم رجال القاسمية الى بيتى ( الايواظية ) و ( الشنبية ) ، فقد ضم الأول عشرة صناجق ، والثانى ثلاثة عشر صنجقا . وتدل تركات الصناجق على مدى ثرائهم وارتفاع مستواهم الاجتماعى ، فعندما قتل ابن ايواظ فى الديوان فى ديسمبر ١٧٢٣ اثناء صراعه ضد جركس ، أمر الباشا ببيع تركات الصناجق ، الذين قتلوا معه بحضور الباشا والروزنامجى والقسام :

---

(٢) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٨ .
— حسن عثمان : مصر العثمانية ( المجمل فى التاريخ المصرى ) . القاهرة ١٩٤٢ ، ص ٢٥٣ .

Show. J. : The Financial and administrative organization and development of Ottoman Egypt, 1517-1798. Princeton, 1962. pp. 14-18.

« فأخرجوا شيئا يذهل العقول بحضرة أعيان البلد .. » (٢) ، واستتبع ذلك توزيع مناصبهم على خصومهم ( اتباع جركس بك ) .

وتحجب شخصية شـــيخ البلد القوية وجود الباشا العثمانى ليستأثر بمعظم مناصب الادارة بولاية مصر ، لاتباعه من الصناجق ، فعندما ترأس جركس بك فى سنة ١٧٢٤ قلد رجاله الوظائف الهامة (٤) .

وتتلخص مهام الصنجق ( حاكم الأقاليم ) ــ حسبما تشير وثائق المحاكم الشرعية ــ فى العناية بالمورد الرئيسى لثروة الاقليم وهو الزراعة ، فيهتم بتقوية جسور الترع والمصارف المائية ، وتطهيرها من حين لآخر لضـــمان توزيع مياه النيل على كافة القرى التابعة للاقليم ، وعليه اقرار الأمن بالولاية ومنع اعتداءات العربان خاصة فى أوقات الحصاد ، ومراعاة مصالح ابناء الرعية بالشفقة والرحمة واقامة العدالة فيما بينهم بالاستعانة بقاضى الشرع فى الاقليم . ويبدو من دراسة مضابط محاكم الاقليم فى القرن الثامن عشر ، ان التزام الصناجق بهذه المسئوليات كان متفاوتا ، حيث ظهرت فرمانات اصدرها الباشا العثمانى بالقاهرة الى رجال الادارة المحلية ( باللغة التركية ) يطالبهم بالاهتمام بشئون الأهالى من حيث ابطال المظالم والغاء الحمايات والالتزام بالتسعيرة فى كفة البضائع والسلع المتداولة ، وهو يناشد حكام الأقاليم ومســـاعديهم من المتولية والسردارية والجوربجية ورجال الشرع فضلا عن العلماء من أبناء البلاد (٥) .

---

(٣) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصـــدر الســـابق ، ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٤) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ــ ٣٦٠ .

ــ احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٩ .

(٥) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٢ ق ٢٠٧ ، ق ٣١٥ ، س ٢٩ ق ٦٤٠ .

ــ محكمة الباب العالى : س ٥ ق ٤٣٧ ، ــ محكمة بولاق : س ٩ ق ١٠٧٢ .

ــ محفظة دشت رقم ١١٧ ص ٤ ، ص ١٨ ، ص ٥٩ .

ــ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٢٦٤ ، ق ٢٦٥ ، ق ٢٦١ ، ق ٢٥٧ ، ق ٢٤٧ ، ق ٣٣٥ .

كان من الضرورى — خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بصفة خاصة ، على الصناجق بعد انتهاء فترات حكمهم ، أن يحصل كل منهم فى اقليمه على ( حجة شرعية ) من قاضى الشرع بالولاية ، تؤكد قيامه بواجباته خير وجه دون ارهاق للرعية ، وانه لم يدخر وسعا فى العناية بمصالحها ، ولم يعد هذا التقليد — على ما يبدو — متبعا فى القرن الثامن عشر ، بعد أن طغت السيطرة المملوكية فى أجهزة الادارة بولاية مصر بشكل عام . أما الولايات الصغرى التى لم تبلغ درجة ( الصنجقية ) ، والواقعة ضمن زمام احدى الولايات الكبيرة ، فقد عرفت باسم ( الكشوفيات — الكاشفيات )(*) ويقوم على ادارتها أتباع الصناجق المذكورين من الكشاف . وبدراسة سجلات المحاكم الشرعية ، أمكن التعرف على أهم الكشوفيات خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وهى على النحو التالى :

١ — **فى الوجه البحرى :** ( كشوفيات : البلبيسية وقطيا بولاية الشرقية ) ، المنصورة ، المنوفية ، الغربية ، البحيرة ، القليوبية ) ، كشوفيات كبرى خلال القرن السادس عشر .

٢ — **فى الوجه القبلى :** ( كشوفيات : الجيزية ، الفيوم ، البهنساوية ، الأطفيحية ، الواحات ، المنفلوطية ، الأسيوطية ، ابريم ) (٦) . وفى النصف الأخير من القرن السابع عشر ، ظهرت ولاية ( جرجا ) التى ضمت كشوفيتى

---

(*) الى جانب الكشوفيات المذكورة كانت تظهر كشوفيات أخرى مثل ( المحلة — منوف — دمنهور — فرشوط — بهجورة — دوف — قنا — الأقصر — ارمنت — الأخصاص — اسنا — أسوان ) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ١٤ وما بعدها .

(٦) سجلات محكمة الباب العالى : س ٥ ق ٢٨٢ ، ق ٤٥٧ ، ق ٢٨٣ ، ق ٤٨٧ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ٢٢ ق ٢٠٨ ، ق ٢٥٧ ، س ١٢٠ ق ٨٤ ، ق ١٦٦ ، س ١٨١ ، ق ٤٠٠ ، — تقارير النظر : س ١٤ ق ٣١٠ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٤٩٦ ، ق ٩٠ ، ق ٣٢٥ ، ق ٧٨٧ .

( الأسيوطية ــ ابريم ) ، وصارت مطمحا لكبار الصناجق لاتساع زمامها من ناحية ومحاصيلها من الحبوب اللازمة لتموين العاصمة بحاجياتها الضرورية من جهة أخرى ، وبصفة عامة تميز التقسيم الادارى لمصر فى العصر العثمانى بعدم الثبات حيث أجريت تعديلات مختلفة ، بينما بقيت الولايات الخمس الكبرى ( الصنجقيات ) دون تغيير .

اقتصر حكم الكشوفيات السابقة ــ غالبا ــ على رجال اوجاقى المتفرقة والجاويشية خلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر ، لارتباطهما العميق بالسلطة العثمانية فى ولاية مصر ، الى جانب بعض السباهية من اوجاقات ( الكوملية ــ والتوفكجية ــ الجراكسة ) ، الذين يخدمون ــ أساسا ــ بالأقاليم ، وهم ادرى بشئونها من غيرهم ، وبضعف السيادة العثمانية ــ ممثلة فى الباشوات والكيان العثمانى بالأوجاقات ، استولى المماليك ــ من رجال الأوجاقات ــ على هذه المناصب ، وصارت لهم الغلبة ابان القرن الثامن عشر (٧) .

ويختص الكاشف بعدة مهام مشابهة لما يقوم به الصنجق فى ولايته ، يعمل الكاشف ــ تحت اشراف الصنجق ــ على الاهتمام بشئون الزراعة ، ويكون على اتصال دائم ــ عن طريق مساعديه ــ بالفلاحين ، لحثهم على زراعة كافة الأراضى القابلة للزراعة ، فلا يتركوا أرضا بورا ، وتتوالى أوامر الكشاف الى شيوخ النواحى ، بمنع الفلاحين من الهروب ومغادرة القرى ، خاصة اذا قلت مياه النيل وحدث شراقى بالبلاد ، وعجز الفلاحون عن أداء المال الميرى والعوائد المتزايدة للملتزمين ، وتكشف انا مضابط محاكم الأقاليم عن مدى رد الفعل فى أجهزة الادارة المركزية بالعاصمة ، حيث تضم فرمانات للباشا موجهة الى الكشاف لاتخاذ كافة الاحتياطات لتحصيل الميرى ، والتشديد

---

(٧) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .
ــ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ٣٣٣ ، ق ٢٧٠ ، ق ٦٩٨ .

على جمع الأموال المطلوبة وهو يأمر الملتزمين بحجز الرهائن من أهالى القرى حتى تسديد ما عليهم (٨) .

وإذا هجر بعض الأهالى قراهم فإن الكاشف يقوم — عن طريق الملتزمين — بتوزيع ما عليهم من أموال على مشايخ القرى وفلاحيها ، حتى لا يلحق الأموال السلطانية أى عجز ومن ثم يهتم الكاشف بمراقبة أهالى البلاد — بالاستعانة بالعسكر السباهية وغيرهم — أوقات تحصيل الخراج فلا يلوذ بعضهم بالفرار . وفى نفس الوقت كان على الكاشف مواجهة اعتداءات العربان على زراعات الأهالى وقراهم ، وإن كان قد تخلى — فى حالات كثيرة — عن هذه المسئولية خلال القرن الثامن عشر (٩) .

وتشير المصادر المعاصرة والوثائق الى مدى الظلم الذى أوقعه رجال الادارة المحلية من الكشاف ورجالهم ، فصاروا مصدر ازعاج لأهالى القرى ، اذا ما عجز الباشا العثمانى الحاكم عن معاقبتهم ، فعندما ترأس جركس بك ( شيخ البلد ) فى القاهرة سنة ١٧٢٤ ، وقلد رجاله الكشوفيات المختلفة ، أخذ الكشاف يجمعون الكلف من كل ناحية ما لا يقل عن مائة زنجرلى ، أبرزهم ( عمر بك كاشف البحيرة ) الذى اشتهر بظلمه ، حيث تعرض لناحية ( سمخراط ) اذ تعدى على حواصل الملتزمين ( الكائنة بالأوسيات ) واستولى على مواشى وأدوات الزراعة الخاصة بالفلاحين ، وأكل رجاله الضيافة ، وقتل رجال الملتزمين الذين حاولوا ابلاغ الادارة المركزية واعلن تحديه للباشا نفسه ، وعندما اتجه الملتزمون من كافة الأوجاقات الى شيخ البلد ( جركس بك ) لمنع كشافه من النهب والتعدى ، لم يكترث لذلك متهما اياهم بنفس

---

(٨) قانون نامة مصر ورقة ٤٠ وما بعدها .
— حسين افندى الروزنامجى : المرجع السابق ص ١٧ .
(٩) قانون نامة مصر ، ورقة ٤١ .
— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ١٩٦ ، ق١٨٨ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ١٩٢ ، ق ٦١٦ ، ٦١٦ ، س ٢٠٣ ، ق ٤٥١ ، ق ٤٥١ .

المسلك ، ولم يقتصر ظلم كشاف جركس على ولايات الوجه البحرى بل امتد الى كشوفيات أخرى بالصعيد (١٠) .

وفى ظل حكم ( مراد بك وابراهيم بك ) ، ضج الناس من ظلم كشافهم بمختلف الولايات ، وقد بلغت المظالم التى وقعت بأهالى البلاد درجة كبيرة ، وضج الأهالى بالشكوى للباشا من « بياتات وركبات وحش برسيم الفلاحين وتسخيرهم .. » فلا يتعد موقف الباشا — وقد غلت يداه — سوى توجيه البيورلديات الشريفة دون متابعة تنفيذها ، وظهر ذلك من فرمان أصدره ( محمد باشا حاكم مصر حالا ) ( ١١٩٩ هـ / ١٧٨٥م ) الى حاكم الدقهلية ( مراد كاشف حاكم ولاية الدقهلية حالا ) بعد أن قدم أهالى ناحيتى ( منية خميس — منية بدر خميس ) شكاوى متعددة الى الباشا ، وعندما وصل حسن باشا قبطان مصر ( ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م ) بلغت مسامعه شكاوى الأهالى من ظلم الكشاف والعسكر ، الذين تحايلوا على ابتزازهم سواء الفلاحين أو الملتزمين ، بعث فرماناته الى حكام الشرع الشريف مباشرة وناشدهم اقامة العدل بين المتخاصمين ، واضطر حكام الأقاليم — بصفة مؤقتة — الى رفع المظالم ومنع التعدى على زراعات الفلاحين وتسخيرهم فى نواحى مختلفة (١١) .

وفى ظل الاحتلال الفرنسى لمصر ، يشير المؤرخ الى ان حكم الولايات بقى فى أيدى الكشاف على ان يكونوا تابعين للنفوذ الفرنسى ، ومع هذا استمر ظلمهم فكانوا : .. « اقبح فى الظلم من الفرنسيين بل ومن العرب ( قبائل العربان ) ..» ، وخلال فترة الفوضى التى تلت خروج الحملة الفرنسية ، وفى حوادث ( رمضان ١٢٢٨ هـ / ديسمبر ١٨٠٣م ) كانت افعالهم فى الأقاليم

---

(١٠) احمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ — ٤٤٦ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ — ٣٤٨ .

(١١) مضابط الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٤٩ ق ١٣٣ ، ق ٤١٥ ، س ٥٠ ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ ، ص ١٤٦ ، س ١٨ ق ١٣٠ ، ق١٥٨ ، ق ٢٦١ ، ق ٢٦٤ ..

البحرية والقبلية من المظالم والمغارم وانواع الفرد : ... « شىء لا تدركه الافهام ولا تحيط به الأقلام .. » (١٢) ، مع أن الكشاف ورجال الادارة المحلية قد استغلوا نفوذهم السياسى وحازوا الالتزامات الواسعة فى مختلف الأقاليم – كما سنرى فى موضع قادم – الى جانب رواتبهم النقدية والعينية المرتفعة .

**ادارة الأراضى الزراعية :**

عرف فى مطلع العصر العثمانى نظام ( الأمانات ) أو ( المقاطعات ) لادارة الأراضى الديوانية ، فى كافة الولايات بمصر ، واشرف على تطبيق هذا النظام الدفتردار ( ناظر الأموال ) فهو الذى يختار الأمناء ومساعديهم من الكتبة ، وقد تم الاعتماد على جند السباهية – بصفة رئيسية – الى جانب أمراء طائفتى المتفرقة والجاويشية فى تطبيق هذا النظام ، واستعانوا بالصيارفة – وهم غالبا من اليهود والنصارى – لقبض الأموال الديوانية من شاهد الناحية على أقساط ثلاثة ، وعلى مشايخ القرى والصيارفة توصيل قيمة كل قسط لجهة الديوان واحضار ( رجعة ) للأمين تبين ذلك (١٣) .

ويعود استخدام العسكر السباهية وقادتهم فى هذا الشأن الى رغبة الدولة فى الافادة بخبراتهم من حيث الالمام بشئون الأقاليم من ناحية واغرائهم

---

(١٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١٥ ، ١٩٠ ، ج ٣ ص١١٢ ، ٢٧١ ، ج ٤ ص ٢٩١ .

(١٣) قانون نامة مصر : ورقة ٤٢ وما بعدها .

– سجلات محكمة القسمة العسكرية : س ٢ ق ١٨١ ، س ٢٧ ق ٣٣١ .

– محكمة قوصون : س ٢٤٠ ق ٢٥٥ ، ق ٢٠٤ ، محكمة بولاق : س ٨ ق ١٠٢٨ .

– محكمة الباب العالى : س ٧ ق ١٩١ ، س ٤ ق ٤٧ ، س ٩ ق ٣٥٩ ، س ١٣ ق ٨٠٥ ، س ١٠ ق ٨٥٧ .

–مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة س ١٨ ص ٢٦٢ ، ص ٢٦١ ، ص ٢٥٧ ( وثائق تركى ) .

بالإستقرار فيها لتوطيد الأمن واقرار النظام من ناحية اخرى ، واثبت هذا النظام عجزه فى ادارة الأراضى الزراعية ، فاستبدل بنظام الالتزام ، الذى لم تكتمل معالمه فى مصر الا فى أوائل القرن السابع عشر ( ١٠٢٣هـ / ١٦١٣م ) — حسبما تشير سجلات المحاكم الشرعية — من حيث أحقية الملتزم فى زراعة جانب من أرض الالتزام يعرف ب ( الأوسية ) ويقوم على فلاحته المزارعون والمرابعون سخرة ، وبذلك يمكن ان نرجع وجود نظام الالتزام واتباعه فى ادارة الأراضى الزراعية بمصر ، قبل تطبيقه بصورة رسمية فى منتصف القرن السابع عشر ( ١٦٥٨م ) لحوالى نصف قرن على الأقل ، وربما كانت الدولة تمهد بذلك للتعرف على امكانية نجاحه فى ادارة الأراضى قبل العمل به بشكل رسمى (١٤) .

وتتلخص مهمة الملتزم ، فى التعهد أمام الديوان الشريف بدفع خراج ناحية معينة على اقساط ويضمنه فى ذلك نفر من أصحاب النفوذ ، وهـو يعطى تقسيط ديوانى للالتزام لمدة سنة ، وبموجبه كان يقوم بتأجير اراضى الناحية الواقعة فى التزامه لكبار مشايخ القرية أو الفلاحين أما تأجيرا كاملا أو بمشاركتهم بحق النصف أو الثلث ، واذا كان الملتزمون فى القرن السادس عشر والنصف الأول من السابع عشر قد انتموا الى العنصر العثمانى — تقريبا — فان المماليك من رجال الأوجاقات قد صارت لهم السيطرة والنفوذ فى مجال الالتزام بسائر الولايات ، كما سنرى فى اشتغالهم بحيازة الأراضى والزراعة (١٥) .

ويختص الملتزم بجزء من الأرض وهو ارض ( الأوسية ) ويقوم على زراعته فلاحو الناحية لصالحه تحت اشراف ( القايمقام ) الذى ينوب عنه خاصة اذا كان من كبار أمراء المماليك الغائبين عن التزاماتهم لتتبع التطورات

---

(١٤) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
(١٥) سجلات محكمة طولون : س ١٩٢ ق ١١٨٦ ، ق ١١٩٥ .
— محكمة الباب العالى : س ٥ ق ١٧٧ ، محفظة دشت رقم ٤ ص ٤٧٦ ، رقم ٣ ص ٢٥٦ .
— محكمة بولاق : س ١٣ ق ٥٤٤ ، س ٢٤ ق ٢٧٤٨ .

السياسية بالعاصمة . ويعتمد الملتزم فى اداء وظيفته على عدد من الرجال المساعدين ( مشايخ القرى ـــ الشاهد ـــ الصراف ـــ الخولى ) (١٦) .

ويتدخل الباشا ـــ احيانا ـــ فى اختيار الملتزمين خاصـــة اذا كان بعضهم قد استبعد لظامه ، ويزود الجدد بتعليماته لتجنب الظلم وحبس الفلاحين دون ذنب ، على أن يتولى السردارة والجوربجية والمتولية وقضاة الشرع مراقبة نشاطهم والتأكد من عدلهم ، وغالبا ما يهمل هؤلاء تنفيذ مهامهم المذكورة ، بعد أن تراخت قبضة الباشا العثمانى عـــلى أجهزة الادارة بالولاية (١٧) .

**حفظ الأمن فى الأقاليم :**

اعتمد حكام الولايات ـــ الصناجق والكشاف ـــ على جهود العسكر السباهية ـــ حسبما حدد قانون نامة مصر ـــ فى العمل على اقرار الأمن فى ولاياتهم ، ففى بنادر الصنجقيات والكشوفيات حيث يقيم حكام الولايات ، كان سردارة العسكر من الجوربجية كل يرأس رجال أوجاقه الذين يأتمرون بأمره ، ولكن تغيرا قد طرا على هذا التوزيع السابق ، بعد أن انصرف العسكر الى مجال حيازة الأراضى وزراعتها ، وأشارت الوثائق الى وجود سردارة آخرين تابعين لأوجاقى مســـتحفظان وعزبان تواجدوا فى البنادر بقيادة جماعات من العسكر ، وربما يرجع ذلك الى محاولة الادارة المركزية تعزيز القوات المنتشرة بالأقاليم بعد أن ثبت فشلها ـــ فى أحيان كثيرة ـــ عن حفظ الأمن خلال القرن الثامن عشر . ويختار كتخدا الأوجاق او الأغا السردارة المكلفين بضبط الأمن بالأقاليم ، ويظهر من الوثائق أن منصب السردار صار متوراثا فى معظم الأحيـــان ابان هذا القرن خاصـــة بين رجـــال العنصر المملوكى (١٨) .

---

(١٦) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى ص ١٨ ـــ ٢٨ .

(١٧) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ١٨٦ ، ق ٩٩ ، ٢٢٣ ، س ١٨ ق ٥٧ ، ق ١٩٨ .

(١٨) قانون نامة مصر ، ورقة ٢٩ وما بعدها .

ـــ مضابط محاكم الأقاليم ، محكمة المنصورة : س ١ ص ٦٨ ، ص٩٨ ، س ٣ ص ١٦٦ ، س ٢ ص ٥٤ ، ص ١٥٧ .

انقســـم بندر الأقليم ( الولاية ) الى عدة ادراك يقوم على حراستها أصحاب الأدراك لحفظ الأمن ليلا ، وهم من الخفراء الذين يعملون تحت قيادة اشخاص اكفاء من الأهالى — فى معظم الأحوال ، عليهم عدة مهام أوردتها الوثائق :« اغاثة الملهوف ، ورد السرقات واطفاء الحرائق .. » فكانوا بذلك يؤدون أعمال الشرطة الليلية ، ومقابل خدماتهم ، كانوا يتمتعون بعوائد بعض الوكالات ، ولهم رسوم على الأســـواق والبيوت ، ويمد السرادرة أصحاب الأدراك بما يلزمهم من العسكر لمساعدتهم فى القبض على المجرمين واللصوص . واذا كانوا من بين الجند فانهم يسلمون الى سرادرتهم ليتولوا عقابهم (١٩) .

وفى القرى ، كان شيخ القرية يقوم باختيار الخفراء من أهالى قريته ، لحفظ الأمن بها ، ويعنى بصفة خاصة بتشديد الحراسة على الأوسية الخاصة بالملتزم والتى تضم ممتلكاته من الماشية والمحاصيل والأدوات الزراعية ، ويلتزم مشايخ النواحى بذلك أمام الملتزمين ( كبار الأجناد ) وتنظيم الحراسة ليلا ونهارا بالتناوب لقاء اجور زهيدة . ومن حين لآخر ، كان يعقد حاكم الولاية مجلسا ( ديوانا صغيرا ) يضم سرادرة العسكر ، وأصحاب الأدراك ، للتعرف على أحوال الأمن فى اقليمه ، ومواجهة العقبات التى تعترضهم (٢٠).

وعندما يخلو منصب حاكم الاقليم ، يباشر ( القائمقام ) مهامه ، وعلى هؤلاء المذكورين مســـاعدته فى ضبط مقر الصنجقية او الكشوفية بتكليف

---

(١٩) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٣ ص ٧٥ ، س ٤ ص ١١٧ ، ص ٩٨ ، س ١٠ ص ٣٥٠ ، ص ١٥١ .
— سجلات محكمة الباب العالى : س ١ ص ٤١ ، ص ٩٨ .
— محكمة الباب العالى : س ١٨٠ ق ٣٨٣ ، ق ٤٥٧ .
— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥٣ ، — محكمة بولاق : س ٦٠ ق ٢ ، ق ٥٤ .

(٢٠) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة س ١٨ ق ٣٦ ، ق ٢٥٣ ، ق ٣٨٦ ، س ٤٩ ق ٣٧٦ ، س ١٨ ق ٢٠٠ ( وثائق تركية ) ، ق ٢٤٩ .
— سجلات الديوان العالى : س ٣ ق ٣٥٩ ( تركى ) ، س ١ ق ٦٨٤ .

عساكرهم فى جماعات منتظمة للقيام بدوريات ليلية ، لتتبع المفسدين ، والقاء القبض على من يجدونه مسلحا . ويقوم رجال الادارة المحلية من العسكر وسرادرتهم ، بأعمال أخرى تتعلق بتنظيم المواكب فى الاحتفالات الدينية والموالد وحفلات العرس وهى أمور تتعلق باعباء الشرطة فى الولايات (٢١) .

ولعل اهم واجبات العسكر الملقاة على كواهلهم ، كانت تتلخص فى صد هجمات العربان المتكررة على القرى للقيام بأعمال النهب والسلب من حين لآخر ، وخاصة فى مواسم الحصاد ، وعندما يشتد أذى العربان ، ويبلغ ذلك مسامع الباشا الحاكم ، كان يأمر بارسال تجاريد عسكرية من العاصمة بقيادة احد البكوات ( أمراء الألوية الشريفة ) ، يرافقه أحيانا أغا مستحفظان ، ويكون فى استقبال التجريدة حاكم الولاية ، ويستعان بعسكر الولايات المجاورة فى تعضيد التجريدة ، ويتضامن كافة مشايخ النواحى التابعة للولاية ، ليكونوا مسئولين عن نواحيهم فلا يأوى أحدهم ( المفاسيد من العربان ) ، ومن وسائل الادارة المركزية فى مواجهة خطر العربان ، جمع شيوخ العربان الطائعين والاستعانة بهم فى تتبع العصاة ، ومعاونتهم بشكل ايجابى ، وشهد القرن الثامن عشر تكاسل رجال الادارة المحلية عن انجاز مسئولياتهم تجاه العربان ، فيرسل الباشا مندوبين من أمراء الجاويشية الى الولايات لحث الكاشف ورجاله للقيام بواجباتهم ، وفى بعض الأحيان اتهم شيوخ القرى ورجال الادارة بالتواطؤ مع قبائل العربان ضد أبناء الأقاليم من الفلاحين (٢٢) .

---

(٢١) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة س ٤ ص ١١٧ ، س ٣ ص ٩٨ .

ــ سجلات محكمة الباب العالى : س ١ ص ٤١ ، ص ١٥٢ .

ــ محكمة القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٦٥ ، س ١٧٨ ق ١٥٢ ، س ١١٩ ق ٧٢ ، س ١٢٠ ق ٨٤ .

(٢٢) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ١٩٢ ، ق ٧٥ ، ق ٢٤ ، ق ٨٥ ، س ١٨ ق ٤٩٦ ، ق ٩٠ ، ق ٣٢٥ ، ص ٢٥١ ، ص ٢٥٢ ، ( تركى ) .

وفى الواقع شكل رجال الادارة المحلية ـ فى غالب الأحيان ـ مصدر ازعاج ونهب لأهالى الولايات لا يقل خطورة عن أذى العربان ، وخاصة فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ـ باستثناء فترة على بك الكبير ـ بعد أن زالت السيطرة العثمانية على شئون ولاية مصر بصفة عامة ، ومن المعلوم أن العربان قد دخلوا ميدان الصراعات المملوكية المستمرة ، بطلب أمراء المماليك لينتصروا بهم على خصومهم ( فتنة افرنج أحمد ـ فتنة جركس ) مما أغرى هذه القبائل على القيام باغاراتهم المتكررة فى سائر الأقاليم .

**ادارة الثغور :**

أولت الدولة العثمانية اهتماما كبيرا بالثغور المصرية ( الاسكندرية ـ دمياط ـ السويس ) باعتبارها المنافذ الرئيسية اللازمة لربط مصر بالعالم الخارجى ، وهى التى تتلقى أى هجوم أجنبى ، وتتولى بذلك مسئولية الدفاع عن السيادة العثمانية فى الولاية الهامة ، فكانت ادارة الثغور خارجة عن سلطة الباشا العثمانى الحاكم ، ويرسل القبودانات ـ وهم من البكوات والباشوات ـ لحكم هذه الموانى الهامة مباشرة من مقر السلطنة ، ويتلقون أوامر السلطان رأسا ، وليس لهم ثمة علاقة مباشرة بالباشا الحاكم بمصر (٢٣) .

ويعهد الى باشوات ايالة الحبش المعزولين عنها ـ أحيانا ـ بتولى منصب ( قبودان السويس ) ، وذلك للافادة من خبراتهم فى شئون البحر ، وقد شغل رجال أوجاق المتفرقة بمصر وظيفة نائب القبودان (كتخدا قابودان) ليتولى مهامه ، عندما يتغيب عن الميناء ويبدو أن أمراء المماليك قد استحوذوا على هذا المنصب ( كتخدا القابودان ) ، حيث لم نعثر فى وثائق القرن الثامن عشر ، على أدلة تبين استمرار شغل رجال المتفرقة هذا المنصب ، وهذا يتمشى مع تراجع الوجود العثمانى فى مهام الادارة بمصر خلال هذا القرن .

---

(٢٣) Esteve : op. cit., p. 48.
ـ حسين أفندى الروزنامجى : المرجع السابق ، ص ١٤ .

ولا شك ان القبودانات قد تمتعوا بمستوى اجتماعى مرتفع ، كما تبين تركاتهم المدونة بسجلات المحاكم الشرعية ، وحازوا العديد من الجوارى والعبيد لأعمال الخدمة الخاصة بهم (٢٤) .

١ ــ **قبودان الاسكندرية** : ويعد أهم القبودانات الثلاثة ، ومهمته التصدى لحماية ميناء الاسكندرية من غارات القراصنة الافرنج ، الى جانب ضبط أحوال المدينة فى الداخل ، واقرار النظام لتوفير الأمن للأهالى وبصفة خاصة القناصل الأجانب المقيمين بالثغر بموجب امتيازات بلادهم مع الدولة العثمانية ، فضلا عن الاهتمام بمرافق الميناء من حيث تزويدها بالمياه العذبة وملء الصهاريج . ويستعين القبودان بجماعات العسكر من رجال الأوجاقات ، وهم ينتمون الى أوجاق المتفرقة ( متفرقة الاسكندرية ) فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ولكنهم صاروا من رجال أوجاقى مستحفظان وعزبان ــ بصفة أساسية فى القرن الثامن عشر . ويتقاضى القبودان راتبا نقديا ( سالايانة ) وافرا من الخزينة ، يصل الى ٣٠٠ الف بارة سنويا ، الى جانب راتب عينى ( ٥١٥ اردبا من الغلال ) تصرف سنويا من الأنبار الشريفة بمصر ، وفضلا عن هذه الدخول كان للقبودان الحق فى فرض رسوم على البضائع ــ سواء الصادرة أو الواردة ــ تصل الى ٨٠٠ الف بارة سنويا (٢٥) .

٢ ــ **قبودان السويس** : ويختص هذا القبودان بحراسة الشواطىء المصرية على البحر الأحمر ، ويلى فى اهميته ( قبودان الاسكندرية ) ويعتمد على رجال اوجاق عزبان ( عزبان السويس ) فى تنفيذ مهامه ، ويتولى أيضا

---

(٢٤) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٧ ق ٥٢ ، ق ٨٣ ، س ٨ ق ١١٤ ، ق ١٩٨ ، ق ٩ ، ق ٤٦٩ ، ق ٧١٢ ، س ١٢٠ ، ق ٣٥٤ ، ق ٨٤ س ١١٩ ق ٤٩٩ ، س ١٤٩ ق ٣٢٩ ، س ١١٤ ق ٤٧٨ .

(٢٥) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

ــ سجلات الروزنامة : دفتر مواجبات كشيدة ديوان مصر ، برقم ٥٢٤٩ .

الاشراف على شئون الملاحة بين مينائى الحجاز ( جدة والينبع ) والسويس ، ويستعين فى هذا الاختصاص برجال ( متفرقة روسا السويس ) للاضطلاع بمهام السفن المبحرة بالبحر الأحمر ، واختص نفر منهم بشئون ( الخدمة الشريفة الخندكارية بالبحر المالح ) ، فكانوا يؤجرون سفن الدولة لنقل البضائع والمسافرين الى الحجاز (٢٦) .

ويحصل قبودان السويس على مرتب نقدى ( سباليانه ) أقل من سابقه يصل الى ١٦٤ الف بارة سنويا ، ويتساوى معه فى الراتب العينى ( ٥١٥ أردبا من الغلال ) الى جانب الرسوم المفروضة على البضائع الصادرة والواردة الى السويس والتى تصل الى ٨٠٠ الف بارة سنويا (٢٧) .

٣ — **قبودان دمياط** : وهو يقوم بحماية ثغر دمياط ويشرف على الملاحة بين رشيد ودمياط ، ويهتم بحفظ الأمن فى المدينة ويعتمد على عدد من العسكر لهذا الغرض ، ولقبودان دمياط ساليانه سنوية قدرها ٣٠٠ الف بارة ، وراتب عينى يصل الى ( ٥١٥ أردبا من الغلال سنويا ) ويحصل رسوما على الملاحة والبضائع بين رشيد ودمياط تصل الى ٢٠٠ الف بارة سنويا (٢٨) .

ورغم أن الدولة كانت حريصة على ارسال القباطنة الى هذه الثغور الثلاثة ، فاننا نرى اتجاهها — من خلال الوثائق — الى اختيار بعض أمراء الألوية الشريفة من البكوات بمصر ، لتولى هذه المناصب الهامة ، منذ أوائل القرن السابع عشر ، ولعل هذا التجاوز قد ارتبط الى حد كبير باهتزاز النظم الادارية فى الدولة العثمانية بصفة عامة . والى جانب اسهام العسكر فى

---

(٢٦) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٣ ق ٥١٩ ، س ١٩ ق ٥٣١ ، س ٢٢ ق ٨٩ ، س ٢٥ ، ق ١٣٩ .
— سجلات الروزنامة : دفتر مواجبات كشيدة ديوان مصر ، برقم ٥٤٢٩
(٢٧) سجلات الروزنامة : دفتر جراية وعليق برقم ٥٢٤٥ .
(٢٨) سجلات الروزنامة : دفتر مواجبات كشيدة ديوان مصر برقم ٥٢٤٩
— سجلات الروزنامة : دفتر جراية وعليق برقم ٥٢٤٥ .

ادارة الثغور ، فقد شاركوا فى انجاز مهام الشرطة بها ، فقد اختصوا بحراسة أحياء الأجانب ( الافرنج ) حيث يقيم القناصل الأجانب ورعاياهم ، بينما قسمت كل مدينة ( ثغر ) الى عدد من الأدراك ويتولى أصحاب الأدراك من الخفراء — بتعضيد العسكر — مهام الشرطة الليلية ، بالقبض على المجرمين ( اللصـــوص ) واطفاء الحرائق ، وهم يقعون تحت اشراف السردارة من الجوربجية الذين ينتمون الى الأوجاقات المسيطرة ، ويعنى أمين الحسبة ( المحتسب ) ورجاله من الجند بضبط الأسواق فى الثغور المذكورة ، ويجوب أنحاء المدينة لمراقبة سلوك التجار وارباب الحرف لمعاقبة المخالفين ، وان كان دوره قد تضاءل — كما هو الحال بالنسبة لنظيره فى العاصمة — ابان القرن الثامن عشر (٢٩) .

**ادارة الجمارك :**

اهتمت الدولة العثمانية بشئون الجمارك بولاية مصر ، فقد أشــار ( قانون نامة مصر ) الى ضرورة فرض الرسوم على البضائع — الصادرة والواردة — بنسبة معتدلة ، كما كان الحال على عهد السلطان المملوكى قايتباى ، فلا تقوم بضائع التجار بأكثر من القيمة ، فتضيع أموالهم ، ولا أقل فيلحق الخزينة الخسارة . ويتولى أمين الجمرك تحصيل الرسوم المفروضة على السلع ، ويعتمد فى ذلك على دفاتر القناصل فى تحديد العوائد المطلوبة من التجار الأجانب ، ويشرف قاضى الثغر على أعمال أمين الجمرك ، فله الحق فى مراقبة اعماله ، ويقبض العشور والرسوم من الأمين لتوصــيلها للخزينة كل ثلاثة اشهر (٣٠) .

وحرم القانون لجوء العسكر الى اسباغ حمايتهم على التجار بقصد

---

(٢٩) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٥ ق ٣٥١ ، ق ٤٩٨ .
— محكمة الباب العالى : س ١٨٠ ق ٣٨٥ ، ق ٣٨٣ ، — محكمة بولاق : س ٦٥ ق ١٠ ، ق ٥٤ .
— محكمة اسكندرية : س ١ ص ١٢ ، ص ٥٨ .

(٣٠) قانون نامة مصر ، ورقة ٤٥ وما بعدها .

اعفائهم من هذه الرسوم ، ويراقب الباشا العثمانى سلوك كل من القاضى والأمين المذكورين ، ليعرض شئون الجمارك على الباب العالى . ومن الضرورى تحصيل كافة الرسوم المقررة ، ولا يعفى من آدائها أى سفينة حتى اذا كانت قادمة من الباب العالى الى مصر او العكس ، طالما انها تحمل بضائع للتجارة أما اذا كانت مرسلة من مصر الى دار السلطنة لسد احتياجاتها وليست بغرض التجارة فلا يؤخذ عنها رسوم ، وحذر الباب العالى من نزول التجار الافرنج الى عاصمة البلاد ( القاهرة ) ، وانما يقتصر وجودهم على الثغر السكندرى ، كما هو الأمر فى عهد السلطنة المملوكية ، وهذا يعكس محافظة العثمانيين على الأوضاع الادارية الخاصة بشئون الجمارك كما هى دون تغيير يذكر (٣١) .

وقد شغل رجال أوجاق المتفرقة — بصفة خاصة — الى جانب عسكر السباهية أمانة الجمارك خلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر ، يعاونهم فى ذلك عدد من الكتبة والترجمانية وكان بعضهم من بين رجال أوجاق ( جاويشية الخدمة العالية ) الذين يجيدون اللغات الاوروبية ، للتعامل مع القناصل والتجار الأجانب (٣٢) .

**اهم الجمارك الكائنة بمصر :**

**( ا ) جمرك السويس :** حيث تزايد نشاط التجار من المصريين والعناصر الاسلامية الأخرى الى جانب العسكر ، ممن احتكروا التجارة الشرقية حتى نهاية القرن الثامن عشر . وقد تمكن رجال أوجاق مستحفظان من الاستئثار بادارة هذا الجمرك بعد أن خفت قبضة الباشوات العثمانيين الادارية عليه ، منذ النصف الأخير من القرن السابع عشر ، واستمر نفوذ ( أوجاق مستحفظان ) حتى بداية حكم على بك الكبير ( ١٧٦٩ ) ، الذى احدث تغييرا جوهريا فى

---

(٣١) نفس المصدر السابق ، ورقة ٤٦ .

(٣٢) سجلات محكمة بولاق : س ١٠ ق ٨٧٥ ، ق ٩٤٥ ، س ١٤ ، ق ١٧٥٨ .

— محفظة دشت برقم ٤ ص ٤٧٥ ، محفظة دشت رقم ٢ ص ٢٤١ .

ادارته ، عندما استبعد اليهود القائمين على شئونه — تحت اشراف أوجاق ( مستحفظان ) ، صاحب النفوذ السياسى بالولاية — واستعان بالشوام المسيحيين ، ليوجه بذلك ضربة اقتصادية قاصمة لأقوى الأوجاقات بمصر ، مهددا بذلك الكيان العسكرى القائم ، واستمر الشوام فى ادارته — الى جانب الجمارك الأخرى ، فى عهد سلفه محمد بك ابو لذهب ، ومرادبك وابراهيم بك ، وتوارثوا العمل فى هذه الجمارك ، وجنوا من ورائها — هم وأمراء المماليك — أرباحا كبيرة (٣٣) .

وقد بلغ ايراد جمرك السويس (*) فى نهاية القرن السابع عشر ١٩٦ر٢٤٣ر٢ بارة ، وقد تزايد فى أواخر القرن الثامن عشر ، حيث قدرت ايراداته سنة ١٧٩٨ بما يقرب من ٩٢٤ر١٢ر٤ر٤ بارة سنويا (٣٤) .

**( ب ) جمرك اسكندرية ورشيد :** وهو يحصل رسوما على البضائع الواردة والصادرة اليه من بلدان أوربا ، ومع مقر السلطنة العثمانية ، وكان — مثل بقية الجمارك — فى ايدى أوجاق مستحفظان حتى تولى على بك الكبير شئون الحكم ، وتبعه فى ذلك خلفاؤه من أمراء المماليك ، وفى أواخر القرن الثامن عشر تقاسم الحليفان ( مراد بك وابراهيم بك ) ايراداته التى بلغت فى سنة ١٧٩٨ حوالى ١٠٤ر٥٨٤ر١١ بارة سنويا (٣٥) .

---

(٣٣) Raymond : op. cit., pp. 487-489.
Volney : op. cit., pp. 206-225.

(*) يرى ( استيف ) — وهو من علماء الحملة الفرنسية المشهورين — أن المتوسط السنوى لايرادات جمرك السويس فى الفترة ( ١٧٨٦ — ١٧٩٨ ) بلغ حوالى ٨٧٦ر٨٤٢ر٣٦ بارة اى حوالى تسعة اضعاف ما ذكره أندريه ريمون .

(٣٤) Raymond : op. cit., p. 621.
— Savary : op. cit., pp. 229-232.

(٣٥) Raymond : op. cit., p. 626.
— Bruce, op. cit., pp. 287-291.
— Browne : op. cit., pp. 380-385.

**( جـ ) جمرك دمياط (*)** : وهو يشابه نظيره فى الاسكندرية حيث أن مقاطعة جمرك دمياط تضم خارجا عن شئون الجمرك وتحصيل الرسوم ، حقوقا أخرى متعددة على الأسواق فى دمياط ، وقد بلغ ايراده سنة ١٧٩٨ حوالى ٢٫٣٣٥٫٧٧٠ بارة سنويا ؛ وكما هو الحال بالنسبة للجمارك السابقة ، انتقلت ادارته من أوجاق مستحفظان الى ايدى أمراء المماليك .

**( د ) جمرك البرلس** : وهو يقع جنوب دمياط ، وتمر فيه البضائع والمنتجات القادمة من مصر السفلي ( الوجه البحري ) ، والواردة من شمال افريقية عن طريق البر ، وعادة ما يكون فى حوزة ملتزم جمرك دمياط على أنه جزء من هذا الجمرك ، وكان جمرك البرلس فى حوزة أوجاق مستحفظان حتى سنة ١٧٧٠ — باستثناء بعض السنوات التى التزم فيها نفر من قيادات أوجاق العزب خلال هذه الفترة ، وخاصة ( رضوان كتخدا الجلفى )، ثم انتقل الى أمراء المماليك من القادة العسكريين والكشاف ( رجال الادارة المحلية ) ، وقد بلغ مقدار المال الميرى الذى يدفع عن هذا الجمرك فى نهاية القرن الثامن عشر ، حوالى ٢٧٣٫٩٦٦ بارة سنويا (٣٦) .

**( هـ ) جمرك بولاق ومصر القديمة (**)** : وهما يشكلان وحدة واحدة منذ بداية العصر العثمانى ، ويرتبط بهما عدد من المقاطعات الأخرى ووصلت ايرادات هذا الجمرك سنة ١٧٩٨ حوالى ٣٫٥١٥٫٤٣٧ بارة ، وكان يدار فى البداية بمعرفة الباشا العثمانى ثم انتقل الى أوجاق مستحفظان حتى سنة ١٧٧٢ ، بعد أن استحوز البكوات المماليك على ايراده . وبينما أوضحت سجلات الروزنامة أن مجموع ايرادات الجمارك السابقة ( ١١١٢ هـ

---

(*) قدر استيف دخل جمرك دمياط بما يقرب من ١١٫٥٤٨٫١٠٤ بارة سنويا .

(٣٦) Raymond : op. cit., p. 627.
De Forbin : op. cit., pp. 11-16.

(**) يرى استيف بأن متوسط دخل هذين الجمركين معا وصل حوالى ١٥ مليون بارة فى أواخر القرن الثامن عشر .

ـ ١٧٠٠م ) فى بداية القرن الثامن عشر وصل الى ١٤٫٠٠٩٫٣٨٢ بارة ،
فان أحد المؤرخين الأجانب يوضح بأن متوسط دخل الجمارك السابقة ـ
فيما عدا جمرك السويس ـ قد وصل الى ما يقرب من ٣٩٫٨٣٣٫٩٨٦
بارة سنويا ، اختص ملتزموها بنسبة ٦٣٪ من هذا الايراد والباقى للخزينة
( مال ميرى ) (٣٧) . وقد يكون هذا التقدير المذكور أقرب الى الصواب ،
خاصـة وقد اشتد النشـاط التجارى العالمى على طرق المواصلات عبر
مصر فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر .

ومما سبق ، يمكننا أن نستخلص عدة أمور :

**أولا** : استأثر رجال العنصر المملوكى ـ بصفة عامة ـ بأهم المناصب
فى اجهزة الادارة المحلية بالولايات ( الأقاليم ) وفقد أبناء العنصر العثمانى
مكانتهم السابقة فى القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع
عشر .

**ثانيا** : فسدت اجهزة الادارة المحلية ، وتراخت قبضة الباشا العثمانى
لمنع ظلم الكشاف والصناجق الذى لحق ـ بشكل متزايد ـ بأهالى القرى
من الفلاحين .

**ثالثا** : عجزت جماعات العسكر المستقرة بالأقاليم ـ أحيانا ـ عن
مواجهة اعتداءات العربان المستمرة ، وتواطأ رجال الادارة المحلية والمركزية
مع هذه القبائل احيانا أخرى .

**رابعا** : تخلت الدولة ـ نظرا لما حل بها من ضعف ـ عن تعيين قباطنة
الثغور ، وشغل هذه المناصـب الهامة أمراء الألوية الشريفة ، والبكوات
المماليك فى القرن الثامن عشر .

---

(٣٧) سجلات الروزنامة : دفتر بقايای مال شتوى وصيفى برقم ٧٥ .
ـ سجلات الروزنامة : دفتر أمناء مذكورين ملتزمين مقاطعات ، رقم
٢٨٠ .

Raymond : op. cit., p. 624.

**خامسا :** استولى أوجاق مستحفظان منذ النصف الأخير من القــرن السابع عشر وحتى وصول على بك الكبير الى الحكم على ما لا يقل عن نصف ايرادات الجمارك السابقة ، أوفقد بذلك الباشا العثمانى اهم موارده .

**سادسا :** وجه على بك الكبير ضربات قاصــمة للكيان العســكرى للأوجاقات تمثل فى حرمانها من مواردها الأساسية ( الجمارك ، المقاطعات )، وتخلص من صدور الأوجاقات وقياداتها المؤثرة خلال معاركه ضد خصومه حول السلطة ، وفى تجاريده الى بلاد الشام والحجاز .

**سابعا :** احتكر أمراء المماليك الذين خلفوا على بك الكبير أهم مصادر الدخل بالولاية ( ايرادات الجمارك ) كما سيطروا على الالتزامات الواسعة ايضا ، وعززوا بذلك كيانهم الاقتصادى والسياسى .

**ثامنا :** عجزت الدولة العثمانية عن التصدى لنفوذ أمراء المماليك ، واستعادة سيادتها على ولاية مصر منذ النصف الأخير من القرن الثامن عشر .

# الباب الرابع

## الأوجاقات والحياة الاقتصادية

بسم الله الرحمن الرحيم

## الفصل السادس عشر

## العسكر والزراعة وحيازة الأراضى

### بداية اشتغال العسكر بالزراعة :

نشأ اهتمام الأجناد بارتياد ميدان الزراعة بمصر العثمانية من ناحيتين :

الأولى : الاعتماد عليهم فى ادارة الأراضى الزراعية منذ بداية تطبيق نظام المقاطعات ( الأمانات ) ثم نظام الالتزام منذ منتصف القرن السابع عشر .

والثانية : اضطلاع العسكر السباهية بمهام الادارة المحلية ( حكام الأقاليم ) فى سائر ولايات مصر (١) .

وبذلك أتيحت أمامهم فرصة الاحتكاك بالأهالى وقويت الرغبة فى تحسين مواردهم ، ويعد الجند السباهية طليعة العسكر الذين اشتغلوا بالزراعة منذ مطلع الحكم العثمانى وتزايد الاقبال خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر . واذا كان الأمر يبدو مقبولا بالنسبة للجند السباهية باعتبارهم من رجال الادارة المحلية وذوى العلوفات الصغيرة بالنسبة لغيرهم ، الا أنه من الملفت للنظر اقدام جماعات أخرى من ( المتفرقة والجاويشية ) العاملين فى خدمة الديوان العالى والباشا العثمانى بالعاصمة على دخول ميدان الالتزامات وشئون الزراعة ، كما تخلى رجال من طائفتى ( مستحفظان وعزبان ) المكلفتين بحفظ الأمن بالقلعة — مقر الحكم العثمانى

---

(١) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

بمصر — وبالمدينة عن مهامهم ، وانصرفوا الى الأقاليم بحثا وراء موارد اقتصادية جديدة (٢) .

ولم يقتصر الأمر على صغار العسكر من أصحاب العلوفات المحدودة ، وانما شارك كبار رجال الأوجاقات من الأغوات والكتخداوات والجوربجية مرءوسيهم فى هذا النشاط الزراعى المتزايد ، كما حرص الباشوات ورجال الادارة والمالية علـى استـغلال نفوذهم فى مجـال الالتزامات الواسعة والمربحة (٣) .

انتشرت فى مختلف الأقاليم بمصر جماعات عسكرية متعددة فى القرن السابع عشر ، واتضح تدريجيا شدة اهتمام العناصر المملوكية التى التحقت بالأوجاقات بحيازة الأراضى الزراعية سواء بالالتزام او بالتملك ، لتقوى بذلك سيطرة المماليك فى الميدان الاقتصادى ، ويظهر أثرها واضحا فى القرن الثامن عشر .

**أنواع الأراضى الزراعية بمصر :**

انقسمت الأراضى الزراعية الى ثلاثة أقســام رئيسية خلال القرن الثامن عشر ، ويمكن تصنيفها على النحو التالى :

**( أ ) الأراضى الديوانية ( الخراجية )** : وتتشـكل هذه الأراضى معظم المســاحة المزروعة بمصر ، فى القرن الثامن عشر ، وتعد ملكا للسلطان العثمانى ، ويؤدى عنها المال الميرى ( الخراج ) ، وهذا النوع من الأراضى كان واقعا فى أيدى الملتزمين على شكل حصص التزامات متعددة ، ويختص الملتزم بجانب منها يعرف باسم ( أرض الأوسية ) ومعفاة من كافة أنواع الضرائب ، ويسـخر فى زراعتها الفلاحين والمرابعين ، بينما يسـتأجر

---

(٢) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٤٥٥ ، س ١٨ ق ٤١٥ ، س ٤٩ ق ٢٣٧ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧٣ ، ق ٥٨ ، ق ١٠٥ ، ق ٣١٢ .

(٣) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ، وما بعدها .

الفلاحون باقى المساحة من حصة الالتزام والتى عرفت باسم ( ارض الأثر ) فى الوجه البحرى ، بينما اطلق عليها اسم ( أرض المساحة ) فى الصعيد (٤) .

( ب ) **اراضى الأوقاف والرزق** : وهى مساحات من الأراضى الزراعية التى وقفها السلاطين والأمراء المماليك ، فضلا عن أوقاف السلاطين والباشوات والأمراء العثمانيين ، والتى خصصت ايراداتها للانفاق على عدة وجوه خيرية كتلك المرصدة على أهالى مكة والمدينة والحرمين الشريفين ، وغيرها من المساجد والأسبلة والمدارس والبيمارستانات .. وهذه الأراضى بصفة عامة لا يدفع عنها ضرائب بالشكل المعتاد ، وانما يحصل ما يعرف باسم ( مال الحماية ) مقابل جهود رجال الادارة المحلية من الكشافة والعسكر (٥) .

( جـ ) **اراضى الاطلاق ( الاوتلاق )** : وهى التى خصصت لمراعى خيول الباشا العثمانى وكبار رجال الطبقة الحاكمة من الأغوات والصناجق ، وكان يقطعها الباشوات لأمراء الألوية الشريفة من البكوات المماليك وأغوات الخزينة العامرة ، كما يدخل فى نطاقها تلك الأراضى التى ينعم بها الباشوات على بعض اغوات الأوجاقات مكافأة لهم على ما بذلوه من خدمات ومهام للدولة سواء فى حروب السلطان أو فى اقرار الأمن بولاية مصر . ويقع هذا النوع من الأراضى فى ملكية اصحابها ، وفى القرن الثامن عشر أتاح الباشوات لعدد من الملتزمين — وهم غالبا من أمراء المماليك — الذين تقع فى دائرة التزاماتهم هذه الأراضى ضمها الى ( أرض الأوسية ) التى يزرعونها لحسابهم ، مقابل اموال معينة تدفع للباشا العثمانى (٦) .

---

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٦٩ — ٧٠ .
— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .
(٥) سجلات محكمة القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٦٤ ، س ١١٥ ق ٣٧ ، س ١٢٠ ق ٥٧ ، س ١٥٢ ق ١٠٣ ، ق ١٢٥ .
(٦) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٥٧ وما بعدها .

عنى أمين الشونة الشريفة ( الأنبار ) بتوزيع التقاوى ( تقاوى السلطان ) على المزارعين من خلال الكشاف ( حكام الأقاليم ) ورجالهم فى مواسم تخضير الأرض ، واختلفت المحصولات المزروعة فى نواحى البلاد منها : الغلال ( القمح والشعير والأرز ) والبتول ( الفول والعدس والسمسم والحمص والباسلاء ) الى جانب الكتان وقصب السكر والخضروات المختلفة (٧) .

وتعتمد الزراعة فى مصر — منذ القدم — على مياه النيل التي توزع من خلال شبكة من الترع والقنوات ، ويرتبط الرخاء أو الجدب بمدى ارتفاع منسوب مياه النيل أو انخفاضه ، ففى بعض السنوات يكون منخفضا مما يؤدى الى حدوث الشراقى فى الأراضى البعيدة عنه ، وأحيانا أخرى يكون مرتفعا عن الحد المطلوب فيشكل خطرا داهما على المزارع والقرى المحيطة .

ومن أهم مسئوليات الادارة المحلية بالأقاليم — الصناجق والكشاف — العناية بجرف الجسور — السلطانية بصفة خاصة — وذلك لضمان توزيع المياه بشكل مناسب على كافة الأراضى الزراعية ، وتفرض رسوم معينة لهذا الغرض على كل فدان للوفاء بعوائد رجال الادارة المحلية .

اقتضت شئون الزراعة اعتماد العسكر على رجالهم من المماليك وابناء القرى من المرابعين ، كما شارك الملتزمون من الجند شيوخ القرى والتجار والعلماء من الأهالى فى حصص التزامات مختلفة ، وقويت العلاقات الاجتماعية بين الجانبين من خلال هذا النشاط الاقتصادى المشترك (٨) .

---

(٧) قانون نامة مصر ، ورقة ٤٣ .

(٨) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٣٧٥ ، ق ٤١٥ ، ق٥١٢ ، س ١٢٠ ق ٥٧ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصـــورة : س ١٨ ق ٤١٢ ، ق ١٦٢ ، ق ١٠٧ ، س ٤٩ ، ق ١٧٧ ، ق ١٨٨ ، ق٢١٧ .

اختلفت قيمة حلوانات الالتزامات فى مختلف القرى تبعا لجودة الأرض وخصوبتها ، ومدى انتفاعها بمياه النيل أو الآبار الجوفية ، كما تتغير قيمة ايجار الفدان ومتوسط سعره من وقت لآخر تبعا لهذه الاعتبارات المذكورة .

كانت أراضى الوجه البحرى غالبا — ما يؤدى عنها الخراج نقدا ، بينما يدفع خراج أراضى الصعيد عينا من مختلف الحبوب والغلال ، أما بالنسبة لأراضى الرزق والأوقاف فكان مستأجروها يقدمون ما هو مفروض عليهم من الضيافات كما تشير عقود الايجار من الأغنام والطيور والسمن الى جانب الايجار النقدى المعلوم (٩) .

وتكشف لنا وثائق محاكم الأقاليم عن عدة مشاكل تعترض الزراعة خلال القرن الثامن عشر لعل أهمها مشكلة الخلافات الناشبة بين الملتزمين وابناء القرى من المزارعين حول توزيع مياه الرى عندما ينخفض منسوب مياه النيل فى بعض السنوات ، من ذلك ما حدث سنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩م من نزاع بين ملتزمى ناحية ( جلموه ) ومزارعيها الذين تضرروا لعدم وصول المياه الى أراضيهم التى صارت شراقى بعد أن منع أهالى قرية ( منية فضالة ) وصولها لاستكمال رى زراعتهم ، رفع المتضررون شكواهم الى قاضى الشرع بمحكمة المنصورة — مقر الولاية — فارسل متسلم الولاية — نائب الكاشف — خازنداره وعدد من العسكر للتحقيق فى صدق دعواهم ، ليتولى رجال الادارة المحلية معالجة المشكلة (١٠) .

تأزمت هذه المشكلة حتى أواخر القرن الثامن عشر ( ١١٩٩ هـ/١٧٨٤م )

---

(٩) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٤٨ ، ق ١١٥ ، ق ٢١٣ .

— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(١٠) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٤٥٥ ، ق ٤٥٨ ، ق ٤١٥ ، ق ١٠٥ ، س ٤٩ ق ٢٣٧ ، ق ٥١٢ ق ٧٠٢ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧٣ ، ق ٢٠٥ ، ق ٦٠٧ ، ق ٣١ ، ق ١٥٤

بعد أن عجزت أجهزة الادارة بالولاية عن معالجتها ووصلت بذلك لرجال الحكم بالعاصمة ، واهتم القائمقام ( الأمير ابراهيم بك قايمقام مصر حالا ) بنفس القضية وبعث مندوبا الى أحد الأمراء المماليك ( قايمقام السنبلاوين ) ومشايخ قرية ( منية فضالة ) الذين تسببوا فى انحسار المياه عن القرى المجاورة ، ويتضح من الوثائق اهتزاز قبضة الادارة وتضارب اتجاهاتها بعد أن طغى نفوذ الملتزمين من كبار البكوات المماليك .

كما واجه أهالى ناحية ( أبشاق الحمير ) بولاية البهنساوية ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤٢م ) ، نفس المشكلة بعد أن سد ملتزمو ناحية ( مطاى ) الترعة التى تمد القرية الأولى بمياه الرى ، فرفع الأهالى شكايتهم مباشرة الى الديوان العالى بالقاهرة ومنع المدعى عليهم — شكلا — من الاجراء المذكور (١١) .

وتؤرق الباشا العثمانى نفسه مشكلة أخرى تتعلق بتآكل الجسور الأمر الذى يحول دون وصول المياه للأراضى وغرق القرى والمزارع المجاورة للجسر المتدهور .

أبدى رجال الادارة بولاية الدقهلية فشلهم فى سد جسر بحر ( سندوب ) سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م ، فأرسل ( حسن باشا ) بيورلديات الى حاكم الولاية وكافة السرادرة والجورباجية والعسكر بالاقليم والملتزمين والأهالى بضرورة التكاتف وبذل الجهود لترميم هذا الجسر الذى تهدم لمسافة ( ٤٥ قصبة حاكمى ) ، وبعد اتمام العمل تم ابلاغ الباشا من خلال قائمة صادرة من المحكمة الشرعية تبين المصروفات التى أنفقت فى هذا الغرض (١٢) .

---

(١١) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س١٨ ق٤٤٢ ، ق١١٥ ، ق ١٦٢ ، ق ٧١٢ ، س ٤٩ ق ١٧٧ ، ق ٢١٣ ، ق ٥١٧ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧٣ ، ق ٦١٥ ، ق ٨٠٣ .

(١٢) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٩٠٨ ، س ٥٠ ق ١١٠ ، ق ٣٠٥ .

وتشكل تعديات الملتزمين من الأجناد على أراضى الأهالى من الرزق والأوقاف مشكلة خطيرة لا يملك الأهالى ازاءها سوى الاذعان لذلك أو الاستغاثة بالباشوات أحيانا لنصرتهم . وقد أتيحت الفرصة أمام الأهالى ( شيوخ القرى ) للاستنجاد بحسن باشا قبطان أثناء وجوده بمصر سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٧م الذى أصدر فرماناته الى قضاة الشرع فى مختلف الولايات لتمكينهم من أراضيهم بعد فحص المستندات الدالة على ملكيتهم لهذه الرزق وحذر من معارضة تنفيذ أوامره .

وفى نفس الوقت كان الملتزمون يحرصون على الزام مشايخ النواحى التى تقع فيها التزاماتهم بالتضامن لدفع مال الميرى كاملا وعمارة الجسور وتطهير الترع خلال مدة الالتزام فكانوا مسئولين مباشرة اذا ما تهرب أو عجز أحد الفلاحين عن سداد ما عليه للملتزم (١٣) .

واذا كان هناك كثيرون من العساكر الملتزمين قد طابت لهم الاقامة بالأقاليم ، وخاصة فى البنادر قريبا من حصص التزاماتهم لمباشرة شئونها بأنفسهم ، وهم غالبا من أوجاقات السباهية المرتبطين أكثر من غيرهم بالبلاد ، فان كبار الأغوات والأمراء المماليك قد اتبعوا أسلوب المالك المتغيب تاركين شئون التزاماتهم فى أيدى رجالهم من المماليك ( قايمقامات ) وانصرفوا

---

(١٣) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٠٧ ، ق ٢١٥ ، ق ٦٧٤ ، ق ٢٦٤ ، ق ٣١٧ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٥٧ ، ص ٢١٨ ، ص ٦٠٥ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣٣٠ ، ٥١٦ ، ٢٦٥ ، ص ٢١٥ .
— سجلات الديوان العالى : س ٢ ق ٤١٥ ، ق ٦٠٧ ، ق ٧١٢ ، س ١ ق ٥٥ .
سجلات محكمة القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ١٦٣ ، ق ٢٠٧ ، س ١١٩ ق ٢٢٩ ، ق ٢٠٦ ، ق ٣١٣ ، ق ٥٥٦ .

السكنى بالعاصمة ، لمتابعة التطورات التى تجري على المسرح السياسى من صراعات مملوكية متواصلة حول المناصب الهامة فى ولاية مصر (١٤) .

وقد أدى غياب كبار الملتزمين عن التزاماتهم من ناحية والصراع التقليدى بين البيوت المملوكية التى ينتمى اليها الملتزمون — وهم من كبار البكوات المماليك — من ناحية أخرى الى نشوب الخلافات المستمرة بين نواب الملتزمين فى الأقاليم خاصة وقد عجزت أجهزة الادارة المحلية فى معظم الأحيان عن الفصل فى هذه النزاعات بشكل حاد .

**النشاط الزراعى للعسكر فى القرن الثامن عشر :**

توضح وثائق المحاكم الشرعية انتشار العسكر لمباشرة شئون الزراعة والالتزام فى مختلف الولايات بمصر ، وسوف نتناول هذا التوزع فيما يلى :

**اولا : ولايات الوجه البحرى :**

١ — **ولاية الشرقية** : اشتغل بالزراعة فى كافة القرى التابعة لهذه الولاية اعداد من العسكر ينتمون لمختلف الأوجاقات ، وتتفاوت حصص الالتزام ومساحات الأراضى التى يستأجرونها تبعا للرتبة العسكرية من جهة والمستوى الاجتماعى من جهة أخرى . دخل كتخداوات جماعة مستحفظان وهم أصحاب النفوذ العسكرى والسياسى بالعاصمة مجال الالتزام ، فنجد أحدهم يلتزم بعدة حصص فى ناحية ( ابو كبير ) بالشرقية فضلا عن ناحيتى ( طحلا العرب ، طوخ القرموص ) بالقليوبية ، وبناحية ( شرشر ) بالجيزية ، كما عنى بتربية الماشية والأغنام بأعداد هائلة بغرض التجارة فيها وترك

---

(١٤) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧٦ ، ق ٩٨ ، ق ٢١٧ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ، ق ١٣٢ ق ٥١٣ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٣١ ، ٥٦ ، ٦٥ .
— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

مخلفات وصلت حوالى ( خمسة عشر كيســا مصريا ) سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٩م (١٥) .

واستحوذ أحد المماليك القازدغلية ويشغل منصب ( باش جاويش مستحفظان ) على عدة التزامات ( نصف كامل ناحيتى شباس عمير ومنية عويس ) وثلث كامل ناحية ( قراجه ) بالشرقية وأدى حلوانها البالغ حوالى ( ١٠١ كيس مصرى سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ) وهذا يعكس مدى ثــراء رجال البيوت المملوكية بمصر .

واستأجر باش جاويش مســتحفظان سابقا نصف كامل ناحية ( بنى عياض ) بأجرة سنوية قدرها ( ٣٥٫٠٠٠ نصف فضة ) خارجا عن المــال الميرى وخلافه (١٦) .

والتزم أوده باشية مستحفظان بعدة حصص فى ولاية الشرقية أيضــا ، ويبدو أن هناك تفاوت فى حلوان حصة معينة فى نفس العام ، فبينما التزم أوده باشى مستحفظان بنصف كامل ناحية ( بنى عياض سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) بحلوان قدره سبعة أكياس تمكن من الحصول على مكسب قدره ( كيس ونصف كيس ) بعد أن تنازل عنها لأوده باشى فى نفس الأوجاق سنة ١١٥٤ هـ مقابل حلوان قدره ( ثمانية أكياس ونصف كيس ) (١٧) .

---

(١٥) سجلات القسمة العســكرية : س ١١٤ ق ٤٤٦ ، ق ٤٤٨ ، ق ٥١٢ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٥٤ ، ق ٥٣ ، ق ٥٣ ، ق ٢٣٥ ، ق ٣١٣ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٦٧ ، ٧٧ ، ١١٢ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٢١٧ ، ٣٢٨ .

(١٦) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٥٤ ، ق ٥٤ ، ق ٥١٧ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٧ ، ص ٩٨ .

(١٧) اسقاطات القرى : س ١ ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٤ ، ١٠٢ ، ٣٦٤ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٦٦٨ ، س ١٢٢ ق ٣٧ ، ق ٦٥ .

والتزم أوده باشى مستحفظان آخر بثلث كامل ناحية ( الاسدية ) سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م بعد أن أدى حلوانا قيمته ( ٥٨٫٠٠٠ نصف فضة ) كما ضم حصة قدرها عشرة قراريط من كامل ناحية ( عزيزية بنى شاكر ) وحلوانها ٢٥٠ كيســا مصريا ، واهتم سرادرة أوجاق مستحفظان وهم من المماليك ( أتباع البكوات ) بحيازة الالتزامات بحكم وجودهم ببندر الولاية ( بلبيس ) فى خدمة حاكم الاقليم ( الصنجق ) ، من هؤلاء أحـد السرادرة الذى التزم بحصة قدرها قيراطين من كامل ناحية ( صفط الحنا ) ، الى جانب اشتغاله بتجارة البن اليمنى بكميات كبيرة ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م ) (١٨) .

وحاز رجال أوجاق مستحفظان من الأفراد المماليك حصصا أخرى ، من ذلك التزم أحدهم بربع كامل ناحيتى ( العسلوجى وسند نهور ) بالشرقية بحلوان ٨٢٫٠٠٠ نصف فضة سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م .

وغالبا ما يخلف المملوك سيده فى حيازة التزاماته بعد أن يؤدى حلوانها للديوان ومن ذلك أحد المماليك الذى يلتزم بقيراط من كامل ناحية ( شرشيمة ) وحلوانه ٧٫٠٠٠ نصف فضة ، فضلا عن قيراط من كامل ناحية ( مشــتول القاضى ) وحلوانه ٣٥٫٥٧٠ نصف فضة سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م .

ودخل افندية أوجاق مستحفظان أيضا مجال الالتزام بولاية الشرقية فنجد أحدهم يلتزم بالنصف من كامل ناحية ( غيته ) وحلوانه كيسين مصريين ( سنة ١١٤١ هـ ) . وبذلك أسهم رجال أوجاق مستحفظان بنصيب وافر فى التزامات ولاية الشرقية (١٩) .

وتقدم كتخـداوات أوجـاق عزبان للالتزام بولاية الشرقية من ذلـك

---

(١٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٢٩ ، ق ٤٠٥ ، س ١١٤ ق ٤٤٦ ، س ١٥٢ ق ٤٣٩ ، س ١١٥ ق ٨٥ ، س ١١٤ ق ٣٦٢ .

(١٩) ســجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٥٤ ، ق ٢١٥ ، ق ٥٤ ، ق ٣٢٩ ، ق ١ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٨ ، ١٠٧ ، ٢١٣ .

( الأمير حسن كتخدا عزبان باش اختيارية عزبان الشهير بالرزاز ) وهو صاحب أحد البيوت المملوكية المعروفة ، يلتزم بنصف كامل ناحية ( الشون ) وحلوانها ٤٠ كيسا مصريا سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ، وقد أورث هذا الكتخدا خمسة من أتباعه وهم جوربجية عزبان هذه الحصة المذكورة . ومن بيت الجلفية المملوكي يلتزم أحد كتخداوات عزبان أيضا بحصة قدرها السدس من كامل ناحيتى ( شبلنجة ، تل مسمار ) بعد أن دفع حلوانها وقدره ٢١ كيسا مصريا للملتزم الأسبق وهو جوربجى عزبان من المماليك (٢٠) .

ومن الملاحظ اتجاه بعض القادة من الجوربجية لمشاركة مماليكهم أو مرءوسيهم من العسكر فى نفس الأوجاق حصص الالتزامات ، من ذلك جوربجى عزبان يشارك اثنين من المماليك بحصة قدرها عشرة قراريط من كامل ناحية ( عزيزية بنى شاكر ) وتقاسموا دفع حلوانها خمسة وعشرين كيسا مصريا . ويشارك جوربجى آخر ( الأمير رضوان جوربجى عزبان تابع المرحوم الأمير حسن كتخدا الرزاز ) ستة من العسكر المماليك ( عزبان ) فى التزام حصة قدرها النصف من كامل ناحيتى ( العقدة ــ شبلنجة ) وحلوانها سبعون كيسا بعد أن تنازل عنها كاتب ببلك الجوالى كان ملتزما لها بمفرده (٢١) .

وتقل حصص الالتزامات الخاصة بأفراد أوجاق عزبان من العسكر المماليك حسب قدراتهم المادية ، من ذلك التزام أحد مماليك عزبان بحصة قدرها السدس ٤/٢٤ من كامل أراضى ناحية ( بتمدة ) وحلوانها كيسين

---

(٢٠) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٥٨ ، ق ٣٢٩ ، ق ٢٣٥ ، ق ٦٠٥ ، ق ٢٤١ ، ق ٢٤٦ ، ق ٧١٥ .

(٢١) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٦ ق ٣٩٩ ، س ١١٤ ، ق ٣٦١ .

ــ محكمة بولاق : س ٦٣ ق ٢٣ ، ق ٧٥ ، ق ١٠٥ .

ــ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣١ ، ق ١٥٥ ، ق ١١٧ .

ــ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٤٨ ، ق ١٣٥ .

مصريين ، وقد يشارك الأفراد بعضهم البعض فى التزام حصص متعددة ، من ذلك اشتراك اثنين من مماليك عزبان فى حصص ( السدس من كامل ناحيتى كرديدة والولجه ) الى جانب ٢/٢٤ من كامل ناحية ( قرقه ) (*) بعد أن دفعوا حلوانا قدره ثمانية أكياس مصرية سنة ( ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م ) (٢٢) .

وقد أتاح وجود رجـال أوجاقات السباهية بولاية الشرقية للنهوض بأعباء الادارة المحلية المجال أيضا للمشاركة فى ميدان الزراعة ، فمن أوجاق الجراكسة ـ والذى اصطبغ بصبغة مملوكية واضحة ـ تصدى جوربجية للالتزام من ذلك نجد أحدهم يلتزم بحصة قدرها قيراطين من كامل ناحية ( هرية الرزنة ) بعد أداء حلوانها وقدره كيسين مصريين ثم تنازل عنها فى فى نفس العام ( ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ) ليحصل على مكسب قدره نصف كيس ، ثم استأجرها بمبلغ ٤٥٠٠ نصف فضة سنويا .

والتزم جوربجى آخر بقيراطين من كامل ناحية ( منية بشار ) وحلوانها ٢٫٥ كيس مصرى ، ليقوم بتأجيرها لجوربجى فى نفس الأوجاق من الاختيارية بأجرة سنوية ٩٠٠٠ نصف فضة ، خارجا عن المال الميرى وخلافه (٢٣) .

وتتضاءل حصص التزامات جوربجية أوجاق الجراكسة ليصل نصيب أحدهم نصف قيراط ، من كامل ناحية ( النخاس ) الذى أسقطه جوربجى آخر من أوجاق الكوملية مقابل حلوان قدره نصف كيس مصرى سنة ( ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م ) ويلتزم أفراد الجراكسة بحصص مماثلة لقادتهم من الجوربجية ،

---

(٢٢) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٤٢ ، ق ٤٢٥ ، ق ٤٢٦ .
ـ سجلات القسمة العسكرية : س ١١٦ ق ٥٧٠ ، س ١١٥ ق ٦٧٢ ، س ١٢٠ ق ٦٠٤ ، س ١١٨ ق ٥٦٨ حتى ق ٥٧٣ .

(٢٣) سجلات الديـوان العالى س ١ ق ٤٤٠ ، ق ٤٥٥ ، ق ٦٠ ، ق ٥٩ ، ق ٤٣٨ .

(*) حاليا المحمدية ( مركز منيا القمح ـ الشرقية ) .

من ذلك التزام أحد مماليك الجراكسة بحصة قدرها قيراطين من كامل ناحية ( منية حمل ) وحلوانها كيسين مصريين سنة ١١٥٥هـ / ١٧٤٢م (٢٤) .

من هذه الأمثلة السابقة يتضح انخفاض مستوى أوجاق الجراكسة — باعتباره من السباهية — عن أوجاقى ( مستحفظان وعزبان ) من خلال دراسة حصص الالتزامات بالولاية ، كما يبدو أيضا تحايل الملتزمين من الجوربجية والأفراد بسرعة التنازل عن حصص التزاماتهم بحثا عن المكسب ، وتختلف قيمة استئجار القيراط الواحد من كامل أراضى ناحية معينة عن الأخرى بشكل كبير ، حتى ولو كانت قيمة الحلوان متقاربة ، ويرجع ذلك الى عدم وجود لوائح ثابتة تحدد هذه القيمة والتى تخضع لأهواء الملتزمين المتعددة .

وشارك رجال أوجاق الكوملية — من السباهية — زملاءهم فى التزامات أراضى ولاية الشرقية ، من هؤلاء أحد جوربجية الأوجاق وكان (سردارا جداويا سابقا ) يلتزم بحصة قدرها تسعة قراريط من كامل ناحية ( شبرا قمص ) وترك شئون التزامه لأتباعه بينما استقر بالقاهرة بخط الدرب الأحمر تجاه جامع الماردانى ، وحقق دخلا بسيطا بالنسبة لرتبته ، فقد بلغت قيمة مخلفاته أربعة أكياس مصرية ١١٣٥هـ / ١٧٢٣م . بينما نجد جوربجيا آخر يلتزم بحصة فى ناحيتى ( ميت أبو خالد — صفط ) كما أنه اشتغل بالتجارة فى القاهرة بخط ( الجمالية ) وحقق بذلك مستوى مرتفعا نسبيا حيث بلغت مخلفاته ما يقرب من أربعة عشر كيسا مصريا سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م (٢٥) .

ويستأجر جوربجى كومليان — وهو مملوك — ربع كامل ناحية ( سلمنت ) لمدة ثلاث سنوات ليدفع أجرة سنوية ١٠٠٠٠٠ نصف فضة . وفى أواخر

---

(٢٤) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٤٥٧ ، ق ٣١٢ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٤٨ ، ٩٥ ، ٢٩٢ .

(٢٥) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧١ ، ق ٩٧ ، ق ١٠٥ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢١ ق ٨٤٠ ، ق ٥٠٣ ، محكمة طولون س ٢١٩ ق ٣٨٣ .

القرن الثامن عشر بصفة عامة يلاحظ تفتت حصص الالتزامات ، فنجد أحد المماليك الكوملية يلتزم بحصة قدرها ثلث قيراط من كامل ناحيتى ( شبلنجة ، الطيبة ) مقابل حلوان قدره كيسين مصريين سنة ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م ، وشارك رجال الكوملية فى بعض النواحى الأهالى من الشيوخ والتجار فى التزام حصص محدوودة (٢٦) .

والتزم رجال أوجاق التوفكجية — من السباهية — بمساحات متعددة فى ولاية الشرقية من هؤلاء نذكر جوربجى توفكجيان الذى التزم بعدة حصص فى نواحى ( النخاس — الأحراز — كفر صوان — كفر الحيوان — صفط ) ، وأجرها للفلاحين ، وأشرف على زراعة جانب كبير لحسابه ، واقتنى اعدادا كبيرة من المواشى والأدوات الزراعية ، وارتفعت مخلفاته لتصل لحوالى اثنى عشر كيسا مصريا من خلال نشاطه الزراعى .

ويلتزم جوربجى آخر — من المماليك —بحصة قدرها قيراطين من كامل ناحية ( القنيات ) ويؤجرها لأحد أعيان جماعة المتفرقة بأجرة سنوية قدرها ٢٢٫٠٠٠ نصف فضة وهى أجرة مرتفعة بالنسبة لغيرها من النواحى ، خارجا عن المال الميرى ( سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م ) . كما التزم جوربجى أيضا بحصة قدرها تسعة قراريط من كامل ناحية ( منية الخنازير ) * مقابل حلوان قيمته عشرة أكياس مصرية سنة ١١٦٤هـ / ١٧٥١م (٢٧) .

ويشارك أفراد الأوجاق بحصص أقل ، من ذلك أحد التوفكجية يلتزم

---

(٢٦) سجلات الديوان العالى : س ٢ ق ٦١ ، ق ٧٥ ، ق ١٠٨ ، س ١ ق ٦٦ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٦ ق ٣٩٩ ، ق ٤٠٧ ، ق ١٨٧ .

— سجلات محكمة الباب العالى : س ٢٨٤ ق ٩ ، ق ٢٩ .

(٢٧) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٥٥ ، ق ٢١٧ ، ق ٥٠٣ ، س ٢ ق ٩١ ، ق ٢١٠ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٧٩ ، ق ٢٧٠ ، س ٢٠٢ ق ٤ .

— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ١١١٢ ، ق ١١١٥ .

* وهى حاليا ميت السباع تابعة لمركز بنها بالقليوبية .

بحصة قدرها قيراط ونصف قيراط بكامل ناحية ( البلشون ) وحلوانها ٣٠٠ ريال حجر بطاقة سنة ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨م .

وقد امتد نشاط رجال أوجاقى ( المتفرقة والجاويشية ) الى ميـدان الالتزام وخرجوا بذلك عن مجال العمل الأساسى فى خدمة الباشا العثمانى والديوان بالعاصمة ، ومن فحص أسماء رجال هذين الأوجاقين الواردة بسجلات المحاكم الشرعية يتبين لنا غلبة العنصر المملوكى فى القرن الثامن عشر ، وتغير بذلك تكوينهما بعد أن كان قاصرا على العنصر العثمانى فقط ، خلال قوة السلطة العثمانية فى القرن السادس عشر (٢٨) .

استقر بعض أغوات المتفرقة العاملين فى الالتزام بالقاهرة ، وانصرف اتباعهم لمباشرة أمور الالتزامات بنواحى ولاية الشرقية ، من ذلك احد الأغوات الذى التزم بحصة فى ناحية ( دهشمة ) ، وبلغت مخلفاته قدرا متوسـطا وصل نحو ستة أكياس مصرية .

ويلتزم خازندار ( غازى باشا ) وهو من رجال المتفرقة بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( النخاس ) وحصة قدرها قيراط بناحية ( القنيات ) .
كما شارك اختيارية المتفرقة ( المتقاعدين ) فى مجال الالتزام ، من ذلك باش اختيارية الأوجاق الذى التزم بحصة قدرها خمسة عشر قيراطا من كامل ناحية ( القنيات ) ويلتزم أحد الاختيارية أيضا بحصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( البردين ) وحلوانها حوالى ستة أكياس مصرية ( سنة ١١٥٥هـ ١٧٤٢م ) .

وحذا أفندية المتفرقة ــ وهم من المماليك ــ حذو رجال الأوجاق ، فنجد أحدهم يلتزم بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( ظهر بنى أنس ) وحلوانها

---

(٢٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٢٣٨ ، س ١١٤ ق ٤٤٠ .
ــ سـجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٠٧ ، ق ١٢٥ ، ق ٢٩٥ ، ق ٣٢٧ .
ــ استاطات القرى : س ١ ق ٩٧ ، ص ١٠٥ ، ص ١١٧ .

يصل الى ستة اكياس وخمس كيس مصرى ، ويستاجر أحد الافندية حصة قدرها قيراطين من كامل ناحية ( الجوسق ) لمدة سنة بأجرة قدرها ستة آلاف نصف فضة ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م ) ، وهى جارية فى التزام أحد رجال الأوجاق . ومما يذكر بقاء تلك الرابطة التى نشأت بين رجال أوجاقى المتفرقة والجاويشـية ، وحرص نفر منهم على ايجـاد التزامات لقاصرى زملائهم المتوفين لتكون بمثابة مورد مالى يوفر دخلا مناسبا لهم ، كما هو الحال بالنسبة للعلوفة والجراية (٢٩) .

ويظهر اهتمام رجال الجاويشية بحيازة التزامات بنواحى ولاية الشرقية ، من ذلك أحد أمراء الجاويشية وهو من البكوات المماليك يلتزم بحصـتين الأولى قدرها النصف من كامل ناحية ( شرقية مباشر ) والثانية وقدرهـا الربع من كامل ناحية ( مباشر ) وقد أدى حلوانا قدره أحد عشر كيسا مصريا ( سنة ١١٦٤ هـ / ١٧٥١م ) .

ويشارك أحد المماليك سيده من أمراء الجاويشية فى حصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( منية القمح ) وحلوانها كيسين مصرى ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٨٧م ) ، ويلتزم أمير من الجاويشية بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( بنى حسـين ) وحلوانها خمسـة اكياس مصرية ( سـنة ١١٦٤ هـ / ١٧٥١م ) (٣٠) .

---

(٢٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٢٣٨ ، س ١١٤ ق ٤٤٠ ، ق ٥٤٠ ، ق ٦١٥ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٠٧ ، س ١ ق ١٢٥ ، س ١ ق ٢٩٥ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٩٣ ، ٨٠١ ، ٧١٤ ، س ١٢ ص ٦٥ ، س ١٢ ص ٤٣ ، ص ٩٨ ، ص ٦٠١ .

(٣٠) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧١ ، س ١ ق ٢٦٦ ، س ١ ق ٢٦٧ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٣٠ ، ص ٥٨ ، ص ٦٤ .

ويلتزم أحد أمناء الاحتساب السابقين وهو من اختيارية الجاويشية بحصة قدرهـا الثمن من كامل ناحية ( العلاقمة ) وحلوانها حـوالى كيس مصرى ( سنة ١١٥١ هـ / ١٧٣٨م ) وتكشـف دفاتر الالتزام عن تعدد التزامات رجال أوجاق الجاويشية بنواحى ولاية الشرقية المختلفة .

والى جانب رجال الأوجاقات المختلفة الذين اشتغلوا بالالتزام فى ولاية الشرقية ، زاحم رجال الطبقة الحاكمة من حكـام الولايات ( الصـناجق ) و ( الكشاف ) وأمراء الحج ورجالهم ، وأبناء الباشوات والقباطنة فضلا عن القضاء وكتبة الأوقاف ، لتنمية مواردهم الاقتصـادية الواسعة ، ومن الطبعى أن تتناسب حصص التزاماتهم بمستواهم الاجتماعى المرتفع ، وارتفعت بالتالى الحلوانات التى يدفعونها . نذكر من ذلك كاشف ولاية الشرقية ، وهو من أمراء المماليك ( الأمير على بن عبد الله المعروف بالفندور كاشف ولاية الشرقية ) ، والذى تعددت التزاماته فى ( الجديدة ــ منية على ــ منية بشار ــ البلاشون ) ، وبلغت مخلفاته مستوى مرتفعا حيث زادت عن ستين كيسا مصريا . وأحد الصناجق ( حاكم جرجا السابق ) الذى التزم بحصة قدرها ( عشرة قراريط ) من كامل ناحيتى ( الشون ــ ونبتيت ) بعد أن دفع حلوانا قدره أربعين كيسا مصريا (٣١) .

والأمير قيطاس بك أمير اللواء الشريف وأمير الحج الشريف ( سـنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م ) الذى استأجر من أحد الشيوخ ( الشيخ أبو المواهب البكرى الصديقى ) حصتين الأولى كامل اراضى ناحية دهمشـة وكفورها بالشرقية ، والثانية كامل أراضى ناحية ( العارين وكفورها ) ، وناحيـة ( دمليج وكفورها بالمنوفية ) بأجرة سنوية قدرها خمسة عشر كيسا .

---

(٣١) اسقاطات القرى : س ١ ص ١٥٨ ، ص ٤١٥ ، ص ٦٢٥ .

ــ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٦٦ ، ق ٢٦٧ .

ــ دفتر نظام در تحرير جديد ( مقاطعات الاقاليم المصرية ومطولات ) صفحات : ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٨٢ .

ويجب أن نشير الى دور زوجات العسكر وبناتهم فى حيازة الالتزامات المختلفة بولاية الشرقية (*) الى جانب شيوخ العربان وغيرهم (٣٢) .

يظهر مما سبق اشتغال كثير من الأجناد من سائر الأوجاقات ــ وهم غالبا من العنصر المملوكى ــ بالزراعة وحيازة الأراضى بولاية الشرقية ، وقد يعود هذا التركز الى اتساع هذه الولاية وتعدد نواحيها من ناحية ، والى خصوبة اراضيها من ناحية أخرى .

٢ ــ **ولاية الدقهلية** : تعد هذه الولاية ــ كسابقتها ــ من الولايات الواسعة التى تزاحم على الزراعة فيها العديد من رجال الأوجاقات المختلفة فمن أوجاق مستحفظان التزم كبار رجاله من كتخداوات من ذلك أحدهم ــ من أمراء المماليك ــ يلتزم بحصة قدرها الربع كامل ناحية ( سرنجا ) وحلوانها خمسة أكياس مصرية سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ، كما التزم أحد الأمراء المماليك ــ وهو تابع أغات مستحفظان ــ بحصة قدرها الربع من كامل نواحى ( طصفا ــ البيضة ــ الميهى ) ، وأدى حلوانها البالغ خمسة عشر كيسا مصريا ، ويلتزم أحد أمراء مستحفظان بكامل ناحية ( منية مزاح ) واهتم بشراء البساتين المغروسة بأشجار النخيل من شيخ الناحية ( سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤م ) . كما عنى أحد جوربجية مستحفظان ملتزم ناحية ( دنديط ) بغرس البساتين بأشجار الفاكهة المختلفة وتأجيرها للأهالى

---

(٣٢) اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٢٧٠ ، س ١٢ ص ٣٠٤ ، ص ٣٢٠ ، س ٥ ص ٤٤ ، س ٥ ص ٤٠ ، س ١ ص ١٣٦ .

ــ سجلات الديوان العالى : س ٢ ق ٥٤ ، س ٢ ق ٨٥ ، س ٢ ق ٤٠١ ، س ١ ق ٤٢٦ .

ــ محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٦٧ .

ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٩ ق ٣٧ ، ق ٩٨ .

(*) ومن هذه النواحى : ( ميت جابر ــ سنهوت ــ القراقره ــ ظهر شرب ــ الأعراس ــ البلاشون ) .

بالناحية المذكورة ، والملتزم — بخلاف الايجار النقدى — نصيب محدد من الثمار (٣٣) .

ويشارك باش جاويشـــية مستحفظان أوده باشا من نفس الأوجاق التزام حصة قدرها النصف من كامل ناحية ( صهرجت الصغرى ) ، وقد بلغت زراعة الأوسية الخاصة بالملتزمين الشريكين حوالى ( مائة فدان ) ، وهناك دار الأوسية التى يستقر بها رجال الملتزمين والقائمون على شئونهما .

وامتدت التزامات جوربجية واوده باشية وأفراد أوجاق مستحفظان فى نواحى متعـــددة بالولاية ( منية خـــيرون (*) — طهـــواى — الكـــردى البرامون ... ) ، ويلاحظ أن رجال هذا الأوجاق قد ساهموا بنصيب وافر فى الزراعة والالتزام بولاية الدقهلية ، وغالبا ما يلجأ أفراده من صغار العســكر الى المشاركة فى التزام حصة معينة ، كما استأجروا أراضى الرزق والأوقاف المنتشرة بقرى الولاية (٣٤) .

أسهم رجال أوجاق عزبان بنصيب مماثل فى الزراعة بولاية الدقهلية ، قد يفوق نشاط رجال مستحفظان ، من ذلك كتخدا عزبان الذى التزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( طنامل ) وحلوانها خمسة عشر كيسا مصريا سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) ، كما يشارك كتخدا عزبان آخر تابعيه — أحدهما

---

(٣٣) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٩٦ ، س ١ ق ٤٩٤ ، س ١ ق ٥٤٢ ، س ٢ ق ١٠١ .
— اسقاط القرى : س ٥ ص ٣٩ ، س ١ ص ٩٦ ، س ١ ص ١٠ ، س ١ ص ٥ ، س ١ ص ١٢٥ ، ص ٩٦ ، ص ١٨٨ .
(٣٤) مضابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصـــورة : س ٤٩ ق ٤٦٧ ، ق ٥١٨ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٣٥٣ ، س ٢٠٩ ق ٨ ، ق ٩٨ ، ق ٤١٠ .
— محفظة دشت : رقم ٢٢١ ص ٣٢١ ، ٣١٢ ، ٤٢٧ .
(*) حاليا ميت خيرون ( مركز المنصورة — الدقهلية ) .

أوده باشى — فى حصة قدرها الربع من كامل ناحية ( منية القرشى ) وحلوانها أربعة أكياس مصرية (٣٥) .

واستأجر جوربجى عزبان ( تابع كتخدا عزبان ) حصة قدرها السدس من كامل نواحى ( أبو قراميط — كفر المقدام — المندرة ) بأجرة سنوية قدرها اثنتان وعشرون ألف وخمسمائة نصف فضة . ويشارك جوربجى عزبان تابعه فى التزام حصة قدرها الربع من كامل ناحية ( السنبلاوين ) وحلوانها سبعة عشر كيسا مصريا سنة ( ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) .

وقد انتشرت التزامات رجال هذا الأوجاق من الجوربجية والأوده باشية والعسكر فى نواحى أخرى بالولاية ابان القرن الثامن عشر ( الحواوشة — شبرا البهو — سلمون — منية سمنود — شبرا هور — برهمتوش — برج نور العرب — فرغان .. ) . ومن الملاحظ غلبة العنصر المملوكى فى التزامات أوجاق عزبان ومن أشهر البيوتات المملوكية التى شاركت بدور فعال فى هذا المجال ( جماعة الرزاز ) (٣٦) .

وكان وجود رجال أوجاقات السباهية بنواحى ولاية الدقهلية من العوامل التى ساعدت على دخولهم ميدان الزراعة بها ، فمن أوجاق الجراكسة اشتغل جوربجية بالالتزام من ذلك أحد الجوربجية الذى التزم بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( منية الدريج ) (*) وحلوانها أربعة أكياس مصرية ، كما

---

(٣٥) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٦٥ ، ق ٢٨٤ ، ق ٢٦٦ ، ق ٢٤٧ ، ق ٢ ، ق ١٠٤ ، ق ٤٢٧ ، ق ٦٠٥ ، ق ٢٧١ ، ق ٢٧٢ ، ق٣٧٩ .

(٣٦) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٣١٥ ، ق ٤٢٩ ، ق ٥١٧ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٣٧ ، ق ٥٧ .

— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٤٤ ، ق ١٧٥ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٤١ ، ٢٦٢ ، ١٠١ ، س ١٢ ص ٣٥٤ ، س ٥ ص ٣٩ .

(*) حاليا ( ميت الدريج ) مركز ميت غمر ، بالدقهلية .

التزم جوربجى — وكيلا عن تابعيه — بحصة قدرها النصف من كامل ناحية منية بداوى وحلوانها ستة ونصف كيس مصرى (٣٧) .

ويشارك الأفراد من عسكر ( الجراكسة ) بحصص أصغر ، من ذلك أحد العسكر يلتزم بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( هلا ) بعد أن دفع حلوانا قدره كيس ونصف مصرى سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م . كما دخل افندية وكتبة أوجاق الجراكسة ميدان الالتزام الى جانب رجاله على اختلاف رتبهم العسكرية (٣٨) .

ومن أوجاق الكوملية ، التزم العديد من الجوربجية والأوده باشية والأفراد ، من ذلك أحد أمراء الأوجاق — من المماليك — يلتزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( دكرنس ) بعد أداء حلوانها البالغ ستة أكياس مصرية ، كما التزم آخرون بنواحى ( غرور — الخمسة — منية خميس (*) — كوم الدربى — كفر شكر — ميت أبو عربى ) وشارك نفر من رجال الكوملية تجار ولاية الدقهلية المستقرين بالمنصورة فى التزامات متعددة بعد أن توثقت العلاقات بين الجانبين ، كما شارك بعض الجوربجية شيوخ النواحى بالولاية فى زراعة البساتين الواسعة من ذلك مشاركة جوربجى كومليان لشيخ ناحية بشلا فى زراعة بستان بلغت مساحته اثنا عشر فدانا ( سنة ١١٣٥ هـ ١٧٢٢م ) . واستأجر الكثيرون مساحات مختلفة من الأراضى لزراعتها بأنفسهم بالاستعانة برجالهم من المعاتيق (٣٩) .

---

(٣٧) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٥٤٢ ، ق ٤٨٧ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٤٠ ، ٧٨ .
— محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٣١٥ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٩١ .

(٣٨) اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٢٦ ، ٣٨٥ ، ٨ ، ١٢ ، ٥١ ، س ١ ص ٨٠ .

(*) حاليا ميت خميس ( مركز المنصورة بالدقهلية ) .

(٣٩) محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٣٩١ ، س ٨ ق ٢١٩ ، س ٢٣ ق ٣٢٧ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٦١ ، س ٧٨ ، ٤٥١ ، ٢٣٠٤ ، .
— محفظة دشت : رقم ٢٢١ ص ٣٣٤ .

والتزم عدد من رجال أوجاق التوفكجية فى نواحى متعددة بالولاية ، من ذلك جوربجى توفكجيان الذى تعددت حصص التزاماته فى نواحى ( كفر القباب — كوم الدربى — سلامون — سللنت ) ، وأدى حلوانا قدره تسعة أكياس مصرية سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠م ) ، كما اشتغل جوربجى آخر — من المماليك — بالالتزام فى نواحى أخرى بالولاية ، وبلغت قيمة مخلفاته حوالى ثلاثة أكياس مصرية . والتزم الأوده باشية والعسكر بحصص أصغر فى نواحى ( منية مسعود — شنباره منقلا — المتوة — الزرقا — منية الخولى مؤمن ) (٤٠).

وقد تضاءلت مساحات الالتزامات فى أواخر القرن الثامن عشر بدرجة ملحوظة بالنسبة لرجال توفكجيان — كغيرهم من الأوجاقات — ومن ذلك أحد العسكر التوفكجية وهو من المعاتيق يلتزم بحصة قدرها نصف قيراط من كامل ناحية ( سللنت ) وحلوانها مائتان وأربعون ريالا ، ويظهر ارتفاع الحلوان بشكل واضح فى مدة وجيزة حيث نجد حصة قدرها نصف قيراط من كامل ناحية ( منية سندوب ) حلوانها مائتان وخمسة وعشرون ريالا ( سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦م ) يرتفع فى العام التالى الى مائتين وأربعين ريالا سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٧م .

واقتحم رجال أوجاقى ( الجاويشية والمتفرقة ) مجال الزراعة والالتزام بولاية الدقهلية وشكلت التزاماتهم جانبا ملحوظا ، من ذلك احد أمراء الجاويشية وهو ابن اغا الأوجاق الذى التزم بحصة قدرها خمسة قراريط من كامل ناحية ( منية مسعود ) مقابل حلوان قدره كيسان مصريان ، والتزم

---

(٤٠) محكمة المنصورة : س ٥٠ ق ٢٤٤ ، س ٥٠ ق ١٦٠ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ، ق ٣٧٥ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٦٦ ، س ١ ص ٦١ .
— سجلات الديوان العالى : س ٢ ، ق ٦٧ ، ق ٤١٧ .

جاويش آخر بقيراطين من كامل ناحية ( طحا المرج ) بحلوان قدره أربعة أكياس مصرية (٤١) .

ويشترك رجال الجاويشية من الأغوات وأمناء الاحتساب ، والاختيارية فى التزامات متعددة بنواحى ( جميزة بلجاى — منشاة الأخوة — كوم بنى مراس — ديرب نجم — السماره — الصلاحات .. ) ومما يذكر أن التزامات رجال الجاويشية لم تكن مرتفعة فى حلواناتها لصغر مساحاتها بما يتفق مع مستواهم الاجتماعى . وعنى رجال من الجاويشية بمشاركة زملائهم من أوجاق الكوملية وأهالى البلاد فى التزامات أخرى وفى تربية الماشية بنواحى ( طنبارة — منية النصر — بداوى — الخيارية .. ) (٤٢) .

ولعب رجال أوجاق متفرقة دورا لا بأس به فى هذا المجال ، من ذلك أحد العسكر يلتزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( صفط ) وحلوانها خمسة أكياس ، وشارك أمراء الأوجاق اتباعهم المماليك فى التزامات أخرى متعددة بالولاية (٤٣) .

والى جانب رجال الأوجاقات السابقة التزم رجال الطبقة الحاكمة من البكوات المماليك من الصناجق والكشاف ( حكام الأقاليم ) ورجال المالية ( الدفتردارية والروزنامجية والأفندية ) ، بحصص واسعة فى مختلف نواحى

---

(٤١) محكمة المنصورة : س ١٨ ، ق ٤٤٢ ، س ١٨ ق ١٦٣ ، ق ٥١٤ ، ق ٧١٥ .

(٤٢) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٢ ، س ١ ق ٤٠١ ، س ١ ق ٥١٧ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٨ ، ٢٧ .

(٤٣) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٥٨ أ ، س ١ ق ٢٦٥ ، ق ٦٠٥ ، س ١ ق ١٠١ ، س ١ ق ٦٥٥ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٨٩ ، ١٢٥ .

ولاية الدقهلية — وقدموا حلوانات مرتفعة فى ( الزمار — السنبلاوين — الخولى — طحا المرج — طنامل ... ) (٤٤) .

كما نلمس اهتمام التجار من اهالى المنصورة والتجار المغاربة بخط الغورية بحيازة الالتزامات فى قرى ولاية الدقهلية المختلفة ، ويبدو نشاط نساء العسكر — من زوجاتهم وبناتهم — ملموسا فى هذا المجال أيضا . ويظهر أن العلاقات بين الاهالى والعسكر فى ميدان الزراعة بالدقهلية قد توطدت فى بعض النواحى حتى أننا نجد المعاملات من قروض ومقايضات بين الطرفين ، كما وكل الأهالى بعض الجند فى اسقاط التزاماتهم وبيع أراضيهم وغيرها من التصرفات .

٣ — **ولاية الغربية** : تعد ولاية الغربية — كما تكشف الوثائق بالمحاكم الشرعية — من الولايات الواسعة التى حفلت بنشاط كبير لرجال الأوجاقات فى مجال الالتزامات والزراعة . وقد اختص رجال أوجاق مستحفظان بنصيب وافر ، حيث اقبل على الالتزام كبار رجالاته من أغوات وكتخداوات وجوربجية وباش جاويشية وأوده باشية والأفراد . فمن الأغوات بأوجاق مستحفظان من التزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( جريمة ) (*) وحلوانها أربعة عشر كيسا مصريا ، وهو من أمراء المماليك ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م ) (٤٥) .

كما يستأجر أغا مستحفظان آخر وهو ابن كاشف ولاية الغربية سابقا ، ومن جماعة مملوكية تنتمى الى ( اسماعيل بك الدفتردار ) السدس من كامل ناحية ( كفر الشيخ طعيمة ) بأجرة سنوية قدرها ثمانية آلاف نصف

---

(٤٤) اسقاطات القرى : س ١٢ ص٢٦٢ ، س ١٢ ص١٢ ، س١ ص ٤ .
— محكمة القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٣٧٥ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٦٥٥ .
(٤٥) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٢ ، س ١ ق ١٦٤ ، س ١ ق ١٥٦ ، س ١ ق ٣٦ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٩٨ ، س ١٨٨ ق ٢٨ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣١١ .
(*) حاليا ( منشاة الجنيدى ) مركز طنطا بالغربية .

فضة ، خارجا عن الميرى سنة ١١٥١ هـ / ١٧٣٨م ، كما استأجر نفس الاغا حصة أخرى قدرها الثمن من كامل ناحية ( بزتة اماى ) باجرة سنوية قدرها عشرة آلاف نصف فضة ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) . ومن الكتخدوات التزم احدهم بحصتين الأولى وقدرها قيراطين ونصف قيراط من كامل ناحية ( أبو صير ) وحلوانها أربعة وعشرون كيسا مصريا ، والثانية وقدرها السدس من كامل ناحية ( الضهرية ) بولاية البحيرة وحلوانها عشرة أكياس مصرية سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م . والتزم كتخدا آخر ( ابن الخربطلى ) بحصة قدرها الثلثين من كامل ناحية ( شبرا بابل ) وحلوانها ٢٩ كيسا مصريا ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ) ويستأجر كتخدا آخر كامل أراضى ناحية ( عزبة خلف الله ) لمدة ثلاث سنوات بأجرة سنوية قدرها سبعة آلاف نصف فضة ، الى جانب أربعة أرادب من الأرز ، وتقع هذه الناحية فى التزام أحد الكشاف (٤٦) .

ومن الجوربجية ، نجد احدهم يلتزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( الطايفة ) وحلوانها عشرون كيسا مصريا ( سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٩م ) ، ويلتزم جوربجى آخر وهو من الأشراف ـ بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( كفر خضر ) ثم تنازل عنها لتابعه وهو أوده باشى مستحفظان بحلوان قدره حوالى خمسة أكياس مصرية ( سنة ١١٥١ هـ / ١٧٣٩م ) .

ومما يثير الانتباه ، دخول الجوربجية التجار بالقاهرة مجالا آخر لاستثمار أموالهم فى الالتزام من ذلك أحد جوربجية ( بيت الصابونجى الملوكى ) الذى التزم بحصة قدرها الثلث من كامل ناحية ( ديسط ) وحلوانها

---

(٤٦) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٤٩ ، س ١ ق ١٤٨ ، س ١ ق ١٤٦ ، س ١ ق ٦٥٨ ، س ١ ق ٤٦ ، س ١ ق ٤٧ ، س ١ ق ٤٨٩ ، س ١ ق ٥١١ ، س ١ ق ١٢٢ ، س ١ ق ٣٦ ، س ١ ق ٦٦٢ ، س ١ ق ٣٥٢ ، س ١ ق ١٧٠ .
ـ اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٨ ، س ١ ص ٦ ، س ١ ص ٣٧ .

اربعة وعشرون كيسا مصريا ، ثم يقوم بتأجيرها باجرة سنوية قدرها مائة وعشرون ألف نصف مصرية (٤٧) .

ومن الجدير بالذكر ان رجال البيوتات المملوكية وخاصة ( بيت القازدغلية ) كانوا على مستوى اقتصادى متميز ويظهر ذلك من التزاماتهم الواسعة ذات الحلوان المرتفع ، من ذلك نجد ( باش جاويش مستحفظان ) ، ــ وكان سردارا بموكب الحج المصرى الشريف ــ يلتزم بالنصف من كامل ناحية ( مطوبس ) وجارية بوقف الدشيشة الكبرى مقابل حلوان قدره ستون كيسا مصريا ، وكانت هذه الحصة فى التزام خمسة من رجال مستحفظان بعضهم ينتمون الى (القازدغلية) ، ويلتزم باش جاويش آخر من القازدغلية بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( برنبال ) وحلوانها ثلاثون كيسا مصريا سنة ١١٥٥ هـ ١٧٤٢م ، ومن الملاحظ أن هناك من الأوده باشية من حاز التزامات واسعة قد تفوق فى حلواناتها ما هو لدى كبار الأوجاق ، ويعود ذلك لانتماء الأوده باشية الى البيوت المملوكية المسيطرة التى تحرص على استبقاء الالتزامات فى أيدى رجالها باستمرار ، من ذلك أحد الأوده باشية يلتزم بحصة قدرها سبعة قراريط من كامل ناحية ( سنديون ) وحلوانها ستة واربعون كيسا مصريا ويحرص أوده باشى آخر على حيازة التزام سيده بقيراط من كامل ناحية ( فوة ) وحلوانه كيسين مصريين سنة ١١٥٤ هـ (٤٨) .

أما بالنسبة للعسكر ( الأفراد ) فقد شاركوا على قدر امكاناتهم المادية ، من ذلك نجد احد المماليك من مستحفظان يلتزم بحصة قدرها النصف

---

(٤٧) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٢٢ ، ق ١٣٥ ، ق ٤١٥ ، ق ٧٢٨ .

(٤٨) اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٨ ، س ١ ص ٩٦ ، س ١ ص ٩٥ ، س ١ ص ٦ .
ــ محكمة طولون : س ٢١٩ ق ١١٢٥ ، س ٢١٩ ، ق ٤٥٠ ، ق ٥٣٨ .
ــ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٨٢ ، ق ٥١٧ .
ــ محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ٣ .
ــ محكمة القسمة العسكرية : س ١٥٤ ق ٧٠٨ ، ق ٤١٨ .

من كامل ناحية ( قحافة ) وحلوانها اثنا عشر كيسا مصريا سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٦م ، بينما يشترك اثنان من العسكر فى التزام حصة قدرها خمسة قراريط من كامل ناحية ( الدروتين ) وحلوانها أربعة أكياس مصرية ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧ ) . والى جانب هذه الأمثلة السابقة تعددت التزامات رجال مستحفظان فى نواحى متعددة بولاية الغربية (٤٩) .

شـــارك رجال أوجاق عزبان بنصـــيب ملحوظ وان كان يعد أقل من سابقيهم ( رجال مستحفظان ) من حيث اتساع حصص الالتزامات ، وقيمة حلواناتها ، والانتشار فى نواحى مختلفة . فقد التزم أحد كتخداوات عزبان بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( بلتاج ) التى كانت فى حيازة اثنين من مماليك عزبان ( جماعة الرزاز ) مقابل حلوان قدره تسعة أكياس مصرية . ومن الجوربجية ، نجد أحدهم وكان يعمل ( أمينا للخرده ) يلتزم بحصتين الأولى الثمن من كامل ناحية ( سنديون ) والثانية وقدرها الثمن من كامل ناحية ( فوة ) ليقوم بتأجيرها لجوربجى آخر فى نفس الأوجاق بأجرة سنوية قدرها سبعة وسبعون ألفا نصف فضة ( ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧م ) ، ويلتزم جوربجي آخر سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤٢م بحصة قدرها الثلث من كامل ناحية ( محلة الخادم ) وحصـــة أخرى قدرها خمسة قراريط من كامل ناحية ( البندرة ) ، ليقوم بتأجيرها لجوربجى اختيار من الكوملية بأجرة سنوية قيمتها ثلاث وعشرون ألف نصف فضة (٥٠) .

كما التزم جوربجى عزبان بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( بانوب ) ، ويبدو أن مستواه المادى مرتفع نسبيا حيث قدم حلوانا قدره ثلاثون كيسا مصريا سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٣م . ومن الملاحظ فى التزامات ولاية الغربية

---

(٤٩) محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥٩٨ ، ق ٤٥٠ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٤ .
(٥٠) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٦٥٨ ، س ١ ق ٥١١ ، س ١ ق ١٣١ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٩٨ ، س ١٢٤ ق ٢٤٢ ، ق ٥١٨ .
— اسقاطات القرى ، س ١ ص ٤٢ ، ٥٨ ، ٩٤ ، ٧٨ ، ٦٩ ، ٨٦ .

بالنسبة لرجال أوجاق عزبان دخول جماعات مملوكية تنتمى الى ( الجلفية — الرزاز ) بشكل جماعى حيث يشترك جوربجى أو اكثر مع خشداشيته أو اتباعه فى حيازة حصة أو عدة حصص فى نواحى متعددة وهم يرجعون الى أصل مملوكى واحد . من ذلك اشتراك ثلاثة من مماليك عزبان أحدهم جوربجى ، فى حيازة حصة أو عدة حصص فى نواحى متعددة ، وهم يرجعون الى بيت مملوكى واحد وهم من (الجلفية) فاشتركوا فى التزام حصة قدرها سبعة قراريط من كامل ناحية ( سنديون ) وحلوانها أربعين كيسا مصريا ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٤٧٢م ) . كما اشترك اثنان من مماليك عزبان من جماعة الرزاز — أحدهما جوربجى — فى التزام حصة قدرها الربع من كامل ناحية ( دار البقر ) وحلوانها قيمته أحد عشر كيسا مصريا ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤٢م ) .

ومن الجدير بالذكر أن رجال عزبان الذين اشتغلوا بتجارة البن والتوابل بخط الغورية بالقاهرة قد شاركوا فى حيازة الالتزامات ، من ذلك أحدهم — وهو من أعيان تجار البن — الذى التزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( خرسيت ) — وهى وقف السيفى يشبك — وحلوانها كيسان مصريان ، سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ، ليقوم بتأجيرها لأحد مماليك عزبان بأجرة سنوية قدرها عشرة آلاف نصف فضة . والى جانب رجال الأوجاق ، دخل كبار كتبة عزبان هذا المجال وشاركوا بنصيب ملموس ، من ذلك كاتب كبير عزبان ( سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٩م ) الذى التزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( الطايفة ) وحلوانها عشرون كيسا مصريا ، كما التزم كاتب كبير عزبان آخر سنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧م بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( كفر خضر ) وحلوانها اربعمائة دينار ذهب (٥١) .

---

(٥١) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٦٨ ، س ١ ق ٢٩٦ ، س ١ ق ١٨٠ .
— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ١١٢٥ ، ق ١١٢٨ ، ق ١٠٠١ ، ق ١٣ ، ق ٤٨٧ .
— محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ١٥٠ ، ق ٤٥١ ، ق ٧٣٨ ، ق ٥١٤ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ٥٨ .

وكان لأوجاقات السباهية دور واضح فى الالتزام بولاية الغربية ، ومن الملاحظ اسهام أوجاق التوفكجية بنصيب اكبر من أوجاقى ( الجراكسة والكوملية ) ، وقد توغل العنصر المملوكى — كما يظهر من الوثائق — فى كيان هذا الأوجاق الذى انقسم الى جماعات مملوكية مميزة لعبت دورا هاما فى الميدان الزراعى بالولاية . من ذلك التزام جوربجى توفكجيان يشاركه تابعه — من جماعة الرزاز — بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( جناح ) وحلوانها أربعة عشر كيسا مصريا ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م ) . كما يشارك جوربجى توفكجيان — مملوك كتخدا أمير الحج ابراهيم بك ابو شنب — تابعه — من جماعة الرزاز — فى حصة قدرها الربع من كامل ناحية ( روينة ) وحلوانها واحد وأربعون كيسا مصريا ( سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧م ) ، ويلتزم اثنان من رجال توفكجيان — من تابعى أغا توفكجيان — بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( قسطا ) وحلوانها اثنا عشر كيسا مصريا ( سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥م ) وتنازلا عنها للحصول على الحلوان ثم اشتركا فى استئجارها بأجرة سنوية قدرها ستون ألف نصف فضة (٥٢) .

ومن أوجاق الكوملية ، التزم العديد من الجوربجية حصصا مختلفة ، من ذلك التزام أحدهم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( الهياتم ) التى أقام بها ، وبلغت مخلفاته بعد سداد الديون وغيرها من الرسوم حوالى ثلاثة أكياس مصرية ، بينما نجد جوربجيا آخر — من المماليك — يلتزم بحصص مختلفة فى نواحى ( سلمون — الكرما — حصة الغنيمى ) ووصلت تركته حوالى ٢١ كيسا مصريا صار الباقى للورثة ما يزيد عن سبعة أكياس مصرية ( سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩م ) . وبذلك يتضاعف مستوى الجوربجى المملوكى عن غيره من الجوربجية فى نفس الأوجاق ( الكوملية ) . وعادة ما يشترك المماليك — الذين يرجعون لأستاذ واحد — فى حصة واحدة ، من ذلك اشتراك

---

(٥٢) اسقاطات القرى : س ١ ص ٤٢ ، س ١٢ ص ٣١١ ، ص ٤٢٨ ، س ١٢ ص ٢٧٦ ، س ١ ص ١٣ ، ١٥ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٠٣ ، ق ٤٥١ ، ق ٧٣٩ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٩٨ ، ق ١٠٤ ، ق ٥٨٧ .

ثلاثة مماليك من الكوملية فى حصة قدرها النصف من كامل ناحية ( منشاة البدوى ) وحلوانها اثنا عشر كيسا مصريا ( سنة ١١٥٤ هـ/ ١٧٤١م ) (٥٣) .

ومن أوجاق الجراكسة ، استأجر جوربجية كثيرا من الأراضى لزراعتها ، من ذلك جوربجى استأجر حصة قدرها الثلث من كامل ناحية ( ميت الخير ) بأجرة سنوية قدرها عشرة آلاف نصف فضة كما يستأجر كاتب صغير بالجراكسة حصة قدرها السدس من كامل ناحية ( صفط تراب ) بأجرة سنوية قدرها ثمانون ألف نصف فضة خارجا عن الميرى سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤م ، وهذا يعنى ارتفاع شأن كتبة الأوجاقات من المماليك. ويتضح أمامنا قلة مساحات الالتزامات فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، من ذلك التزام أحد أمراء أوجاق الجراكسة بحصة قدرها ( قيراطا واحدا ) من كامل ناحية ( بريك الحجر ) وحلوانها مائتان وستة وخمسون ريال حجر بطاقة ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م ) (٥٤) .

وشارك رجال جماعتى ( الجاويشية والمتفرقة ) بنصيب لا بأس به فى التزامات ولاية الغربية من ذلك دخول أحد كتخداوات الجاويشية — ذوى النشاط التجارى بالعاصمة — مجال الالتزام فى ولايات الغربية والدقهلية والبحيرة وقدرت مخلفاته بخمسين كيسا مصريا ( سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م ) . ويلتزم كتخدا جاويشان آخر بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( أبو جلال ) وحلوانها ستة أكياس مصرية ( سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١م ) وقد ارتفع بذلك حلوان هذه الحصة كيس مصرى عما كان عليه ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ) ، ويعمل اختيارية الجاويشية فى التزامات أخرى بالولاية ، ويظهر

---

(٥٣) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٦٦٢ ، س ١ ق ٨ ، ق ٤٧ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٢٨٥ ، س ١٥٨ ق ٢٣٤ .
(٥٤) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٤٥١ ، ق ٤٩٨ ، ق ٢١٧ ، ق ١١٤ ، ق ١٧٩ .
— محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ١٥٠ ، ق ٥١٤ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٦٧ .

العنصر المملوكى أيضا فى أوجاق الجاويشية من خلال التزامات كثيرة ، نذكر منها التزام ثلاثة من المماليك الجاويشية بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( محلة زياد ) وحلوانها اثنا عشر كيسا مصريا ، ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٣٢م ). ويبدو ان رجال المتفرقة كان اسهامهم أقل فى الالتزامات ، من ذلك التزام أحد اغوات الأوجاق وهو ابن اغا سابق بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( منية المرشد ) وحلوانها كيسان ونصف كيس مصرى ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ) ، بينما يلتزم أحد أمراء المتفرقة بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( أبيج ) وحلوانها حوالى خمس أكياس مصرية وثلاثة آلاف نصف فضة ، وشارك اختيارية هذا الأوجاق أيضا فى مجال الزراعة والالتزام بالولاية (٥٥) (*) .

٤ ـ **ولاية المنوفية** : انتشر الأجناد من مختلف الأوجاقات للاشتغال بشئون الالتزام وأمور الزراعة فى سائر قرى ولاية المنوفية التى اتسمت بارتفاع حلوانات الحصص فيها بصفة عامة ، وكان لأوجاق مستحفظان النصيب الأوفى فى هذا النشاط المتزايد .

فقد التزم أحد كتخداوات مستحفظان ( مصطفى كتخدا القازدغلى ) بعدة حصص فى نواحى ( بتبس ، البدانى ، البتانون ، المقاطع .. ) سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥م ، وقدرت مخلفاته بما يقرب من المائة كيس مصرى ، وهذا دليل واضح على أهمية الايرادات الناجمة عن شئون الالتزام ،

---

(٥٥) اسقاطات القرى : س ١ ص ٢ ، ٣٤ ، ٣١ .
ـ محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٣٤ .
ـ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١١٥ ، ق ١٢٨ ، ق ١٨٠ ، ق ١٩٤ ، س ٢ ق ٥٠ ، ق ٦٤ ، س ١ ق ٥٤٦ ، ق ٣٠٤ ، س ٢ ق ٥٠ ، س١ ق ٤٦ ، ق ٢٠٥ ، ق ١٥٦ ، ق ٩٠ .
ـ محكمة المنصورة : س ٥٠ ق ٢٥٠ ، ق ٣١٥ .

(*) كما دخل الباشوات والبكوات ورجال الادارة المالية (الروزنامجية) والكشاف والعلماء والتجار ونساء العسكر فى الالتزام بولاية الغربية بحصص متفاوتة .

ومدى سطوة ( القازدغلية ) ـ وهم من أقوى البيوتات المملوكية فى القرن الثامن عشر ـ فى الميدان الاقتصادى بصفة عامة (٥٦) .

ويلتزم كتخدا آخر ( حسين كتخدا الشهير بالنجدلى معتوق المرحوم حسن النجدلى ) بعدة حصص فى ( شبرا بخوم ) بالمنوفية فضلا عن ( محلة أحمد ـ شرنوب ) بالبحيرة ، وبلغت تركته حوالى خمسين كيسا مصريا . ومن كبار رجالات الأوجاقات باش جاويش مستحفظان الذى التزم بمشاركة تابعه بحصة قدرها عشرة قراريط ( سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ) من كامل ناحية ( بروى ) وحلوانها تسعة وعشرون كيسا مصريا . ويلتزم أحد أوده باشية مستحفظان بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( شنشور ) الى جانب قيراطين من كامل ناحية ( برهيم ) بحلوان قدره عشرة أكياس مصرية سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م . ودخل رجال الحرف من عسكر مستحفظان أيضا مجال الالتزام فنجد أحد القوافين يلتزم برزقة مساحتها ستة وتسعون فدانا بناحية ( براشيم ) ، ليقوم بتأجيرها لرجال من السباهية ( الكوملية ) من الباطن ، وعلى المؤجر القيام بما يجب عليه من أموال للديوان العالى ، والرزقة تابعه لوقف المرحوم ( محمود أغا ) سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م . وتعددت التزامات العسكر المماليك ، بأوجاق مستحفظان فى نواحى أخرى بالولاية ( الماى ـ أبو المشط (*) ـ بشتامى ـ سبك الضحاك ـ منية الكوم ـ شمياطس ... ) (٥٧) .

---

(٥٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٨٩ ، س ١٦٧ ، ق ٢٣٥ ، س ١١٤ ، ق ٣٢٣ ، ق ٤٧٨ .
ـ اسقاطات القرى : س ١ ص ٩٢ ، س ١ ص ٩٠ ، ٨٥ ، ٢٢ .
(٥٧) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٥٤٠ ، ق ٦١٤ ، س ١ ق ٤٠٢ ، ق ٤٦٨ .
ـ محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣٠٩ ، ٤١٥ ، ٦٤٨ .
ـ اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٢٥٨ ، س ١٢ ص ٢٩٨ ، س ١٢ ص ٢٧٩ ، س ١ ص ١ ، ص ٨٩ ، ١٣٢ ، ١٥٤ ، ٤١٧ .
(*) حاليا ( بلمشط ) مركز منوف بالمنوفية .

وكان لرجال أوجاق عزبان اسهام أقل من ( مستحفظان ) فى التزامات ولاية المنوفية نذكر من ذلك التزام ( الامير سليمان كتخدا عزبان الشهير بالجلفى ) بحصة قدرها قيراطين من كامل ناحية ( اشمون ) وحلوانها سبعة عشر كيسا ونصف كيس مصرى سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م . ويلاحظ اهتمام قباطنة السويس من جوربجية أوجاق عزبان بالالتزام بولاية المنوفية ، ولهم ( قايمقامات ) ينوبون عنهم فى الاشراف على التزاماتهم ومباشرة شئونها . ويلتزم أحد أوده باشية عزبان بحصة قدرها الثلث من كامل ناحية ( ابو المشط ) وحلوانها خمسمائة دينار ذهب زنجرلى ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م )، ويشترك اثنان من مماليك عزبان فى حصة قدرها السدس من كامل ناحية ( زكمة ) ، وحلوانها عشرة أكياس ونصف كيس مصرى ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٢٨ م ) . ومن أوجاقات السباهية ، أوجاق توفكجيان الذى التزم رجاله بنواحى ولاية المنوفية ، من ذلك أحد جوربجية الأوجاق — من المماليك — يلتزم بناحيتى (شبرا النملة (**)، منية سراج) وقدرت مخلفاته بستة وعشرين كيسا مصريا ، كما يستأجر جوربجى آخر حصة قدرها أحد عشر قيراطا من كامل ناحية ( نادر ) بأجرة سنوية قدرها ثمانية آلاف ومائة وخمسون نصف فضة خارجا عن الميرى ، وهى فى التزام أحد مماليك عزبان ( سنة ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م ) (٥٨) .

كما التزم من أوجاق ( الكوملية ) كثير من الجوربجية والاختيارية والعسكر المماليك ، من ذلك أحد العسكر المماليك الذى التزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( سبك الأحد ) وحلوانها ستة وعشرون كيسا مصريا ( سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م ) ، الى جانب التزاماتهم بنواحى ( شبرا النملة — جزيرة الحجر — هيت — تلوانه ) . وغلب على رجال أوجاق

---

(٥٨) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٩ ، س ١ ق ١٩٠ ، س ١ ق ٩٥ .

— محكمة باب الشعرية : س ٦٤٢ ق ١٠٠٤ ، ق ٢١٤ ، ق ٥٨٧ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٩٢ ، ٦١٤ ، ٧٣٥ .

(**) شبرا النملة حاليا تابعة لمركز طنطا بالغربية .

الجراكسة الطابع المملوكى حيث نجد العديد من الجوربجية والأوده باشية ممن ينتمون الى بيت ( القازدغلية ) ، ولهم التزامات بنواحى ( منية الكرام — أم خنان — زكمة ) (٥٩) .

كما كان لرجال أوجاقى الجاويشية والمتفرقة دور متواضع فى التزامات ولاية المنوفية ، فمن الجاويشية نجد أحد اغوات الأوجاق يلتزم بحصة فى ناحية ( دروة ) وحاوانها ثلاثة أكياس مصرية ، كما يلتزم كتخدا الجاويشية — من المماليك — بنصف كامل أراضى ناحية ( سلمون سلكة ) ، ونصف كامل أراضى ناحية ( شبرا باص ) بحلوان قدره خمسة وثلاثون كيسا مصريا سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥م . ومن المتفرقة نذكر أحد الأغوات الذى الذى التزم بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( شبين الكوم ) سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٣م ) (٦٠) .

ومن الملاحظ تشابك المصالح والمعاملات بين الأجناد المشتغلين بالالتزام والزراعة ، من ناحية وبين أهالى القرى من ناحية أخرى ، فهناك القروض النقدية والعينية بين الجانبين ومشاركة كل منهما الآخر فى تربية الماشية ، واقتناء الأدوات الزراعية ، وتشير بذلك وثائق المحاكم الشرعية . ولم تقتصر أمور الالتزام والزراعة على رجال الأوجاقات السبعة فى ولاية المنوفية ، فهناك اسهام من جانب رجال الادارة المركزية بالعاصمة من

---

(٥٩) سجلات محكمة الباب العالى : س ١٨٠ ، ق ٩٢٨٩ ، ق ١١١٢ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ، ق ١١٤٨ ، ق ٦٦٨ .
— محفظة دشت رقم ١١١ ص ١١٧ ، ٢١٩ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٤٧٠ ، ق ٥١٣ ، ق ٦٥٨ ، ق ١١ .
(٦٠) اسقاطات القرى : س ١ ص ٨٩ ، ١١٤ ، ٦٨٤ ، ٨٤ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٤٢٣ ، ق ٥١٤ ، ق ٩٥١ ، ق ٨٩ .

( روزنامجية وأفندية ) فضلا عن الصناجق والعلماء والتجار والأشراف (٦١) .

٥ — **ولاية البحيرة** : تصدر رجال أوجاق مستحفظان المشتغلين بأمور الالتزام والزراعة بولاية البحيرة ، من حيث تعدد التزاماتهم وارتفاع قيمتها ، من ذلك التزام أحد كتخداوات مستحفظان ( الخربطلى ) بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( دمنهور الوحش ) وحلوانها تسعة وثمانون كيسا مصريا سنة ( ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) بينما التزم كتخدا مستحفظان آخر ( قازدغلى ) بحصة قدرها قيراطا من كامل ناحية ( جبارس ) وحلوانها اثنان وعشرون كيسا مصريا ( سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) . كما نجد أحد أغوات مستحفظان — وهو تابع أمير لواء شريف — يلتزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( ميت يزيد ) وحلوانها عشرون كيسا مصريا ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٣١م ) . وكان من المعتاد أن يتنازل كبار رجال الأوجاق من الكتخداوات والأغوات المرافقين لموكب الحج عن حصص التزاماتهم لأتباعهم من المماليك ، من ذلك اسقاط ( عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ) حصة التزامه وقدرها خمسة قراريط من كامل ناحية ( شابور ) ( ١١٩١ هـ / ١٧٧٧م ) لأحد أتباعه . ومن الأوده باشية والجوربجية من التزموا حصصا وقاموا بتأجيرها لزملائهم من الأوجاق فى نواحى أخرى مختلفة ( ابسوم — الغابة — زمزم — بويط . . ) (٦٢) .

---

(٦١) سجلات الديوان العالى س ١ ق ١٩٠ ، ق ٢٤٣ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٢٩٨ ، ٤١٥ ، س ١ ص ٩٠ ، س ١٢ ص ٢٧٩ .
— محكمة طواون : س ٢١٩ ، ق ١١٩ ، ق ٤٩٥ ، ق ١١٣٢ .
(٦٢) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٧٦ ، ق ٢٥٧ ، ق ٥٨٨ ، ق ٤٩٣ ، ق ٣٧١ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٣٧ ، ق ٤٩٧ ، س ٢٠١ ق ٣٦٤ ، ق ٤٢٨ ق ٥٣٧ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ١٤ ، س ٧٤ ، س ١٢ ص ٣٥ ، س ١٢ ص ٣١٢ .

أبدى رجال أوجاق عزبان اهتماما ملحوظا بالالتزامات بولاية البحيرة ، فكانت لكبار قادتهم من الكتخداوات التزامات واسعة — كما هو الحال بالنسبة لسابقيهم من مستحفظان — ومن ذلك التزام أحد كتخداوات عزبان بالنصف الثانى من كامل أراضى ناحية ( دمنهور الوحش ) مقابل حلوان قدره تسعة وثمانون كيسا مصريا ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) ، وتراوحت التزامات جوربجية الأوجاق بين ( ستة قراريط ، وثلاثة قراريط ) من كامل أراضى ناحية معينة ، وقدر الحلوان ( ثلاثون كيسا مصريا : كيسان مصريان ) ، ومن التزاماتهم فى نواحى مختلفة منها ( شرنوب — فيشا بلخا — بويط — النقراشى — منية سلامة — كوم أشو ) (٦٣) .

واستأجر نفر منهم الرزق والأراضى الخراجية بالاستعانة بمماليكهم فى القيام بشئون الزراعة ، ووصل متوسط ايجار القيراط من كامل أراضى الناحية بولاية البحيرة حوالى خمسة آلاف نصف فضة ، ومن الملاحظ وجود جماعات مملوكية داخل أوجاق عزبان كان لها دور هام فى الالتزام بالولاية . أما رجال السباهية من ( الكوملية — الجراكسة — التوفكجية ) فكان لهم دور لا بأس به ، وتراوحت حصص التزاماتهم بالولاية بين ( نصف قيراط وستة قراريط ) من كامل ناحية معينة ، وخاصة فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقدر متوسط حلواناتهم ( نصف كيس مصرى : ثلاثة أكياس مصرية ) ، وضمت نواحى ( صفط الملوك — برقامة — ابسوم ) وغيرها من الالتزامات (٦٤) .

---

(٦٣) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٦٥ ، ق ٢٥٧ ، ق ٢٥٦ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٥٧١ ، ٦٥٣ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٩ ، س ١ ص ١٢٩ .
— محكمة طولون : س ٢١٩ ، ق ١١٣٢ ، ق ١١٤٥ .
(٦٤) اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٢٧٣ ، س ١٢ ص ١٤٥ ، ٤١٣ ، ٦٢ ، ٨٥ .
— سجلات الديوان العالى : س ٥٢٣ ، ق ٣٢٣ .

وغلب على الملتزمين من رجال أوجاقى ( المتفرقة والجاويشية ) الطابع المملوكى ، فيشارك الأمير مماليكه فى حصة التزام ، والتى لا تزيد عن ربع كامل ناحية ( ستة قراريط ) ، وتراوح حلوان الحصة ( كيس مصرى : تسعة أكياس مصرية ) بنواحى ( محلة كيل ــ الغابة ــ بويط ) ، وفضلا عن رجال الأوجاقات يتضح حرص بعض الباشوات والدفتردارية والصناجق ( حكام الولايات ) على حيازة الالتزامات الواسعة بنواحى ولاية البحيرة (٦٥) .

٦ ــ **ولاية القليوبية** : تصدر رجال أوجاقى ( مستحفظان وعزبان ) ممن يرجعون غالبا لأصل مملوكى المشتغلين بالالتزام ، فقد انتشرت التزاماتهم فى مختلف نواحى الولاية ، وتميزت باتساعها وارتفاع حلواناتها . من ذلك التزم أحد كتخداوات مستحفظان بحصة قدرها الثلث من كامل نواحى ( طنان ــ السد ــ طوخ ــ كفر منصور ــ كفر علوان ) ( سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) ، مقابل حلوان قدره أربعة وستون كيسا مصريا . ويتنازل كتخدا مستحفظان آخر ، والذى أصبح ( باش اختيارية مستحفظان ) عن التزامه بمصر ويلتزم باش جاويشية مستحفظان بحصة قدرها الربع من كامل أراضى ناحية ( شبرا هارس ) وحلوانها ( عشرون كيسا مصريا ) ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م ) . وتصل حصة التزام أوده باشى مستحفظان الى قيراطين من كامل ناحية ( شبين القناطر ) وحلوانها ( ثمانية أكياس مصرية ) ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٨م ) (٦٦) .

وبالنسبة لرجال أوجاق عزبان ، نجد أحد كتخداوات عزبان يلتزم بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( الحصافة ) ، وحلوانها ستة أكياس

---

(٦٥) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٧١ ، ق ٤٧٨ ، س ٢ ق ٤٦ ، س ١ ق ٥٨٨ ، س ١ ق ٤٩٣ ، ق ٥٠٩ .
ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٥٧٢ .

(٦٦) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٥٦٩ ، س ١ ق ٥٩٢ ، س ١ ق ٥٩٧ ، س ١ ق ١٢٠ ، ق ١٣٢ ، ق ٣٣٣ .

ونصف كيس مصرى ( سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م ) . ويلتزم أوده باشى عزبان بحصة قدرها خمسة قراريط من كامل ناحية ( سنديون ) وحلوانها ستة أكياس مصرية ، كما يلتزم أوده باشى عزبان آخر بحصة قدرها الربع من كامل ناحية( سرياقوس ) وحلوانها ثلاثة أكياس مصرية ( سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م ) ، ثم يؤجرها لأوده باشى مستحفظان مقابل ايجار سنوى يصل الى خمسة عشر ألف نصف فضة . كما يستأجر أحد جوربجية عزبان ( أمين الخرده سابقا ) حصة قدرها الثمن من كامل ناحيتى ( سنديون ، فوه ) بأجرة سنوية قدرها ستة وسبعون الف نصف فضة ( سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦م ) . وبرز بين أوجاقات ( السباهية ) الملتزمون المماليك ، فنجد جوربجى الجراكسة — تابع احد البكوات — قدرت التزاماته بنواحى ( طنان — ميت حلفا — غزاله ) وبلغت مخلفاته ما يقرب من ( مائة كيس مصرى ) ويكون بذلك فى مستوى اجتماعى مرتفع (٦٧) .

ويشارك جوربجية توفكجيان مماليكهم فى حصص الالتزام ، من ذلك نجد أحدهم يلتزم هو وتابعيه بحصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( رملة بنها ) وحلوانها ثلاثة أكياس مصرية . وانتشرت التزامات السباهية بنواحى مختلفة ( جزيرة البلح — سنبارة — المنشاة الكبرى — منية حلفا — أجهور الرمل ... ) ، ويلاحظ ضآلة حصص التزامات أصحاب الرتب الصغيرة من رجال السباهية فضلا عن العسكر من جماعتى الجاويشية والمتفرقة ، بمقارنتها بحصص اجناد ( مستحفظان — عزبان ) أصحاب النفوذ الاقتصادى والسياسى فى القرن الثامن عشر .

والى جانب رجالات الأوجاقات دخل الدفتردار والبكوات أمراء الألوية

---

(٦٧) الديوان العالى : س ١ ق ١٥٧ ، ق ٢٦ ، ق ٢٦٤ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٠٦ ، س ١٤٩ ق ٦٢٤ ، س ١٨١ ، ق ٥٣٣ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣٣٠ ، ٤١٨ .

الشريفة من الصناجق وهم من أمراء المماليك ، ميدان الإلتزام بولاية القليوبية ، وانتشرت أيضا أراضى ( الأوطلاق ) الخاصة بكبار رجال الطبقة الحاكمة (٦٨) .

٧ — **ضواحى القاهرة** : تكشف وثائق المحاكم الشرعية عن امتداد النشاط الزراعى للعسكر حتى ضواحى القاهرة خلال القرن الثامن عشر ، فكان أمراء الأوجاقات من كتخداوات وجوربجية فضلا عن الأوده باشية بأوجاقى ( مستحفظان — عزبان ) يحوزون مساحات مختلفة من الأرض الزراعية بنواحى ( الأميرية — بهتيت — المطرية — طريق بولاق — غيط الحاجب — بولاق الدكرور ) وتشمل هذه الجهات لوازم الزراعة من الآبار والسواقى لرفع المياه ، ويظهر من سجلات الديوان العالى امتلاك كبار القادة العسكريين من أصحاب البيوت المملوكية لمساحات واسعة بالجهات السابقة ، ويقوم بزراعتها اتباعهم من المماليك . ومن الملاحظ أيضا اهتمام هؤلاء القادة وذوى النفوذ بحيازة الأرض واستئجار حصص التزامات لأبنائهم القصر ، لتكون من الموارد الأساسية ، كالعلوفات . وقد انتشرت بساتين رجال الطبقة الحاكمة بضواحى القاهرة ، والتى غرست بمختلف أشجار الفاكهة ونباتات الزينة ، وشيدت قصورهم المنيفة بعيدا عن مصادر ضوضاء المناطق التجارية والصناعية بقلب العاصمة (٦٩) .

---

(٦٨) اسقاطات القرى : س ١ ص ١١٣ ، س ١ ص ٨٠ ، س ١ ص ٨٥ ، س ١ ص ١٤٩ ، ٩٠ ، ١١٦ ، س ١٢ ص ٢٧ ، س ١ ص ١٦٧ ، س ٥ ص ٢١٧ .
— سجلات الديوان العالى : س ٢ ق ١٣٣ ، س ١ ق ٦٥٧ .
— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٤١٢ ، ق ٥٨٧ ، ق ٤٣٥ .
(٦٩) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٥٥ ، س ١ ق ٦٧٤ ، ق ٩١٥ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ١٦٣ ، ق ٣١٥ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٥٨٩ .
— محكمة طاولون : س ٢١٩ ، ق ١٢٩ .

ومن الجدير بالذكر اهتمام رجال المالية وكتبة الأوجاقات فضلا عن كبار التجار مثل ( عائلة الشرايبى وغيرها ) بحيازة الأراضى بشكل واضح فى المناطق الزراعية السابقة .

**ثانيا – ولايات الوجه القبلى :**

٨ – **ولاية الجيزة** : كان لرجال أوجاق ( عزبان ) – كما توضح الوثائق – الجانب الأكبر من التزامات ولاية الجيزة ، يليهم رجال ( مستحفظان ) ، حيث ارتفعت حلوانات كتخداوات عزبان ، من ذلك أحدهم الذى التزم بحصة قدرها ثلاثة عشر قيراطا من كامل ناحية ( كوم بره ) – وهى وقف الدشيشة المرادية – وحلوانها واحد وتسعون كيسا مصريا ، ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) ، ثم أسقطها لجوربجى عزبان سردار بموكب الحج الشريف . وشارك جوربجى عزبان أحد مماليكه فى التزام نصف كامل أراضى الناحية السابقة ( كوم برة ) فى العام التالى ( ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ) مقابل حلوان قدره ستة وأربعون كيسا مصريا ، وهذا يعنى اختلاف قيمة الحلوان من سنة لأخرى تبعا لظروف الزراعة بالولاية (٧٠) .

وانتشرت التزامات رجال هذا الأوجاق ، كما استأجروا مساحات واسعة بهذه الولاية بنواحى ( الكنيسة – المحرقة – كرداسة – الطالبية – طرة – المعصرة – طموة ، وغيرها ) . ومن الملاحظ ارتفاع شأن بيت ( الجلفية ) المملوكى فى شئون الالتزام بالنواحى السابقة ، كما شارك رجال أوجاق مستحفظان فى هذا النشاط ، فنجدهم يلتزمون حصصا كثيرة ، وان كانت أقل فى مساحتها وحلواناتها عن حصص رجال عزبان ، واستأجروا مساحات

---

(٧٠) اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٥٤ ، س ٥ ص ٢٥ ، س ١ ص ٧٩ ، س ٥ ص ٢٥ ، س ١ ص ٩٩ ، س ١٢ ص ٢٢٥ ، ٢٢٥ ، ٣١٥ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٣١٥ ، ٢٠٨ .

اخرى بنواحى ( الاخصاص ، منا الأمير ، تكلا ، ميت عقبة ، منيل شيحه ) ، ومن السباهية نفر من العسكر واعوانهم التزموا بحصص اخرى بولاية الجيزة ، وان كانت أقل شأنا من سابقاتها ، وسيطر عليها العنصر المملوكى ، بنواحى (ترسا ـ وردان) وغيرها . اما جند (المتفرقة والجاويشية) فكان اسهامهم فى هذا المجال غير ذى بال ، واقتصر على كبار القادة من الأغوات والاختيارية . وانتشرت ايضا التزامات رجال الادارة من المقاطعجية والأفندية فضلا عن انتجار وشيوخ العربان بنواحى ولاية الجيزة (٧١) .

٩ ـ **ولاية الفيوم** : انتشرت التزامات العسكر فى نواحى ولاية الفيوم ، ولم تكن هذه الولاية من الولايات الكبيرة ، كما يلاحظ انخفاض قيمة الحلوانات بها . وقد احتفظ رجال أوجاق مستحفظان بمكانة الصدارة ـ كما هو معروف ـ فى حيازة أراضى هذه الولاية ، من ذلك التزام باش جاويشية مستحفظان وهو من بيت القازدغاية ، المملوكى ـ بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( شمما ) بحلوان قدره ثمانية أكياس ونصف كيس مصرى ، كما التزم أحد الأوده باشية بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( الزربى ) وحلوانها مائتان وخمسون دينارا زنجرلى ( سنة ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩م ) . بينما استأجر افراد هذا الأوجاق الأراضى بنواحى ( طميه ـ العجميين ، الزربى ) (٧٢) .

---

(٧١) محكمة طولون : س ٢١٩ ، ق ٤٤١ ، ق ٣٧٧ ، ق ٩٥٧ ، ق ٤٠٨ ، ق ٤٤١ ، ق ٤٧٣ .
ـ محكمة القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٢٦١ .
ـ محكمة بولاق : س ٦٣ ، ق ٣٤ .
ـ محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ٧٣ .
ـ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٤ ، ق ٦٠٠ ، ق ٥٤٩ ، ق ١٧٧ ، ق ٤١٦ ، ق ٦٠٠ .
ـ محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣٤٣ .
(٧٢) اسقاطات القرى : س ١ ص ٩٣ ، س ١٢ ص ٣٤٥ ، س ٦ ص ٩٥ .
ـ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٥٥ ، ق ٢١٤ .
ـ سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٩٠ .

ومن أوجاق عزبان ، يلتزم أحد جاويشية عزبان بحصة قدرها قيراطان ونصف قيراط من كامل نواحى ( الجعافرة — العتامنة — الغابة الكبرى ) وحلوانها كيس مصرى فقط ( سنة ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨م ) كما التزم أحد مماليك عزبان بحصة قدرها النصف من كامل ناحية ( الزربى ) بحلوان قدره مائتان وخمسون دينارا زنجرلى ( سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٨م ) . وقلت حصص الالتزام الخاصة برجال أوجاقات السباهية والمتفرقة وقد حرص العسكر على مشاركة أهالى النواحى السابقة فى تربية المواشى والأغنام بغرض الاتجار فيها ، الى جانب الاعتماد عليها فى شئون الفلاحة (٧٣) .

١٠ — **ولاية البهنساوية** : اتسعت ولاية البهنساوية لالتزامات متعددة ، كان لرجال أوجاق عزبان — كما تبين الوثائق — نصيب مميز ، ويأتى رجال أوجاق مستحفظان فى المرتبة الثانية ، ثم أوجاقات السباهية الثلاث ، وبدور متواضع أسهم رجال جماعتى المتفرقة والجاويشية . فقد التزم أحد كتخداوات عزبان — وهو من جماعة الرزاز الملوكية بحصة قدرها السدس من كامل ناحية ( ميمون ) وحلوانها أربعة وعشرون كيسا مصريا ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) بينما شارك الأمير ( رضوان كتخدا عزبان الشهير بالجلفى ) اثنين من مماليكه فى التزام حصة قدرها الربع من كامل ناحية ( شلقام ) (*) وحلوانها أربعة عشر كيسا مصريا سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ، ويبدو نفوذ المماليك واضحا فى مجال الالتزام ، حيث نجد أحد جوربجية عزبان — تابع كتخدا عزبان — يشارك ثلاثة من المماليك فى التزام حصتين الأولى من كامل ناحية ( ميدوم ) بالبهنساوية والثانية وقدرها النصف من كامل ناحية ( دمنهور الوحش ) بالبحيرة ، وحلوانهما مائة وخمسون كيسا

---

(٧٣) اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٥٨ ، س ١ ص ١٢٤ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢١٤ ، ق ٣٢٨ .
— محكمة القسمة العسكرية : س ١١٤ ، ق ٩٠ ، ق ١٠٨ .

(*) شلقام : تابعه لبنى مزار بالمنيا .

مصريا ، وهذا يعكس النفوذ الاقتصادى العنصر المملوكى (٧٤) .

وبالنسبة لاستئجار الأراضى الزراعية ، نجد العديد من رجال هذا الأوجاق ، من ذلك أحد جوربجية عزبان — وهو ابن كتخدا من المماليك — استأجر حصة قدرها قيراطا من كامل نواحى (ابسوج — الفشن — الفقاعى) بأجرة سنوية ثلاثة عشر الف نصف فضة خارجا عن الميرى وخلافه ، كما استأجر جوربجى آخر — ملتزم بناحية أشمنت — حصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( الاتلات ) بأجرة سنوية قدرها سبعة آلاف نصف فضة ، وهــذا يعنى اختلاف القيمة الايجارية من ناحية لأخرى داخل الولاية . ومن كبار قادة مستحفظان ، نجد ( الأمير عبد الله كتخدا مستحفظان القازدغلى ) الذى التزم بعدة حصص فى نواحى ( هلية — الهرم — جاجر ) ، وحلوانها أربعة وستون كيسا مصريا ، ثم يتنازل عنها لأحد أتباعه — باش جاويش مستحفظان — مقابل هــذا الحلوان ( سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) . بينما استأجر كتخدا مستحفظان آخر حصة قدرها السدس من كامل ناحية ( الشناوية ) بأجرة سنوية قدرها عشرة آلاف نصف فضة خارجا عن الميرى ( سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤م ) ، وتقع فى التزام أحد رجال مستحفظان (٧٥) .

---

(٧٤) سـجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٠٤ ، ق ١٤٥ ، ق ٧٩ ، ق ٧٨ ، ق ٧٣ ، ق ٢٦١ ، ق ٢٢٥ ، ق ٤٥٩ ، ق ١٢٧ ، ق ٥١٧ ق ٥٧١ .

— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٣٤٠ .

— محكمة بولاق : س ٦٥ ق ٣٠٢ .

— محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ١٤٣ .

— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٤٤ ، س ١ ص ٢٨ ، س ١ ص ١٩ ، س ١٢ ص ١١٦ ، س ١ ص ١٤٣ ، س ١٢ ص ٣١٧ ، ص ١٦ .

(٧٥) اسقاطات القرى : س ١ ص ٨ ، س ١٢ ص ٢١٦ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٣ ، ق ٣٩ ، ق ١٦١ ، ق ٧٣ .

— دفتر جريدة صرف ثلث فوائض مذكورين : حفظ نوعى ٦٥١ ع ١٠ مخزن تركى ، صفحات متفرقة .

ويستأجر أوده باشى مستحفظان من الأشراف حصة قدرها سبعة قراريط من كامل ناحية ( براوه ) بأجرة سنوية ثمانية عشر ألف نصف فضة خارجا عن الميرى ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ) ودخل التجار من رجال مستحفظان أيضا مجال الالتزام بولاية البهنساوية لاستثمار أموالهم ، من ذلك أحد رجال الطائفة يلتزم بحصتين الأولى النصف من كامل ناحية ( هلية ) والثانية الربع من كامل ناحية ( بذهل ) وحلوانهما ثمانية أكياس مصرية ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ) .

انتشرت التزامات رجال أوجاقات السباهية ( الجراكسة — التوفكجية — الكوملية ) ، بنواحى مختلفة بولاية البهنساوية ، ولكنها تميزت بصغر مساحاتها ، وانخفاض قيمة حلواناتها واشتراك أكثر من ملتزم فى حصة قد تصل الى قيراط ونصف قيراط من كامل ناحية معينة (٧٦) .

ويغلب على ملتزمى السباهية الطابع المملوكى سواء من الجوربجية أو الأفراد من العسكر ، ومارس رجال ( الجاويشية والمتفرقة ) هذا النشاط الزراعى من حيازة الالتزامات واستئجار الأراضى ، على نطاق ضيق ، وتغلغل المماليك فى كيان هاتين الجماعتين بشكل واضح . وتشير الوثائق الى مشاركة بعض العسكر لأهالى الاقليم — من شيوخ القرى والعلماء — فى الالتزامات واستئجار الأرض الزراعية ، وقد اتضح دور شيوخ العربان ( الهوارة ) والسادة العلماء والأشراف فى مجال الالتزام بهذه الولاية الواسعة (٧٧) .

---

(٧٦) محكمة بولاق : س ٦٥ ق ٣٠٢ ، س ٦٣ ق ١٠٣ ، ق ١١٥ ، ق ٢١٤ .

— دفتر جريدة صرف ثلث فوائض مذكورين ، ص ١٠٨ ، ١١٢ .

(٧٧) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٦١ ، ق ١٦٠ ، ق ٤٤٦ ، ق ٢٣٩ ، ق ٤٥٩ .

— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٤٤ ، ٢١٦ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٥٠٧ .

— دفتر جريدة صرف ثلث فوائض مذكورين ص ٩٥ ، ١١٥ .

١١ – ولاية الأشمونين : اشتغل كثير من العسكر بالالتزام فى هـذه الولاية ، ويبدو أن رجال عزبان كانت لهم الغلبة فى هذا المجال ، من ذلك التزام أحد الجوربجية – من المماليك – وكتخدا الحج الشريف بحصة قدرها الثلث من كامل ناحية ( طهنشا ) وحلوانها عشرة أكياس مصرية ، ولكنه تنازل عنها لجوربجى عزبان آخر ليحصل على هذا الحلوان ، كما استأجرها من جديد بأجرة سنوية قدرها كيسان مصريان خارجا عن الميرى ( سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م ) ، كما التزم أوده باشى عزبان بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( اتليدم ) وحلوانها كيس مصرى واحد وخمسة آلاف نصف فضة . ومن رجال أوجاق مستحفظان نصادف عددا قليلا من الملتزمين بالولاية ، من ذلك أحد كتخداوات مستحفظان ( الخربطلى ) الذى التـزم بحصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( بنى خيار ) وحلوانها أربعة أكياس مصرية ( سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م ) (٧٨) .

أما بالنسبة للعسكر من أوجاقات السباهية والمتفرقة والجاويشية ، فقد كانت التزاماتهم محدودة فى هذه الولاية بنواحى ( طوه بنى ابراهيم – عطف البيلى – كفر مهدى ) ولا تزيد حصة أحدهم عن قيراط من كـامل الناحية ، وتضاءلت حصص الالتزام بوجه عام فى أواخر القرن الثامن عشر لدخول عناصر متعددة هذا الميدان الزراعى . ومن الجدير بالذكر الاشارة الى نفوذ قبيلة الهوارة فى مجال الالتزامات الواسعة ، وتلك العـلاقات الوثيقة التى نشأت بين رجالها من ناحية ورجال الأوجاقات العسـكرية من ناحية أخرى فى معظم ولايات الصعيد (٧٩) .

---

(٧٨) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٩ ، ق ٢٩ ، ق ١٨٢ ، ق ٨٠ .
– اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٢٣٥ ، ٢٢٨ ، ٤٣٧ .

(٧٩) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٣٥ ، ق ٨٠ ، ق ١٨٣ ، ق ٥١٤ ، ق ٧٢٢ .
– محفظة دشت رقم (١) ص ٣ ( دار الوثائق القومية ) .

١٢ — **ولاية المنفلوطية** : كان لرجال أوجاق مستحفظان وعزبان النصيب الأكبر من الالتزامات بولاية المنفلوطية ، وهم غالبا يرجعون لبيوت ملوكية قوية فى القرن الثامن عشر . من ذلك باش جاويش مستحفظان — ابن كتخدا مستحفظان — ومن القازدغلية الذى التزم بحصة قدرها الربع من كامل ناحيتى ( بنى كلب (*) — المدور ) وحلوانها أربعة عشر كيسا مصريا سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م ، وتنازل عنها ليلتزم بها أحد جوربجية مستحفظان — ابن جوربجى عزبان — ومن الصابونجية ، ويشارك الأمير مماليكه فى حصص الالتزام بالولاية ، من ذلك جوربجى عزبان يلتزم هو وتابعه — جوربجى فى نفس الأوجاق — بحصة قدرها الربع من كامل ناحية ( بنى عدى ) وحلوانها اثنا عشر كيسا مصريا ( سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) (٨٠) .

ومن الطبيعى أن تختلف قيمة حلوان ناحية معينة من وقت لآخر ، فبينما التزم أحد مماليك عزبان بحصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( بنى عدى ) بحلوان قدره أربعة أكياس ونصف كيس مصرى ( سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٩م ) ارتفع هذا الحلوان لنفس الحصة الى ستة أكياس مصرية ( سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) . ومن أوجاقات السباهية ، التزم جوربجيتها بحصص متفاوتة وهم من العناصر المملوكية ، بينما قلت انصبة الأفراد من العسكر فلا تزيد عن قيراط من كامل ناحية معينة . كما شارك كبار رجال جماعتى ( الجاويشية والمتفرقة ) والاختيارية بنصيب متواضع فى التزامات ولاية المنفلوطية . ومما يذكر التزام بعض نساء العسكر من المعتوقات بأراضى الأوقاف والرزق ، بمساحات واسعة قد تصل الى ( ستين فدانا ) ، ويقوم أزواجهن — بالوكالة —

---

(*) حاليا ( بنى مجد ) مركز منفلوط محافظة اسيوط .

(٨٠) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٠٧ ، س ١ ق ٢٠٦ ، س ١ ق ٥٥٥ ، ق ٥٤٥ .

— اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٨ ، ص ٦٩ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ١٨٠ ، س ٢٠٦ ق ٣٣٦ .

بالتصرف فى شئون هذه الالتزامات خاصة اذا كانت فى ولاية بعيدة ( الوجه القبلى ) (٨١) .

١٣ — **ولاية الأسيوطية** ، امتد نشاط العسكر فى ميدان الالتزام حتى أقاصى ولايات الصعيد ، وانتشرت التزاماتهم ، وخاصة رجال أوجاق مستحفظان الذين احتفظوا بعلاقات وطيدة مع شيوخ عربان ( الهوارة ) فضلا عن نفوذهم السياسى والاقتصادى بين الأوجاقات . وينتمى معظم كبار رجالات هذا الأوجاق من الملتزمين الى البيوت المملوكية المشهورة من ذلك ( الأمير عبد الرحمن باش جاويش مستحفظان سابقا ) ومن القازدغلية الذى شارك تابعيه فى حصة قدرها السدس من كامل ناحيتى ( الخمام — الوليدية ) وحلوانها أربعة أكياس مصرية ( سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م ) . ويستأجر أحد كتخداوات مستحفظان حصة قدرها النصف من كامل ناحية ( طما ) بأجرة سنوية عينية قدرها مائة وسبعون أردبا من الغلال وعلى المستأجر مهمة نقلها بالمراكب الى ساحل بولاق ، وتقع هذه الحصة ضمن وقف الغورى وتحت نظارة أحد الأغوات ( سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦م ) (٨٢) .

ويشترك اثنان من الجوربجية المماليك ، أحدهما مستحفظان والآخر عزبان فى التزام حصة قدرها الثمن من كامل ناحية ( أبنوب ) وحلوانها خمسة أكياس مصرية ( سنة ١١٤١ هـ / ١٧٢٩م ) . وساهم رجال الادارة المركزية بالعاصمة من البكوات وأمراء الحج والدفتردارية بنصيب فى التزامات ولاية

---

(٨١) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٢٢٠ ، ق ٣٥٠ ، ق ٤٨٧ ، ق ٢٠١ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٧ ، ٤٥ ، ٢٠٩ ، ١٨٤ .

(٨٢) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٠٨ ، ق ٤١٧ .
— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٥٥٧ ، ٧٩٨ .
— اسقاطات القرى : س ١ ص ٧ ، ١٢ ، ١٩ .

الأسيوطية ، ولعل العلاقات بين العسكر والأهالى قد تبلورت فى بعض الولايات من خلال وكالة كبار القادة العسكريين عن شيوخ القرى والأهالى فى استئجار مساحات واسعة من الأراضى الزراعية ، ومشاركتهم فى استغلالها ، خاصة وقد تشابكت مصالحهم الاقتصادية (٨٣) .

**١٤ ــ ولاية دجرجا :** وفى أقصى ولايات الصعيد ــ تكشف الوثائق ــ عن حيازة عدد من العسكر بأوجاقى مستحفظان وعزبان للأراضى على شكل حصص التزام أو استئجار مساحات مختلفة منها ( أراضى الأوقاف ــ الأراضى الخراجية ) . وكالعادة ينتسب كبار الملتزمين الى البيوت المملوكية ، من ذلك أحد كتخداوات مستحفظان وهو من القازدغلية ، يلتزم بحصة قدرها تسعة قراريط من كامل نواحى ( بلصفوره ــ سعد الله ــ جزيرة المنتصر ) وحلوانها اثنان وعشرون كيسا مصريا ( سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣م ) ، واشترك المماليك الذين ينتمون الى أحد الأمراء ــ وهم من رجال الأوجاقات ــ فى التزام حصص أخرى بنواحى ( منية خصيم ــ طحطا ــ أخميم ــ البلينا ــ الجلاوية ــ نقاده ــ قوص ) (٨٤) .

من هذا العرض السابق يمكننا أن نستخلص عدة أمور نوجزها فيما يلى :

**أولا :** تصدر رجال أوجاقى ( مستحفظان وعزبان ) قائمة الملتزمين فى معظم الولايات ، وتميزت حصصهم بالاتساع وارتفاع الحلوانات .

---

(٨٣) اسقاطات القرى : س ١ ص ١٨ ، ٢٠ ، ٤٠١ .
ــ محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ٩٨ ، ق ١٠٤ ، ق ٤٠٥ .
(٨٤) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٦٠٩ ، س ١ ق ١٨٣ ، ق ١٧٢ ، ق ٤٠١ .
ــ اسقاطات القرى : س ١ ص ٨٠ ، ٦٥ ، ١٠٧ ، ٩٤ .
ــ محكمة طولون : س ٢١٩ ق ١٠٦ ، ق ٢١٤ ، ق ٤١١ .

**ثانيا** : اسهام رجال السباهية والمتفرقة والجاويشية بأنصبة لا بأس بها فى الالتزامات واستقرار عدد كبير منهم لمباشرة شئون التزاماتهم وزراعاتهم المتعددة .

**ثالثا** : اختلاف حلوانات الأراضى من ناحية لأخرى حسب زمامها من جهة وخصوبة أراضيها من جهة أخرى .

**رابعا** : دخــول رجال الادارة المركزية من الدفتردارية والروزنامجية والقضـــاة وأمراء الحج الى جانب الكشاف ورجال الادارة المحلية ميدان الالتزامات وهم من أمـــراء المماليك الغائبين عن التزاماتهم ويقوم بمباشرة شئونها أتباعهم من المعاتيق وشركاؤهم من الأهالى .

**خامسا** : دخول نساء العسكر وبناتهم ميدان الالتزام عن طريق وكلائهن من المعاتيق ورجالهن من الأجناد كمجال لاستثمار أموالهن .

**سادسا** : رسوخ أقدام المماليك ، من الأمراء ورجال الادارة والعسكر ، فى الميدان الاقتصادى بصـــفة عامة ، وحيازة الأراضى بصفة خاصـــة باعتبارها أهم موارد البلاد ، ويرجع ذلك الى تضامن المماليك كمؤسسة — تجاوزا — دخلت هذا الميدان بترابط ويدعمها فى ذلك السيطرة السياسية فى الولاية .

**سابعا** : تحلل ( الأوجاقات العثمانية ) فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر وتداعى نفوذها الاقتصادى تبعا لانعدام الروابط اللازمة المحافظـــة على الكيان العثمانى ، وخروج افرادها من منطلق فردى للحياة الاقتصادية دون الانتماء لمؤسسة قوية تحافظ على المصالح والأهداف .

**ثامنا** : قدرة البيئة الزراعية المصرية عـــلى جذب العناصر الأجنبية الحاكمة ( رجال الأوجاقات العسكرية ) واغرائهم على التأقلم والاستقرار ، وبذلك فقد رجال الأوجاقات طابعهم العسكرى ، وتخلى بذلك معظمهم عن العمل الأصلى بعد أن جرفتهم التيارات الاقتصادية بالبلاد ، وظهر ذلك واضحا فى عجز الكيان العسكرى ( المملوكى العثمانى ) عن مواجهة زحف الحملة الفرنسية على مصر ، واستخدام أساليب الفروسية ، دون مواكبة التطورات العسكرية المتقدمة فى العالم حينذاك .

# الفصل السابع عشر

## العسكر والحرف

### بداية اشتغال العسكر بالحرف :

حرصت طوائف الحرف على التمسك بتقاليدها الثابتة من حيث أصول التدرج فى درجات الحرفة ، وضرورة اكتساب الخبرات اللازمة لكى ينتقل فيها العضو من درجة لأخرى ، والتأكد من كفاءة الراغب فى الانضمام الى الطائفة ، وتجرى لذلك احتفالات يحضرها كافة رجال الطائفة الحرفية ، ومن حق احدهم الاعتراض على هذا العضو اذا أثبت مخالفات تنال من المامه بأصول ومبادىء المهنة ، ولم يكن مسموحا الا لرؤساء الحرفة ( المعلم — الأسطى ، العريف ) لافتتاح الحوانيت لممارسة المهنة بعد التزام أحدهم باحترام تقاليد وأسرار حرفته أمام شيخ الطائفة ، وحصوله على الأدوات اللازمة لمزاولة الصنعة (١) .

وغالبا ما تركزت حوانيت أصحاب المهنة الواحدة فى أماكن متقاربة ، داخل حى معين أو سوق يكتسب اسم الحرفة التى يشتغلون بها كما هو الحال بالنسبة لطوائف التجار . كان الهدف من وراء هذه التقاليد والقيود المفروضة على طوائف الحرف ، الحفاظ على المستوى المهنى للطائفة ، ومنع الانضمام اليها الا بعد اكتساب الخبرات الكافية . بيد أن هذه القيود السابقة لم تشكل عقبة أمام جماعات العسكر العثمانى الذين استقروا بمصر عقب الفتح العثمانى ، واشتدت هذه الظاهرة منذ أواخر القرن السادس عشر ،

---

(١) جب — بوون : المجتمع الاسلامى والغرب . ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ج ٢ ص ١٣٨ .

وشهد القرن السابع عشر تزايدا ملحوظا فى الطوائف الحرفية بالقاهرة واعداد رجالها ، كما تداخل الحرفيون والتجار فى الاوجاقات والتحقوا بها (٢) .

ارتبط دخول العسكر ميدان الحياة الاقتصادية بصفة عامة فى مصر ، بأوضاع اقتصادية مضطربة تعرضت لها الولاية كجزء من الامبراطورية العثمانية ، فقد انخفضت قيمة النقد المتداول فيها منذ الربع الأخير للقرن السادس عشر ارتباطا بتطورات عالمية ، بعد أن تدفقت خيرات العالم الجديد من الذهب والفضة على غرب أوربا ، ولم يعد أمام الدولة العثمانية مجالا للتوسعات التى اعتمدت عليها أساسا لتنمية مواردها (٣) .

وتفسر ظاهرة التضخم بالنسبة للعسكر ، دون زيادة رواتبهم من الخزينة بشكل يتناسب مع ارتفاع تكاليف المعيشة ، تلك الثورات التى قاموا بها ضد السلطة العثمانية والتى أودت بحياة بعض الباشوات سواء فى مصر ، أو غيرها من الولايات حتى العقد الأول من القرن السابع عشر . كما أن استقرار العسكر العثمانى بمصر بصفة دائمة دون احداث تجديدات على الكيان العسكرى وترحيل الموجود بمصر الى غيرها من الولايات للحيلولة دون ارتباطهم بالولاية التى يخدمون بها ، قد أغرى الكثير من رجال الأوجاقات للبحث عن موارد جديدة كل فى مجال نشاطه ، فبينما اتجه كثير من رجال ( مستحفظان وعزبان والمتفرقة والجاويشية ) العاملين بصفة أساسية بالعاصمة الى مجال الحرف والتجارة ، انصرف رجال السباهية القائمون

---

(٢) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية : س ٢٩ ق ٨٨ ، ق ١٣٤ ، س ٢٦ ق ٢٩٨ .

— محفظة دشت رقم ٨ ص ٢٩ .

— محفظة دشت رقم ١١٧ ، ص ٤٦٢ .

— عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

(٣) Holt : Op. cit., pp. 66-69.

على خدمة الكشاف والصناجق فى الاقاليم الى ميدان الزراعة وتربية الماشية والاتجار فيها (٤) .

وقد ساعدت الدولة العثمانية على تزايد هذا النشاط الاقتصادى لرجال الأوجاقات بشكل غير مباشر ، فلم يعن السلاطين بمعاقبة الجند الخارجين على ( قانون نامة مصر ) الذى حرم عليهم الاشتغال بغير واجباتهم الحربية المنوطة بهم ، واقتصر موقفهم على مجرد استنكار لهذا التجاوز فى بعض الأوقات . كما افتقرت الدولة الى سياسة عامة لمعالجة أساليب خروج العسكر الى المجال الاقتصادى ، وزيادة رواتبهم بما يلائم الأوضاع المعيشية المتغيرة (٥) .

وفى دراسة سابقة لأوضاع الأوجاقات فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، اتضح اشتغال العسكر بالعديد من الحرف ، فكان صغار العسكر ( أصحاب العلوفات المحدودة ) يقومون بممارسة الحرف بأنفسهم فى الحوانيت التى افتتحوها لهذا الغرض ، بينما اتجه قادة العسكر الى تشغيل ممايكهم من سائر الجنسيات — سواء من السود أو البيض — فى حوانيتهم واقتصر دورهم على الاشراف الفنى والمالى .

حرص الجند الحرفيون على التجمع فى أحياء معينة حيث تتقارب حوانيتهم رغم اختلاف المهن التى يشتغلون بها — خارجين بذلك على النظام المألوف من حيث تركيز اصحاب الحرف الواحدة فى احياء معروفة — فكان شعورهم بالانتماء الى أصول متقاربة يحتم عليهم التجمع فى كيانات واحدة وسط المجتمع الحرفى المتماسك نسبيا ، واهتم العسكر أيضا بالعمل على شكل جماعى فكان الاخوة او ذوى القربى او البلد الواحد يمتهنون حرفة واحدة يورثونها أبناءهم الذين يأخذون عنهم العمل العسكرى أيضا (٦) .

---

(٤) عراقى يوسف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، وما بعدها .

(٥) قانون نامة مصر ، ورقة ٣١ .

(٦) عراقى يوسف : المرجع السابق ص ٢٦٨ .
Raymond : op. cit., p. 670.

**أهم الحرف التى عمل بها العسكر فى القرن الثامن عشر :**

اشتد اقبال رجال الأوجاقات على العمل فى الحرف بالقاهرة عاصمة الولاية خاصة وقد تضخمت اعداد الأوجاقات وغلب العنصر المملوكى بين صفوفها منذ أواخر القرن السابع عشر ، فكان ورود المماليك الى مصر لا يكاد ينقطع بشكل سنوى سواء من البيض او السود ، كما مارس بعضهم حرفا أخرى فى البنادر والثغور الى جانب عملهم العسكرى بها . وفى القرن الثامن عشر تابع الجند اشتغالهم بحرف سابقة اهتموا بها من قبل فى القرن السابع عشر ، كما طرقوا مجالات حرفية جديدة تبعا للتطورات العامة فى هذه المجالات ، واختفى اهتمام العسكر أيضا بحرف سابقة . وفيما يلى استعراض لأهم الحرف — كما تشير بذلك وثائق المحاكم الشرعية :

١ — **الحلاقون** : اشتغل بمهنة الحلاقة عدد من العسكر الذين ينتمون الى أوجاقات ( عزبان — مستحفظان — جاويشان ) حيث يستقرون بالعاصمة لطبيعة أعمالهم ، وانتشرت حوانيتهم فى مختلف أحياء العاصمة بما يخدم الفئات الاجتماعية المختلفة ، ومن الملاحظ تركزهم فى مداخل المدينة ( باب النصر — باب الشعرية — باب الفتوح ) ، وفى المناطق التجارية ( الغورية — خان الخليلى ) وفى ساحل بولاق ، ومصر القديمة . ويرتبط بهذه المهنة اشتغال بعض الجند السباهية فى الأقاليم ( بالقصاصة ) أى قص شعر الدواب من الماعز والأغنام والابل وغيرها ، للحصول على الأصواف اللازمة لصناعات محلية يدوية باستخدام الأنوال . ومن الملاحظ أن العاملين بهذه المهنة كانوا من صغار الجند ( ذوى العلوفات الصغيرة ) ، وتشير مخلفاتهم الى تواضع مستواهم الاجتماعى ، فلا يزيد متوسط تركاتهم عن نصف كيس مصرى ( اثنا عشر الفا وخمسمائة نصف فضة ) سنة ١١٥٣ هـ ١٧٤٠م (٧) .

---

(٧) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٣٢٠ ، ق ٤٠٥ ، س ٥٤٨ ، ق ٤١٧ ، ق ٥٤٣ ، س ١٤٩ ق ٦٦٥ ، ق ٤١٨ ، ق ٨٠١ ، ق ٨٤٥ .

٢ — **الحمامية** : عرف المشتغلون فى شئون الحمامات بـ ( المدولبون بالحمامات ) ، وقد اشتهرت القاهرة بوفرة الحمامات بها — كما اشار الرحالة الذين زاروها خلال القرن الثامن عشر — ورغم الاختلاف فى تحديد أعدادها فيمكن القول بوجود حوالى سبعة وسبعين حماما على الاقل ، موزعة على كافة أنحاء ( القاهرة وبولاق ومصر القديمة ) ، وتخصص بعضها للرجال والأخرى للنساء ، كما أقيم حمام خاص بالعسكر ورجال الطبقة الحاكمة بجوار القلعة منعا لحدوث المشاغبات مع الأهالى . كما اهتم عدد من أغوات الأوجاقات ورؤسائها بانشاء الحمامات والأسبلة لخدمة الناس ، ووقفوها لهذا الغرض ، وخصصوا للانفاق عليها موارد معينة ، وارتبطت بأسمائهم . ومن الجدير بالذكر أن التردد على الحمامات العامة كان قاصرا على أبناء الرعية ، حيث اهتم الأمراء المماليك وكبار رجال الأوجاقات وأبناء الطبقة الحاكمة والأعيان بانشاء حمامات خاصة فى قصورهم الفخمة المشيدة وسط البساتين (٨) .

وتشير الوثائق الى حيازة عدد من رجال مستحفظان لبعض حمامات سواء بالتملك عن طريق الوقف أو باستئجارها أو المشاركة فى نصيب منها ، كما اشتغل نفر منهم فى خدمة الحمامات جنبا الى جنب مع الأهالى من الحمامية الذين دخلوا هذا الأوجاق وصاروا أعضاء عسكريين (٩) .

٣ — **القندلجية** : هم المشتغلون بصنع القناديل التى كانت اهم وسائل الاضاءة فى ذلك الوقت ، وتركزت حوانيتهم فى الأسواق الكبيرة بالغورية والأزهر والحسين ، وفى بولاق ، ويلاحظ اقبال رجال مستحفظان من المماليك على هذه الحرفة ، وشاركهم رجال جماعتى المتفرقة والجاويشية الذين انحدرت مكانتهم فى القرن الثامن عشر ، ويبدو أن رجال هذه الحرفة

---

(٨) اندريه ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة : زهير الشايب ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١١٥ — ١٢٠ .

(٩) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٠٥ ، ق ١٩٨ ، ق ٤١٥ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٦٠٩ ، ق ٧١٤ .

كانوا على مستوى بسيط وان كان افضل من سابقيهم ( الحلاقون ) حيث ارتفع متوسط التركة الى كيسين ( خمسين الف نصف فضة ) (١٠) .

٤ ـ **القهوجية** : افتتح عدد من العسكر ( مستحفظان ـ عزبان ـ المتفرقة ) القهاوى فى أحياء مختلفة ، وخاصة فى الأسواق الهامة ، والمناطق الحرفية والتجارية ، حيث يزيد الاقبال عليها ، ومارس بعضهم ـ وخاصة المماليك ـ هذه المهنة بأنفسهم ، بينما اقتصر دور الجوربجية والأوده باشية على حيازة القهاوى وتأجيرها للأهالى المشتغلين بهذا العمل ، وقد وصل ايجار القهوة شهريا حوالى ( ألفى نصف فضة ) ، بما يحقق لهم دخلا معقولا . ويبدو أن العسكر قد طابت لهم هذه الحرفة حيث نجد أحد ( رجال مستحفظان ) قد ارتقى لدرجة ( شيخ القهوجية ) وهذا يعنى الالمام الكافى بتقاليد واصول المهنة . وكان القهوجية من الجند على مستوى بسيط ، فلا تزيد تركة أحدهم عن كيس مصرى (١١) .

ويهتم امراء العسكر ( المتفرقة ) بتوريث معاتيقهم تلك القهاوى وما بها من أدوات خاصة اذا كانوا أوصياء على قاصريهم ، وقد بلغت قيمة هذه الأدوات ( العدة ) حوالى ( ثلاثين ألف نصف فضة ) سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠م (١٢) .

٥ ـ **الصباغون** : تعلم بعض العسكر مهنة الصباغة من رجالها المحليين الذين التحقوا بالأوجاقات خاصة فى أوجاقى ( عزبان والجاويشية ) كما تشير بذلك بعض الوثائق ، وتاجر نفر منهم فى أنواع الصباغات والنيله المستخدمة فى هذه الصنعة . وإنتشرت معامل الصباغة الخاصة بالأقمشة والملابس فى

---

(١٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٣ ق ٤٩٢ ، ق ٤٥٨ ، ق ٣١٤ ، ق ٥٦٨ ، ق ٧١٨ ، س ١٦٧ ق ٤١٥ ، ق ٦٢٨ .

(١١) سجلات المحاكم الشرعية : محكمة القسمة العسكرية : س ١٤٩ ق ٢٧٨ ، ق ٥١٨ ، ق ٧١٨ ، س٥٢٨ .

(١٢) محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣٣٣ ، ٤٧٥ ، ٧٥٨ .

ـ محكمة القسمة العسكرية : س ١٦٠ ق ٣٨٢ ، ق ٤٩٧ .

أسواق معينة بالقاهرة ( سوق الغنم ، سوق الشرابشيين ، سوق القشاش بالرميلة ) ، وبينما اشتغل صغار العسكر فى هذه المعامل بأنفسهم ، نجد أمراء الجاويشية يستخدمون مماليكهم فيها نظير أجرة يومية تصل الى عشرة أنصاف فضة . وعمل فى الصباغة أيضا بعض الجند ( السباهية ) بالأقاليم ( المحلة الكبرى ــ المنصورة ) (١٣) .

٦ ــ **العقادون والترزية** : تخصص العسكر الأروام الذين ينتمون لأوجاقى ( مستحفظان وجاويشان ) فى صنع السجاجيد والبسط والأكلمة وتطريز الملابس والعباءات وغيرها ، وتشير الوثائق الى وصولهم درجات مرتفعة فى هذه المهنة ( العقادة ) من ذلك نجد أحد العسكريين يصل لرتبة ( معلم ) ، وآخرين الى رتبة ( أسطى ) وهم يصاهرون رجال الحرفة من بنى جنسهم ( الأتراك ) بينما وصل أحد رجال الجاويشية لدرجة ( شيخ طايفة العقادين فى الرومى ) ، كما أجر بعضهم حوانيتهم للعقادين ، وتصل الاجرة الشهرية حوالى ( خمسمائة نصف فضة ) ، وانتشرت حوانيتهم فى خط طولون والغورية والأزهر ، وغالبا ما يكون سكنى هؤلاء العسكر العقادين قريبا من محلاتهم . كما اشتغل العسكر الأروام ( الأتراك ) من أوجاق عزبان فى مهنة ( الحياكة ) وخاصة فى صنع ( القمصان ، والعباءات ، والسراويل وغيرها ) وتركز نشاطهم فى ( خط خان الخليلى ، والغورية ، وباب الشعرية ) ، وعمل آخرون فى صنع الطرابيش والطواقى ( الطوقجية ) وانتشروا فى خط ( الصليبية الطولونية والقلعة ) وفى بولاق ، ويبدو أن رجال هذه الحرف ( العقادة ــ الحياكة ــ الطوقجية ) قد تمتعوا بمستوى لا بأس به ، فقد بلغ متوسط تركاتهم حوالى خمسة أكياس مصرية (١٤) .

---

(١٣) محكمة القسمة العسكرية : س ١٤٩ ق ٢٨٦ ، ق ٢٧٨ ، ق ٩١٤ ، ق ٩٥٨ ، ق ٩٧٦ ، س ١٥٠ ق ١١٨ ، ق٥٩٧ .

(١٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٨١ ق ٨٤ ، ق ١١١ ، ق ١٩٧ .

ــ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٥٣ ، ق ١٩٨ .

ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٢٦ ، ق ١٩٤ ، ق ٢١٥ .

**٧ ــ الزياتون والطحانون :** عمل بعض الجند السباهية المنتشرين فى الأقاليم : ( المنصــورة ــ المحلة الكبرى .. ) فى استخراج الزيت واقترن بأسمائهم ( الزيات ) وشاركهم بعض العسكر من أوجاق العزب الذين دخلوا ميدان الزراعة ، ولم يقتصر الأمر على الأفراد ، بل تشير الوثائق الى بعض الأوده باشية الذين امتلكوا ( العصارات ) وأداروها بأنفسهم ويحرصون على وقفها ضمن ممتلكاتهم لتنحصر فى أبنائهم . وقد يصــل ثمن المعصرة حوالى اربعة أكياس مصرية ( مائة الف نصف فضة ) . كما اشتغل فريق من العسكر ( مستحفظان ــ عزبان ) فى طحن الحبوب بساحل بولاق ومصــر القديمة ، واعتمدوا على مماليكهم فى نقل الغلال من مختلف الأقاليم وخاصة من الصعيد حيث تنتشر زراعة كافة أنواعها ، وامتلك آخرون الأفــران ( الطوابين ) لصنع الخبز ، وبذلك دخل العسكر مجالا حرفيا مؤثرا فى حياة الناس بشكل مباشر (١٥) .

واهتم نفر من عزبان بحيازة ( مدقات البن ) ، لطحن البن وتصنيعه ، ولم يكن ذلك أمرا صعبا حيث لا يزيد ثمن الأدوات اللازمة عن سبعة آلاف نصف فضة ، واشتغل فى هذه الحرفة أعداد من الجند السباهية فى الأقاليم ، وتخصص بعض العسكر من أوجاق ( عزبان ) فى صنع النشا بعدة أحياء بالقاهرة ( خط البغالة ــ التبانة ــ الحسين .. ) (١٦) .

**٨ ــ الصاغة والنحاســون والحدادون :** تخصص بعض الأجناد من رجال ( مستحفظان ) و ( جاويشان والمتفرقة ) فى الصياغة وتداخلوا مع أهالى هــذه الحرفة من الاقباط واليهود ، وتجاورت حوانيتهم فى خــط ( الصاغة وخط خان الخليلى والغورية ) وفى ( مصر القديمة ) ، وبرعوا فى

---

(١٥) مضابط محاكم الاقاليم ــ محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٠٢ ، ق ١١٩ ، ق ١٤٥ ، ق ١٦٨ .
ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ٥٠ ، ق ٩٧ .

(١٦) سـجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٢٢٩ ، ق ٣١٥ ، س ١٨٨ ق ٤١١ ، ق ٦٢٥ ، ق ٤١٥ .
ــ محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٦٥ ، ق ١٧٨ ، ق ٢٧٤ .

صنع كافة أنواع الحلى المستخدمة لتزيين النساء ( الخواتم ــ الأساور ــ الحلقان وغيرها ) ، كما صنعوا مقابض السيوف من الذهب الخالص البكوات المماليك ، ومهروا فى طلاء كافة أنواع الأسلحة بالفضة وتزيينها بالمعادن النفيسة والجواهر . ومن الطبيعى أن تجذب هذه المهنة العديد من المماليك بما تمتعوا به من نفوذ ضمن أبناء الطبقة الحاكمة ، واستخدموا معاتيقهم فى الحوانيت الخاصة بهم ، كما رافق بعضهم قافلة الحج المصرى الى الحجاز لبيع منتجاتهم وشراء المواد الخام (١٧) .

واشتغل بعض العسكر المماليك من ( مستحفظان ) والسباهية بتصنيع الأوانى النحاسية ( المدولبون فى النحاس ) الشائع استخدامها فى البيوت ، وتركزت حوانيتهم فى سوق النحاسين ( بخط بين القصرين وخط باب زويلة وباب الخرق وخان الخليلى ) ، وانتشر النحاسون من رجال الأوجاقات وخاصة السباهية للاشتغال بهذه الحرفة فى بنادر الأقاليم المختلفة مستعينين فى ذلك بمماليكهم لتصريف المصنوعات فى القرى التابعة للاقليم . ومن بين المماليك ( مستحفظان ) من صار ( شيخا للنحاسين ) وهذا يعنى درجة اهتمام العسكر بهذه الحرفة . وعمل بعض العسكر ( الأروام ) فى ( الحدادة ) وصنع الأدوات الزراعية فى مدن الأقاليم ولوازم الخيل الى جانب السكاكين وأجزاء البنادق والمدافع المستخدمة وعرفوا باسم ( الجبجية ) حيث تخصص نفر منهم فى تصنيع ( البارود ) (١٨) .

٩ ــ **القوافون والصرامجية** : شارك بعض العسكر من ( أوجاق مستحفظان ) الأهالى الذين اشتغلوا فى صنع ( القفف ) وعرفوا باسم ( القوافين ) ، وصارت لهم حوانيت لممارسة هذا العمل بخط باب زويلة ، وخط قصبة رضوان ، وفى مصر القديمة وبولاق ، فى المناطق التجارية

---

(١٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٨ ، ق ١١٣ ، ق ١٢٩ ، ق ٧٤٥ ، س ١٢٠ ق ٩٧ ، ق ١٠٤ .

(١٨) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ١٣٢ ، ق ٤٣٧ ، س١٤٨ ق ٣٣٧ ، ق ٦٤٥ .

المزدحمة . كما اشتغل جماعة من العسكر الاروام فى صناعة الأحذية المستخدمة ( السراميجية ) من ( الصنادل الاسلامبولى — الأخفاف — النوابيج — الصرم .. ) وتركز نشاطهم بالأسواق الشهيرة ( سوق السلاح — سوق العزى ) وفى قصبة رضوان حيث المركز الرئيسى لهذه الحرفة ، واستعان هؤلاء العسكر برجالهم من المماليك فى تصريف المنتجات بالأقاليم أثناء انعقاد الأسواق الأسبوعية (١٩) .

١٠ — **الجباسون والعصياتية** : دخل نفر من الأجناد ( مستحفظان ، عزبان ، المتفرقة ) مجال العمارة حيث تجهيز مواد البناء من الجبس والأخشاب ، واستلزم ذلك حيازتهم للمراكب اللازمة لنقل هذه المواد من مصادرها الى العاصمة ، وتشير الوثائق الى وجود ( الجباسات ) الخاصة بهم فى عدة أحياء بالقاهرة ( باب الخرق — باب اللوق .. ) وفى بولاق . كما اشتغل فريق من العسكر ( مستحفظان ) فى صنع العصى ( العصياتية ) وتركزت حوانيتهم بخط النبابيتية وفى بولاق . وكان ( الجباسون والعصياتية ) على مستوى بسيط ، فلا يزيد متوسط تركاتهم عن كيس مصرى (٢٠) .

١١ — **القصابون والكبابجية والمدابغية** : عنى العسكر المشتغلون بالزراعة بتربية الماشية بأعداد كبيرة وتاجر بعضهم فيها ، كما تخصص آخرون فى العاصمة بمهنة ( القصابة ) بأنواعها المختلفة ( القصابة فى الضأن والجاموسى والبقرى وغيرها .. ) وانتشرت حوانيتهم فى مختلف أحياء المدينة وخاصة فى مداخلها ( باب النصر — الحسينية — باب اللوق ) وفى ساحل بولاق ، وانتمى هؤلاء القصابون الى أوجاقى ( عزبان ومستحفظان ) والسباهية ، وعمل فى هذه المهنة بعض العسكر فى الثغور وعواصم

---

(١٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٩ ق ٨١٧ ، ق ٢٠٥ ، ق ٤٩٧ ، س ١٥٨ ق ١١٥ ، ق ١١٦٤ ، ق ١٠٠٥ ، س ١٢٣ ق ١٠٥ ، ق ٦٨٧ .

(٢٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ١٦ ، ق ٨٧ ، ق ١٤٥ ، س ١٥٢ ق ٢٣٩ ، ق ٤٨٧ .

الأقاليم . وتخصص جماعة من العسكر : ( مستحفظان — الجاويشية — المتفرقة ) فى دبغ الجلود بخط المدابغ خارج بابى زويلة والخرق ، وتاجروا فيها حيث يأتى التجار الأفرنج لشرائها بكميات كبيرة . وهناك من المماليك والأروام من رجال الأوجاقات من أقبل على تجهيز ( الكباب ) بطرق مختلفة ، وانتشرت محلاتهم بساحل بولاق وبالمنطقة التجارية فى قلب العاصمة ( الغورية ، الأزهر ، خان الخيلى ) (٢١) .

١٢ — **القبانية والمراكبية واليصمجية والخردجية** : اشتغل رجال من مستحفظان بمهنة القبانة بوكالات بولاق المختلفة ، وفى الغورية وقصبة رضوان ، كما عمل آخرون فى خدمة أمرائهم ( مراكبية ) فى النيل لنقل البضائع وتصريف المنتجات ، وفى الأقاليم كانوا يعملون فى ( المعديات ) لنقل الأمتعة والأهالى من شاطىء لآخر فى القرى الواقعة على المصارف المائية ، وباشر عدد من العسكر فى العاصمة مهنا أخرى ( خردجية ) لبيع الخردوات . كما عملوا ( بصمجية ) فى صنع البصمة ، وهم ينتمون لجماعتى ( عزبان — جاويشان ) ، وانتشروا فى الأسواق ( سوق السلاح — سويقة العزى .. ) لممارسة أعمالهم (٢٢) .

١٣ — **صناعة التفريخ** : عرفت هذه الصناعة فى مصر بشكل واسع

---

(٢١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٧ ق ٧٥ ، ق ٤٢٨ ، ق ٤٨٧ .
— محفظة رقم ( ٣ ) دشت : ص ٣١ ، ٥١ ، ١١٤ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٣ ق ٢٩٠ ، ق ٣٤٥ ، ق ٤٨٧ .
— محفظة دشت ٢٢١ ص ٣٩١ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٩ ق ٨١٩ ، ق ٩٥٤ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٧٨ ، ق ٦٥٧ .

(٢٢) سجلات محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ق ٦٣٨ ق ٧١٤ ، ق ٨٤٥ .
— مضابط محاكم الأقاليم ( محكمة المنصورة ) س ١٨ ق ٤٨٤ ، ق ٥١٧ ، ق ٦٤٨ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٧٤ ، ق ٨٤٠ ، ق ٧٨٥ .

انطاق حيث انتشرت معامل التفريخ فى القاهرة وفى معظم القرى ، وهناك من الأجناد العاملين فى ميدان الزراعة بالأقاليم من عنى أيضا بانشاء هذه المعامل واستعانوا بخبرات الأهالى بل وشاركوا بعضهم فى هذه المهنة وتصريف المنتج من ( الفروج ) . وينتمى العسكر أصحاب هذه المعامل بالقاهرة وبولاق ومصر القديمة الى جماعات ( مستحفظان — المتفرقة — الجاويشية ) وقد يشترك عدد منهم فى هذا العمل الذى يقتضى أسلوبا جماعيا لتعدد مراحله . ويصل ثمن المعمل فى المتوسط الى حوالى كيس مصرى (٢٣) .

**العسكر شيوخ الحــرف :**

سبق أن عرضنا للعديد من الحرف التى اقبل الجند بالقاهرة والأقاليم على ممارستها وصاروا ضمن أعضاء الطوائف الحرفية التى تعرضت لدخول عناصر غريبة عن تكوينها ، الأمر الذى أفقدها بطبيعة الحال تماسكها التقليدى ونظمها المعروفة ، وقد واصل الأجناد نشاطهم الحرفى بما لديهم من نفوذ سياسى وعسكرى ، وارتقوا لعدد من الطوائف الحرفية ، وحلوا بذلك محل شيوخها من المصريين لأحكام السيطرة عليها والتدخل فى كافة شئون الحرفة فضلا عن التمتع بعوائد شيخ الحرفة حيث تشير الوثائق الى حصول شيخ الحرفة على نسبة معينة من التركة بعد وفاة أحد رجال الطائفة التى يرأسها . ومن الحرف التى وصل فيها العسكر ( مستحفظان — عزبان ) الى هــذه الدرجة العالية ( الحلاقة — الحمالة ببولاق — الصباغة — صنع القناديل — النحاسة — الحدادة .. ) . وتمتع شيوخ الحرف من العسكر بمستوى اجتماعى مناسب حيث يصل متوسط تركاتهم لما يقرب من ( عشرين كيسا مصريا ) (٢٤) .

---

(٢٣) محنظة دشت رقم ٢٢١ ، ص ٦٠١ ، ٧٥٨ ، ٩١٥ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٨٢ ق ٣٤٢ ، ق ٦٠٢ .

(٢٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٨٢ ، ق ٤٣٢ ، ق ٤٣٥ ، س ١٤٩ ق ٦٦٥ ، ق ٧١٨ ، ق ٩٠٣ ، س ١٢٠ ق ٤٩٤ ، ق ٨٧٤ ، س ١٤٩ ق ٢٨٦ ، ق ٧٩٨ ، س ١٦٧ ق ٨٣ ، ق ٤٠٥ ، ق ٦٨٧ ، س ١٤٩ ق ٧١٥ ، س ١٢٠ ق ٩٧ .

ونخلص مما سبق الى بعض النتائج التى ترتبت على اشتغال الأجناد بسائر أنواع الحرف ، وصار بعضهم شيوخا لطوائف حرفية نوجزها فيما يلى :

**أولا :** أدى تداخل رجال الأوجاقات فى الحرف السابقة مع أصحابها الأصابين من الأهالى بالبلاد الى تكوين علاقات وروابط قوية ، مما أغرى هؤلاء أيضـا الى دخول الأوجاقات بحثا عن المورد المالى الثابت والجـاه والنفوذ .

**ثانيا :** كان اشتغال العسكر بكافة ألوان الحرف يحول دون قيام رجال الإدارة المركزية ( المحتسب — أغا مستحفظان ) من انجاز واجباتهم بمراقبة الأسعار وخصائص المصنوعات والسـلع من حيث جودتها ومواصفاتها ، نظرا لما تمتع به هؤلاء ومن أحتمى بنفوذهم من حصانة ، الأمر الذى أدى الى حدوث آثار سيئة فى الحياة الاقتصادية ، وخاصـة فى فترات الاضطرابات النقدية وارتفاع الأسعار خلال القرن الثامن عشر .

**ثالثا :** تسابق الأوجاقان المسـيطران ( مستحفظان — عزبان ) فى اسـباغ الحماية على طوائف الحرفيين والتجار نظرا للمكاسب التى يمكن الحصول عليها من خلال عوائد على التركات قد تصل الى ١٠٪ من قيمة التركة .

**رابعا :** أدى التزاحم الاقتصـادى بين الأوجاقات الى حدوث أزمات طاحنة فيما بينها أضعفت الكيان الداخلى العسكرى للأوجاقات خاصة وقد تمثلت فيها الصراعات بين البيوت المملوكية ( فتنة افرنج أحمد — فتنـة جركس ) .

**خامسا :** كسر شوكة الأوجاقات واضعاف قدراتها القتالية فى المعارك والاستعانة بعناصر أخرى من العربان والجند المرتزقة ( المغاربة والشوام ) وغيرهم فى الصراعات الدائرة بين البيوت المملوكية المسيطرة على الأوجاقات .

**سادسا :** توارث أبناء العسكر ( رجال الأوجاقات ) أعمالهم الحرفية واستقر الجند فى القاهرة والبنادر حيث يباشرون شئونهم ، وصاهروا أبناء الحرف من المصريين والمغاربة والشوام وغيرهم ، وانصهرت جماعات العسكر — تدريجيا — داخل المجتمع المصرى .

**سابعا :** سيطر أبناء الطبقة الحاكمة من البكوات والأمراء المماليك الى جانب الأجناد على اقتصاديات البلاد بينما عانى الجانب الأكبر من أبناء الرعية من أزمات متلاحقة تعذر فيها الحصول على لوازم المعيشة لارتفاع الأسعار بشكل متزايد ، الأمر الذى أدى الى حدوث انتفاضات شعبية غير منتظمة ، يقودها العلماء — طواعية أو كرها — لايجاد حلول لها وغالبا ما تكون حلولا مؤقتة وغير فعالة .

# الفصل الثامن عشر

## العسكر والتجارة

### التجارة فى مصر في القرن الثامن عشر :

شـــهدت مصر العثمانية فى القرن الثامن عشر نشاطا تجاريا ملموسا وبصفة خاصة فى الربع الأخير من هذا القرن ، بعد أن تحركت أطماع الدول الكبرى وتسابقت كل منها لتأكيد مصالحها ، وذلك عن طريق احياء طـــرق التجارة العالمية عبر الشرق الأدنى ، وبشكل خاص ( طريق مصر ـــ البحر الأحمر ) ، وعقدت اتفاقيات تجارية مع الأمراء المماليك (١) .

ولا شـــك أن موقع مصر الجغرافى المتميز (*) كان من أهم عوامل استمرار الحركة التجارية مع الهند وكشـــمير وفارس حيث تصل مختلف البضائع على أيدى التجار الهنود والفرس سـواء الى بلاد الحجاز ـــ عبر البحر الأحمر ـــ أو الى ميناء السويس ، وأهمها البن والتوابل (الفلفل الأسود ـــ القرفة ـــ الزنجبيل ـــ البهارات .. ) ، والســـجاجيد والأقمشة المختلفة والشـــيلان الكشمير ، فضلا عن العطور والأحجار الكريمة والأعشـــاب

---

(١) عبد العزيز نوار : تاريخ العرب الحديث . الجزء الأول ( العراق ) ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٥٠ ـــ ١٦٥ .

Perry : op. cit., pp. 229-231.

(*) بالنسبة للمواصلات البحرية القادمة من الشرق الأقصى عبر البحر الأحمر ( القصير والسويس ) ومن سواحل الشام الى دمياط ، بالمراكب أو بالطريق البرى عبر سيناء الى القاهرة ، كما لعبت موانى مصر الواقعة على البحر المتوسط مثل الاسكندرية دورا هاما فى استقبال بضائع أوربا . هذا فضلا عن كون مصر مركزا رئيسيا لطرق القوافل القادمة من المغرب ومن بلاد السودان وقلب افريقيا .

الطبية . وفى الجنوب كانت تجارة اليمن واثيوبيا — عن طريق جدة ومكة — من البن والعبيد الأحباش ، تصل الى السويس ، وتأتى القوافل التجارية — عن طريق البر — من دارفور وسنار حاملة العبيد من وسط افريقيا والذهب والعاج وسن الفيل وريش النعام والصمغ والعقارات الطبية (٢) .

ومن غرب افريقيا كانت تفد القافلة المغربية التى تتسع لما يقرب من خمسة آلاف من الابل حاملة البضائع الافريقية والمغربية من الزيوت والملابس اليدوية والمناديل وغيرها ، ومن الشمال الشرقى يصل التجار الشوام ببضائعهم من الحرير الخام والقطن والمنسوجات الحريرية والصابون والفواكه المجففة وأنواع المكسرات ، ومن الشمال تصل تجارة استانبول التى تضم العبيد والجوارى البيض ، وكافة المصنوعات الجلدية والمعدنية والطباق وغيرها ، كما يأتى التجار الأوربيون بمنتجات أوربا من الفراء والملابس الفاخرة والمشروبات الروحية والورق والعطور والصناعات المعدنية والأسلحة .

وكانت مصر بمثابة محطة انتقال للقافلة التجارية المغربية المتجهة صحبة موكب الحج ، سنويا الى بلاد الحجاز لتصريف منتجات بلاد المغرب وغرب افريقيا ، وجلب البضائع الهندية والفارسية ، ومن مصر كانت تنتقل بضائع افريقيا الى بلاد الشام واستانبول فضلا عن أوربا (٣) .

وتمثلت صادرات مصر الى استانبول فى الغلال من القمح والأرز والسكر والبضائع الهندية من البن والتوابل الافريقية من العبيد السود والأعشاب الطبية وغيرها . كما تمد الحجاز أيضا بالغلال والزيوت ، وبلاد الشام بالحبوب ( الأرز — الفول — القمح ) والبضائع السودانية من العاج

(٢) Volney : Travels through Syria and Egypt. vol. I. London, 1787. pp. 206-210.

— عبد الرحيم عبد الرحمن : المغاربة فى مصر ، ص ٦٣ — ٦٧ .

(٣) Volney : op. cit., p. 210.

والصمغ وسن الفيل وغيرها ، بينما صدرت الى أوربا أيضا الارز والقمح والجلود الخام ، فضلا عن البضائع الهندية من البن والتوابل والعبيد الأفارقة (٤) .

كانت مدينة بولاق الواقعة على شاطىء النيل بمثابة الميناء الهام للمراكب التى تحمل البضائع الواردة الى القاهرة والصادرة منها ، وتضم العديد من الوكالات التجارية ، كما عدت مصر القديمة — لوقوعها على الشاطىء الشرقى للنيل — الميناء الرئيسى للوارد والصادر ، الى الوجه القبلى ، وكانت المراكب النيلية من الوسائل الهامة للتجارة الداخلية بمصر . ولعبت الثغور المصرية فى السويس ودمياط ورشيد ، والاسكندرية والقصير ، دورا بارزا فى هذه الحركة التجارية (٥) .

وقد لعب اليهود دورا رئيسيا فى التجارة بمصر ، وجنوا أرباحا طائلة من خلال ادارة الجمارك الهامة ، ولكن بوصول على بك الكبير الى حكم البلاد حطم كيان اليهود التجارى منذ سنة ١٧٦٩ ، وانتقلت هذه الموارد الى الشوام المسيحيين الذين استوطنوا مصر منذ أكثر من نصف قرن ، واستحوزوا على ثروات هائلة ، كما شارك التجار الأوربيون من البنادقة والفرنسيين والانجليز ( الافرنج ) بدور ملحوظ واحتلوا مكانة كبيرة فى هذا المجال (٦) .

ومما يذكر أيضا دور التجار المغاربة والهنود والأحباش الذين ترددوا

---

(٤) Browne : op. cit., pp. 110-115.

(٥) Perry : op. cit., pp. 230-239.

Bruce : Voyage aux Sources du Nil. London, 1781. Tome 12. pp. 230-245.

— احمد راسم : عثمانلى تاريخى ، استانبول ، ١٣٢٨ هـ ، ص٢٤٥ .

(٦) Volney : op. cit., pp. 224-228.

— عبد الرحيم عبد الرحمن : المغاربة فى مصر ، ص ٦٧ — ٧٠ .

De Forbin : Travels in Egypt. London, 1824. pp. 290-293.

على القاهرة لاتمام الصفقات التجارية المختلفة من حين لآخر بشكل منتظم (٧) .

**اشتغال العسكر بالتجارة :**

بدات ظاهرة خروج العسكر الى الميدان الاقتصادى بصفة عامة والتجارة خاصة ، منذ صدر الحكم العثمانى ، وبشكل تدريجى حتى تزايدت أعداد الأجناد الذين مارسوا مختلف أنواع التجارة خلال القرن السابع عشر وخالفوا بذلك ما جاء فى قانون نامة مصر ، الذى أشار الى ضرورة الاقتصار على واجباتهم العسكرية فى الولاية وأوضح عقوبات المخالفين لبنوده فى هذا الصدد .

عمل العسكر فى مجال التجارة الخارجية حيث جلبوا البضائع الواردة الى مصر ، والصادرة منها بين آسيا الصغرى والبلقان والحجاز وبلاد الشام ، سواء عبر الطرق البرية بالقوافل التجارية أو بالطريق البحرى باستخدام السفن والمراكب التى امتلكها امراء العسكر ورجال المالية والادارة أبناء الطبقة الحاكمة (٨) .

كما اشتغل فريق آخر فى مجال التجارة الداخلية فى مصر ، بشراء السلع والبضائع من الوجه البحرى الى القاهرة أو من الوجه القبلى وخاصة الغلال والأخشاب والماشية وغيرها من الضروريات اللازمة لسوق المحلى بالمدينة . وانتشرت جماعات العسكر من سائر الأوجاقات فى المدن التجارية فى الاقاليم حيث البنادر — مقار الصنجقيات والكشوفيات — فضلا عن الثغور ( الاسكندرية — السويس — دمياط — رشيد ) ، وتعددت حوانيتهم ووكالاتهم للاتجار فى صنوف البضائع المستوردة والمحلية (٩) .

وقد سبق ان تعرضنا لهذا النشاط التجارى فى القرنين السادس عشر

---

(٧) Volney : op. cit., p. 228.

(٨) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

(٩) Raymond : op. cit., p. 702.

— احمد راسم : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

والسابع عشر ، الذى قام به العسكر وقادتهم بالتفصيل فى دراسة سابقة ، وأهم البضائع التى تاجروا فيها ـ الى جانب اهتمامهم بوسائل النقل المختلفة (١٠) .

وسوف نتناول فيما يلى : النشاط التجارى الذى مارسه العسكر ورجال الأوجاقات المختلفة فى القرن الثامن عشر :

تداخلت العناصر التى اشتغلت بالتجارة سواء من العسكر والمماليك العاملين بالأوجاقات أو من الجماعات المحلية التى انتسبت الى الأوجاقات وصار أفرادها أعضاء بها ، ومن الملاحظ أن الاقبال على العمل فى ميدان التجارة صار بشكل أوسع خاصة وقد تضخمت أعداد رجال الأوجاقات بغلبة العنصر المملوكى بين صفوفها ، كما ضاعف الأهالى من المصريين والمغاربة والشوام والأحباش من العدد الاجمالى . كما انتشرت الوكالات والحوانيت التى اشتغل بها الأجناد فى بولاق حيث يتم تفريغ البضائع من الاسكندرية والوجه البحرى ، وفى مصر القديمة أيضا ، كما تركزت فى الأحياء التجارية بقلب العاصمة ، فى خط خان الخليلى وخط الأزهر والصنادقية ( قرب الأزهر ) والخراطين حيث وكالة الرقيق ( الجلابة ) والغورية وطولون ، وفى الأسواق الكبيرة ( سوق السلاح ــ مرجوش ــ قصبة رضوان ) (١١) .

وهناك من أمراء أوجاق مستحفظان من ( الجوربجية ) ممن عملوا شيوخا لتجارة هذه الأسواق المذكورة وتعددت حوانيتهم ومارسوا سلطة كبيرة على التجار .

---

(١٠) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨٩ .

(١١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٣ ق ٢٣٥ ، ق ٤٧٧ ، ق ٥٤٣ ، س ١١٤ ق ٨٤ ، ق ٩٧ ، س ١٤٩ ق ٣٠١ ، ق ٤٨٧ ، س ١٤٨ ق ٩٠٢ ، ق ١١١٢ ، س ١٧١ ق ٣٦٨ ، ق ٤٨٧ ، س ١٨١ ق ١٤٨ ، ق ٥١١ ، ق ٣٦١ ، ق ٤٩٧ .

Raymond : op. cit., p. 765.

ونعرض فيما يلى لأهم البضائع التى تاجر فيها العسكر ، والأوجاقات التى ينتمون اليها ، لتوضيح نفوذ الأوجاقات السياسى والاقتصادى :

**١ ــ تجارة البن والتوابل :** جذبت هذه التجارة الكثير من العسكر بما تدره من أرباح طائلة ولعبوا أدوارا مباشرة لاتمام صفقات تجارية واسعة ساعدهم على ذلك تلك الرحلات المنتظمة عبر البحر الأحمر فى أوقات متفرقة من السنة الى جانب القافلة المصاحبة لموكب الحج ، سنويا الى الحجاز ، وقد استقر البعض فى جدة وينبع لفترات مؤقتة أو بشكل مستمر لهذا الغرض ، ويلاحظ أن العلاقات كانت وطيدة بين تجار البن والتوابل ، وقادة أوجاق مستحفظان الذين سيطروا ــ فى الغالب ــ على هذه التجارة ، ويظهر من دراسة تركات عدد من كتخداوات مستحفظان أنهم كانوا يمتلكون العديد من السفن الكبيرة التى تنقل هذه البضائع عبر البحر الأحمر الى السويس ومنها برا الى القاهرة ، وقد يمتلك أحدهم سفينة أو اكثر ، ويشارك نفر من العسكر فى امتلاك سفينة كبيرة فضلا عن المراكب النيلية ، وحقق البعض من وراء هذه التجارة ثروات هائلة ، نذكر منهم على سبيل المثال : ( عثمان كتخدا القازدغلى ) الذى تزعم أوجاق مستحفظان فى الفترة من ( ١٧٣٠ ــ ١٧٣٦ ) ومارس سلطة مطلقة على أبنائه ، وكان من كبار رجالات ولاية مصر فى ذلك الوقت ، وكانت له سفن كبيرة ومراكب فى البحر الاحمر والنيل (١٢) .

كما اشتغل الكثير من جوربجية مستحفظان وغالبهم من المماليك فى هذه التجارة سواء بأنفسهم أو بالاستعانة بمعاتيقهم ، وبلغ متوسط تركات الجوربجية حوالى الف دينار ( مائة وثمانين ألف بارة ) سنة ( ١١٣٥ هـ / ١٧٢٣م ) .

---

(١٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٥٦٠ ، ق ٧١٤ ، ق ٤ ، س ١١٥ ق ٨٥ ، ق ١٤٧ ، ق ٢٣٨ ، س ١٥٨ ق ٦٥٧ ، ق ٧٥٤ ، ق ٨١١ .

Raymond : op. cit., pp. 722-719.

De Hondt : Nouveau voyage D'Egypte en 1721-1722. Paris, 1724. pp. 93-102.

وقد شارك افراد هــذا الأوجاق من العســكر سواء من المماليك أو الأروام أو من عناصر محلية ( مغاربة ــ شوام ) فى تجارة البن واصناف البهارات ( الفلفل الأسود ، والفلفل الخورى ، والفلفل الأشى ) والزنجبيل والقرفة والحناء والصبر ، وانتشرت حوانيتهم فى خط خان الخليلى وخط الأزهر ، وبوكالة القفاصين ووكالة النشارين وغيرها ، وفى خط الغورية ( المصــبغة ) وخط البندقيين ، وخط الجمالية ، وتراوحت نسبة مخلفاتهم من ( ثلاثين كيسا الى خمسة أكياس مصرية ) . والى جانب الغالبية من رجال مستحفظان الذين استحوزوا على هذه التجارة اشتغل عدد من رجال عزبان أيضا بها ، وان كانوا فى مستوى أدنى من منافسيهم (١٣) .

ومن الملاحظ أن رجال مستحفظان وعزبان قد احتلوا فى النصف الأول من القرن الثامن عشر مكانة هامة فى تجارة البن والتوابل بما تمتعوا به من كيان خاص ، وفقد بذلك رجال المتفرقة والجاويشية والسباهية ثروات حصلوا عليها فى القرن السابع عشر من الاشتغال بهذه التجارة المربحة . ومن الجدير بالذكر أن هذا الاسهام الذى قام به رجال الأوجاقات ( مستحفظان ــ عزبان ) فى تجارة البن والتوابل قد تضاءل تدريجيا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، تبعا لما أصاب الأوجاقات من التفكك واحتل أمراء المماليك والبكوات هذا الدور الاقتصادى والسياسى .

٢ ــ **تجارة الأقمشة والحرابر** : استحوزا على نصيب كبير من هــذه

---

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٤٣ ، ق ٨٧ ، ق ١٩٧ ، س ١١٤ ق ٧٨ ، ق ٩٤ ، ق ٢١٧ .
ــ محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٤٨٤ ، ق ٥٩٧ ، ق ٨١٤ .
ــ محكمة بولاق : س ٦٥ ق ٢٤٤ ، ق ٢٣٨ ، ق ٣٢٥ .
ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٤٣٢ .
ــ محفظة دشت : رقم ٢٢١ ق ٢١٥ .
Raymond : op. cit., p. 700.
ــ عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

التجارة رجال أوجاق مستحفظان كما هو الحال بالنسبة للتوابل والبن ، وفى بعض الوثائق يظهر اشتغال بعضهم بهذين النوعين معا ، ومما يذكر أيضا ذلك الدور الرئيسى الذى لعبه المغاربة الذين ينتمون لأوجاق مستحفظان فى تجارة الأقمشة الهندية على اختلافها ( الأطلس ـ الصندل ـ الحراير ـ الشيلان ) فضلا عن الجوخ على اختلاف ألوانه والمناديل الاسلامبولى والمحارم والعباءات والملابس اليدوية الصنع المغربية والطرابيش (١٤) .

وشارك بعض رجال الأوجاقات الأخرى من عزبان والسباهية ( التوفكجية والكوملية ) ، والمتفرقة بنصيب بسيط ، ويظهر من الوثائق مصاحبة عدد من العسكر المشتغلين بهذه التجارة لموكب الحج المصرى سنويا وذلك للتعامل مباشرة مع التجار الهنود الذين يجلبونها الى الحجاز ، وتاجر البعض فى أنواع البخور والبهارات المختلفة ، وانتشرت حوانيت ووكالات تجار الأقمشة والحراير من الأجناد فى سوق الغورية وسوق السلاح حيث نصادف وكالات أنشأها بعض القادة العسكريين (وكالة يوسف كتخدا ) على سبيل المثال ، فى خط خان الخليلى وفى سوق الشرب وسوق الهرامزين ، وغالبا ما يكون سكن هؤلاء التجار العسكريين فى نفس الخطط المذكورة أو خطط مجاورة لها ، وقد تراوحت دخول هؤلاء التجار ـ حسبما تشير الوثائق ـ بين ثلاثين كيسا مصريا وكيس مصرى واحد (١٥) .

**٣ ـ تجارة القطن والكتان والخيش :** اشتغل فى تجارة القطن عدد من

---

(١٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ١٧٩ ، ق ١٢٨ ، ق ٤١٥ ، س ١٦٧ ق ١٨ ، ق ٥٤٨ ، ق ٦١٧ ، ق ٨٥٧ ، س ١١٩ ق ٢٥٥ ، ق ٣١٨ ، ق ٢٢٣ ، ق ٥٣٤ ، س ١٢٠ ق ٥٦ ، ق ٤٨ ، ق ١٥٣ ، س ١١٨ ق ٨٢٧ ، ق ٨٤٧ ، س ١٢٣ ق ٣٧٨ ، ق ٤٣٧ ، س ١٢٠ ق ٦٤٤ ، ق ٧٠٨ ، س ١٢٤ ق ١٥٢ ، ق ١٩٧ .

(١٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٨ ق ٧١٠ ، ق ٤١٥ ، س ١١٤ ق ٧٤ ، ق ١٥٨ ، س ١٥٢ ق ٢٦ ، ق ٨٧ ، س ١٢٥ ق ٥٢١ .
ـ محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٥٧ ، ١٢٢ .
ـ اسقاطات القرى : س ١ ص ٧٢ ، ٩٤ .

رجال عزبان ، ببولاق فى الوكالة التى تحمل هذا الاسم (وكالة القطن) ، وكانت زراعته معروفة على نطاق ضيق فى مصر ، كما تصل كميات منه ضمن الواردات وقد استخدم فى كافة الأغراض المنزلية ، كما هو واضح من حصر التركات ، كما صنعت المنسوجات المغزولة على الأنوال اليدوية ، وتخصص فيها النساء المغربيات والريفيات بمصر ونساء البدو . ولم يكن تجار القطن على مستوى مرتفع ، كما سبق بالنسبة لتجار البن والتوابل والأقمشة والحراير ، حيث لا يزيد متوسط تركة أحدهم عن (كيس ونصف كيس مصرى) . وعمل فى تجارة الكتان أيضا رجال من أوجاق عزبان فضلا عن الأروام (الأتراك) وتركز نشاطهم فى بولاق ومصر القديمة . والكتان من المزروعات المعروفة بمصر ، وله استعمالات مختلفة ، ولم يختلف مستوى تجار الكتان عن تجار القطن من أوجاق العزب كثيرا حيث بلغ المتوسط فى التركة حوالى (كيسين مصريين) سنة ١١٦١ هـ / ١٧٤٩م (١٦) .

زاحم رجال مستحفظان منافسيهم (غزبان) فى هذه التجارة (الكتان) ، وتعددت حواصلهم ووكالاتهم ببولاق ، وكانوا فى مستوى أفضل حيث نجد متوسط التركات حوالى عشرة أكياس مصرية (سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٥٠م) . ومن المثير للانتباه أن العاملين فى تجارة الخيش من مستحفظان والسباهية بوكالة الخيش بخط باب النصر (شمال القاهرة) المدخل الرئيسى ، قد ارتفعت دخولهم فنجد متوسط التركة يبلغ (خمسة عشر كيسا مصريا) سنة (١١٦٨ هـ / ١٧٥٦م) (١٧) .

**٤ ــ تجارة الغلال والحبوب :** اشتهرت مصر العثمانية بالاعتماد الرئيسى

---

(١٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٤ ق ٦٥٧ ، ق ٧٣٤ ، ق ٦٣٨ ، س ١٦٧ ق ١٥٨ ، ق ٢٩٣ ، ق ٤٥٧ ، س ١٥٨ ق ١٩ ، ق ٣٤ ، ق ١٤٥ .

(١٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ٦٦١ ، ق ٥٥٤ ، ق ٤٧٠ ، ق ٤٨٨ ، س ١٦٧ ق ١٤٢ ، ق ١٥٨ ، ق ٧١٤ .

ــ سجلات محكمة الباب العالى : س ١٨٠ ق ٣٢٢ ، ق ٤٦٧ ، ق ٣١١ .

على الزراعة ، وقد أسهم العسكر من مختلف الأوجاقات فى هذا المجال وتعددت التزاماتهم فى كافة الأقاليم ، ومن المحاصيل الرئيسية والتى حققت فائضا كبيرا فى ذلك الوقت : الغلال ، والحبوب . وكانت أقاليم الصعيد هى المصدر الأساسى لكافة أنواع الحبوب ، ومن المعروف أن معظم خراج أراضيها كان يجبى عينا ، ومن ثم كان حرص الأمراء المماليك على تولى حكم صنجقية ( جرجا ) للتحكم فى هذا المورد الهام (١٨) .

استخدم أغوات الأوجاقات وخاصة مستحفظان والسباهية ( التوفكجية — الكوملية — الجراكسة ) نفوذهم — وقد أصبح غالبهم من المماليك — السياسى والاقتصادى ، واستعانوا بمعاتيقهم فى نقل خراج التزاماتهم من الغلال ، فضلا عن شراء كميات ضخمة — بشكل يجعلهم يتحكمون فى أسعارها — ، بالمراكب التى تقع فى حيازتهم الى المخازن فى بولاق ، وذلك لبيعها على أصحاب الأفران وأهالى المدينة بأسعار تحقق لهم أرباحا كبيرة . وكان شيوخ قبيلة الهوارة بالصعيد أصحاب نفوذ كبير من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، حتى قضى على بك الكبير على سطوتهم ، وقد لعبوا دورا هاما فى تجارة الغلال حيث زودوا أوده باشية مستحفظان ورجالهم بكميات هائلة منها ، وكان نظام البيع بموجب ايصالات مؤجلة السداد ، نظرا لما حظى به الهوارة من مكانة طيبة لدى أقوى الأوجاقات العسكرية ( مستحفظان ) خاصة وقد التحق نفر من عربان هذه القبيلة ضمن صفوفه (١٩) .

لم يقتصر نشاط تجار الغلال من العسكر على احتياجات السوق المحلى بالعاصمة بل اشتغل كبارهم بتجارة التصدير الى الحجاز صحبة موكب الحج المصرى ، كما رافق بعضهم الموكب لبيع ( الشعير والفول ) اللازم للدواب المستخدمة فيه . واهتم هؤلاء التجار بعقد صفقات من هذه الحبوب

---

(١٨) احمد كتخدا عزبان : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٥ .
— حسين افندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية ( مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ — ١٨٠٠ ) تحقيق محمد شفيق غربال ، حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ج ١ ، ١٩٣٦ ، ص ١٨ — ٢٣ .
(١٩) محفظة اسنا : وثائق متفرقة : دار الوثائق القومية .

مع التجار الأوربيين القادمين الى الاسكندرية وبولاق من ( البنادقة والكريتيين والفرنسيين ) لاستيرادها الى بلادهم (٢٠) .

٥ — **تجارة السكر والعسل والعجوة** : كان قصب السكر من المحاصيل انهامة التى زرعها المشتغلون بالزراعة من رجال الأوجاقات المختلفة ، وبصفة خاصة من ( مستحفظان ) والسباهية الذين استقر غالبهم بالأقاليم فى خدمة الصناجق والكشاف ، وتركزت زراعته فى ولايات الوجه القبلى حيث ينتج الجزء الأكبر من هذا المحصول ، فضلا عن بعض الولايات الأخرى بالدلتا ( البحيرة — الغربية — القليوبية ) . وقد امتلك كبار الأغوات والكتخداوات بهذه الأوجاقات السابقة العديد من المصانع المعدة لاستخراج السكر والعسل الاسود فى الأقاليم السابقة ، كما انتشرت ايضا فى بولاق ومصر القديمة حيث تعددت الوكالات التى يباع فيها السكر والعسل الأسود .

وبدخـــول العناصر المحلية المشـــتغلة فى صناعة السكر من اهالى الأقاليم فى أوجاقى مستحفظان وعزبان انتقل نشاطهم الى العاصمة ، من ذلك أحد اهالى ( شبرا خيت ) بولاية البحيرة ومن رجال عزبان الذى استقر بخط سعادة قرب جامع ( محمد كتخدا مستحفظان ) وتعددت حوانيته فى هذا الخط ، وفى خط باب زويلة وحول جامع السلطان المؤيد ، وقد حقق ثروة هائلة واقرض كبار رجالات الولاية من الدفتردارية والكشاف والشيوخ ، وهناك مايشير الى شيوع الربا فى المعاملات المالية ويشار اليها بـ ( الديون المربحة ) ، واتسع نشاطه فى تجارة السكر والشمع والمربات والعسل الاسود ، وأدى نقل النشاط الصناعى المذكور — على أيدى العناصر المحلية — الى القاهرة اجتذب أعداد من العسكر ( رجال الأوجاقات ) ، للدخول فى هذه المجالات بعد ان توطدت بينهم رابطة الزمالة ودفعهم التنافس لتحقيق المكاســب والثروة (٢١) .

---

(٢٠) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

Volney : op. cit., pp. 206-211.

(٢١) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ١٢٣ ، ق ٤١٥ ، ق ٢٣٨ ، س ١٢٨ ق ٤١٥ ، ق ٦١٨ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٤٧ .

واشتغل نفر من الجند فى نقل العسل الأسود ـ بالمراكب ـ والاتجار فيه بالأقاليم التى تفتقر الى زراعة القصب ( الشرقية ـ الدقهلية ـ المنوفية .. ) وفى الثغور ، وتخصص بعض رجال مستحفظان فى تجارة العجوة المصنوعة من التمر حيث تنتشر أشجار النخيل فى أقاليم مصر وخاصة بالوجه القبلى ، وهم من المماليك الذين يعملون لحسابهم أو لحساب سادتهم من الأمراء البكوات (٢٢) .

وقد اشتهرت مصر بانتاج السكر والشربات وانواع الحلوى والمربات والعجوة والماورد الفاخر ، تلك المنتجات التى يشتد عليها الطلب فى مقر السلطنة ( استانبول ) بوجه خاص ، وفى الولايات العربية المجاورة .

٦ ـ **تجارة اصناف العطارة** : سيطر رجال مستحفظان على تجارة أصناف العطارة من النباتات الطبية والتى تستخدم فى ذلك الوقت ، وسيلة رئيسية للعلاج ، وانتشرت حوانيتهم فى خط خان الخليلى والأزهر ، وباب الذرق ، والسيدة زينب ، ودرب الجماميز وغيرها ، كما اشتغل البعض فى بيع مختلف انواع البذور الخاصة بالنباتات التى تغرس فى البساتين والزهور ، فضلا عن لوازم النساء من العطور والكحل وغيرها ، وشارك رجال أوجاقى المتفرقة والجاويشية ـ سواء من العسكر أو من الشيوخ الذين دخلوا هذين الأوجاقين ـ فى تجارة كافة أصناف العطور والخرز المستخدم لصنع الحلى وغطاءات الرأس ، والملابس المطرزة والمناديل وغيرها . ويبدو ان هذه التجارة لم تكن تحقق ربحا كبيرا حيث بلغ متوسط تركاتهم حوالى كيس مصرى سنة ( ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩م ) (٢٣) .

٧ ـ **تجارة الصابون** : حفلت وكالة الصابون بباب النصر بالعديد من

---

(٢٢) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١ ق ٥٦ ، ق ١٨٧ .
ـ محكمة اسكندرية : س ١٠ ق ٢٢٩ ، ق ٢٥٨ ، ق ١٩١ .
(٢٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ٢٢٨ ، ٨٢٤ ، ق ٨٢٨ ، س ١٢٠ ، ق ٢٢٤ ، ق ٦٥٨ ، ق ٧١٤ ، س ١٤٨ ق ٧٣٢ ، ق ٤٨٦ ، ق ٩٣٥ .

العسكر الذين عملوا فى تجارة الصابون وقد اقترنت باسمائهم صفة ( الصابونجى ) سواء لاشتغالهم بهذه التجارة أو لمصاهرة بعضهم الشيوخ والتجار الشوام العاملين بها . ويلاحظ غلبة رجال عزبان فى هذه التجارة عن غيرهم من العسكر ، كما عمل بعض عسكر الثغور وخاصة فى الاسكندرية فى تجارة الصابون الوارد من أوروبا ( فرنسا — البندقية ) والذى تزايد الاقبال عليه لسد حاجات الطبقة الحاكمة من البكوات المماليك ، فكان العسكر بمثابة وكلاء للتجار الافرنج لتصريف هذه البضاعة فى البنادر وخاصة فى بولاق والقاهرة ومصر القديمة ، وارتفع متوسط تركات الصابونجية من الأجناد ليصل الى عشرة أكياس مصرية ( ١١٥٣ هـ / ١٧٤١م ) (٢٤) .

٨ — **تجارة الزجاج والأدوات المنزلية** : اقبل رجال أوجاق عزبان على تجارة الأوانى الزجاجية والبللور سواء المصنوعة بمصر أو المستوردة من بلدان أوروبا ، وتركز نشاطهم فى خط خان الخليلى والغورية وخط المشهد الحسينى . بينما اهتم رجال أوجاق مستحفظان من المماليك بتجارة الفناجين الصينى والأطباق العجمى ، وسائر الأدوات المنزلية المصنوعة من النحاس ( الدشوت — الصينيات — التناجر — والأباريق .. ) التى أتقن صناعتها الحرفيون المصريون ونقشوها برسوم بديعة ، كما تاجروا فى الأجربه الجلد ، والقرب اللازمة لنقل المياه للشرب وغيرها من الأدوات الجلدية الأخرى . وبلغ متوسط تركات المشتغلين بالوان هذه التجارة المذكورة حوالى كيسين مصريين (٢٥) .

٩ — **تجارة الأخشاب** : تشير الوثائق الى اهتمام أوده باشية مستحفظان ورجاله من العسكر بتجارة الأخشاب فكانوا ينقلونها عن طريق معاتيقهم — الأخشاب المحلية والتى تتوفر من خلال الثروة النباتية بمصر — ، بالمراكب فى

---

(٢٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٨ ق ٥٤٣ ، ق ٦٩٨ ، ق ٧٨٥ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ : ص ٦٥٨ ، ٤١٥ .

(٢٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٩٢ ، ق ٣٥٨ ، س ١٤٨ ق ١٨٨ ، ق ٢١٤ ، س ١٥٠ ق ٤٩٧ ، ق ٧٥٨ .

النيل الى ساحل بولاق حيث تنتشر مغالق الخشب والوكالات المختلفة . كما عمل بعض رجال عزبان فى تجارة أصناف الأخشاب الواردة الى مصر ( الزان ـ القرو .. ) والتى تستخدم فى صنع الأثاث والأدوات المختلفة بما يتناسب وأذواق أمراء المماليك الحاكمين ، وامتلك بعض العسكر ( ورشا ) لتصنيع المنتجات الخشبية فى بولاق ومصر القديمة ، وسائر الاقاليم ، وقد حقق تجار الأخشاب من الأجناد مستوى متوسطا حيث بلغ متوسط تركاتهم حوالى ( عشرة أكياس مصرية سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٣م ) .. كما اشتغل بعض رجال العزب والمتفرقة فى صنع المراكب والسفن ببولاق والاسكندرية والسويس (٢٦) .

ويرتبط بالتجارة السابقة تجارة الأحطاب التى تخصص فيها العديد من رجال مستحفظان أيضا فكانوا ينقلون هذه الأحطاب من الاقاليم بمراكبهم فى النيل الى العاصمة وتعددت حوانيتهم ببولاق لبيعه ، وشارك الأوده باشية أيضا فى هذه التجارة التى سيطر عليها ( مماليك مستحفظان ) ويبدو أنهم كانوا يستوردون نوعا من الحطب ( الحطب الرومى ) لاستخدامات معينة ، ويلاحظ أن المشتغلين بهذه التجارة ببولاق كانوا يقيمون قريبا من مراكز نشاطهم . وشارك نفر من رجال عزبان فى هذه التجارة بشكل متواضع ، وقد يلجأ البعض الى استئجار المراكب لنقل الأحطاب ، وقد بلغ متوسط اجرة المركب لمدة ثلاث سنوات الى ( ١٤ ألف نصف فضة ) ، وقد تراوحت تركات تجار الحطب من كيس الى ستة اكياس مصرية سنة ١١٦١ هـ / ١٧٤٩م (٢٧) ..

---

(٢٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٠٩ ، ق ٣١٨ ، س ١١٩ ، ق ٨٨٥ ، ق ٤٥٩ .

ـ محكمة بولاق : س ٦٥ ق ١٨٧ ، ق ٤٣٧ .

(٢٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ١٣٥ ، ق ٢٤٨ ، س ١٥٨ ق ١٧ ، ق ٤٥٧ .

ـ محكمة بولاق : س ٦٣ ق ٢٠٩ ، ق ٢٨٥ .

ـ سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ١٠٦ ، ق ٤٣٧ ، س ١١٥ ق ١٠٥ ، ق ١٤٧ ، س ١٤٩ ق ٤٥١ ، ق ٦٩٨ .

١٠ ــ **تجارة النترون والشقيفة والنحاس** : يستخرج النترون ( النطرون ) من اقليم ( الطرانة ) بولاية الجيزة ، وهو من الأملاح اللازمة فى صناعة الأقمشة والكتان ، وزودت مصر بلدان أوربا بما تحتاجه من النطرون ، وتولى بعض التجار البنادقة تصديره اليها ، ومن الجدير بالذكر ان استخراج هذا الملح كان من الالتزامات الهامة بولاية مصر . وشارك أوده باشية مستحفظان فى هذه التجارة الى جانب الأهالى ونقله الى استانبول حيث احتياجات الدولة العثمانية ( النترون السلطانى ) الى جانب استهلاك السوق المحلى بمصر ، كما تاجر بعض الجند ( عزبان ) فى الزفت المستخدم فى طلاء السفن والمراكب (٢٨) .

واهتم رجال مستحفظان أيضا بتجارة النحاس الخام لتصنيع الأوانى النحاسية المختلفة وتركزت حوانيتهم ( مغالق النحاس ) بخط خان الخليلى ، كما شارك بعض رجال العزب بنصيب فى هذه التجارة الى جانب كبار قادة الجاويشية الذين اشتغلوا بتجارة القرضة ( النحاس الخردة ) وحقق بعضهم ثروات كبيرة تصل الى أربعين كيسا مصريا ، ويبدو انهم كانوا يجمعون الأوانى النحاسية ( الخرده ) من البنادر المختلفة ( المنصورة ــ بلبيس ــ المحلة الكبرى ــ طنطا وغيرها ) لاعادة تصنيعها من جديد (٢٩) .

١١ ــ **تجارة الدخان والحشيش الرومى** : يبدو أن استخدام أنواع الطباق قد انتشرت فى مصر فى القرن الثامن عشر ، حيث اشتغل عدد من رجال مستحفظان من الأروام ( الاتراك ) فى هذه التجارة ، واستقر بعضهم بالاسكندرية ورشيد لجلب هذه البضائع التى تصل الى مصر من الديار الرومية ( آسيا الصغرى ) الى جانب الحشيش الرومى والأفيون ، ويبدو انه كان

---

(٢٨) سجلات محكمة بولاق : س ١٤ ق ٢٦٠ ، ق ٧٩٥ ، س ١٩ ق ٢٩٢ .

ــ مضابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٠٥ ، ق ٢١٤ .

(٢٩) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٤٤٣ ، ق ٥٦٨ ، ق ٧٠٩ ، س ١٢٠ ق ٥١٤ ، ق ٦٤٨ ، س ١٨١ ق ٥٧٥ ، ق ٩٠٥ .

مصرحا بالاشتغال فى تجارة هذه المكيفات دون تدخل ، الا من جانب بعض الباشوات الذين نادوا بتحريمها فى بعض الأوقات . وانتشرت حوانيت الدخاخنية من العسكر ( مستحفظان — عزبان — جاويشان ) والأهالى الذين دخلوا الأوجاقات فى بولاق ومصر القديمة وخط الغورية وخان الخليلى ، وغيرها حيث تعددت المقاهى التى أدارها نفر من الجند أيضا . ويرتفع متوسط تركات تجار الدخان والحشيش الرومى والأفيون الى ما يقرب من عشرين كيسا مصريا (٣٠) .

١٢ — تجارة الأعلاف : اشتغل بتجارة الأعلاف اللازمة لتغذية الخيول عدد من العسكر ( مستحفظان ) وبعض الأهالى المنتسبين لهذا الأوجاق ، ومن المعروف أن تربية الخيول بصفة خاصة والعناية بها كان أمرا هاما بالنسبة للأجناد وأمراء المماليك باعتبارها الوسيلة الرئيسية اللازمة فى خوض المعارك والصراعات المملوكية المستمرة والقيام بكافة الواجبات العسكرية . وتخصص بعض الجند فى صنع لوازم الخيل من ( السرج — الركابات وغيرها ) ، واهتموا بتزيينها بالذهب والفضة ، وانتشرت حوانيت العلافة فى بولاق وخط باب زويلة والحسينية والتبانة وغيرها . ويرتبط بتجارة العلف اشتغال كثير من الجند بتجارة الدواجن وكافة أنواع الطيور التى يأخذونها غصبا من الفلاحين القادمين الى العاصمة بأسعار رخيصة أو بلا ثمن ويبيعونها بأسعار مرتفعة وقد أشار الجبرتى الى هذا النشاط المخرب فى كثير من المناسبات . حيث يتركز وجودهم على أبواب مدينة القاهرة لممارسة هذه العمليات التجارية (٣١) .

---

(٣٠) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٤٢٢ ، ق ٦٩٥ ، س ١٢٥ ق ٢٣٩ ، ق ٢٢٨ .

— محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ق ٢٩٨ ، ق ٦٨٧ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١٩٠ ق ٢٠٨ ، ق ٣٥٨ ، س ١٨٢ ق ٤٣ ، ق ٥٠٤ ، س ١٥٨ ق ٣٣٦ ، ق ٦٠٥ .

(٣١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٥٢ ق ٢٩٧ ، ق ٦٤٥ ، س ١٢٠ ق ٨٨ ، ق ٤٠٩ ، س ١٢١ ق ٦٥٧ ، ق ٧١٥ ، ق ٢٥٣ ، ق ٦٨٥ .

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٥ — ٣٢٩ .

وعلى هذا النحو مارس الأجناد أنشطة تجارية متعددة فى مختلف البضائع المحلية والمستوردة الى مصر ، كما اشتغل بعضهم فى أعمال السمسرة والدلالة فى الأسواق التجارية الهامة بخط الغورية وخط خان الخليلى وكانوا على مستوى بسيط ، فلا يزيد متوسط تركاتهم عن ( كيس مصرى ) ، وقد وصل بعضهم الى مرتبة شيخ الدلالين فى بعض الأسواق بينما تخصص فريق من العسكر فى نقل البضائع بالمراكب والسفن (*) فى البحر الأحمر الى السويس ، وفى نهر النيل داخل مصر ، وامتلك كبار البكوات المماليك العديد من السفن والمراكب التجارية التى استأجرها العسكر والتجار عن طريق أتباعهم (٣٢) .

**أصحاب الحوانيت والوكالات :**

اقتصر دور أصحاب الحوانيت والوكالات فى المجال التجارى على حيازتها سواء بالتملك عن طريق الوقف أو باستئجارها ، والاستعانة باتباعهم من المماليك فى ادارة شئونهم التجارية دون الخروج الى هذا النشاط مباشرة ، كما نجد البعض يقوم بتأجيرها للتجار من العسكر وغيرهم مقابل ايجار معين شهرى أو سنوى ، واهتم آخرون بحيازة الحوانيت فى المناطق التجارية الهامة للحصول على الخلوات المرتفعة ( حق الانتفاع ) تبعا لأحوال التجارة .

وكما سبق ان رأينا ذلك النفوذ الاقتصادى لرجال أوجاق مستحفظان يليهم رجال ( عزبان ) فى ميدان التجارة بانواعها المختلفة ، نلمس اقبالهم على انشاء الوكالات والحوانيت وغيرها ، واقترنت أسماء بعض الوكالات

(*) ووصل ثمن احدى السفن الى ما يقرب من خمسة اكياس مصرية بينما يصل متوسط ثمن المركب نحو ربع كيس مصرى واجرة القارب لمدة ثلاثة أشهر ( أربعة آلاف نصف فضة ) .

(٣٢) سجلات محكمة بولاق : س ٦٠ ق ١٠٦ ، ق ١١٨ ، ق ٤٣٧ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٣٣٩ ، ق ٥١٦ ، ق ٧٠ ، ق ٦٨٦ ، ق ٦٥٧ .

الكبيرة بشخصيات عسكرية ممن اقاموها لوقفها على ابنائهم ومعاتيقهم من ذلك ( قصبة رضوان بك ) وهى من الأسواق الشهيرة المغطاة الكائنة بين باب زويلة وباب الفتوح بخط الغورية ، ووكالة (محمد كتخدا مستحفظان)(٣٣).

ومن الجدير بالذكر ذلك الاهتمام المتزايد الذى أبداه كبار القادة بأوجاق مستحفظان لحيازة الحوانيت فمن كتخداوات مستحفظان نذكر ( نجدلى حسن كتخدا مستحفظان ) حتى سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٩م الذى تعددت الحوانيت فى حيازته فى الأزهر وطولون وبين القصرين وآق سنقر والماوردين والفحامين ، فضلا عن بعض الوكالات الواسعة . واستأجر عدد من جوربجية وأوده باشية مستحفظان حوانيت بالصاغة والموسكى وغيرها . ومن الملاحظ كثرة المماليك بأوجاق مستحفظان وحرصهم على حيازة واستئجار الحوانيت والحواصل والوكالات بمشاركة بعضهم البعض فى المنطقة التجارية الهامة بقلب المدينة (٣٤) .

وتشير الوثائق الى اقبال أعيان أوجاق عزبان على هذا المجال فنجد أحدهم يوقف وكالة كبرى بجوار البيمارستان المنصورى وهى تشتمل على عدة حوانيت وقهوة وربع فوق هذه العقارات المذكورة . وتعددت حوانيت رجال عزبان من المماليك فى الغورية والفحامين ، وطولون وقوصون ، كما تبين وثائق محكمة المنصورة انتشار هؤلاء العسكر فى مدينة المنصورة للعمل فى التجارة واقامة الحوانيت بخط الصاغة وساحة الغلال وسوق السروجية ، وشاركهم فى هذا الميدان بعض الجند السباهية ( التوفكجية ــ الكوملية )

---

(٣٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٣٦ ، ق ٤٨٧ ، ق ٨٩٥ ، س ١١٩ ق ٦٨٦ ، ق ٥٣٨ .
ــ سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٩٦ ، ق ١٠٣ ، ق ١٥٨ .
ــ محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤١٨ ، ٣٩٨ .

(٣٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٦٠ ق ١٥٢ ، ق ٣٩٨ ، ق ٤٥٧ ، س ١٩٩ ق ١٤٨ ، ق ٦٩٧ ، ق ٨٠٣ .
ــ سجلات محكمة بولاق : س ٦٣ ق ٢٧٦ ، ق ٣٩٨ ، ق ٤٩٧ .

وهذا يعنى نشاط العسكر فى سائر البنادر والكشوفيات والصنجقيات الأخرى فى شئون التجارة (٣٥) .

كما أنشأ بعض جوربجية عزبان وتونكجيان وكالات فى الثغور ( الاسكندرية ورشيد ) لتأجيرها للتجار من الأهالى . وشارك رجال الجاويشية أعيان الطائفة وأفرادها فى هذا الاتجاه ، وذلك بالقاهرة ( الغورية وطولون وخان الخليلى ... ) وفى البنادر بالأقاليم : ( المنصورة والمحلة الكبرى ... ) وأسهم أمراء جماعة المتفرقة وأفندية الأوجاقات ورجال المالية بدور بسيط . ومما يثير الانتباه اشتغال بعض النساء — من زوجات العسكر وبناتهم — بشئون التجارة وحيازة الحوانيت لتأجيرها فى خطط متعددة ( الصاغة — قرب باب الزهومة — الغورية — خان الخليلى وغيرها ) (٣٦) .

**خلو الحوانيت وايجارها :**

عرفت ظاهرة ( الخلو ) ويعنى قيمة حق الانتفاع بالحانوت لحائزه الأصلى ، سواء كان مملوكا أو جاريا فى وقف . واختلفت قيمة الخلو من سوق لآخر حسب مكانته التجارية من ناحية وموقع الحانوت وسعته ونوع التجارة التى يمارس فيها من ناحية أخرى . وبعد دراسة لعدد من الوثائق

---

(٣٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٢٣٧ ، ق ٤٩٠ ، ق ٩١١ .

— سجلات محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ق ٩٩ ، ق ١٠٨ ، ق ٢٠٣ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٤٩ ق ٨٩ ، س ١٨ ق ٤٣٧ ، س ٥٠ ق ٩٤ ، ق ١٧٤ ، ق ١٧ ، ق ٩٣ .

(٣٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٨ ق ٢٧٦ ، ق ٤٥٧ ، س ١٦٠ ق ٣٠٤ .

— سجلات محكمة طولون : س ٢١٩ ق ١٧٤ ، ق ٤٨٥ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٥٠ ق ٣٨٦ ، ق ٤٩٨ .

امكننا وضع ترتيب تقريبى لمكانة الخطط التجارية وهى على النحو التالى (٣٧) :

جدول رقم ٦

| الترتيب | الخط | قيمة الخلو بالنسبة للحانوت الواحد | السنة |
|---|---|---|---|
| ١ | الصليبية الطولونية | ٠٠٠ر٣٣ نصف فضة | ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م |
| ٢ | خان الخليلى | ٠٠٠ر١٢ نصف فضة | ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م |
| ٣ | الفحامين | ٠٠٠ر١٠ نصف فضة | ١١٤٥ هـ / ١٧٣٣م |
| ٤ | الغورية | ٠٠٠ر٩ نصف فضة | ١١٥٤هـ / ١٧٤١م |
| ٥ | الصاغة | ٠٠٠ر٥ نصف فضة | ١١٦٣هـ / ١٧٥٠م |
| ٦ | بين القصرين | ٢٠٠ر١ نصف فضة | ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م |
| ٧ | التبانة | ١٠٠٠ نصف فضة | ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م |
| ٨ | قصبة رضوان | ٥٠٠ نصف فضة | |

كما أمدتنا وثائق محكمة المنصورة بعدد من الخلوات التى تعكس تفاوت قيمة الخلو داخل مدن الأقاليم ( عواصم الكشوفيات — والصنجقيات ) وتراوحت قيمته من الفى نصف فضة الى خمسة آلاف نصف فضة ، وذلك على سبيل المثال ، وهى تقل فى المتوسط عن مستوى الخلو فى أحياء العاصمة . أما بالنسبة لقيمة ايجار الحوانيت فى الوكالات فقد تفاوتت أيضا وتراوحت بالنسبة للحانوت من الف نصف فضة الى مائة نصف فضة سنويا ، بينما قدرت بالنسبة للوكالة بين كيس مصرى وخمسة اكياس مصرية ( الكيس ٠٠٠ر٢٥ نصف فضة ) سنويا . وتختلف مدة الايجار حسب

(٣٧) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ، ق ٣٨٥ ق ٤٩٧ ، ق ٥٠٨ ، ق ٦١١ ، س ٢١٩ ق ١٧٤ ، ق ٢٥٨ ، ق ٢٢٤ ، ق ٣١٥ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١٦٠ ق ٣٠٥ ، ق ١٠٥ ، س ١١٥ ق ١٧١ ، ق ١٢٨ .

اتفاق الطرفين وقد تصل المدة الى تسعين عاما خاصة اذا كان الحانوت أو الوكالة ضمن أحد الأوقاف (٣٨).

**المعاملات المالية والمقايضة :**

قامت المعاملات المالية بين التجار من العسكر من مختلف الأوجاقات بعضهم البعض فى شئون التجارة، كما نشأت بين التجار العسكريين وبين الأهالى العاملين فى نفس الميدان ، وتشير الوثائق الى أن الطرفين المتعاملين كانا يتفقان أحيانا على دفع المبلغ دفعة واحدة ، فى أجل معين ، أو بالتقسيط على فترة محددة ، وعرف نظام الرهون كأن يقترض أحد العسكر من زميله مقابل رهن بيته أو حانوته ، كما انتشرت مسـألة ( الضـمان الكتابى ) ( التمسك ) أو الضمان الشخصى خاصة اذا كان التعامل بين رجـال الأوجاقات والأهالى ، فيضمن أحد العسـكر المدين من الأهالى لزميله فى سداد الدين ، ويكون الضامن مسئولا أمام الحاكم الشرعى بالوفاء بالدين اذا أخل المدين بذلك (٣٩).

ولم يقتصر هذا التعامل على العاصمة فحسـب ، بل نجده فى سائر البنادر والأقاليم بحكم الاشتغال بالأنشطة الاقتصادية المختلفة . وتصادفنا بعض الوثائق بمعلومات تشير الى وجود الربا فى المعاملات أحيانا وهـو ما يعرف باسم ( الديون الرابحة ) بخلاف ( الديون العاطلة أو غير الرابحة ).

---

(٣٨) سـجلات القسـمة العسكرية : س ١١٥ ق ٢٣٣ ، س ١٢٠ ق ٢٢٤ ، ق ٨١٥ ، س ١١٨ ق ٧٦٧ ، ق ٦٩٨ .
— سجلات محكمة بولاق : س ٧٥ ق ١٧٧ ، ق ١٨٩ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٨ ق ٣٣٧ ، ق ٤٥٧ ، ق ٨٥١ ، س ١٤٩ ق ٨١٧ ، ق ٤٢٥ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٥٣ ، ق ١٩٨ .

(٣٩) سجلات محكمة بولاق : س ٦٥ ق ١٥٦ ، ق ١٦٨ ، س ٦٣ ق ٥ ، ق ١١ .
— محفظة دشت قم ٢٢١ ، ص ١٥٥ ، ١٦٠ ، ٢١٨ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٦ ق ١٢٤ ، ق ٥٧٠ ، ق ٦١٨ .

ويبدو أن نظام المقايضة كان معروفا على نطاق ضيق وهو ما عرف في الوثائق بـ ( المقابلة ) بدلا من التعامل بالنقد . وهناك العديد من الدعاوى بالمحاكم الشرعية بسبب الخصومات بين العسكر أنفسهم ومع التجار من الأهالي حول المعاملات المالية والقروض ، وقد تستمر بعد وفاة المدين لاستخلاصها من التركة (٤٠) .

**العسكر شيوخ طوائف التجار :**

قطع رجال الأوجاقات أشواطا بعيدة في ميدان التجارة وارتقى بعضهم الى رتبة شيخ الطائفة التجارية ، وتصادفنا الوثائق بعدد من رجال أوجاق ( مستحفظان ) الذين بلغوا هذه الدرجة ، نذكر منهم أحد المماليك شيخ طائفة الحريرية ( تجار الحرير ) وأحد الأوده باشية شيخا لتجار الفاكهة ( طائفة الفكهانية ) ، كما تولى عدد منهم شياخة الأسواق الكبيرة في خان الخليلي وفي الرميلة . وتولى أحد السباهية ( الكوملية ) شيخا لطائفة السكرية ( تجار السكر ) ، بينما نجد أحد رجال عزبان شيخا لطائفة القبطانية ( العاملون في النقل بالسفن والمراكب ) ، ومما يذكر أن هؤلاء الشيوخ كانوا على مستوى مرتفع نسبيا حيث يصل متوسط التركات — حسبما تشير الوثائق — الى خمسين كيسا مصريا (٤١) .

---

(٤٠) سجلات محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٩٥ ، ق ١٥٨ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٤ ، ق ١٨ ، س ١٤٩ ق ٦٢٦ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٢٢ ، ق ١٢٨ ، ق ٩٨ .

— اسقاطات القرى : س ١٢ ق ٣٤٨ ، ق ٥١٧ .

(٤١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٥٦ ، ق ٢٩٠ ، ق ١٢٠ ، ق ٧٤ ، ق ١١٨ ، ق س ١١٩ ق ١ ، ق ١٢ ، س ١٢٤ ق ٥٣ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣٣٠ ، ٤١٨ .

— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٥ ، ق ١٨ .

ونخلص مما سبق الى عدة أمور نوردها على النحو التالى :

**أولا** : واكب اشتغال العسكر بالتجارة – فى صنوف التجارة الداخلية والخارجية – اقتحام المحليين ( المغاربة – الشوام – المصريين – الأحباش ) الميدان العسكرى فانتسبوا للأوجاقات واشتروا العلوفات وصاروا ( أرباب علوفات ) وذلك للحصول على مزايا اجتماعية وحصانة يوفرها لهم الانتماء للكيان العسكرى .

**ثانيا** : اختص رجال أوجاق الانكشارية ( مستحفظان ) بعلاقات وثيقة مع كبار التجار المحليين والأجانب الى جانب القناصل ، وحقق هذا الأوجاق ثراء ملحوظا من عوائد التركات فضـلا عن ألوان الابتزاز المختلفة لأموال الأجانب (٤٢) .

**ثالثا** : اقتضت ظروف التجارة الخارجية – بصفة خاصة – ومصاحبة موكب الحج المصرى سنويا ، خروج اعداد من العسكر من مصر من وقت لآخر ، أدى الى حدوث ارتباكات داخل الأوجاقات ، مما أغرى بعض الشخصيات المتنفذة لانتهاز الفرص لفرض كلمتهم على الأوجاقات .

**رابعا** : صعوبة تجهيز التجاريد العسـكرية سواء ضد العربان فى الاقاليم ، أو للاسهام فى حروب الدولة ، خاصة وقد انتشر العسـكر فى ميادين الحرف والتجارة والزراعة الأمر الذى أدى الى عجز الادارة بولاية مصر عن انجاز مهامها فى غالب الأحيان .

**خامسا** : سيطرة كبار أمراء المماليك من قادة الأوجاقات فى مجـال التجارة الكبيرة ووسائل النقل فى البحار ، حيث امتلكوا السفن الكبيرة لجلب الصادرات ونقل الواردات ، واعتمدوا على مماليكهم فى هذه الأمور .

**سادسا** : غياب الدور الاقتصادى لرجال العنصر العثمانى بشـكل

---

(٤٢) Raymond : op. cit., pp. 688-690.

مؤثر ، اذا قورن بمثيله بالنسبة للمماليك وخاصة فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، بعد جهود على بك الكبير فى تحطيم كيان الأوجاقات العثمانية .

**سابعا :** استمرار ورود المماليك البيض والسود مع قوافل التجارة القادمة الى مصر ، ليقوى باستمرار الوجود المملوكى بولاية مصر ، وغيرها من الولايات العربية الأخرى فى القرن الثامن عشر .

# الباب الخامس

## الأوجاقات والمجتمع المصرى

## الفصل التاسع عشر

## تكوين المجتمع المصرى

انقسم المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر — كغيره من المجتمعات العربية — الى هيئتين رئيسيتين : طبقة المحكومين من أبناء الرعية ، وطبقة الحاكمين من كبار البكوات المماليك الذين شغلوا المناصب الهامة بولاية مصر ، ورجال الأوجاقات العسكرية والباشوات العثمانيين (١) .

### أ — فئات المجتمع :

**اولا : المصريون المسلمون** : وهم يشكلون الغالبية العظمى من سكان البلاد ، سواء فى القاهرة أو مختلف الأقاليم ، ويعملون أساسا فى شئون الزراعة بالقرى فى خدمة الملتزمين من رجال الأوجاقات وأمراء المماليك ، الى جانب الحرف والتجارة فى العاصمة أو فى بنادر الأقاليم والثغور ، وبوجه عام كانت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية متردية ، هذا باستثناء العلماء والأشراف وأرباب الطرق الصوفية ، الذين تمتعوا بمنزلة طيبة بين أبناء الرعية تجاه طبقة الحاكمين (٢) .

**ثانيا : المصريون الأقباط** : ويعرفون فى الوثائق باسم ( النصارى ) ،

---

(١) احمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ٢٥٠ — ٢٥٣ .

— عبد الله عزباوى : الحركة الفكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر . رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ١٩٧٦ ، ص ٤٠٠ — ٤١٧ .

كما يطلق عليهم ( القبط ) و ( أهل الذمة ) فى المخطوطات والوثائق أيضا ، وقدر علماء الحملة الفرنسية اعدادهم بما يقرب من ١٠٠٠٠٠ نسمة فى أواخر القرن الثامن عشر ، وهو تقدير تقريبى ، ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا يلقون معاملة حسنة من أبناء المجتمع المصرى ( المسلمين ) ، ولم يعرف فى العصر العثمانى أى نوع من الاضطهاد بالنسبة لهذه الفئة ، وشهد بذلك الرحالة والمؤرخون الأجانب ، كما أن وثائق المحاكم الشرعية تشير الى بعض الحالات التى يتحول فيها بعض النصارى الى الاسلام منذ القرن السادس عشر ، واستمرت حتى القرن الثامن عشر ، ويشكل الأقباط العنصر الثانى من سكان مصر ، وقد انتشروا فى شتى أقاليمها ، وان كان الجزء الأكبر منهم قد استوطن الوجه القبلى ، وهناك بعض القرى بأكملها من القبط ، ويميزهم الرحالة الأجانب ببعض الصفات البدنية الخاصة ، فهم غالبا ما تبدو عيونهم واسعة وشعورهم مجعدة ، وأنوفهم مستقيمة أو معقوفة (٢) .

أما بالنسبة لأنشطتهم الاقتصادية ، فلم يلعب الأقباط دورا هاما فى التجارة الواسعة وخاصة تجارة البن والتوابل والأقمشة ، وانما تخصصوا فى الوان من الحرف أكثر أهمية وذات قيمة عالية ، تلك التى تتعلق بالصناعات الدقيقة مثل الصاغة والجواهرجية ، وكونوا ربع المشتغلين بهذه الحرفة أو أكثر ، واحتكروا هذا العمل تقريبا ، وكذلك صناعة الحراير بصفة خاصة ، ومهنة الحياكة ( الترزية ) — كما يظهر من الوثائق بالمحاكم الشرعية — واشتغلوا ببيع أنواع الفراء ، كما عملوا فى صناعة الشمع ، وتجارة الأخشاب ومواد البناء ، وتلك الحرف البسيطة التى اشتغل بها عدد كبير من فقراء القبط . كما تخصص الأقباط فى الشئون المالية منذ بداية العصر

---

(٣) Raymond : op. cit., p. 456.

— سجلات المحاكم الشرعية : محكمة بولاق : س ١٤ ق ٧٩٣ .

— محكمة القسمة العسكرية : س ٢٤ ق ٥٤٢ ، س ٩ ق ١١٦٨ .

— محفظة دشت رقم ٨ ص ٦٤ .

Browne : op. cit., p. 104.

العثمانى ، فعملوا فى خدمة الملتزمين بالقرى ، وفى القرن الثامن عشر اشتغلوا فى خدمة أمراء المماليك وقادة الأوجاقات .

ومارس القبط أنشطتهم الحرفية والتجارية فى أحياء قلب القاهرة ، فى ( الصاغة وخان الخليلى والجمالية والحمزاوى والموسكى ) ، ولعل حى الصاغة هو الذى استوعب العدد الأكبر منهم ، ومع هذا فان الأحياء الأخرى بالعاصمة ضمت أعدادا منهم ، سواء للعمل أو للسكنى بها ، رغم أن علماء الحملة الفرنسية قد حددوا أحياء أربعة تركز فيها الأقباط بالقاهرة ( الأزبكية وجنوبها تقع حارة النصارى ، وقنطرة الدكة ، وبين الصورين ، وهذا يعنى عدم وجود تمييز دينى أو عنصرى بمصر (٤) .

وكما هو الحال بالنسـبة لكافة الطوائف الدينية والحرفية فى الولايات التابعة للدولة العثمانية كان لجماعة الأقباط بمصر رؤساؤها التقليديون من رجال الدين ، وهم بمثابة همزة الوصل بين هذه الفئة الاجتماعية ورجال الطبقة الحاكمة ، وعليهم دفع ما يخص طائفتهم من الأموال المطلوبة من ( الفرد والمظالم ) فضلا عن الجزية المقررة (٥) .

**ثالثا : العربان :** هم سكان الصحارى المنتشرة على حواف الوادى ممن يعيشـون حياة التنقل والترحال ، وينقسـمون الى عدة قبائل متفرقة ، ومتناحرة ، ويعملون أساسا فى الرعى ونقل البضائع وخدمة مواكب الحج المصرى ، كما اشتغل بعضـهم بالزراعة فى عدة أقاليم وخاصـة القبائل المستقرة ، مثل ( بنو حبيب ) فى القليوبية والهوارة فى الصعيد . كانت هذه القبائل الضاربة على الهامش الصحراوى تشكل بصورة ــ شبه مستمرة ــ مصدر أزعاج لمختلف القرى ، فهم يغيرون على زراعات الفلاحين فى مواسم الحصاد للنهب والسلب ، وتراخى رجال الادارة المحلية من الكشاف والعسكر عن ايقاف خطرهم فى القرن الثامن عشر ، بل أن بكوات المماليك استعانوا

---

(٤) Volney : op. cit., p. 78.

(٥) Raymond : op. cit., p. 450.

بالعربان فى صراعاتهم التقليدية المستمرة ، حتى تمكن على بك الكبير من توجيه ضربات قاصمة الى قبائل العربان فى مصر لاشاعة الامن والنظام بالبلاد .

ورغم الافتقار الى احصاءات دقيقة ، فان أحد الرحالة الأجانب — اعتمادا على مصادر قنصلية — يرى أن قبائل العربان بمصر كانت تضم ما لا يقل عن ٣٠،٠٠٠ محارب يتقنون فنون القتال وشئون الحرب التقليدية (٦) .

رابعا : **اليهود** : وكانوا اقلية بمصر ، حيث قدرت أعدادهم فى أواخر القرن الثامن عشر بنسبة تتراوح بين ٢،٠٠٠ ، ٣،٠٠٠ نسمة ، ورغم هذا كانوا أغنى الأقليات بالبلاد ، ومن أهم الأنشطة التى مارسها اليهود بمصر ادارة الجمارك ودار الضرب ، واشتغلوا فى مجال تجارة الصادرات والواردات مع دول أوربا ، وشابهوا القبط فى بعض التخصصات الحرفية والتجارية ، ( تجارة الذهب ، والفضة ، وصنع السبائك المعدنية ) ، وتغيير النقود ، واستقروا فى حى الصاغة وخان الحمزاوى للاشتغال بهذه المهن ، كما عمل بعضهم فى مجال الالتزام وشئون الصيرفة التى سيطروا عليها هم والقبط حتى أواخر القرن الثامن عشر ، كما عملوا فى صنع المشروبات الروحية — كما هو الحال بالنسبة للقبط — وفى نسج الحراير والاتجار فيها ، وفى مهنة القصابة ( الجزارة ) (٧) .

تركزت أحياء اليهود فى ( خان الحمزاوى ، خان الفسقية ، وكالة الصيارفة بخط الصاغة ) حيث تنتشر مراكز الصناعات المعدنية الدقيقة التى

---

(٦) Volney : op. cit., p. 77.

— الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٨ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ .

(٧) Raymond : op. cit., p. 459.

Browne : op. cit., p. 105.

Savary : op. cit., pp. 228-230.

برع فيها اليهود ، كما استقر غالبهم بحارة اليهود الممتدة من البيمارستان حتى خط الموسكى ، ويصفها الرحالة الأجانب بالاتساع ، ومع هذا فقد اتسمت بصبغة شعبية ، حيث لم يكن الاعتناء بنظافتها ظاهرا ، ويبدو أنها ضمت الفئات الدنيا من اليهود ، ويوجد بها معبد خاص بهم .

وقد استمد اليهود مكانتهم ونفوذهم بالقاهرة حتى منتصف القرن الثامن عشر من خلال السيطرة على الادارة المالية والاقتصادية ، وكانوا يمتلكون رءوس أموال ضخمة ولعبوا دور ( البنوك ) فى اقراض رجال الطبقة الحاكمة من البكوات وذوى النفوذ ، من التجار الأجانب والقناصل ، وكانوا ينعمون بحماية أوجاق مستحفظان صاحب النفوذ السياسى بالبلاد ، وبتولى على بك الكبير شئون الحكم وخاصة سنة ١٧٦٩ بدأ فى التخلص من سيطرتهم الاقتصادية والمالية ، فأبعدهم عن ادارة الجمارك الهامة فى الاسكندرية والسويس وبولاق ومصر القديمة ، وأحل محلهم المسيحيين السوريين ، وحذا حذوه محمد بك أبو الذهب ، وبذلك فقد اليهود موردا هاما وأخذت أوضاعهم الاقتصادية فى الاضمحلال (٨) .

**ب ــ الأقليات الاسلامية :**

ضم المجتمع المصرى أقليات اسلامية استقرت بالبلاد للاشتغال بشئون التجارة والحرف ، ولعبت هذه الأقليات دورا ملموسا فى الحياة الاقتصادية بمصر فى القرن الثامن عشر ، وسوف نتناولها على النحو التالى :

**١ ــ الأتراك :** عرف هؤلاء باسم ( الأروام ) فى المصادر التاريخية المعاصرة ، من المخطوطات أو الوثائق ، وهم يشكلون اكبر الأقليات الاسلامية بمصر ، حيث قدرت بما يقترب من ١٠٫٠٠٠ نسمة ، واشتغل عدد كبير منهم بالتجارة بين القاهرة واستانبول والحجاز ، واشتهروا بتجارة البن والكتان والدخان ، وهم يرجعون فى أصولهم الى مدن مختلفة : ( استانبول ــ

---

(٨) Raymond : op. cit., pp. 459-461.

بروسه — أزمير — طرسوس ) فى الروملى ، أو الى مدن تابعه للأناضول : ( عينتاب — خربوط — ملاطيا .. ) .

ارتبط وجود الأتراك بالحكم العثمانى فى مصر — كما هو الحال بالنسبة لباقى الولايات العربية — وخاصة ذلك الكيان العسكرى الممثل فى الأوجاقات العثمانية ، ورجال القابى قولية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر ، ويعد الأزهر من عوامل جذب كافة الجماعات الاسلامية الى مصر لطلب العلم وخاصة العلوم الدينية (٩) .

واشتغل الأتراك فى أنواع الحرف البسيطة ، وتخصصوا فى بعضها مثل ( العقادة فى الرومى ) وتصنيع المعادن والأسلحة والسكاكين ، ومنهم ( القوافون ، وصناع الأحذية ) ، كما عملوا فى تجارة التجزئة بالقاهرة ، من الخردجية ، والدخاخنية ، وفى مجال التجارة الخارجية تاجروا فى : الأقمشة ، والأخشاب ، والطباق ، والعبيد سواء من البيض القادمين من القوقاز أو السود الوافدين من قلب افريقيا .

ودخل بعضهم الأوجاقات العثمانية بمصر ، ولكنهم لم يصلوا الى درجات قيادية فيها ابان القرن الثامن عشر .

وشهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر هجرات من الترك لتعمل فى مجال الحرف بالقاهرة ، ومن الجدير بالذكر أن المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأتراك قد انحدر فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر اذا قورن بما كان عليه خلال القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر .

وقد استقر معظم الأتراك فى المناطق التجارية : خان الخليلى ، الغورية ( باب زويلة ) ، وفى حى القلعة ( سوق السلاح ) ، وفى الصاغة والجمالية ،

---

(٩) انظر الفصل الخاص بالقابى قولية ( الباب الأول ) .
— عبد الله عزباوى : المرجع السابق ، ص ٤٢ — ٥٠ .
Raymond : op. cit., pp. 464-469.

ويشكل الأتراك — كغيرهم من الجماعات — طائفة اجتماعية لها شيخ يقوم على مصالحها ، وشئونها الخاصة بها (١٠) .

ب — **المغاربة** : شكل المغاربة أقلية اسلامية قوية بالمجتمع المصرى ، منذ زمن بعيد ، وهناك عوامل متعددة ساعدت على استمرار وجودهم بمصر منها :

١ — العامل الدينى : فقد كانت مصر حتى القرن التاسع عشر بمثابة محطة رئيسية لموكب الحج المغربى المتجه الى الحجاز سنويا ، لمراقبة الموكب المصرى ، فكان يصحب هذا الموكب العديد من التجار المغاربة ، الذين ينزلون بالقاهرة ، واستقر بعضهم لممارسة ألوان النشاط الاقتصادى (١١) .

٢ — العامل الثقافى والعلمى : ويتعلق بوجود الأزهر — أقدم الجامعات الاسلامية — بمصر ، حيث وفدت مختلف الجماعات الاسلامية اليه طلبا للعلم وتعددت الأروقة التى تضم أبناء هذه الجماعات ولعل من أهمها رواق المغاربة .

٣ — استمرت مصر — رغم ظروفها السياسية المضطربة — فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر مصدر جذب للمغاربة الذين طرقوا السبل طلبا فى الرزق .

ومن الصعب تحديد أعداد المغاربة فى مصر فى القرن الثامن عشر ، ومع هذا يمكن القول بانهم قد يصلون الى تعداد الأتراك أو أقل قليلا ، وفى بعض الأحيان يبلغ تعداد المغاربة الى ما يقرب من ١٠٫٠٠٠ نسمة ، وفى داخل كيان المغاربة هناك انتماءات متعددة ( الفاسيون — التونسيون — الطرابلسيون — المراكشيون ) .

تخصص المغاربة فى مصر — بصفة اساسية — فى مجال التجارة

---

(١٠) Volney : op. cit., p. 89.

(١١) عبد الرحيم عبد الرحمن : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٥٠ — ٥٩ .

الخارجية ، وخاصة تجارة المنسوجات والأقمشة والطرابيش والبن والتوابل . تلك البضائع الواردة من شمال افريقية أو الحجاز الى مصر ليعاد تصديرها من جديد ، وفى هذا المجال كان المغاربة انشط الجماعات خاصة بين الأقليات الاسلامية من الأتراك والشوام وأكثر ثراء (١٢) . كما اشتغل عدد من المغاربة فى تجارة الزيت المغربى وكونوا فى القاهرة طائفة الزياتين ، وهم يستوردون هذه السلعة من شمال افريقيا الى مصر ، وعمل بعضهم فى عدد من الحرف البسيطة .

استقر المغاربة فى الأسواق الكبرى فى قلب العاصمة ( خط ابن طولون ) وفى قصبة رضوان والغورية ، والفحامين . وفى حى الأزهر كون المغاربة كتلة اجتماعية متماسكة قوية المراس اتسمت بالصلابة والصرامة فى مواجهة الأزمات التى يثيرها رجال الادارة المركزية بالقاهرة ( أغا مستحفظان — المحتسب ) واعتمد عليهم البكوات المماليك فى بعض الأحيان خلال صراعاتهم المملوكية ، كقوة عسكرية لها وزنها (١٣) .

وانتشر عدد من المغاربة فى أقاليم مصر المختلفة للاشتغال بالتجارة ، وشئون الالتزام ، وحيازة الأراضى ، وتوثقت المعاملات بين المغاربة ورجال الأوجاقات من الملتزمين بالقرى ، كما ظهرت بعض المصاهرات بين المغاربة وابناء البلاد ، واكتسبوا تدريجيا عادات وتقاليد المصريين مع احتفاظهم بعادات اخرى خاصة بهم ، وبرعت النساء المغربيات فى استخدام الأنوال اليدوية لصنع المنسوجات والملابس ، سواء فى القاهرة أو فى بنادر الأقاليم . ويرأس هذه الأقلية بمصر شيخ المغاربة وهو عادة من علماء الأزهر المغاربة ، وأحيانا من كبار التجار ، ولعل من اشهرهم ( الشرايبى ) الذى احتل مكانة

---

(١٢) Raymond : op. cit., pp. 470-472.
Browne : op. cit., p. 104.

(١٣) Raymond : op, cit, pp. 472-475.
Volney : op. cit., p. 76.

مرموقة ، وحظى باحترام كبير لدى رجال الطبقة الحاكمة ، ويضطلع بمسئوليات ادارية للدفاع عن مصالح المغاربة بمصر (١٤) .

**د ــ الشوام :** وهم يكونون اقلية ذات حيوية ونشاط تجارى واسع ، ويرجع وجودهم بمصر الى التقارب الجغرافى بين الشـــام ومصر ، والتبادل التجارى فى اطار الدولة العثمانية ، فكانت دمشق وحلب والقدس والقاهرة مراكز تجارية هامة داخل المشرق العربى الواقع تحت الحكم العثمانى .

لم يكن هناك تحديد واضح لعدد الشوام بمصر ، وقد تغيرت نسبتهم خلال القرن الثامن عشر ، وكانوا فى معظم الأحوال اقل من المغاربة أى أقل من ١٠٫٠٠٠ نسمة ، وترجع أصــولهم الى ( حلب ــ حماة ــ دمشق ــ أنطاكية ) ، وهم من السوريين الذين لعبوا دورا مؤثرا فى التجارة الخارجية بين مصر وســـوريا ، كما دفعت لبنان بعدد من التجار الذين ينتمون الى ( صيدا ــ طرابلس ) للهجرة الى مصر والاستقرار بها على فترات متباعدة ، ومن الجزء الجنوبى لبلاد الشـــام قدمت جماعات أخــرى من ( القـــدس ونابلس وغزة ورام الله ) ، واشتهر تجار نابلس فى مصر بتجارة الصـــابون واستوطن مصر عدد كبير من الشوام فى القرن الثامن عشر (١٥) .

واشتغل الشوام بصفة عامة فى تجارة الجملة ، كالمغاربة والاتراك ، وتخصصوا فى تجارة الأقمشة والبن والتوابل والصابون والطباق والحراير المستوردة من الشام ، وكان حوالى نصف التجار الشوام يشتغلون فى تجارة مختلف أصناف الحراير ، وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تزايدت

---

(١٤) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٤٦٦ .
ــ سجلات القسمة العسكرية : س ٢٠٨ ق ٤٩٠ .
ــ محكمة باب الشعرية : س ٦٤٢ ق ١٨٣ .
ــ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٨ ق ٤٤٢ ، ق ٦٣٧ .

(١٥) Raymond : op. cit., pp. 497-499.
Browne : op. cit., p. 105.

اعداد المسيحيين الشوام وحجبوا تدريجيا دور المسلمين الشوام ، الذين سبقوهم فى ميدان التجارة بمصر .

تركز وجود الشوام فى ( خان الحمزاوى ــ الجمالية ) حيث كانت تباع البضائع الشامية ، وأهم الوكالات التى انتشروا بها ( وكالة الأسيوطى ــ وكالة ذو الفقار كتخدا ــ وكالة بكر ــ وكالة التفاح ــ وكالة الصابون ) . وعلى مقربة من تلك الوكالات التجارية السابقة ، اتخذ الشوام مواطن اقامتهم فى الأحياء والشوارع المجاورة ( درب القرمز ــ درب المبيضة ــ باب الشعرية ــ الجمالية ) (١٦) .

وهناك جماعات اسلامية أخرى مارست دورا ثانويا فى المجال التجارى بصفة خاصة ــ كما تبين وثائق المحاكم الشرعية ــ من الحجازيين والفرس والأحباش ، وهم يتاجرون فى البضائع الواردة من الشرق الأقصى ، واشتغل بعضهم فى عدة حرف بالقاهرة ، واستقروا بالمناطق الحرفية بقلب العاصمة ، وتضاءلت أعدادهم بمصر فى القرن الثامن عشر (١٧) .

### د ــ الأقليات الأجنبية بمصر فى القرن الثامن عشر :

والى جانب الأقليات الاسلامية السابقة ، تواجد بمصر ، وبصفة خاصة بالقاهرة والثغور الهامة ( الاسكندرية ــ دمياط ــ السويس ) أعداد من الأجانب الذين ينتمون الى جنسيات غير اسلامية على شكل أقليات لعب ابناؤها ادوارا ذات قيمة فى المجال الاقتصادى بالمجتمع المصرى .

**أ ــ اليونانيون** : شكلت الأقلية اليونانية كيانا دينيا وعرقيا هاما فى مصر ، بلغ تعدادها ما بين ٣٫٠٠٠ : ٥٫٠٠٠ نسمة تقريبا ، وقد تزايدت

---

(١٦) Raymond : op. cit., p. 480.

(١٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١٤٨ ق ٢٧٦ ، س ١٨١ ق ٨٤ ، س ١٤٩ ق ٧١٥ ، س ١٥٢ ق ٢٩٧ ، ق ٣٥ ، س ١٥٨ ق ١١٥١ .
ــ محفظة دشت : رقم ٢٢١ ص ٥٣٧ .

هجراتهم الى القاهرة للاقامة بها ، ولعبوا دورا هاما فى مجال التجارة الخارجية بين مصر وأجزاء الدولة العثمانية الواقعة على الجانب الشرقى من البحر المتوسط ، حيث نشطت البحرية التجارية اليونانية .

تخصص اليونانيون — الى جانب نشاطهم التجارى — فى حرف معينة منها صنع الفراء واستقروا فى وكالة الفرايين ، كما اشتهر منهم ( الترزية ) و ( الحريرية ) وصناع الأدوات المعدنية ، الى جانب بعض الحرف البسيطة ( صنع الطواقى ) مثلا ، وتركز وجودهم فى خان الخليلى ، وحارة الروم والجمالية ، وسكن غالبية اليونانيين بحارة الروم التى تمتد شرق ( السكرية ) (١٨) .

ب — **الأرمن** : وهم النصارى الأروام وهم يشكلون أقلية فى القاهرة صغيرة العدد ذات نشاط اقتصادى بسيط ، وقدرت أعدادهم فى القرن الثامن عشر بما يقرب من ٢٫٠٠٠ مسيحى أرمينى .

تخصص الأرمن فى حرف معينة احتكروها بشكل واضح ، فقد عمل أغلبهم فى خط الصاغة ( جواهرجية ) كما اشتهروا فى صناعة ( الساعات ) ، وشاركوا اليونانيين فى مهن ( الحياكة ) ، وعرفوا أيضا مهنة البناء والعمارة ، ومارس قليل منهم مجال التجارة الخارجية ، كوسطاء تجاريين فقط .

وبصفة عامة ، كانت الأقلية الأرمينية بسيطة وفقيرة ، وعمل كثير منهم فى محلات صغيرة بخط الصاغة ، وتبعثر الباقون فى أحياء أخرى ، وسكنوا فيما بين باب الشعرية وخط الموسكى ، ولهم كنيسة خاصة بهم قرب القنطرة الجديدة .

هذا بالاضافة الى أقليات أخرى صغيرة كالبنادقة والفرنسيين والانجليز وغيرهم ممن عملوا قناصل وتجار بمصر (١٩) .

---

(١٨) Raymond : op. cit. pp. 497 — 499.
Brawne : op. cit. p. 105.

(١٩) Raymond : op. cit., pp. 500-502.

**الطبقة الحاكمة :**

تناولنا فيما سبق الفئات الاجتماعية التى تكون طبقة المحكومين من أبناء الرعية فضلا عن الأقليات الاسلامية والأجنبية التى استوطنت مصر فى القرن الثامن عشر ، واستكمالا لدراسة الهيكل الاجتماعى بقى أن نتعرض لطبقة الحاكمين .

تتكون هذه الطبقة — تجاوزا — من فئتين رئسيتين :

ا — **الصفوة المملوكية :** بزعامة شيخ البلد وكبار البكوات من الصناجق والكشاف عماد الادارة المركزية والمحلية بولاية مصر ، وأصحاب اليد العليا فى شئون البلاد ابان القرن الثامن عشر ، فضلا عن اتباعهم من المماليك الذين يتوزعون داخل البيوت المملوكية ، وقد تمتعت هذه الصفوة بمكانة اجتماعية عالية داخل المجتمع المصرى ، ورغم الافتقار الى احصاءات دقيقة خلال القرن الثامن عشر ، يمكن القول بأن متوسط تعدادها يتراوح بين ١٠٫٠٠٠ : ١٢٫٠٠٠ نسمة .

ب — **رجال الأوجاقات العسكرية :** وقد سبق أن عرضنا لتركيب الأوجاقات من مختلف العناصر المملوكية والعثمانية والمحلية ، ولعله من الصعب تحديد اعداد كل عنصر على حدة ، وان كان من الملاحظ غلبة العنصر المملوكى بصفة خاصة فى صفوف الأوجاقات المختلفة (٢٠) . وبدراسة بيانات الرحالة الأجانب ومعلومات دفاتر الروزنامة أمكن التوصل الى تعداد تقريبى للأوجاقات فى القرن الثامن عشر يتراوح بين ١٣٫٠٠٠ : ١٨٫٠٠٠ من العسكر ، وهذا لا يعنى البتة قوة وفعالية الأوجاقات المتضخمة ، فهناك الكثير ممن انتسبوا اليها لمجرد تسلم رواتب نقدية وعينية ( جراية — عليق ) ، وصار الهدف هو الحصول على المكاسب دون مشاركة حقيقية فى البناء العسكرى (٢١) .

---

(٢٠) انظر الباب الأول ( ترتيب الأوجاقات ) .

(٢١) Perry ; Op. Cit., pp. 217-220.
Browne : op. cit., pp. 104-107.
Savary ; op. cit., pp. 193-195.

— سجلات الروزنامة : دفتر ميزان مصر لسنة ١١٢١ هـ ، دفتر مرتبات كشيدة ديوان مصر برقم ٥٢٤٩ ، — دفتر معتاد حكومة مصر لسنة ١٢١٢ هـ برقم ٥٩٥٧ .

## تعداد سكان القاهرة والاسكندرية :

اختلفت تقديرات الرحالة الأجانب حول تعداد سكان القاهرة فى القرن الثامن عشر ، وذلك لانعدام الاحصاءات السنوية الدقيقة عن المواليد والوفيات ، وهى تتراوح بين ۲۵۰٫۰۰۰ : ۷۰۰٫۰۰۰ نسمة ، خاصة وقد اجتاحت البلاد كثير من الأوبئة والطواعين التى تودى بحياة الآلاف من حين لآخر ، خلال هذا القرن (۲۲) . ويشمل هذا التعداد كافة العناصر التى سبق تناولها بالدراسة .

وهناك تقدير آخر لتعداد سكان مدينة الاسكندرية — التى فقدت مكانتها السابقة فى العصور القديمة كعاصمة للبلاد — ويصل هذا التعداد لما يقرب من ٦٫٠٠٠ نسمة ، وهو تقدير تقريبى لا يخضع لأساس علمى دقيق ، ولم نصادف تقديراً آخر فى كتابات الرحالة الأجانب (۲۳) .

## تعداد سكان مصر والامبراطورية العثمانية :

يرى بعض الرحالة الأجانب أن تعداد سكان مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، كان يتراوح بين ۲٫۳۰۰٫۰۰۰ ، ۲٫۵۰۰٫۰۰۰ نسمة ، ولكن دراسة حديثة قدمها اثنان من المتخصصين فى علم السكان ، توضح لنا أن تعداد سكان مصر فى الفترة من ۱۷۰۰ : ۱۸۰۰م تتراوح بين ٤٫٥ مليون نسمة ، فى أوائل القرن الثامن عشر ، وبين ۳٫۵ مليون نسمة فى أواخر هذا القرن (٢٤) .

كما أشار هذان المؤرخان الى أن تعداد سكان الامبراطورية العثمانية فى نفس

---

(۲۲) Volney : op. cit., p. 236. Browne ; op. cit., p. 105.
— اندريه ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص ١١ .
Browne : op. cit., p. 365.

(۲۳) Mc Evedy and Jones : Atlas of World population History.. London 1978. p. 227.

(٢٤) Volney ; op. cit., p. 215.
Savary : op. cit., pp. 25-40.

المدة السابقة ١٧٠٠ : ١٨٠٠م ، قد استقر تقريبا على ٢٤ مليون نسمة(٢٥).
وعلى أية حال ، فان هذه التقديرات السابقة لا يجب أن ينظر اليها على أنها تقديرات قائمة على أسس علمية ثابتة ، وذلك لانعدام الوسائل التى يمكن الاعتماد عليها فى مثل هذه الدراسات ، وخاصة فى القرن الثامن عشر ، حيث لم يكن هناك اهتمام بتسجيل المواليد والوفيات ، ولم يوضع فى الاعتبار تعداد فئات اجتماعية أخرى كالعربان الرحل على الهامش الصحراوى وسكان الواحات وغيرهم.

وعلى هذا النحو السابق ، يمكن القول بأن المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر قد استوعب أقليات اسلامية ساهمت بنصيب كبير فى مجال التجارة والحرف — بصفة خاصة — فقد ساد مفهوم المجتمع الاسلامى ، دون قيود بين بلدانه المختلفة ، كما ضم المجتمع الاسلامى أقليات دينية ( أهل الذمة ) لم تجد اضطهادا دينيا — كما شهد بذلك الرحالة الأجانب المعاصرين — ولعبت دورا فى الحياة الاقتصادية . وحظيت طبقة الحكام — أمراء المماليك ورجال الأوجاقات — من العنصر المملوكى — بمركز الصدارة فى المجتمع المصرى فى ذلك القرن .

---

(٢٥) Mc Evedy and Jones : op. cit., p. 137.

# الفصل العشرون

## العسكر والمجتمع المصرى

سنتعرض — فى هذا الفصل — لدراسة عدة جوانب اجتماعية لتوضيح العلاقات التى تربط بين العسكر ( رجال الأوجاقات ) انفسهم كقطاع مميز ضمن الطبقة الحاكمة ، وبين العسكر من ناحية ، وفئات المجتمع المصرى من ناحية أخرى ، ودور العلماء فى المجتمع تجاه رجال الطبقة الحاكمة ممثلين عن أبناء الرعية .

### اولا — مجتمع العسكر :

انقسم الأجناد — كما نعرف — الى أوجاقات سبعة : ( مستحفظان — عزبان ) ، السباهية ( التوفكجية — الكوملية — الجراكسة ) ، فضلا عن ( المتفرقة والجاويشية ) ، وقد شكل كل أوجاق وحدة عسكرية واجتماعية مترابطة ، حيث يرتبط أبناؤه برابطة الزمالة والانتماء الى كيان واحد ، ويحتوى الأوجاق على عدد من البلوكات كوحدات أصغر حتى القرن السابع عشر ، الا أننا لم نعد نصادف فى الوثائق المتعلقة بالقرن الثامن عشر ذكرا لهذه البلوكات ، والتى حل محلها الانتماء الى أستاذ مملوكى وأحد ( البيوت المملوكية ) (١) .

ورغم احتواء الأوجاقات على عناصر متعددة ( عثمانية — محلية ) قد غلب عليها العنصر المملوكى ، فان الوثائق تشير الى نشوء علاقات اجتماعية بين رجالها كانت اكثر متانة بين افراد البيت المملوكى الواحد خلال القرن

---

(١) عراقى يوسف : المرجع السابق ، ص ٩١ وما بعدها .

الثامن عشر ، خاصة وقد شاركوا بعضهم البعض فى ميدان الحياة الاقتصادية — كما درسنا من قبل — وتشابكت المصالح والمعاملات .

أ — المصاهرات : اهتم رجال الأوجاقات بعقد المصاهرات فيما بينهم بصفة عامة ، وان تداعت الكيانات الخاصة بالأوجاقات ، فعلى حين كان رجال كل أوجاق فى القرن السادس عشر يحرصون على تقوية الروابط الاجتماعية فيما بينهم داخل الاطار العثمانى للأوجاقات ، لم نعد نجد هذا الاهتمام قائما — بصفة خاصة فى القرن الثامن عشر — بعد أن تخلل هذا الاطار وفقد بذلك فعاليته وتأثيره فى الكيان الاجتماعى للأوجاقات .

ففى أوجاق مستحفظان نجد كبار رجالاته من الكتخداوات والاختيارية يقبلون على الزواج من معتوقاتهم ومعتوقات زملائهم ، سواء فى الأوجاق نفسه أو غيره من الأوجاقات ، ويرتبط الصداق — بطبيعة الحال — بالمستوى الاجتماعى للزوج ، فعلى حين نجد ماقدمه أحد كتخداوات مستحفظان من صداق لمعتوقة بيضاء ( ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م ) قد بلغ كيس مصرى ( خمسة وعشرون الف بارة ) ، نجد أحد أمراء هذا الأوجاق أيضا يقدم صداقا ( عشرة آلاف نصف فضة ) أى أقل من نصف سابقه ، بينما ينخفض الى الف وسبعمائة وخمسين نصف فضة بالنسبة لصداق قدمه أحد أفراد الأوجاق .

وهناك اشارات أخرى قليلة الى زواج رجال أوجاق مستحفظان من بنات زملائهم سواء فى الأوجاق أو أوجاقات أخرى تدور فى فلك ( مستحفظان ) من المتفرقة والجاويشية ، ويندر وجود مصاهرات بين رجال الأوجاقين المتنافسين ( مستحفظان — عزبان ) الا اذا كان الانتماء أساسا لأحد البيوت المملوكية . (٢)

---

(٢) سجلات محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٧٣ ، ق ٦١١ ، ق ١٣٠ ، ق ٧٢٥ .

— محكمة بولاق : س ٦٠ ق ٧٩٩ ، ق ٨٠٤ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٢٢٨ .

وفى أوجاق عزبان نلمس الظاهرة السابقة ، من حيث لجوء غالبية رجاله الى الزواج بمعتوقاتهم أو معتوقات زملائهم من العسكر ، وفى نفس الوقت نصادف بعض السردارة من أوجاق عزبان يصاهرون سرادرة السباهية حيث مجال خدمتهم المشتركة فى بنادر الأقاليم ، وان كانت هذه المصاهرات تجرى ، على نطاق ضيق ، كما يصاهر نفر من رجال عزبان زملاءهم فى أوجاقى الجاويشية والمتفرقة ، وخاصة الذين يعملون ضمن حاميات الثغور والقلاع (٣) .

وهناك عدد من الحالات تشير الى تطلع بعض المماليك من أوجاق عزبان لمصاهرة أمراء العسكر خاصة اذا كان المملوك تابعا لشخصية كبيرة ( كتخدا عزبان مثلا ) وفى هذه الحالة كان يقدم صداقا قد يصل أكثر من كيس مصرى ( ثلاثين ألف نصف فضية ) .

أما بالنسبة للعاملين فى خدمة أوجاق عزبان من الملازمين والخدم والقهوجية فكانوا يحرصون على عقد المصاهرات فيما بينهم .

وفى أوجاقات السباهية اهتم الجوربجية ـ كبار القادة ـ بتقوية الروابط الاجتماعية فيما بينهم خاصة وقد ارتبطت مصالح هذه الأوجاقات الثلاثة الى حد ما من خلال خدمة اجهزة الادارة المحلية من ناحية ، والعمل فى ميدان الالتزام بالقرى من ناحية أخرى ، وان برزت فى نفس الوقت الكيانات المملوكية بشكل مؤثر بين صفوفها ، كما نجد حالات اخرى يتزوج فيها رجال السباهية وقادتهم من المعتوقات من النساء الروميات ( التركيات ) .

ويحرص أمراء المماليك من الكشاف على مصاهرة كبار الأغوات

---

(٣) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٢٧٧ ، ق ٦١٠ ، ق ١١٥٨ ، ق ٢٣٣ ، ق ٢٩٠ .

ـ محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ٨١ ، ق ٢٣٧ ، ق ٨١٤ .

ـ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٥٠ ق ٢٢٩ ، ق ٤٨٧ ، س ٤٩ ق ٢٦٧ .

أوجاقات السباهية لتقوية العلاقات والروابط ، وترتفع قيمة ما يقدمه احد الكشاف من صداق ليصل الى حوالى ثلاثة اكياس مصرية ( خمسة وسبعين ألف نصف فضة ) ( سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م ) (٤) .

وقد غلبت الصبغة المملوكية على أوجاقى المتفرقة والجاويشية ، حيث نجد معظم رجال هذين الأوجاقين يقبلون على الزواج بالمعتوقات ، أما بقايا العنصر العثمانى ، فهم يحرصون على التزواج من بنى جنسهم فى معظم الأحيان ، بينما يتزوج أفندية المتفرقة والجاويشية ( العاملون فى الشئون المالية ) من معتوقات أمراء المماليك (٥) .

ويرتفع الصداق الذى يقدمه كبار رجال الجاويشية والمتفرقة — وهم من أمراء المماليك — الى كيس مصرى أو يزيد ( ثلاثين الف نصف فضة ) بينما يقل ما يقدمه أحد العسكر منهم الى حوالى خمسمائة نصف فضة (٦) . ونشأت بين رجال أوجاق الجاويشية — الذى فقد سلطته — وبين عسكر مستحفظان بعض المصاهرات ، ممن ينتمون لأصول مملوكية مشتركة .

وبدراسة العديد من عقود الزواج الخاصة برجال الأوجاقات أمكننا استخلاص عدة ملاحظات نتناولها فيما يلى :

---

(٤) سجلات محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٢٢٨ ، ق ٢٩٨ ، ق ١٩٤ ، ق ١١٣٨ ، ق ١٢٤٥ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٢١ ، ق ٩٤ ، ق ١٥٨ .
— محكمة بولاق : س ٧٥ ق ١٥١ ، ق ٢٦٣ ، ق ٤٠٧ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٩٩ ، ق ١٧٤ ، ق ٧٩٨ .

---

(٥) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٢٦٨ ، س ٢١٩ ، ق ٣٢ ، ق ١٤ ، ق ٩٦ ، س ٢٢٤ ق ٨١٢ ، ق ٢٢٢ ، ق ٢٤٠ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٢٤ ، ٣١٨ ، ٥٢٨ ، ٤٢٧ .
— محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ٥٩ ، ق ٤٣٥ .
(٦) سجلات محكمة الباب العالى : س ١٨٩ ق ٥٧ ، ق ٢١٨ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٢٧ ، ٨١٣ .

**أولا** : انتشر الزواج المبكر فى المجتمع القاهرى بين أبناء العسكر ، ورغم أن المألوف هو موافقة الزوجة على اختيار زوجها ، فان هناك اشارات تبين اجبار الزوجة ــ وخاصة اذا كانت قاصرا ــ على زوج معين من قبل ولى الأمر .

**ثانيا** : يرتبط مقدار الصداق بالمستوى الاجتماعى لكل من الطرفين ، وكالمعتاد يدفع المقدم منه قبل اتمام الزواج بغرض تجهيز لوازم المعيشة ، وقد يكون على دفعات متتالية ، ومن المثير للدهشة أن بعض الأزواج لم يدفعوا هذا المقدم وأوصوا فى تركاتهم ــ قبل الوفاة ــ بتعويض زوجاتهم عنه ببعض الأثاث والأمتعة ، وتستخلص الزوجة مؤخر الصداق من التركة بعد وفاة زوجها أو فى حياته اذا تم الطلاق .

**ثالثا** : أصبح رجال العنصر العثمانى ( الأروام ) فى أدنى المستويات الاجتماعية ــ ويفهم ذلك من خلال الصداقات التى قدمت من جانبهم والتى تعد أقل ما عرف من صداقات ، حيث يصل مقدار الصداق كاملا الى ( تسعين نصف فضة ) ، هذا بخلاف المماليك من رجال الأوجاقات المختلفة الذين تمتعوا بمستوى اجتماعى متميز (٧) .

**رابعا** : التزام الزوج بكسوة الزوجة حسب المستوى الاجتماعى ــ أسوة أمثالهما ــ وينص ذلك صراحة فى عقود الزواج ، واذا قصر فى ذلك أو تهاون فمن حق الزوجة أن تكون طالقا طلقة واحدة أو طلقتين ، واذا أراد اعادتها فى عصمته فى الحالة الثانية ( طلقتين ) عليه أن يقدم صداقا جديدا ،

---

(٧) سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٣٦٦ ، ق ٤٤٢ ، ق ٧٣٥ .
ــ سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ١٨٠ ، ق ٥٥ ، ق ٤٩٨ ، ق ١٨٥ .
ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٨١٤ ، ق ٩١٨ ، ق ١١١٥ .
ــ محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ق ٧٣٤ ، ق ٤١٩ ، ق ٨٤٥ .
ــ محكمة بولاق : س ٦٣ ق ١٨٠ ، ق ١٩٨ ، ق ٢١٤ .

وما تأخر عليه من الكسوة ، ولا يقل مقدار الكسوة شهريا عن خمسة عشر نصف فضة (٨) .

**خامسا** : ارتفاع مكانة الجوارى البيض فى المجتمع القاهرى ، حيث يتميزن بصداقات عالية قد تصل الى أربعة أضعاف ما يقدم للجوارى السود ، وفى نفس الوقت أكبر من صداقات الحرائر فى المجتمع ، ويتولى المعتق أو ابنه أو خشداشه (زميله) الوكالة عن الجارية (المعتوقة) فى عقد الزواج ، ويرتبط مستواها الاجتماعى بمنزلة سيدها (٩) .

**سادسا** : وضعت قيود صارمة من جانب المماليك لضمان حقوق معتوقاتهم من الزوجات وخاصة تجاه الحرائر ، فينص فى العقد الزام الزوج بعدم اعادة مطلقته السابقة — من الأهالى — وأن لا يتزوج أو يتسرى على زوجته (المعتوقة) والا تكون طالقا طلاقا بائنا ، وتخرج بذلك من عصمته .

**سابعا** : يسمح للزوج فى بعض الحالات أن يسكن فى بيت زوجته مادام زوجا لها خاصة اذا كانت تعيش بمفردها بعد وفاة ولى الأمر ، أو اذا كانت قاصرا تقيم مع أمها أو جدتها .

**ثامنا** : اذا كانت الزوجة ثيبا فانها تحلف بخلوها من الموانع الشرعية ، وان كان هذا الأمر لم يعد ملحوظا فى عقود القرن الثامن عشر عما كان عليه فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومن الطبيعى أن يكون الصداق فى هذه الحالة اقل من البكر (١٠) .

---

(٨) سجلات محكمة القسمة العسكرية : س ١٤٩ ق ١٦٨ ، ق ٢١٣ ، ق ١٣ ، ق ٤٥٧ .

(٩) محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٢٤ ، ص ٣١٨ ، ص ٧٤٨ .

(١٠) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٣٢ ، ق ٨٧ ، ق ٢٦٨ ، ق ١٤ ، ق ٩٦ ، ق ٨١٢ ، ق ٢٢٢ ، ق ٣٣٥ ، ق ٢٤٠ .
— سجلات الباب العالى : س ١ ق ٣٣٥ ، ق ٣٦٦ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٥٧ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٤٤٨ ، س ١٢٢ ق ١٢٩ ، س ١٢٥ ق ٣٣٦ .

**تاسعا :** اذا كانت الزوجة أرملا فانها تشترط — عن طريق وكيلها — ضرورة الابقاء على أبنائها أو من يعيش معها اذا كانت الأم أو الجدة ، ويلتزم الزوج باعاشـتها فى منزل الزوجية ، دون رجـوع فى ذلك ابتغاء للثواب ، وتتزوج الأرمل بعد انقضاء العدة مباشرة ، وقد تتنازل عن حقها فى الميراث لزوجها الجديد ، وتكون مضـطرة لذلك بعد أن فقدت عائلهـا الوحيد .

**عاشرا :** لا يجوز للزوج أن يقسو فى معاملة زوجته وتأديبها — حسب الشرع — واذا ضربها ضربا مبرحا يظهر أثره على جسدها ، وابرأته من جزء بسيط من الصداق ، فانها تكون طالقا طلقة واحدة تملك به نفسها .

**حادى عشر :** عرف أصـحاب الرتب العسـكرية من ( الجوربجية والكتخداوات والأغوات ) ، تعدد الزوجات ، بما لهم من نفوذ كبير فى المجتمع ، ويعفى هؤلاء من الشروط الصارمة التى تفرض على غيرهم من ذوى الدرجات الصغرى ، وهم يتزوجون من معتوقاتهم أو معتوقات زملائهم (١١) .

**ب — الوصاية :** حرص العسكر على اختيار الأوصياء فى حياتهم لمباشرة شئون قاصريهم وتركاتهم ، وما عليهم من ديون أو رهون وغيرها ، خاصة وأن حياة الجندية غير المستقرة تجعل الأجناد يهتمون بتأمين مستقبل ابنائهم . ويراعى العسكر فى اختيار الأوصياء صلات القربى والزمالة فى الأوجاق أو فى مجال العمل الى جانب روابط الخشداشية والتبعية فى التقاليد المملوكية ، فنجد الجندى يختار أحد أقاربه اذا كان له أهل بالقاهرة أو زميلة فى نفس

---

(١١) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٢ ق ١٤١ ، س ١١٩ ق ٣ ، س ١٢٠ ق ٣٤٤ ، س ١٢١ ق ٨٨٥ ، س ١١٥ ق ٣٦٠ ، س ١٥٢ ق ٧٤ ، ق ١٤٨ ، ق ٣٩٩ ، س ١٤٨ ق ٤١١ ، ق ٤٤٥ ، س ١٢٠ ق ٤٧٦ ، س١٥٤ ق ١١٩ ، س ١٩٥ ق ١٠٧ ، ق ٤٥٧ .

— مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٨٧ ، ق ٤٤٢ ، ق ٢٥٥ ، س ٥٠ ق ٣٥٤ ، س ٤٩ ق ٤٣٣ ، ق ٢٨٣ .

— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٥٨٧ .

الأوجاق الذى ينتمى اليه ، وقد يكون زميله فى أوجاق آخر تربطهما الخدمة فى الأقاليم والثغور وفى التجاريد العسكرية المختلفة (١٢) .

واذا توفى أحد الأجناد دون اختيار وصى على تركته وأبنائه القصر ، يتولى القسام العسكرى هذه المهمة ويراعى نفس الاعتبارات السابقة ، وفى بعض الحالات يختار أرملة المتوفى اذا تعذر وجود وصى ، على أن تبقى لتربية قاصريها ، وترفع من يدها الوصاية اذا تزوجت .

وبلغ من اهتمام القسام العسكرى بشئون العسكر اختياره وصيا على الحمل اذا ترك الجنـدى زوجته حاملا ، ليتقيد الوصى بنفقات الأرمل ، ومصالح الحمل حتى تضع (١٣) .

وفى نفس الوقت لعب باش اختيارية الأوجاق دورا مكملا لما يقوم به القسام ، فهو يتولى الوصاية على تركات العسكر الذين يتوفون ولا وراث لهم بمصر ، من العثمانيين ( الأروام ) أو غيرهم حتى يأتى الورثة لاستلام أنصبتهم فى التركة ، من ذلك ( كتخدا مستحفظان سابقا وباش اختيارية الأوجاق ) الذى قام بالوصاية على تركة أحد رجال مستحفظان — من الأروام — حتى وصول الوكيل عن الورثة من ولايته بالديار الرومية ( سنة ١١٣٥ هـ ١٧٢٣م ) .

ويراقب تصرفات الوصى من يختاره القسام ناظرا للتأكد من حسن تصرفه فى أموال اليتامى دون الاخلال بما يحدده القسام من ضوابط ، واذا ثبت جشعه

---

(١٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٢٩ ، ق ٢٧٩ ، ق ١٥٨ ، س ١١٤ ق ٤٤٠ ، س ١١٩ ق ٢٧٠ ، ق ٤٨٩ .

(١٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٤٩ ، ق ٣٦ ، ق ١١ ، ق ٦٨ ، ق ١٠٨ س ١٤٩ ق ٣٣٤ ، ق ٧٤٨ .

— محفظة دشت : رقم ٢٢١ ص ١٢٤ ، ٣٤٧ .

وعدم نزاهته يحاسب على ما جنته يداه ويختار وصيا جديدا (١٤) . من ذلك اختيار القسام أحد أوده باشية مستحفظان للوصاية على قاصرى جوربجى مستحفظان بعد أن عزل وصيا سابقا ( معتوق المتوفى ) والذى تزوج بأرملة سيده ( سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م ) . ويقرر القسام المصاريف الشهرية للقصر ليلتزم بها الوصى ، وهى تقدر حسب المستوى الاجتماعى لصاحب التركة ، من ذلك ما قرره القسام لقاصرى أحد القادة من نفقة شهرية بلغت خمسة عشر ألفا وأربعمائة نصف فضة ( ولدين وبنت ) ، من مأكل ومشرب وكسوة ، وفضلا عن ذلك أضحيات سنوية وجراية مقررة لهم ثمانون أردبا من الغلال سنويا ، وتمثل هذه النفقة مستوى اجتماعيا متميزا فى الكيان العسكرى ، بينما اقتصرت نفقات قاصر ( أوده باشى مستحفظان ) على عشرة أنصاف فضة شهريا (١٥) .

وتكشف لنا الوثائق عن العلاقات التى تربط بين العسكر وأسرهم من ناحية وبعض فئات المجتمع المصرى من ناحية أخرى نتيجة للتطورات التى مرت بها الأوجاقات فى القرن الثامن عشر ، فنجد بعض العلماء والشيوخ يتصدون للدفاع عن حقوق قاصرى العسكر تجاه أوصيائهم الذين يتلاعبون فى أموال اليتامى ، وذلك بحكم رابطة الجوار أو رابطة الدم أحيانا وفى ظل التكافل الاجتماعى السائد فى المجتمع ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ، اختيار بعض الأهالى من الحرفيين والتجار ، الذين شاركوا العسكر فى الميدان الاقتصادى ، أوصياءهم من بين الأجناد وكبار البكوات ، وهذا يعنى مدى قوة العلاقات الاجتماعية بين الجانبين وتشابك المصالح والأهداف .

---

(١٤) سجلات القسمة العسكرية : س ١٨١ ق ٥٣٢ ، س ١٤٩ ق ٦٢٤ ، س ١٢٥ ق ٧٦ ، س ١٤٨ ق ١٣٤ ، س ٢١٣ ق ١٧٧ ، ق ٣٧١ ، س ٢١٠ ق ٣٤٣ ، ق ٣٨ ، س ٢٠٨ ق ٢٠٠ ق ٣١٥ ، س ١٩٨ ق ١٤٠ ، ق ١٤٨ ، س ١٩٥ ق ١٠٧ .

(١٥) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٥ ق ٦٨ ، ق ٨٠٧ .

ولم يقتصر هذا على القاهرة ـ عاصمة الولاية ـ وانما امتد الى مختلف الأقاليم ، من ذلك اختيار سيده من أهالى مدينة المنصورة ـ ابنة جرفى ـ للوصاية على تركتها وقاصرتها أوده باشى عزبان بالمدينة ( سنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩م ) . واختيار أحد تجار الزيت ببولاق ، جنديا من أوجاق مستحفظان ( مملوك ) ليتولى الوصاية على ابنه القاصر ومخلفاته بعد وفاته (١٦) .

## ثانيا ـ العسكر فى المجتمع :

سبق أن عرضنا لعلاقة العسكر بفئات المجتمع المصرى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وكيف بدأت تزول الحواجز القائمة ـ تدريجيا ـ بين رجال الأوجاقات ـ كقطاع ضمن الطبقة الحاكمة ـ من ناحية وبين أبناء الرعية من المحكومين من ناحية أخرى . وقد شهد القرن الثامن عشر تطورات اجتماعية كبيرة كانت نتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية، وتتمثل هذه التطورات فى تزايد المصاهرات التى جرت بين العسكر وأبناء المجتمع المصرى من مختلف الفئات ويمكننا أن نفسرها بعوامل متعددة كما يلى :

**أولا** : خروج العديد من رجال الأوجاقات الى ميدان الالتزام وحيازة الاراضى فى سائر الأقاليم ـ كما سبق أن درسنا ـ والاشتغال بشئون الزراعة التى تقتضى التعامل مع أهالى القرى والاحتكاك المباشر بصفة مستمرة طوال القرن الثامن عشر (١٧) .

---

(١٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٧٢ ، ق ١٤٨ ، ق ٦٢ ، س ١٢٠ ق ٤٨٩ ، س ١٢٤ ق ٤٣٨ ، س ١١٩ ق ٤٦ ، ق ١٦ ، س ١٢٠ ق ١٤٨ ، ق ٦ ، ق ٥٧ .

ـ محفظة دشت رقم ٢٠٢١ ص ١٢١ .

ـ سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٣٤٠ ، ق ٣٧٤ ، س ١٢٢ ق ١١٣ ، س ١١٦ ق ١٣٥٠ ، س ١٥٢ ق ٢٥ ، ق ١ ، ق ٩٨ ، س ١٢٠ ق ١٤ ، ق ٩١ ، س ١١٤ ق ٣٥ .

ـ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ١١١ ، ص١٨ ق ١٨٧ ، ق ٤٥٩ ق ٣٦٣ .

(١٧) انظر الفصل الخاص بالعسكر والزراعة وحيازة الأراضى .

**ثانيا** : احتراف كثير من العسكر مختلف المهن والحرف بالقاهرة وبنادر الأقاليم ، والاشتغال بأمور التجارة الداخلية ( تجارة التجزئة ) والتجارة الخارجية ، وبلوغ البعض رتبة شيوخ الطوائف الحرفية والتجارية ، وبالتالى التعامل المباشر بالحرفيين والتجار من أهالى البلاد ( أبناء الرعية ) (١٨) .

**ثالثا** : كان خروج العسكر ومزاحمة الأهالى فى كافة الأنشطة الاقتصادية والاستئثار بنصيب وافر من خلال انتمائهم لطبقة الحكام ، عاملا مشجعا أمام أبناء الرعية للبحث عن مورد مالى ثابت بالانتماء للأوجاقات ، والدخول فى سلك الجندية ، وصاروا زملاء للعسكر فى الحرف والتجارة والأوجاقات المختلفة (١٩) .

**رابعا** : عجز السلطة العثمانية – ممثلة فى الباشوات – عن معالجة التحلل الذى طرأ على البناء العسكرى للأوجاقات خاصة وقد استفحل فيه وجود العنصر المملوكى ، وصار النفوذ العسكرى والسياسى بأيدى الأمراء المماليك .

**٢ – المصاهرات فى الأقاليم والثغور :**

كان عمل العسكر فى ميدان الزراعة وحيازة الأراضى يعد أهم الأنشطة الاقتصادية التى مارسوها بولاية مصر العثمانية فى القرن الثامن عشر ، وتوزعت التزاماتهم على مختلف الأقاليم ، وقد استقر عدد كبير من الملتزمين وخاصة صغار العسكر ( أصحاب الرتب الصغرى ) فى القرى والبنادر ، ممن يعملون فى خدمة أجهزة الادارة المحلية ، وفضلوا الابتعاد عن العاصمة التى تموج بصراعات دامية حول السلطة والنفوذ (٢٠) .

---

(١٨) انظر : الفصل الخاص بالعسكر والحرف .
– والفصل الخاص بالعسكر والتجارة .
(١٩) انظر الفصل الخاص بالعنصر المحلى فى الأوجاقات .
(٢٠) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ١٦ ، س ٢١٩ ق ٩٣٨ .
– اسقاطات القرى : س ١٢ ص ٣٦٧ .
– سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ٢٨٥ .

نشأت المصاهات بين كبار رجال الادارة من الكشاف وأهالى البلاد ، من ذلك كاشف ولاية الشرقية الذى تزوج ابنة احد الأهالى بناحية ( زنكلون ) بنفس الولاية ، كما نجد خازندار كتخدا مستحفظان — من المماليك — يصاهر أحد أهالى جرجا الذى دخل أوجاق عزبان .

وتعددت مصاهرات العسكر من الملتزمين لأهالى القرى التى يعملون بها سواء فى الوجه البحرى أو الصعيد ، من ذلك احد المماليك من رجال مستحفظان ( تابع جوربجى مستحفظان ) الذى صاهر معلما ( خشابا ) بناحية ( منية سندوب ) التى تقع فى دائرة التزامه بولاية الدقهلية . ومن رجال عزبان ملتزم ناحية ( سلمية ) الذى تزوج من هذه الناحية واستقر بمدينة المنصورة ، ومنهم من اتخذ زوجتين احداهما بالأقاليم والأخرى بالقاهرة حيث محل سكنه الأصلى (٢١) .

ومن جوربجية السباهية ( جوربجى جمليان ) تابع ملتزم ناحية ( الهياتم ) بولاية المنوفية الذى صاهر أحد العلماء بهذه الناحية ، وكان مقيما بها للاشراف على التزام سيده الى جانب سكناه بالقاهرة .

وهناك من استقروا بنواحى التزاماتهم واشتروا العقارات لأبنائهم بها ، من ذلك أحد العسكر ملتزم ناحية ( زفتى جواد ) ، وجوربجى جمليان ملتزم ناحية ( اسحاقه ) ويقيم بناحية ( بندقا ) فى عقار ضمن أوقاف الحرمين الشريفين ( سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م ) .

وترتبط مصاهرات العسكر فى احدى الولايات ( الأقاليم ) بمدى انتشارهم

---

(٢١) سجلات محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٤٨٣ ، ق ٢١٧ ، ق ١٠ ، ق ٤٧٨ .
— محكمة بولاق : س ٧٥ ق ٢٥٢ .
— محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ق ٢٩٩ .
— سجلات الديوان العالى : س ١ ق ١٣٠ ، ق ٤٥٧ .
— محفظة رقم ( ١ ) ( دار الوثائق ) ص ٤ ، ٥٨ .

بها واتساع المساحة الزراعية بالولاية ، الى جانب التأقلم مع اهلها (٢٢) .

ومن العسكر من خدم بالثغور العامة ( الاسكندرية — دمياط — رشيد — السويس ) من رجال عزبان ومستحفظان والمتفرقة العاملين فى خدمة قباطنة السفن وشئون الملاحة ، الى جانب حفظ الأمن واقرار النظام ، واستقروا بها فترات طويلة ، الأمر الذى أدى الى مصاهرتهم للأهالى من أبناء الثغور المختلفة خاصة وقد اشتغل العسكر بشئون التجارة والحرف السائدة بهذه الثغور (٢٣) .

**ب — المصاهرات فى العاصمة :**

توضح لنا وثائق المحاكم الشرعية العديد من المصاهرات التى تمت بين رجال الأوجاقات من جهة ومختلف الفئات الاجتماعية بالمجتمع القاهرى من جهة أخرى ، بعد ان اشتغل العسكر بالحرف المختلفة ، وتاجروا فى سائر البضائع والسلع .

وقد اهتم أمراء العسكر بمصاهرة العلماء المصريين باعتبارهم أصحاب النفوذ الدينى والاجتماعى وأصحاب الوجاهة فى المجتمع ، كما صاهر المشتغلون بالحرف من العسكر رجال الطوائف الحرفية وشيوخها ، من ذلك أحد رجال عزبان الذى تزوج ابنة ( شيخ العلافين ) بسوق الرميلة ، وصاهر أحد العسكر بجماعة عزبان — يعمل سكريا بخط بين القصرين — زميله فى المهنة من الأهالى .

---

(٢٢) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ، ق ٨١٣ ، س ١٦٧ ق ٨٣ ، محكمة بولاق : س ٦٣ ق ١٣٨ ، ق ١٤٠ ، ق ٢٥٨ ، س ٦٥ ق ٧٧ .

(٢٣) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٥٧ ، س ١١٥ ق ٤١٢ ، ق ٧٥٧ ، محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٧٢ ، س ٢١٩ ق ١٧٦ ، س ٢٢٤ ق ٢٣٤ ، س ٢١٩ ق ٣٩٣ ، ق ٥٨٨ ، محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٤٨٥ ، ص ٤٢٧ ، محكمة باب الشعرية س ٦٤٢ ق ١١٨ ، مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة س ٢٣ ق ١٨٢ ، سجلات الديوان العالى : س ١ ق ٤٤٥ ، ق ٨٣٤ ، محفظة رقم ( ١ ) ( دار الوثائق ) ص ٥ ، ٧ ، ٥٨ ، ١٢ .

— محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ١٣٦ ، ١٢١٤ .

ومن جوربجية العسكر ( جوربجى مستحفظان ) الذى اتخذ زوجتين من الأهالى احداهما ابنة حرفى والأخرى ابنة احد الشيوخ • (٢٤)

ومما يذكر أيضا ، تلك المصاهرات التي جرت بين المماليك من سائر الأوجاقات سواء من الأوده باشية أو الجوربجية والأنفار ، وبين الأشراف والشيوخ العاملين فى الشئون المالية والقبانة بالشونة الشريفة ( الأنبار ) •

ولم يقتصر الأمر على رجال الأوجاقات ، بل نجـد بعض كبار رجال الادارة المركزية من الدفتردارية والروزنامجية ( البكوات ) ممن صاهروا أبناء الـرعية من التجار والعلماء ، وتعددت زوجاتهم تبعا لارتفاع مسـتواهم الاجتماعى (٢٥) •

واذا كان رجال الأوجاقات قد تزوجوا من المصريات ، فاننا نجد بعض المصريين أيضا قد اتخذوا لهم زوجات من بنات العسكر ، ومعتوقاتهم ، وان كانت هذه الظاهرة اقل من سابقتها ، فلم تكن بنفس القدر الذى تم من جانب الأجناد ، ولعل مرد ذلك احساس العسـكر بانهم ضمن رجـال الطبقة

---

(٢٤) سجلات القسمة العسكرية : س ٢٠١ ق ٣٦٧ ، س ١٩٢ ق ٢٣١ س ١٨١ ق ٤٩١ ، س١٦٧ ق ١٨٦ ، س ١٢١ ق ٨٨٥ ، س ١٢٤ ق ١٣١ س ١١٦ ق ١٠٨ •
— محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٤٧٧ ، ق ١٢ ، س ٢٢٤ ، ق ٢١٧ ، ق ٤٨٣ •

(٢٥) سجلات القسـمة العسـكرية : س ٢٠٣ ق ٢١١ ، س ١٨٨ ق ٢٥٩ •
— محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٧١ ، س ٢١٩ ق ٤١١ ، س ٢٢٤ ق ٢٦٠ •
— سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٤ ق ٢٠٩ س ١١٤ ق ٣٧١ ، س ١٨٢ ق ١٣ ، س ١٨٢ ق ٨٧ ، س ١٥٨ ق ٨٤ ، س ١٥٤ ق ٨١٢ ، س ١٤٨ ق ١٧٥ ، س ١٩٥ ق ١٠٧ ، س ١٤٨ ق ٥٦٩٠ س ١٢٢ ق ١٤١ ، ق ٤٩٧ •

الحاكمة يتمتعون بمنزلة اجتماعية مرتفعة ، فلا يزوجون بناتهم الا لفئات معينة فى المجتمع المصرى من العلماء والأشراف وكبار التجار والحرفيين .

وبدراسة عدد من عقود الزواج التى تكون فيها الزوجة من الأهالى ، يمكننا أن نستخلص عدة أمور :

( أ ) يتراوح الصداق بالنسبة للزوجة من الأهالى بين عشرين ألف نصف فضة ، وخمسمائة نصف فضة ، ويعد هذا الصداق أقل من صداق المعتوقة ( البيضاء ) .

( ب ) الزام الزوج — من العسكر — بضرورة كسوة زوجته سنويا ولا يزيد مقدار الكسوة عن مائة ونصف فضة وهو قدر بسيط نسبيا .

( حـ ) لا تشير العقود على إجبار الزوج من العسكر بعدم الزواج أو التسرى على زوجته كما هو الحال بالنسبة للمعتوقة ( الجارية ) — كما سبق دراسته — وكما حدث فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

( د ) يظهر حرص الأهالى على توفير المسكن للزوج فى بيت أهل الزوجة ، كلما تيسر ذلك وهذا يفسر حذر بعض الأهالى من تلك العناصر الأجنبية الغريبة على المجتمع ، وأحيانا ينص العقد على التزام الزوج بعدم نقل زوجته من محل سكنها ، وقد يدفع جانبا من ايجار المسكن [٢٦] .

ومن المثير للانتباه أن عقود الزواج التى أبرمت بين الأهالى أنفسهم من التجار والحرفيين بالقاهرة وفى الأقاليم كانت تنص فى حالات متعددة على

---

(٢٦) سجلات محكمة الصالحية النجمية : س ٥٢٤ ق ٨٨٠ ، ق ٩٤٧ .
— محكمة القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٣٣٤ ، س ١٤٩ ق ٢٤٠ ، س ١٥٤ ق ٩٤٧ ، ق ٣٠٩ ، ق ٥٦٩ ، س ١٤٨ ق ٤١١ .
— محكمة طولون : س ٢٢٤ ق ٤٨٣ ، ق ٢١٧ ، ق ١٠ ، ق ١٦ .
— محكمة بولاق : س ٧٥ ق ٤٩٧ .
— اسقاطات القرى : س ١٢ ق ٣٦٧ ، ق ٩٤٥ .

اجبار الزوج بعدم الزواج أو التسرى على زوجته أو اعادة مطلقته ، كما تحرم عليه السفر من مصر المحروسة بدون رضاها خاصة اذا كانت قاصرة ، وأن لا تنقل الزوجة من محل اقامتها الا برضاها .

وكالعادة جرت المصاهرات بشكل تقليدى بين أبناء الفئة الاجتماعية الواحدة ( الشيوخ والعلماء — المشتغلين بحرفة معينة أو تجارة — الصيارفة — العربان ) ، وقلما يخرج رجال هذه الفئة أو تلك عن القيود المفروضة بشكل ضمنى (٢٧) .

ويلاحظ حضور العسكر كشهود فى عقود الزواج الخاصة بالأهالى فى مختلف المحاكم الشرعية بالقاهرة وبولاق ومصر القديمة ، وربما يعود ذلك للعلاقات الاجتماعية التى قويت بين العسكر والأهالى ، أو وجودهم فى خدمة قضاة الشرع الشريف . وكما سبق الاشارة ، عرف المجتمع الزواج المبكر والزواج بحكم ولاية الاجبار لولى الأمر كظواهر اجتماعية ترتبط بالمجتمعات الاسلامية فى القرن الثامن عشر .

**د — المعاملات بين العسكر والأهالى :**

ترتب على اشتغال العسكر فى مجالات الحياة الاقتصادية المختلفة ، تكون المعاملات بينهم وبين الأهالى سواء فى الأقاليم ( الولايات ) أو فى

---

(٢٧) سجلات القسمة العسكرية : س ١١٤ ق ٣٥٠ ، ق ٣٣٦ ، س ١٤٨ ق ٩ ، س ١٢٥ ق ٢٦٩ ، س ١٢٣ ق ٣٦٤ ، س ١٤٨ ق ٣١٠ ، س ١٢٥ ق ١٩٨ .

— محكمة بابى سعادة والخرق : س ٤٢٥ ، ق ١٧٨ .

— محكمة باب الشعرية : س ٦٤٢ ق ١١١ .

— سجلات القسمة العسكرية : س ٢٠٣ ق ١٣٥ ، س ١١٩ ق ١٨١ ، س ٢٠١ ق ٢٠١ ، س ١١٩ ق ٤٨٩ ، س ٢٠٤ ق ٥٦ ، س ٢٠٣ ق ٤٧٦ ، س ١٩٨ ق ١٤٨ ، س ١٨٢ ق ٢٤٢ ، س ١٢٤ ق ٤٨١ ، س ١٦٧ ق ١٨٥ ، س ١١٤ ق ٣١٣ ، س ١٤٩ ق ٦٨ ، س ١٤٨ ق ٤٩١ س ١٨١ ق ٤٩١ ، س ١٤٩ ق ٢١٣ .

العاصمة ، ففى القرى التى تقع بها التزامات الأجناد واستأجرها الفلاحون من أهالى البلاد تعامل الطرفان سواء بالقروض أو الرهون ، كأن يرهن أحد الفلاحين عقارا أو أدوات زراعية مقابل ما عليه من ديون للملتزم ، أو يقترض أحد الطرفين قروضا عينية من البذور أو المحاصيل المختلفة حتى يحين موسم الحصاد ، وشارك بعض العسكر العديد من الأهالى فى تربية الماشية بأعداد كبيرة بغرض التجارة فيها ونقلها الى أسواق الاستهلاك بالعاصمة (٢٨) .

وتوضح الوثائق اعتماد الأهالى على كبار العسكر — كوكلاء — فى استخلاص حقوقهم الشرعية ورفع الدعاوى تجاه خصومهم من الأهالى أو الجند ، وفى شراء عقارات أو صفقات تجارية وغيرها . وعرف نظام المقايضات والأمانات بين العسكر والأهالى كأشكال للتعامل بين الطرفين . وفى الخصومات والدعاوى التى تجرى بين الأهالى ورجال الأوجاقات ، كان العلماء المصريون يحضرون جلسات الديوان أو المحاكم ممثلين عن أبناء الرعية للفصل فيها .

واشتغل بعض العسكر فى دلالة العلوفات ، التى أقبل الأهالى على شرائها من مختلف الفئات الاجتماعية ، وذلك لتوفير موارد مالية ثابتة من الخزينة (٢٩) .

---

(٢٨) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ٣٢٢ ، ق ٤٩٧ .
— سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٢٦ ، س ١٤٩ ق ٢١٣ ، س ١٨٢ ق ٣٤٢ .
— محفظة دشت : رقم ٢٢١ ص ٥٨٩ .
— محكمة الباب العالى : س ٢٨٩ ، ق ١٣٤ ، ق ١٨٧ .
— محكمة الصالحية النجمية : س ٥٢٤ ق ٨٨٠ ، ق ٩٨٤ .

(٢٩) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ١٥٧ ، ق ٤١٩ ، ق ٢١٤ ، س ٢٣ ق ٣٤ ، ق ٢١٤ ، ق ٢٢٠ ، س ١٨ ق ٢٤٠ ، ق ٢٩١ ، س ٢٣ ق ١٤٦ ، س ١٨ ق ٣٤٢ ، س ٢٣ ق ١٠٥ ، ق ١٠٤ .

**ثالثا ــ العلماء والعسكر وأمراء المماليك :**

كان العلماء باعتبارهم الصفوة التى تصدرت أبناء الرعية من طبقة المحكومين ، بمثابة الفئة الاجتماعية التى لعبت دور الوسيط بين المحكومين والحكام بالبلاد ، فهم يعبرون عن مطالب ومصالح أهالى البلاد تجاه حكامهم ، وفى نفس الوقت يتمتعون بثقة واحترام هؤلاء الحكام الأجانب وتقدير الدولة العثمانية صاحبة السيادة ، يلجأ أبناء الرعية اليهم اذا ما تعرضوا لاستبداد حكام الأقاليم من الصناجق والكشاف وظلم الملتزمين من رجال الأوجاقات ، ويشكون اليهم عندما يستفحل خطر العربان واعتداءاتهم المتكررة على القرى والأراضى المزروعة وذلك لحث أجهزة الادارة المركزية بالعاصمة لارسال التجاريد العسكرية الى الأقاليم لكف أذى العربان ، خاصة اذا تراخت قبضة حكام الاقاليم وتخلى رجالهم عن مسئولياتهم فى حفظ الأمن بالبلاد . وفى نفس الوقت كان العسكر من مختلف الأوجاقات يقدرون مكانة العلماء لدى قادتهم ، فيلجأ المطرودون منهم من اوجاقاتهم الى الجامع الأزهر يدخلون فى حماية العلماء ، ويطلبون شفاعتهم لدى رؤسائهم ، من الأغوات والباشا العثمانى ، وفى غالب الأحيان كان للعلماء دور مؤثر فى اعطاء كل ذى حق حقه ، وكانت شفاعتهم مقبولة لدى رجال الطبقة الحاكمة (٣٠) .

وخلال القرن الثامن عشر كان للعلماء دور ملموس فى التصدى لمشكلات الرعية والعمل على معالجتها ، بعرضها على رجال الطبقة الحاكمة ، وفى بعض الأوقات كان أبناء الرعية يرغمون العلماء على مواجهة الأزمات الطارئة ، فهم يهرعون اليهم فى تجمعات زاحفة الى الجامع الأزهر لابطال الدروس ، واغلاق كافة المحلات التجارية والحرفية حتى تلبى مطالبهم ، من هذه الأزمات المتعلقة بالأسعار والعملات المتداولة ماحدث فى شهر المحرم ١١٢٨هـ

---

(٣٠) الدمرداش : المصدر السابق ص ٨٠ وما بعدها .
ــ ابراهيم الصالحى : المصدر السابق ، ص ٥٨ .
ــ صورة لوثيقة محفوظة فى أرشيف ( طوبقبو سرايى ) فى استانبول ، تحت رقم : (7670) .

١٧١٦م ، عندما اتفق أعيان البلد ( رجال الادارة والحكم ) على الغاء بعض العملات ( الدرهم — المقصوص ) ، واستصدروا عملة جديدة ( فضة جديدة ) ، وأشهر أغا مستحفظان بالنداء عليها ، الأمر الذى ادى الى حدوث ارتباكات بالأسواق ، ولم يعد بامكان الأهالى — وخاصة الفقراء — الحصول على لوازم المعيشة ، فاتجه الأهالى الى الجامع الأزهر فى مظاهرة واجبروا الشيخ ( محمد شنن ) على الاتجاه معهم الى مقر حكم الباشا بالقلعة لعرض المشكلة والمطالبة بتسعير كافة البضائع ، فأمر الباشا كافة الصناجق وأغوات الأوجاقات بعقد جمعية فى بيت الدفتردار ( ابراهيم بك ابو شنب ) وذلك لتسعير السلع على موجب العملات السائدة الصحيحة ، ووافق الباشا على مقترحات الجمعية لتهدئة الأمور (٣١) .

وبعد أن خرج موكب الحج المصرى فى منتصف ١٧٣٣ ، اشتكى أهالى البلد من ارتفاع الأسعار وأغلقوا المحلات ، ولجأوا الى العلماء الذين كتبوا عرضا قدموه الى ناظر الجامع الأزهر ( محمد بك قطامش ) الذى لم يشارك بدوره فى حل الأزمة ، مما أدى الى انتفاضة العامة وخروج العميان ثائرين فى الأسواق ، وتخوف الصناجق والبكوات من اندلاع الفوضى فأمروا ( أغا مستحفظان ) بالاستجابة لمطالب العامة ، وعقد العلماء جمعيـة فى بيت شيخ الاسلام ( قاضى القضاة ) بحضور مشايخ الطوائف الحرفية ، لتسعير البضائع والسلع ، ورغم هذه الجهود لم يستمر العمل بالتسعيرة المقترحة أكثر من شهر ، وشارك العلماء فى جلسات الديوان المختلفة وخاصة تلك التى تطرح فيها مشكلات الأهالى بخصوص العملات والأسعار ففى ٢٠ مايو ١٧٣٦ اجتمع رأى أغوات الأوجاقات والصناجق والعلماء — بموافقة الباشا — على ابطال عملة ( المرادى ) والتعامل بالأقشه ( الأخشة ) وذلك اعتبارا من ٢٤ مايو بعد أن نادى الأغا بذلك فى أسواق المدينة (٣٢) .

---

(٣١) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ وما بعدها .
— مصطفى بن ابراهيم : المصدر السابق ، ص ١٧٠ — ١٧٨ .
(٣٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق : ص ٦١٤ .
— الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٤٧٧ — ٤٨٠ .

ويتصدى العلماء لسطوة أمراء المماليك وظلمهم تجاه ابناء المجتمع المصرى بصفة عامة ، سواء من المصريين أو غيرهم من الجماعات الاسلامية الأخرى كالمغاربة والشوام ، ويطالبون بمنع مرور رجال الأمن والادارة مثل ( الأغا ، والوالى ، والمحتسب ) وأتباعهم عندما يشكاون مصدرا لازعاج اهالى حى الأزهر من طلاب العلم والمجاورين .

وعندما اشتد ظلم مراد بك وصناجقه فى القاهرة سنة ١٧٨٦ ، وتسلط حسين بك ورجاله على أهالى حى الحيسينية ونهبوا بيوتهم حتى مصاغ النساء ، ثار الأهالى واتجهوا الى الجامع الأزهر وصعدوا المنارات وانتشروا بالأسواق وأغاقوا المحلات وغيرها ، وتزعم الشيخ الدردير أهالى الحسينية فى ثورتهم واراد أن يشعل نيران هذه الثورة فى مختلف الضواحى ببولاق ومصر القديمة ، وعزم على نهب بيوت أمراء المماليك والاستشهاد فى سبيل الدفاع عن نصرة الحق ، الأمر الذى اضطر معه أغا مستحفظان لتدارك الموقف بمساعدة كتخدا ( ابراهيم بك ) ومنع الفتنة ، فوعد الناس برد المنهوبات . وتقدم الشيخ ( الدردير ) لمواجهة ( ابراهيم بك ) لرفع الظلم ، فكان رده الذى تناوله المؤرخ : « كلنا نهابون أنت تنهب ومراد بك ينهب وأنا أنهب كذلك وانفض المجلس وبردت القضية .. » ، ورغم أن جهود العلماء فى مثل هذه الأزمات لم تكن تؤدى الى علاج حاسم فانها على الأقل كانت تحول دون تمادى أمراء المماليك ورجالهم فى ظلم الرعية (٣٣) .

ولم يقتصر دور العلماء على العاصمة ، بل امتد الى الأقاليم ، ففى مولد السيد البدوى بطنطا كان كشاف الولايات المجاورة واتباعهم يحضرون الاحتفال الدينى بهذه المناسبة ، وفى بعض السنوات كان الكشاف ورجالهم يلجأون لظلم الناس ونهبهم ، فيقف العلماء ارد هذه الاعتداءات عن الأهالى (٣٤) .

---

(٣٣) الجبرتى : المصدر السابق ، حـ ٢ ص ١٠٣ .

(٣٤) نفس المصدر السابق ، حـ ٢ ص ١٠٤ .

ولعل من أهم المواقف المشهورة للعلماء بزعامة الشيخ الشرقاوى ، ما قاموا به سنة ١٧٩٥ ، عندما اشتد ظلم الأمراء المماليك ورجالهم بالأقاليم ، حيث أغلقوا الجامع الأزهر لمدة طويلة ، وتزعموا انتفاضة العامة بالقاهرة ، وحدد العلماء مطالبهم برفع الظلم واقامة الشرع ، وابطال الضرائب المستحدثة على الأهالى ، ودارت مناقشـــات واتصـــالات مكثفة بين الجانبين وأصر العلماء على موقفهم ، مما جعل ( إبراهيم بك ) يخشى مغبة هذه الانتفاضة العارمة ، وحاول إسترضاء العلماء وأقنع ( مراد بك ) بضرورة الاستجابة لمطالبهم ، وعقدت اجتماعات للصلح بين العلماء وأمـــراء المماليك فى قصر ( ابراهيم بك ) بالأزبكية انتهت بقبول الأمراء شروط العامة للصلح ورفع المظالم المستحدثة والمكوس فيما عدا جمرك بولاق وكتبت بذلك حجة على أيدى القاضى ووافق عليها الباشا العثمانى ، ووقع عليها كل من ( مراد بك وابراهيم بك ) ، ورغم أن العمل بهذه الوثيقة لم يدم طويلا ، فانه لا يجب أن نغفل أهمية الدور الفعال الذى لعبه العلماء — قدر استطاعتهم — للتصدى لجبروت وتعسف أمراء المماليك (٣٥) .

وبعد خروج الفرنسيين من مصر وعودة الحكم العثمانى سنة ١٨٠١ ، وخلال فترة الاضطرابات التى سبقت تولى محمد على شئون البلاد ، واصل العلماء دورهم فتصدوا لجشع الباشا العثمانى الذى أراد أن يفرض غرامة باهظة على أهل الحرف فاحتموا بالجامع الأزهر واغلقوا حوانيتهم ، وتدخل العلماء لدى الباشا بزعامة عمر مكرم لرفع هذه المظالم عن كاهلهم ، رغم اصرار الباشا على سد جوامك العسكر المنكسرة (٣٦) .

وعندما يعجز العلماء — فى بعض الأوقات — عن منع ايـــذاء الأجناد كانوا يتعرضـــون للاهانة والتطاول من جانب العامة ، ففى شهر صـــفر ( ١٢٢٠هـ / مايو ١٨٠٥م ) اشتد ايذاء العسكر الدلاة وطردوا بعض الأهالى وسكنوا بيوتهم ونهبوا أمتعتهم ، فاشتكى الناس للشيوخ ، واصدر الباشا

---

(٣٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٣٦) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٩٧ .

العثمانى أمرا بابعاد الجند عن بيوت الأهالى فلم يمتثلوا لهذا الأمر ، فتعرض العامة للعلماء ومن بينهم الشيخ الشرقاوى .

وعندما اشتد ظلم ونهب العسكر للرعية — بعد أن وصل فرمان السلطان بتولية محمد على حكم مصر — اتجه العلماء يشكون سلوك الأجناد وطالبوه برفع هذه المظالم باعتباره حاكما للبلاد لمنع حالة الفوضى والاضطرابات ، صدر الأمر بموافقة العلماء ، على كافة أهالى البلد ترك الأسلحة وتسليمها للأغا ، فرفض الأهالى هذا الأمر خوفا من وقوعهم فريسة فى أيدى جماعات العسكر المختلفة ، وأخذوا فى سب العلماء والمشايخ الذين وافقوا على هذا الاجراء ، ولم يكن بمقدور العلماء — حينئذ — الزام محمد على بانتهاج سياسة معينة لصلحة أبناء الرعية بعد أن انتهى دورهم بالنسبة له (٣٧) .

واذا كان العلماء قد لعبوا دورا ايجابيا فى بعض الأحيان لخدمة أبناء الرعية ، من المحكومين ، فقد حاولوا التدخل لحل الأزمات العسكرية الحادة التى تنشب بين الأوجاقات ( فتنة افرنج أحمد سنة ١٧١١ ) ، كما لعبوا دور الوساطة بين الأمراء المماليك الذين تصارعوا حول أهم المناصب السياسية بالولاية ( شيخ البلد ) وخاصة بين على بك الكبير وخصومه فى سنة ١٧٦٧ ، عندما فر على بك الى الصعيد ودارت المعارك بين الجانبين ، ويلجأ أمراء المماليك اليهم لمراسلة الدولة لقبول شفاعتهم بشأن اعادة المنفيين باسلامبول فقد استعان زين الفقار بك سنة ١٧٢٦ بالعلماء فى سبيل السماح برجوع ( محمد بك قطامش ) الذى بقى منفيا ( أحد عشر عاما ) بالعاصمة العثمانية ، فأراد أن يقوى به جانب الفقارية بعد أن تزايد نفوذ القاسمية ( جماعة ابن ايواظ ) (٣٨) . وفى مقابل جهود العلماء فى خدمة رجال الطبقة الحاكمة ، أسند اليهم أمراء المماليك وظائف متعددة فى الأزهر وادارة الأوقاف المختلفة ،

---

(٣٧) الجبرتى : المصدر ، ج ٣ ص ٣٢٨ .

(٣٨) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ — ٢٣٧ . — مصطفى بن ابراهيم : ص ١٠٠ — ١٠٣ .

كما أغدقوا عليهم الهبات والهدايا والصلات ، واشتغل بعضهم فى خدمة كبار رجال أمراء المماليك ( على بك الكبير ) لكتابة المراسلات .

وهناك من العلماء من تصدى لمدح الأمراء بالقصائد ، وحضروا مجالسهم الخاصة التى يتبارى الأدباء والشعراء فيها بالمدح والتملق [39] . ولعل مصالح العلماء الخاصة التى يرتبط تحقيقها بعلاقاتهم الطيبة مع رجال الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك ، الى جانب العجز عن مواجهتهم بشكل فعال من العوامل التى حالت دون تزعم العلماء لثورات قوية ضد ظلم الحكام واستبدادهم .

ومن الدراسة السابقة للأوضاع الاجتماعية ، يمكننا أن نستخلص بعض الملاحظات نعرضها على النحو التالى :

أولا : طرأت على مجتمع العسكر — تغييرات اجتماعية — فى القرن الثامن عشر ، تمثلت فى ضعف انتماء الجند الى أوجاقاتهم ، كما كانت الأوضاع فى القرن السادس عشر ، وأصبح الولاء متجها الى بيوتاتهم المملوكية لتقوية الروابط الاجتماعية فيما بينها .

ثانيا : اتجه كبار أمراء المماليك وقادة الأوجاقات — وخاصة فى العاصمة — الى الزواج بالمعتوقات البيضاوات ، بما يدعم الكيان الاجتماعى المملوكى بشكل دائم .

ثالثا : تميزت المعتوقات ( البيضاوات ) بصداقات مرتفعة اذا قورنت بمثيلاتهن من ( السوداوات ) أو ( الروميات — التركيات ) ، والحرائر من ( المصريات ) وغيرهن .

رابعا : عرف أمراء المماليك وقادة الأوجاقات ، تعدد الزوجات تبعا لارتفاع المستوى الاجتماعى .

---

(٣٩) الجبرتى : المصدر السابق ، حـ ٢ ص ٥٢ — ٥٤ ، ص ٢١٤ ، ٢٢١ وما بعدها .

خامسا : حرص المجتمع — بصفة عامة — على مراعاة شئون القصر ، الذين فقدوا آباءهم ، باختيار الأوصياء والنظار ، ليتولوا الاشراف على تربيتهم حتى سن الرشد .

سادسا : تعددت الدوافع التى أدت الى حدوث المصاهرات بين العسكر من ناحية ، وأبناء المجتمع المصرى من ناحية أخرى ، مع احتفاظ المماليك — كطبقة حاكمة — بكيانهم الخاص .

سابعا : تمتعت المرأة فى العصر العثمانى بضمانات كافية ، تحفظ حقوقها تجاه الزوج ، خاصة وقد ضم المجتمع عناصر غريبة — العسكر — تداخلت مع سائر فئاته الاجتماعية بالمصاهرات .

ثامنا : قويت المعاملات بين العسكر وأبناء المجتمع ، مع تزايد نشاطهم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

تاسعا : شارك العلماء بنصيب فعال — كلما أمكنهم ذلك — فى مواجهة الأزمات التى يتعرض لها أبناء الرعية ، مع احتفاظهم — العلماء — بمصالحهم الخاصة ، ومكانتهم لدى رجال الطبقة الحاكمة .

# الفصل الحادى والعشرون

## عادات وتقاليد العسكر فى المجتمع المصرى

سادت عادات وتقاليد بين رجال الأوجاقات والطبقة الحاكمة فى مصر فى القرن الثامن عشر ، وقد تأثروا — الى حد كبير — بالعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع المصرى وسوف نتناولها فيما يلى :

**أ — الأفراح ( حفلات الزواج ) :**

اهتم قادة الأوجاقات بمظاهر الاحتفال بأفراحهم ( حفلات الزواج ) ، بما يتناسب مع أوضاعهم الاقتصادية ، ومستوياتهم الاجتماعية ، خاصة وقد ارتبطوا بمصاهرات مع كبار العلماء والشيوخ ، وكبار التجار والحرفيين ، ويحضر هذه الاحتفالات الباشا العثمانى — أحيانا — وكبار رجالات الطبقة الحاكمة بولاية مصر .

من هذه الاحتفالات ، تلك التى أقامها شيخ السجادة البكرية لزواج ابنته بأحد كتخداوات الجاويشية ، فى اكتوبر ١٧٢١ ، وقد حضر حفلة العرس كافة اختيارية الأوجاقات ، واوده باشية بابى مستحفظان وعزبان ، وكبار الصناجق يتقدمهم جركس بك ، وكتخدا الباشا ، وأغا المتفرقة ، وكتخدا الجاويشية ، الى جانب العلماء وأرباب السجاجيد ورجال الطرق الصوفية ، ويشير المؤرخ الى هذا الفرح أنه « كان عقدا لم ير مثله فى زماننا » (١) ، لما أحيط به من مظاهر البذخ فى المآكل والمشارب ، وتوزيع المحارم والمناديل والهدايا المختلفة . ويبدو ان العريس كان يرسل الى بيت صهره ، قبل

---

(١) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .

Du Mont : A new voyage to the Levant, vol. I. pp. 175-184.

العرس بعدة أيام ، كافة اللوازم المطلوبة لهذه المناسبة من مختلف أنواع المأكولات والمشروبات والهدايا من الأقمشة الفاخرة والطرابيش والأخفاف وغيرها .

ويحرص كبار رجال الأوجاقات على دعوة كافة اختيارية أوجاقاتهم والعسكر لحضور أفراحهم ــ كنوع من التآلف والود بين أبناء الأوجاق الواحد ، حيث نجد أحد كتخداوات عزبان ( ابراهيم كتخدا عزبان ) فى مارس ١٧٢٤ ، يعقد ديوانا فى باب عزبان ليدعو جميع الاختيارية أولا باعتبارهم أكبر أعضاء الأوجاق سنا ومنزلة ، ثم بقية أرباب الأوجاق . ومن الملاحظ أن هذه الاحتفالات كانت مناسبات طيبة للتآخى بين رجال الأوجاقات المختلفة ، للارتفاع فوق مستوى الفتن الداخلية والانقسامات ، فهم جميعا ينتمون الى مجتمع العسكر ( رجال الطبقة الحاكمة ) (٢) .

ويراعى فى احتفالات العرس ، مكانة كل أوجاق داخل الهيكل العسكرى ، فيكون ترتيب الاختيارية فى مجالسهم ومراتبهم ( مستحفظان ــ عزبان ــ المتفرقة والجاويشية ــ السباهية : الكوملية ــ التوفكجية ــ الجراكسة ) .

وكان على رجال الأوجاقات المختلفة تقديم الهدايا ــ كل حسب منزلته ــ بمناسبة أفراح كبار الأمراء المماليك ( شيخ البلد ) والتى تميزت بألوان البذخ الزائد والترف ، فعندما أقام ( على بك الكبير ) عرسا لزفاف ابنته ، استمر الاحتفال شهرا كاملا ، وأقيمت السرادقات حول بركة الفيل ، وعلقت القناديل وزينت المدينة ودعى كافة الأمراء والأعيان والاختيارية ورجال الأوجاقات ( كبار القادة العسكريين ) ، الى جانب التجار والمباشرين ، وجماعات الأقباط والافرنج والأروام واليهود ، وقدموا هداياهم الفاخرة ، وبعد اتمام الشهر وسط احتفالات مستمرة ، زفت العروس فى موكب عظيم ، شقوا به من وسط المدينة ، يتقدمه أرباب الملاعيب والبهلوانات والطبول

---

(٢) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٤٣ .

والجاويشية والأغوات لتنظيم الموكب ، وحملت العروس ووصيفاتها عربة مزينة ، ومشى بجوارها خازنداره ( محمد بك ابو الذهب ) (٣) .

ويهتم أمراء المماليك بدعوة الباشا العثمانى لحضور هذه الاحتفالات لتوطيد العلاقات بين الجانبين ، ففى أوائل شهر ذى الحجة ( ١١٩٠ هـ / يناير ١٧٧٧م ) ، شرع اسماعيل بك فى عمل فرح ابنته ، ولعل هذه المناسبة السارة هى التى دفعت ابراهيم بك لازالة أسباب الخلاف القائمة بين اسماعيل بك ومراد بك ، ورغم أنهما ــ كما يرى المؤرخ ــ قد « اصطلحا على غل .. » (٤) فان مراد بك كان حريصا على مجاملته ــ ولو ظاهريا ــ حيث قام بنفسه بتوزيع المحارم والمناديل على الحاضرين ، وهو يطوف سائرا بين المدعوين ، ودعى الباشا ( محمد باشا عزت ) الى هذا الحفل ، وعندما وصل حارة قوصون فى طريقه الى مكان الاحتفال ، نزل كافة الأمراء وكبار رجال الأوجاقات ، مشاة على أقدامهم لمقابلة الباشا فى موكبه ، وساروا أمامه وبأيديهم المباخر ، حتى وصل المجلس ، فوقف الجميع فى خدمته ، حتى فرغت الولائم الممتدة ( الأسمطة ) ، وقدم الأمراء الى الباشا الهدايا والتقادم من الخيول المسومة وغيرها ، وبعدها زفت العروس الى زوجها ، وهو خازندار أبيها ومملوكه ، وقد صنجقه اسماعيل بك ( منحه رتبة الصنجقية ) .

ولا شك ان نفقات تلك الحفلات التى يتفنن أمراء المماليك فى اقامتها ، كانت تقع ــ بطريق غير مباشر ــ على عاتق أبناء الرعية على شكل ( فردة ، مظالم ) فعندما شرع ابراهيم بك فى ( أواخر شهر ذى الحجة ١٢٠٢ هـ / أوائل سبتمبر ١٧٨٨م ) فى اقامة عرس ابنته ، فرضت التفاريد ( الفرد ) على أهالى البلاد ، وجمعت الأموال غصبا ، بالغ ابراهيم بك فى تجهيز ابنته بكافة أنواع الحلى والجواهر ، والأوانى من الذهبيات والفضيات ، وأقيم

---

(٣) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٢ .
(٤) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣ .
Du Mont : op. cit., pp. 255-260.

الاحتفال حول بركة الفيل ، واستمر فترة طويلة ، يقوم فيه ( ارباب الملاهى والملاعيب ) بأنواع اللهو والطرب ، وبهذه المناسبة قدم كبار الأمراء والتجار هداياهم الى ابراهيم بك ، ودعى الباشا لحضور الحفل ، فنزل من القلعة وأحضر صحبته خلعا وفراوى ومصـــاغ للعروس من الجواهر ، واحتفاء بحضور الباشا قدم ابراهيم بك اليه ما يقرب من عشرين من الخيول والأقمشة الهندية الفاخرة والتحف وغيرها .

وفى أواخر القرن الثامن عشر نرى تطورا قد حدث فى زفة العروس حيث صنعت عربة غريبة الشكل صنعها الافرنج فى أبهة زائدة ، استخدمت فى نقل العروس الى بيت الزوجية بدون ملاعيب ( أرباب الملاعب ) ، يتقدمها الأمراء والكشاف واعيان التجار وهم مشاة (٥) ..

عنى الباشوات العثمانيون — حسب اشارة المؤرخين المعاصرين — فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، باقامة الاحتفالات لزواج أبنائهم ببذخ كبير ، نذكر من ذلك ( باكير باشا ) الذى احتفل فى أغسطس ١٧٣٥ بزواج ثلاثة من أولاده ، تزوج أكبرهم بابنة شيخ الحرم المكى ، والآخران بجاريتين ( معتوقتين ) ، تكسى العروس بملابس فاخرة ، وحزاما من الجواهر يصل ثمنها الى ثلاثين كيسا مصريا ، وتحلى بأنواع مختلفة من الحلى المصنوعة من الذهب والجواهر واللؤلؤ « كسوة أولاد الملوك » (٦) .

أقام الباشا احتفالا كبيرا بالقلعة فى ديوانى الغورى وقايتباى ، وعلقت القناديل وألوان الزينة ، وفرشت بالسجاجيد الفاخرة منطقة الاحتفال ، حتى ميدان الرميلة وباب المحجر ، واشتغل بالخدمة رجال الأوجاقات من ( أغات المتفرقة وكتخدا الجاويشية وباش جاويشية الانكشارية والعزب ) ، فضلا عن الأغا والمحتسب والوالى ، والأمراء وفى أوساطهم المحارم الزردخان ، وقام ارباب الملاهى بألعابهم ليلا ونهارا ، وقد فتحت أبواب القلعة أمام الأهالى

---

(٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٦) أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦٠١ وما بعدها .

لمشاهدة هذه الاحتفالات من مختلف الفئات الاجتماعية ، وقدم الباشا الدعوات الى العلماء والشيوخ وأرباب السجاجيد ورجال الطرق الصوفية ، والأمراء والصناجق وأغوات الأوجاقات واختياريتها والجوربجية وغيرهم ، الى جانب التجار وأرباب الحرف ومجاورى الأزهر والعميان ، وأعد لكل جماعة من المدعوين المجلس اللائق بهم ومكانتهم .

وفى مجتمع العسكر ، اهتم أمراء المماليك بعادات اجتماعية معينة ، للحفاظ على تماسك الكيان المملوكى ، فيتزوج المملوك من ابنة أستاذه ، أو أرملته بعد وفاته ، ليفتح بيت أستاذه ، من ذلك ( يوسف بك الخائن ) الذى تزوج ابنة سيده ( ايواظ بك ) ، وتلقد الامارة والصنجقية على يد ابن سيده ( اسماعيل بك بن ايواظ ) ، وقد يتزوج المملوك بمحظية أستاذه ليرث أملاكه ، كما حدث بالنسبة لـ ( عثمان كتخدا القازدغلى ) ، وحتى يقوى جانب الأمير المملوكى فانه يتجه الى تزويج أخواته بأتباعه ، مثلما فعل ( محمد بك أبو الذهب ) الذى زوج أخته لأحد أتباعه ( الأمير يوسف بك الكبير ) . وفى بعض الأحيان ، كان شيخ البلد ( مراد بك ) يفرض على أرامل أمراء المماليك المقتولين ، أن يتزوجن من أتباعهم قهرا . ويفرض المماليك قيودا صارمة على أبناء العنصر العثمانى للحيلولة دون ارتفاع شأنه ، فبعد خروج الفرنسيين من مصر ودخول العثمانيين ، امتنع أهالى البلد — بتأثير من المماليك — عن مصاهرة العساكر العثمانية ، بعد أن شاعت هذه المصاهرات : « ولما حضر العثمانية تحجبن ( النساء ) وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب .. فأمهروهن المهور الغالية وأنزلوهن المناصب العالية .. » (٧) .

واهتم رجال الطبقة الحاكمة أيضا من الباشوات والقضاة وكبار القادة العسكريين ، بحفلات ختان أبنائهم من الذكور بصفة خاصة ، وقد لا تقل هذه

---

(٧) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٢٧ ، ٢٥١ ، ج ٣ ص ٢٥٧ .
Du Mont : op. cit., vol. II, pp. 160-170.

الاحتفالات فى مظاهرها عن حفلات ( العرس ) السابقة ، وتبدو فيها علاقات الود والترابط — ولو ظاهريا — بين رجال مجتمع العسكر والباشوات العثمانيين (٨) .

ومما يذكر أن بعض الباشوات كانوا ينتهزون هذه الفرصة لكسب ود أبناء الرعية ، فيأمرون بختان أبناء الفقراء ، ويكسى كل منهم ويعطى دراهم .

واهتم رجال القضاء — وهم من رجال الطبقة الحاكمة — بالاحتفال بأفراحهم ، ويسعى أمراء المماليك — وعلى رأسهم شيخ البلد — لمشاركتهم ، فيرسلون اليهم الهدايا ، وكذلك اختيارية الأوجاقات والعلماء والتجار من علية القوم ، كما حذا كبار العلماء — من المصريين وغيرهم — حذو رجال الحكم والادارة بالولاية — باعتبارهم من أعيان البلد — فى الاحتفال بزواج أبنائهم ، واهتموا بدعوة الباشا العثمانى ، وكبار الأمراء والصناجق وقادة الأوجاقات ؛ وذلك لتقوية الروابط خاصة بعد أن عقدت بعض المصاهرات ، وتشابكت المصالح بين الجانبين (٩) . من ذلك ما قام به الشيخ عبد الله الشرقاوى فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة ١٢١٦ هـ / مارس ١٨٥٢م عندما دعا الباشا وكتخداه وكبار رجالات الولاية الى وليمة بمناسبة زواج أحد أبنائه ، وأنعم الباشا على الابن بخمسة أكياس رومية وكساه فروة سمور ، وهذا يعنى ارتفاع شأن كبار العلماء لدى ممثلى الدولة العثمانية من الباشوات (١٠) .

ويقدم لنا أحد الرحالة الأجانب ، وصفا لما شاهده لاحتفال عرس فى أوائل القرن الثامن عشر ، كانت العروس ترتدى ثوبا خاصا بهذه المناسبة من الحرير الملون ، ويكون — أحيانا — مطرزا بالذهب ، وذلك تبعا للمستوى الاجتماعى للأسرة ، ويصاحبها مجموعة كبيرة من النساء اللاتى يقمن بخدمتها وتزيينها ، وهن يرتدين الملابس الواسعة ويضعن البراقع السوداء على

---

(٨) الجبرتى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ١٠٠ .
(٩) نفس المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٢١٠ .
(١٠) نفس المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٢١٠ وما بعدها .

الوجوه ، وعندما تخرج الى بيت الزوجية — يوم العرس — يمسك بيديها اثنتان من النساء وقد غطى وجه العروس بنقاب — حتى لا تصاب بأذى ، وعادة ما تحمل العروس فى هودج مزين على الابل ، ويتقدم موكبها مجموعة موسيقية تدق الطبول ، وآلات الطرب ، ومن الشائع أن الذين يصاحبون العروس حتى بيت زوجها ، من الأهل — بصفة خاصة — لا يرجعون الا بعد الاحتفال بالعذرية ، وحينئذ تعم الفرحة ، وتعلو الابتسامة الوجوه (١١) . ولعل هذه العادات المتبعة فى الزواج حينئذ ، لا يزال بعضها باقيا فى الريف المصرى الى الآن .

**( ب ) المناسبات والأعياد :**

هناك بعض المناسبات التى كان يحتفل بها رجال الأوجاقات وأمراء المماليك ، منها قدوم الباشا العثمانى الحاكم الى مصر لتسلم مهام منصبه (*) وقد يتخذ طريق البحر الى الاسكندرية ، ثم يبحر عبر النيل حتى ( انبابة ) ، أو يسلك طريق البر قادما الى شمالى القاهرة ( العادلية ) وباب النصر ، وعندما يصل مبعوث الباشا ( قابجى ) الى المدينة ، كان رجال الأوجاقات من أغوات المتفرقة والجاويشية يهرعون لاستقباله — كما سبق أن ذكرنا — . لم يعد لهذه المناسبة لدى رجال الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك رونقها وأهميتها — كما كانت فى القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر — عندما كانت السيادة العثمانية فى البلاد لا تزال متماسكة — الى حد ما — فقد تخلى معظم الأمراء المماليك عن الاستقبال الرسمى واكتفوا بتهنئته بعد وصوله الى ( قصر العينى ) ، وحتى اذا خرج بعضهم ( شيخ البلد ) فانه يتقدم صناجقه لاستعراض قوته ، واظهار نفوذه أمام

---

(١١) Perry : op. cit., pp. 248-250.
Du Mont : op. cit., vol. II, pp. 311-316.

(*) وعندما يستقر رأى أمراء المماليك على عزل الباشا ، فانهم يرسلون أحد الأغوات ( أبو طبق ) يقوم بسحب طرف السجادة قائلا له « أنزل يا باشا .. » اشارة الى عزله .

الباشا القادم الى مصر ، ومن المعلوم أن على بك الكبير قد منع ورود الباشوات العثمانيين بعد أن انفرد بشئون الحكم فى البلاد (١٢) .

وتصل الى مصر من حين لآخر أخبار الباب العالى والسلطان ، من تولى أحد السلاطين العرش أو الاحتفال بمولود للسلطان ، ولم تعد أنباء الانتصارات العثمانية ضد الأعداء تصل الى البلاد ـ بشكل يذكر ـ ابان القرن الثامن عشر . ومن الجدير بالذكر أن الأمراء المماليك المتصارعين على السلطة ( الفقارية ـ القاسمية ) قد سعى كل منهم الى كسب تأييد الباشا العثمانى ـ خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ـ بتقديم الهدايا ، ودعوته الى الولائم الفاخرة فى قصورهم وبساتينهم ، وقلت بذلك هيبة الباشا العثمانى فى نفوسهم عن ذى قبل (١٣) .

ويعنى الصناجق أبناء الطائفة الواحدة ( الفقارية ـ القاسمية ) باقامة الاحتفالات الكبيرة والولائم لعدة أيام بمناسبة تغلبهم على خصومهم من رجال الطائفة الأخرى ، خاصة وانهم ينعمون بخيراتهم وممتلكاتهم بعد أن يهرب الخصوم المهزومون خارج القاهرة ، ويدعى اليها أغوات الأوجاقات ورجالها المؤيدين لهؤلاء الصناجق ، وتتسم هذه الاحتفالات بألوان البذخ والترف (١٤) .

ويشارك العسكر ورجال الطبقة الحاكمة ابناء الرعية فى الاحتفال بالاعياد ، ففى عيد الفطر وعيد الأضحى من كل عام ، يركب الأمراء واختيارية الأوجاقات وقياداتها الى القلعة ، فى فجر يوم العيد ليصاحبوا الباشا عند نزوله من قصره متجها لصلاة العيد ، ويعودون فى موكبه ويقبل الصناجق ـ يتزعمهم شيخ البلد ـ لتهنئته بالعيد ، مقبلين ذيل ثيابه ( اتكه ) اظهارا

---

(١٢) أحمد شلبى عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ ، ٤٥٧ وما بعدها .
ـ الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٨ ، ٣٣٤ .
(١٣) الدمرداش : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٨ .
(١٤) أحمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، ص ٥٣٣ .

لاحترامهم ، وينزلون الى بيوتهم يتزاورون ، ويهنيء بعضهم بعضا ، كما يحرصون على زيارة كبار العلماء بهذه المناسبة ، وفى ثانى يوم العيد كان الباشا ينزل الى قراميدان حيث يعد له مجلسا يتلقى فيه وفود المهنئين بشكل رسمى من رجالات الولاية ، ( الدفتردار وأمير الحج ، والباقون من أغوات الأوجاقات ، وقادتها القادمين من الأقاليم ) ، وفى بعض الأحيان كان الباشوات — فى النصف الأول من القرن الثامن عشر — ينتهزون هذه الفرصة للتخلص من بعض الشخصيات المتنفذة بأمر الدولة أو نتيجة للمؤامرات التى يدبرها مع البيوت المملوكية المتنافسة (١٥) .

وقد يفسد العسكر على الأهالى الاحتفال بالعيد ، فلا يخرجون لزيارة القرافة واقامة الخيام ، ولا تخرج النساء فى هذه الأحوال خوفا من أذى الجند ، ومما يذكر ، أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية المضطربة فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر بصفة خاصة ، لم تجعل للأعياد بهجتها المعهودة ، حيث يشير المؤرخ الى مدى الضيق والاحتياج الذى حل بالناس حتى أنهم لا يغيرون ملابسهم ، ويرتدون الثياب الجديدة ، بل أنهم قد يتركونها لدى ( الترزية ) لعدم قدرتهم على سداد أجورهم ، خاصة اذا أجتاحت البلاد الأوبئة التى تودى بحياة الكثيرين (١٦) .

ويهتم أمراء المماليك واختيارية الأوجاقات ورجالها بالمناسبات الدينية الأخرى كالاحتفال بالمولد النبوى الشريف من كل عام ، فى شهر ربيع الأول ، والموالد الأخرى ( مولد الحسين ) ، وأصحاب الأضرحة من المعروفين لديهم ، وأحيانا كان الاحتفال بالمولد النبوى يقام حول بركة الأزبكية على أيدى السادة الأشراف والعلماء ، ويحضر كبار الأمراء والباشا المشاركة فى هذه المناسبة ، ويهتم الباشا ورجال الولاية بخروج المحمل سنويا ، وموكب الحج.

---

(١٥) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢١١ ، ٢٢٨ .
Du Mont : op. cit., p. 340.

(١٦) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٢٨ .

الشريف فى كل عام ، فيسير الموكب فى شوارع المدينة ، حتى يتجه الى بركة الحج ، وهناك يخرج كبار الأمراء والصناجق والعلماء والأهالى لتوديع أمير الحج والحجاج (١٧) .

ومن الأعياد الأخرى ، عيد وفاء النيل وفتح الخليج فى شهر توت القبطى ، حيث يقوم الباشا بكسر السد فى حضور الأمراء والأشراف والعلماء وقادة الأوجاقات ، وترسل التنابيه بهذه المناسبة الى مختلف الأقاليم ، ابتهاجا بارتفاع منسوب مياه النيل التى تحمل الرخاء للبلاد (١٨) .

**جـ ــ العادات والتقاليد :**

تأثر رجال الأوجاقات بالعادات السائدة من خلال احتكاكهم بأبناء المجتمع ، بعد أن تعددت ــ تدريجيا ــ المصاهرات التى تمت بين الجانبين، فقد عرف المجتمع ــ بصفة عامة ــ فى القرن الثامن عشر بشيوع الطابع الدينى والاتجاه لعمل الخير ، ويحرص كثير من العسكر على اداء فريضة الحج وعتق أتباعهم من المماليك ، وجواريهم رغبة فى الثواب ، وقد يوصى أحدهم بذلك اذا لم يتيسر له القيام به فى حياته . واهتم أغوات الأوجاقات وكتخداواتها الى جانب الجوربجية والعسكر ــ كل حسب مستواه الاجتماعى ــ بتشييد المساجد والأسبلة والحمامات والمدارس وغيرها من المرافق العامة . من ذلك ما قام به ( الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفى ) من توسيع للمشهد الحسينى بعد أن اشترى ما يجاوره من العقارات ، واهتم بتأثيث المسجد بكافة الاحتياجات وتزيين الضريح بالأبنوس المطعم بالصدف والفضة والحرير

---

(١٧) الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢٦ ، جـ ٤ ص ١٧٥ ، جـ ٣ ص ٣٠٨ .
وانظر الفصل الخاص « بأمير الحج » .

(١٨) مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة س ١ ص ١٢ ، ص ٨٠٥ .
ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٤٩٧ ، ٢٢٥ .
ــ الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢٦ .

المزركش ، وعرف عنه الاحسان الى الفقراء وتقديم الصدقات (١٩) . وكذلك الأمير ( أحمد كتخدا مستحفظان الخربطلى ) الذى قام بترميم مسجد الفاكهانى وأنفق عليه ما يزيد عن مائة كيس مصرى من ماله الخاص ، كما أقام ( على كتخدا باش اختيار عزبان ) مسجدا بخط القنطرة الجديدة ومكتبا لتعليم الأطفال وصهريجا ( سبيل ) لتوفير المياه (٢٠) .

كما قام الأمير ( عثمان كتخدا القازدغلى ) والد الأمير عبد الرحمن كتخدا — صاحب العمائر المشهورة بمصر — بتعمير الجامع المعروف بالأزبكية ، وعندما افتتح للصلاة أقيم سماط كبير احتفالا بذلك ، وشيد حماما وسبيلا ومكتبا ( مدرسة ) بجانب المسجد ، وغير ذلك (٢١) .

عرف نفر من الأمراء المماليك بالكرم والسخاء ، فهم يقومون بتوزيع الكساوى فى شهر رمضان — احتفالا بهذا الشهر المبارك — على العسكر ( رجال الأوجاقات ) والهدايا الى الأمراء والأعيان وطلبة العلم بالأزهر ، ويوزعون الأموال على مجاورى الأزهر والفقراء (٢٢) .

ومن رجال الأوجاقات من جالس أهل العلم وحضر دروس العلماء ، واشترى الكتب الهامة لوقفها على طلاب العلم ، كما تشير بذلك وثائق المحاكم الشرعية وكتابات المؤرخين المعاصرين ، ولم تقتصر هذه الأعمال على

---

(١٩) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٩ .
— سجلات المحاكم الشرعية : محكمة طولون : س ٢١٩ ق ٤١٩ .
— محكمة القسمة العسكرية : س ١٢٥ ق ١٧ ، س ١١٤ ق ١٥١ ، ق ٩١ ، س ١٥٢ ق ١٣٠ .
— محفظة دشت رقم ٢٢١ ص ٣١٨ .
(٢٠) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٨ .
— أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦٠٩ .
(٢١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٩ .
(٢٢) نفس المصدر السابق ، ج ١ ص ١٤١ .

العاصمة ، بل انتشرت فى مختلف بنادر الولايات والثغور حيث يقيم العسكر وسرداریاتهم (٢٣) ٠

كما انتشرت فى أوساط العسكر بعض العادات السيئة (*) حيث الاعتقاد فى السحر والشعوذة ، عندما يدعى أحد الناس بالولاية والنبوة ، ومخاطبة الجن لعلاج المشكلات الاجتماعية وغيرها من المعتقدات التى تسود فى مجتمعات تفشى فيها الجهل فى ذلك الوقت ٠

ويصف الرحالة بعض العادات والتقاليد الخاصة برجال الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك والعسكر ــ كما شاهدوها بأنفسهم ــ حيث اتخذ البكوات مجالسهم الخاصة والتى تضم أتباعهم من العسكر ، وخدمهم وذلك لتدخين ( النرجيلة ) التى يهتمون بها فى اجتماعاتهم ، وقد زينت ، وصنعت بدقة ويحرصون على استخدام أجود الأدخنة الفارسية والتركية ، ويتناولون القهوة التى يقوم باعدادها من اختصوا بذلك ، وفى بعض الأحيان كان الأمراء المماليك من الصناجق والبكوات يطلبون جماعات الموسيقيين والراقصات

---

(٢٣) سجلات محكمة طولون : س ٢١٤ ، ق ٢١ ، ق ٤٧٥٠ ٠
ــ محكمة الصالحية النجمية : س ٥٢٤ ، ق ٨٥ ٠
ــ محكمة الباب العالى : س ٢٨٣ ق ٩ ، س ٢٦٠ ق ٥١ ٠
ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٨٥ ، س ١١٤ ق ٩١ ، ق ١٤٩ ٠
محفظة دشت رقم ( ١ ) ( دار الوثائق ) ص ١٢ ، ٨٥ ٠
ــ محفظة دشت ٢٢١ ص ١٣٤ ٠
ــ مضابط محاكم الأقاليم : محكمة المنصورة : س ٢٣ ق ٢١ ، س ١٨ ق ٤٣٧ ٠
ــ الجبرتى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٢١ وما بعدها ٠

(*) من هذه العادات الضارة ما عرف بالربط حيث يشير المؤرخ بأن ( مصطفى بك بلفيه ) وهو من الأمراء المماليك قد مات فى طاعون انتشر بالبلاد سنة ١٧٣٦ وكان متزوجا من ابنة الدفتردار منذ أكثر من ثلاثين عاما « الا أنهم ربطوه عنها فما قدر احد على فكه ٠٠ » ٠
ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ٦٠٨ ٠

والمطربات لاحياء هذه المجالس ، خاصة عندما يحتفلون بمناسبات خاصة ، وفيها يشرب الحاضرون المشروبات المعروفة ( العرقى – النبيذ – الخمور ) والتى تخصص فى صنعها أهل الذمة (٢٤) .

وتنتشر قصـــور البكوات وكبار قادة الأوجاقات حول بركة الأزبكية ، وبركة الفيل وعلى جانبى النيل فى الجيزة ومصر القديمة ، حيث يسعى هؤلاء الى الأماكن الفسيحة لتشييدها وسط البساتين الفيحاء .

وقد واظب المماليك والعسكر – كأبناء الرعية – على مواعيد معينة لتناول وجباتهم ، فيكون الافطار قبل طلوع الشمس ، والغذاء فى منتصف اليوم ، أما العشاء ففى الخامسة مساء ، وهم يأكلون الأطعمة المعروفـــة كالأرز الذى يعلوه قطع اللحم ، والسمك ، والطيور ، ولا تخلو الموائد ( الأسمطة ) من المياه العذبة والقهوة ، وهم يأكلون بأيديهم مباشرة ، ويعنى كبارهم باستخدام ( الشوربة ) بديلا عن الماء أثناء الأكل (٢٥) .

ويختص نساء العسكر والبكوات بأماكن خاصة بالحريم داخل بيوتهم وقصورهم ، ويرتدين الملابس الواسعة والبراقع فلا تظهر سوى أيديهن وعيونهن ، ويقوم على خدمتهن الجوارى ، والطواشية (٢٦) .

### د – مفاســـد العســـكر :

حفلت كتابات المؤرخين المعاصرين والوثائق بالعديد من مفاسد العسكر خلال القرن الثامن عشر ، وارتبط ذلك – بصفة خاصة – بضعف واهتزاز سلطة الباشا العثمانى تجاه البيوت المملوكية المتصارعة على السلطة ، الأمر الذى جعل الجند يتطاولون على أبناء الرعية دون رادع لسلوكهم ، وهم

---

(٢٤) De Forbin : Travels in Egypt, pp. 14-30.

(٢٥) Browne ; op. cit., pp. 100-104.

(٢٦) سجلات القسمة العسكرية : س ١٢٠ ق ٢٧٦ ، س ١١٩ ق ٣١١ ، ق ٥٢٣ ، س ١٢٢ ق ٥٤ ، ق ٣٨ ، ق ١٢٥ ، ق ٣٣٦ .
Browne op. cit., p. 103.

يعتمدون على دعم سادتهم من أمراء المماليك ، ففى خلال فترة تسلط جركس بك على شئون الولاية حتى نهايته فى سنة ١٧٣٠ ، كان رجاله من السراجين والعسكر ينهبون الأسواق ( خان الخليلى ــ الصاغة ــ الغورية ) ويطالبون التجار بما يريدونه من البضائع والأموال غصبا ، واذا امتنع أحدهم عن تقديمها ، فانه يتعرض للقتل ، ومن الجدير بالذكر أن العلماء كانوا يعجزون عن مطالبة المسئولين برفع الظلم عن الناس ، فعندما زادت تعديات العسكر سنة ١٧٢٤ ، وطالبهم الأهالى بالتدخل قالوا : « .. نحن وقع علينا التحريج من محمد بك جركس اننا لا نقابل الباشا ، فرجعت الناس ولم يعد من شكايتهم للعلماء شيئا .. » (٢٧) .

ومن عادات العسكر السيئة أنهم اذا دعوا الى أحد الأفراح الخاصة بالأهالى ، فانهم يمتنعون عن تناول الطعام ، ويصرون على أخذ مبالغ من المال ( كراء الأسنان ــ ديش كراسى ) ، ولا يعبأون بوجود قادتهم من الكتخداوات والجوربجية ، فيضطر صاحب الفرح : « ... أن يصون نفسه من البهدلة .. » (٢٨) .

وعندما تتأخر رواتب الجند فانهم ينتشرون بأحياء العاصمة لنهب ما يجدونه من الأقوات وخطف المآكل والأمتعة ، وقد يعمدون الى تجريد الأهالى من ملابسهم اذا ما انفردوا بهم فى الطرقات ، خاصة عندما تصل الى القاهرة جماعات الفلاحين الذين هجروا قراهم أمام ظلم الملتزمين وتسلط الكشاف ورجالهم فيقعون فريسة بين أيدى العسكر بالعاصمة ، ويشير المؤرخ الى

---

(٢٧) احمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

(٢٨) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣١ .

Perry : op. cit., p. 226.

ــ مضابط محاكم الاقاليم : محكمة المنصورة : س ١٨ ق ٤٤٢ ، س٢٣ ق ٤٢ ، س ١٨ ق ٢٥١ ، ص ٢٥٢ ، س ٤٩ ق ١٣٣ ، س ٥٠ ص ١٤٥ ، ص ١٤٦ ، س ١٨ ق ٤٩٦ ، ق ٩٠ ، ق ٣٢٥ ، س ٢٣ ق ١٨٦ .

ــ سجلات القسمة العسكرية : س ١١٩ ق ٦٥ ، ق ١٣٠ ، ق ٧٢ .

تطاولهم ، عندما اعترضوا موكب عرس فى شهر جماد الآخر ١٢١٦ هـ / أكتوبر ١٨٠١م بسوق النحاسين ، وقاموا بخلع ما تزينت به العروس من مصاغ وملابس ومن حولها من النساء ، واعتدوا بالقتل على عدد من الحاضرين (٢٩) .

وهم يقفون بأبواب المدينة لنهب ما يصل اليها من السلع الواردة من الأرياف ، كلما اختلت أوضاع الأمن بالمدينة ، وارتفعت الأسعار . وبدخول العسكر العثمانى الى مصر خلال محاربة الفرنسيين ( ١٨٠١ ) ، اعتدوا على أهالى القاهرة ، وسكنوا البيوت غصبا ، وكلما دخلوا بيتا أخربوه وأحرقوا أخشابه ، وأبوابه للتدفئة ، وينتقلون الى غيره ، وهم يعتبرون ذلك حقا لهم بعد أن شاركوا فى اخراج الفرنسيين من البلاد (٣٠) .

والى جانب تعدياتهم ونهبهم للأهالى ، تعددت حوادث الفجور والفسق من جانب العسكر ، فهم يخطفون النساء والصبية سواء بالعاصمة أو فى القرى بالأقاليم يمارسون القبائح دون مراعاة حرمة شهر الصيام ، وينتهكون حرمة المساجد ، وهم يتطاولون على قادتهم فى بعض الأحيان ، فعندما جرى الاحتفال بوفاء النيل فى عاشر جماد أول ١٢١٩ هـ / ١٧ أغسطس ١٨٠٤ جاهر العسكر بالمعاصى والفسوق دون احترام لوجود الباشا العثمانى كما تعدى بعضهم على بعض العلماء والمشايخ (٣١) .

وفى ضواحى العاصمة ، كان الجند يتتبعون الأسواق الأسبوعية فى انبابة وغيرها لنهب البضائع وما يجلبه الفلاحون اليها ، ولا يتورعون عن تعريتهم ، حتى أن الناس عمدوا الى ربط عمائمهم خوفا من الخطف ، وهم ينتشرون فى المزروعات بخيولهم فترعى كافة المحصولات . ويستغل العسكر خصومات الأهالى ، فيتداخلون بينهم بدعوى استخلاص الحقوق لأصحابها

---

(٢٩) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٩٧ ، ٢٠٢ .
(٣٠) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٠٨ .
(٣١) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص٢٩٦ وما بعدها .

يطالبون المدعى عليهم بالأموال المتزايدة ويطالبونهم بتجهيز مختلف أنواع المآكل والمشارب (٣٢) .

ويضع مؤرخنا وصفا دقيقا لمفاسد العسكر المنتشرة من وقت لآخر بعد أن تراخت قبضة اغا مستحفظان والمحتسب — كما سبق أن درسنا — فى حفظ الأمن ومنع الظلم بالرعية ، « .. لا يعرفون ( العسكر ) من الأحكام الا أخذ الدراهم بأى وجه كان ، وتمادى قبائح العسكر بما لا تحيط به الأوراق والدفاتر ، بحيث لا يخلو يوم من زعجات وكرشات فى غالب الجهات أما لأجل امرأة أو مردا أو خطف شىء .. » (٣٣) ، وهـذا يعكس مدى الاضطراب والفوضى الناجمة عن سلوك العسكر فى القرن الثامن عشر .

ومن هذا العرض السابق يمكننا أن نشير الى بعض الملاحظات على النحو التالى :

**أولا :** تعكس أفراح كبار أمراء المماليك وقادة الأوجاقات — وقد صاروا من العنصر المملوكى — حياة الترف والبذخ التى عاشوها ، على حساب ابتزاز أبناء الرعية من المحكومين على شكل ( فرد ومظالم ) متعددة .

**ثانيا :** كانت أفراح أمراء المماليك واحتفالاتهم ، مناسبات طيبة لتصفية الخلافات — فيما بينهم — ولو بشكل مؤقت ، مما يخفف من حدة الصراعات .

**ثالثا :** اتجه كبار العلماء الى التشبه برجال الطبقة الحاكمة — فى أفراحهم وحفلاتهم — وهم يسعون لدعوة الباشا العثمانى .

**رابعا :** اهتم أمراء المماليك وقادة الأوجاقات — فى معظم الأحوال — باقامة علاقات طيبة مع الباشا العثمانى ، وان كان قد فقد نفوذه وهيبته —

---

(٣٢) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ .
(٣٣) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٩٨ ، ٣٠٥ — ٣١٢ .
Perry op. cit., pp. 227-229.

للظهور امام الباب العالى بمظهر الطائعين لممثلى السلطنة فى مصر ، وهم يقدرون على عزله اذا ما تعرض لمصالحهم وأطماعهم ٠٠

**خامسا :** يظهر من عادات المماليك الاجتماعية ، الحرص على عقد المصاهرات المتبادلة بين افراد البيت المملوكى الواحد ، لتقوية العلاقات بينهم ، ودعم الكيان المملوكى بصفة عامة ٠

**سادسا :** تأثر رجال الأوجاقات بالعادات والتقاليد السائدة بالمجتمع المصرى سواء منها العادات الحسنة أو الضارة ، بحكم استقرارهم والاحتكاك المتبادل بينهم ، وبين أبناء المجتمع ، فضلا عما تم من مصاهرات بين الجانبين ٠

**سابعا :** أقام نفر من كبار رجال الأوجاقات والأمراء — وهم قلة — بعض المآثر الحميدة لخدمة المجتمع سواء لفعل الخير او لمجرد تخليد ذكراهم ( المساجد — المدارس — الحمامات — الأسبلة ٠٠ ) ٠

**ثامنا :** شكل العسكر — فى أحيان كثيرة — عنصرا للفوضى والتخريب بالمجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر ، بعد أن تدهور الجهاز الادارى والسياسى الحاكم بالولاية ، وتداعى نفوذ الباشا العثمانى ٠

تم بحمد الله

# خاتمة

احتوت الأوجاقات العثمانية فى مصر — منذ مطلع القرن الثامن عشر — عناصر شتى ، بعد أن دخلها المحليون ( أبناء البلاد ) من المصريين ، ورجال الجماعات الاسلامية الأخرى ( الشوام — المغاربة — الأحباش ) ، وأصبحوا مصدرا لتزويدها بالرجال ، ورغم ذلك لم يصل المحليون الى مستوى مؤثر فى الكيان العسكرى للأوجاقات .

وانتسب الى الأوجاقات — أيضا — من أبناء الرعية أرباب العلوفات — دون مشاركة فعلية — وهم ينتمون لمختلف فئات المجتمع ، بغرض الحصول على رواتب نقدية وعينية ، وصارت العلوفات فى متناول الكثيرين ، وهى تورث للأبناء ، ويوقف ريعها حسبما يوصى بذلك صاحبها .

ولا شك أن أبناء العنصر العثمانى ، يعدون عنصرا أصيلا فى تكوين الأوجاقات ، بعد أن استوطنوا البلاد ، ووفد رجال القابى قولية — وهم من العثمانيين — الى مصر خلال النصف الأول من هذا القرن ، تبعا لمهام معينة ، ولكنهم فقدوا مكانتهم السابقة فى القرن السادس عشر ، ابان قوة الدولة ، وتخلوا عن مركز الصدارة فى الأوجاقات لعنصر آخر قوى ، على حساب ضعف السيادة العثمانية ، وأشارت مخلفاتهم الى مستواهم الاقتصادى والاجتماعى المتواضع .

أما رجال العنصر المملوكى ، فقد صارت لهم الغلبة فى الأوجاقات ، اذ جرى تزويد الأوجاقات بالمماليك منذ صدر العصر العثمانى ، ضمن الوسائل المتبعة — حسبما أشارت وثائق المحاكم الشرعية — وتزايدت أعداد المماليك فى مصر باستمرار تجارة الرقيق خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ،

ولم تفد محاولات الدولة للحد من هذه التجارة ، وفى نفس الوقت افتقرت الدولة العثمانية لسياســة من شأنها تجديد حامياتها العسكرية المنتشرة بولاياتها المختلفة ، وأهملت أمرها ، مما أدى الى تداعى نفوذها أمام زحف هذه العناصر المملوكية . ومما قوى الوجود المملوكى بالأوجاقات ، تلك التقاليد المملوكية — رغم ما أصابها من اهتزاز — ، والممثلة فى رابطة الولاء التى تنشأ بين المعاتيق وأستاذهم ، ورابطة الزمالة ( الخشداشية ) بين المماليك الذين ينتمون لأمير معين ، وبذلك لـم يعد انتماء العسـكر المماليك الى أوجاقاتهم — وخضوعهم للأغوات ( قادة الأوجاقات ) — بقدر ما كان متجها لسادتهم ، ومن هنا صارت الأوجاقات فى خدمة البيوت المملوكية التى عرفتها مصر منذ القرن السابع عشر ، وتغلغلت فى الكيان العسكرى ابان القرن الثامن عشر ، مما أفقد الأوجاقات الصبغة العثمانية .

دخلت الأوجاقات ميدان الحياة السياسية منذ أوائل القرن الثامن عشر — مما يخالف قانون نامة مصر — تحت ضغط الوجود المملوكى ، وتأثرت بالانقسامات القائمة ( الفقارية ، القاسمية ) ، فبينما كانت أوجاقات السباهية الثلاثة ، وجماعتى المتفرقة والجاويشية تحت زعامة ( أوجاق عزبان ) تؤيد طائفة القاسمية ( خلال فتنة افرنج أحمد سنة ١٧١١ ) ، كانت فرقة ( مستحفظان ) القوية تقف بمفردها الى جانب معظم الفقارية المساندين لافرنج أحمد ، ولا شك أن هذه الصراعات كان لها اثرها السلبى على كيان الأوجاقات ، وانعكســت الخلافات الدائرة بين ابنــاء الطائفة الواحــدة ( القاسمية ) — الشنبية والايواظية — على الأوجاقات ، فسعى كل منهم لايجاد حليف يسانده ضد خصمه ، وتدخلوا فى شئونها الخاصة ، بعــزله المعارضين لنفوذهم ، ونقل أتباعهم ومؤيديهم من أوجاق لآخر ، — عاملين بذلك على التخلص من بقية الضوابط العسكرية — ، واشتروا تأييد رجال الأوجاقات بالمال اذا ما اشتدت الصراعات الدائرة ، وأصبح وجودهم امرا ملحا ، وصار اغوات الأوجاقات لا يملكون لذلك دفعا ، فهم مسلوبى الارادة أمام تسلط أمراء المماليك .

وعجز الباشا العثمانى نفسه عن فرض كلمته على الأوجاقات ، وصار فى حاجة الى شراء مساعدة رجالها بالمال ، اذا ما أراد تنفيذ أوامر الباب العالى — فى بعض الأحيان — للتخلص من أحد الأمراء ، كما غضت الدولة الطرف عن هذه التطورات ، وآثرت العفو عن الشخصيات المملوكية المتنفذة ( جركس بك ) لحاجتها الى الأموال ، وقبلت وســـاطة ملك فرنسا ايذانا بتدخل دول أوربا فى شئون الدولة .

تفاقم خطر أمراء المماليك على الأوجاقات ، بوصول على بك الكبير الى الحكم ، حيث جردها من دعامات اقتصـــادية هامة ، فحرمت من ايرادات الجمارك والمقاطعات ، وقضى على صدور الأوجاقات ورجالها فى معاركه المتعددة ضد خشداشيته وخصومه حتى انفراده بالحكم سنة ١٧٦٨ ، ودفع بهم فى حروبه بالحجاز وبلاد الشام ، موجها بذلك ضربات مؤثرة فى الكيان العسكرى للأوجاقات ، وفى نفس الوقت استكثر من المماليك ، واستعان بجند مرتزقة من سائر الأجناس .

شغل الأمراء المماليك أهم مناصب الولاية : ( مشيخة البلد — امارة الحج — الدفتردارية .. ) ، بعد أن تحولت السلطة الفعلية بولاية مصر لأيدى شيخ البلد ورجاله ، وحجب بذلك وجود الباشا العثمانى فى معظم الأحوال ، وعنيت الدولة بما تبقى لها من سيادة دينية على مصر ، تمثل ذلك فى اختيار أمير الحج ، الذى يمثل السلطان العثمانى فى قيادة الموكب الى الحجاز ، وتسابق أمراء المماليك على شغل هذا المنصب فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ويبدو أن هذا المنصب لم يعد يغريهم — فى الثلث الأخير — بعد أن تعددت مسئوليات أمير الحج ، واضطربت الأوضاع الاقتصادية بمصر ، والأمنية على طريق الحج لتزايد اعتداءات العربـــان المتكررة ، والتى ألحقت بالموكب أضرارا بالغة .

ومن الجدير بالذكر أن الدولة — بعد أن دخلت فى مرحلة الضعف — قد عهدت الى رجال الأوجاقات بمهمة اقرار الأوضاع السياسية فى مكة ،

وتثبيت الأشراف المؤيدين لها فى الحكم ، فتخرج التجاريد صحبة الموكب لانجاز هذه المهمة ، كما طلبت أيضا تعيين عساكر فى كل من جدة وينبع لتوطيد الأمن بهما تحت قيادة السرادرة ، وشغل منصب حاكم جدة — فى معظم الأحوال — أحد قادة الأوجاقات ، ويكون عادة من أمراء المماليك ( الصناجق ) ، وعندما تبينت الدولة خطورة الحركة الوهابية على سيادتها ، ارسلت فى ( ١٢١٩ / ١٨٠٣ ) ، تطلب تجهيز تجريدة الى الينبع لوقف هذا الخطر على أن يدفع لرجالها جامكية سنة كاملة وذخيرة ، وما يحتاجون اليه من المؤن والغلال والجبخانة (١) .

وأصبح أغا مستحفظان ( المسئول عن الأمن بالعاصمة ) — يعين ، غالبا ، بمعرفة شيخ البلد ، وتعددت اختصاصاته ومسئولياته ، بعد أن ارتبط بخدمة مصالح الطبقة الحاكمة ، ولعب أدوارا هامة فى الأحداث السياسية ، وصارت جهوده تجاه أبناء الرعية مجرد تهدئة الأمور ، كلما اشتدت الأزمات الاقتصادية ، وارتفعت الأسعار ، الأمر الذى أثقل كاهل المحكومين ، ومما ساعد على ذلك أن شخصية الأغا ومكانته لدى الناس قد تدهورت ، بعد أن تقاضى الرشوة من أصحاب الحرف والتجار ، للتغاضى عن المخالفات والتجاوزات .

وشغل منصب المحتسب المماليك ، بعد أن فقد أوجاق الجاويشية وجوده ، وتضاءلت اختصاصات المحتسب ، بعد أن سلبه الأغا الكثير منها ، وتدنى مستوى المحتسبين ، ولم يعد اسهامهم فى ضبط الأسواق شيئا مذكورا .

أما رجال الأمن من الصوباشية ، فقد تراخت قبضتهم ، مع استفحال نفوذ أمراء المماليك ، واضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية ، وتلقى الولاة ( الصوباشية ) أيضا الرشاوى ، تاركين شئون الأمن بالعاصمة —

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٠٦ .

فى أحوال كثيرة — مختلة ، ولم يكن ثمة بديل عن قيام الكيانات الذاتية من الطوائف والأحياء — تحت قيادة مشايخها — بدورها لسد هذا الفراغ ، وحمل الأهالى أسلحتهم لمنع أذى العسكر ، وتعدياتهم التى لا تكاد تنقطع .

وفى الادارة المحلية بالأقاليم ، استأثر رجال العنصر المملوكى بأهم المناصب أيضا ، فتولى كبار الأمراء الصنجقيات ( الولايات الخمس الكبرى ) ، وحكم أتباعهم الكشوفيات ( الاقاليم الصغرى ) ، واسندت اليهم سرداريات ( قيادات ) العسكر المستقرين ببنادر الأقاليم لحفظ الأمن ومساعدة حكام الأقاليم فى انجاز مهام الادارة المحلية ، وتخلت الدولة عن سياستها — حسبما أشار قانون نامة مصر — فى تعيين قباطنة الثغور ، وتقدم لادارتها أمراء الألوية الشريفة من البكوات وأمراء المماليك خلال القرن الثامن عشر .

ويجب الاشارة الى اختلال أوضاع الادارة المحلية بعد تراجع نفوذ الباشا العثمانى بمصر ، فقد اشتد ظلم الكشاف بأهالى البلاد ، وتكاسل الجند عن محاربة العربان الذين شكلوا خطرا كبيرا على القرى وأهلها ، بل تواطأ رجال الادارة المركزية والمحلية — من المماليك — مع هؤلاء العربان ضد الأهالى أحيانا .

واصل رجال الأوجاقات نشاطهم فى الميدان الاقتصادى بمصر فى القرن الثامن عشر ، فانتشروا فى مختلف الأقاليم يعملون فى الالتزامات وشئون الزراعة ، وتصدر رجال أوجاقى مستحفظان وعزبان قوائم الملتزمين ، وتميزت حصصهم بالاتساع وارتفاع الحلوانات ، نظرا لنفوذ هذين الأوجاقين المسيطرين . كما أسهم رجال أوجاقات السباهية — العاملين بالأقاليم — وعسكر الجاويشية والمتفرقة بأنصبة لا بأس بها ، وان كانت التزاماتهم محدودة فى مساحاتها وحلواناتها ، ويلاحظ — بصفة عامة — رسوخ اقدام المماليك — من رجال الأوجاقات — فى ميدان الزراعة وحيازة الأراضى بمصر ، باعتبارها أهم موارد البلاد ، ويرجع ذلك الى تضامن المماليك — كمؤسسة

مترابطة — فى ارتياد هذا الميدان ، فى مقابل تحلل الوجود العثمانى بالأوجاقات، لانعدام الروابط القوية اللازمة للمحافظة على هذا الكيان ، وصار دخول العسكر — من أصحاب الأصول العثمانية — لميدان الزراعة غير ذى بال ، ومن منطلق فردى ، ويجدر بنا ان ننوه بقدرة البيئة الزراعية المصرية على جذب العناصر الأجنبية — من العسكر — واغرائها على الاستقرار والتأقلم ، مما أفقد الجند طابعهم العسكرى بعد أن تخلى غالبهم عن أعمالهم الأساسية وجرفتهم تيارات الحياة الاقتصادية .

كما اقتحم العسكر مجال الحرف بالقاهرة وبنادر الأقاليم والثغور ، واشتغلوا بمهن عدة ، وارتقى نفر منهم لمشيخة الطوائف الحرفية ، خاصة تلك التى كان لهم فيها باع طويل ، وتعددت حوانيت العسكر — من العثمانيين وصغار المماليك — فى مختلف الأحياء التجارية والحرفية التى تركزت فى قلب العاصمة ، كما لجأ بعضهم احيانا الى مقاسمة أهل الحرف أرزاقهم — غصبا — فيأتى أحدهم ليضع سلاحه فى الحانوت ، ويعود آخر اليوم يطالب صاحبه بنصيبه !

ولا شك أن اشتغال العسكر بشتى ألوان الحرف كان حائلا دون قيام رجال الادارة بواجباتهم لمراقبة خصائص المنتجات ، وأسعارها ، فقد دخلت معظم الطوائف الحرفية فى حماية الأوجاقات ، وخاصة ( مستحفظان — عزبان ) لقاء ما يدفع من عوائد على التركات . وتوارث أبناء العسكر هذه الحرف الى جانب انتسابهم للأوجاقات المختلفة ، ولعل التزاحم الاقتصادى بين الأوجاقات كان بين أسباب الخلافات فيما بينها ، مما أضعف كيانها العسكرى وشل قدراتها القتالية .

وتخصص من العسكر رجال فى شئون التجارة الداخلية بمصر والخارجية لجلب البضائع بمصاحبة موكب الحج المصرى ، أو بقيادة السفن الكبيرة التى امتلكها كبار الأمراء ، ومن الملاحظ سيطرة امراء المماليك — من قادة الأوجاقات — فى مجال التجارة الواسعة هم ورجالهم من المعاتيق ، بينما تضاءل الدور

الاقتصادى لرجال العنصر العثمانى اذا قورن بمثيله بالنسبة للمماليك .

وواكب هذا النشاط الاقتصادى للأجناد ، دخول التجار وأهل الحرف من المحليين فى سائر الأوجاقات ، او الانتساب اليها ( ارباب العلوفات ) لتوفير موارد مالية وعينية معينة — ( العلوفات والجرايات ) والحصـول على مزايا اجتماعية وحصانة يوفرها لهم الانتماء للكيان العسكرى ، بينما ارتبط كبار التجار المحليين والأجانب برجال أوجاق مستحفظان خوفـا من بطش أغا مستحفظان ورجاله بهم .

ومن الطبيعى ، بعد انصراف رجال الأوجاقات الى كافة الأنشـطة الاقتصادية السابقة ان يكون تجهيز التجاريد أمرا صعبا سواء للقيام بمهام داخل البلاد فى خدمة الادارة المحلية ، او خارجها تلبية لنداء الباب العالى للمشاركة فى حروب الدولة خلال القرن الثامن عشر ، فقد انتشرت جماعات الجند فى قـرى مصر وبنادرها ، واحتكوا بأبناء الرعية وتعاملوا معهم ، وشارك بعضهم الأهالى فى شئون الزراعة وأمور الحرف والتجارة ، ومن ثم نشأت العلاقات الاجتماعية بين هذه العناصر الغريبة من ناحية وبين فئات المجتمع المصرى من ناحية أخرى ، فعقدت المصاهرات بين الطرفين ، وحتى يأمن الأهالى على بناتهم اللاتى تزوجن من رجال الأوجاقات ، وضعت الضمانات لهذا الغرض ، ما لبث الناس ان اتبعوها فى المصاهرات التى جرت فيما بينهم . ولكن ينبغى أن نؤكد بأن هذه المصاهرات اقتصرت على العسكر والأهالى ، بينما احتفظ كبار أمراء المماليك بكيانهم بالتزاوج من المعتوقات ، وانتشرت فيما بينهم عادات اجتماعية من شأنها تقوية الكيان المملوكى فى المجتمع ، اتبعها ابناء البيوت المملوكية القوية من الأجناد .

وتأثرت هذه العناصر المختلفة بعادات وتقاليد المجتمع المصرى فى الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية المختلفة ، وخلد نفر من قادة الأوجاقات والأمراء المماليك ذكراهم ببناء المآثر من المسـاجد والمدارس والأسبلة والحمامات وغيرها .

ومن الجدير بالذكر ان المجتمع المصرى قد عانى كثيراً من مفاسد العسكر ورذائلهم التى لا تقف عند حد ، خاصة بعد أن تدهور الجهاز الادارى والسياسى بولاية مصر وتداعى نفوذ الباشا العثمانى .

ونتيجة لما تقدم ، أصاب الانحلال والتفكك رجال الأوجاقات الذين ابتعدوا عن مهامهم الأساسية ، واهملوا التدريب على الأسلحة ، ولعل هذا الضعف يبدو لنا واضحا بعد أن وصلت حملة حسن باشا قبطان سنة ١٧٨٦ ، وصدرت الأوامر بخروج العسكر لمحاربة أمراء المماليك ( مراد بك وابراهيم بك ) فى الوجه القبلى ، فلاذ بعضهم بالفرار ، وتخفى آخرون فى ملابس الفقهاء ومجاورى الأزهر ، خاصة وقد ساءت أوضاعهم الاجتماعية ، ولم يعد بعضهم يملك قوت يومه ، وتولى المماليك الموالين للباشا العثمانى خصوم ( القبالى ) مهمة قتالهم ، بينما بقى رجال الأوجاقات فى القاهرة ، لتوفير الأمن بالعاصمة والقلعة اذا تمكنوا من ذلك !

ولذلك يمكن القول ، بأن الأوجاقات العثمانية فى مصر لم يعد لها وجود يذكر ، قبل وصول حملة حسن باشا قبطان ، بعد أن تعرضت لتسلط كبار أمراء المماليك منذ ( على بك الكبير ) ، وصارت شئون الحرب والقتال بأيدى البيوت المملوكية المتصارعة ، والتى أضعفها أيضا الصراع على السلطة ، ولم يشأ المماليك أن يأخذوا بأسباب التطور فى مجالات الأسلحة وفنون القتال التى تقدمت فى أوربا ، بعد إندلاع الثورة الصناعية ، وتجمدت أساليبهم وطرائقهم ، وعاشوا بعقلية العصور الوسطى ، فى أواخر القرن الثامن عشر .

اتبع المماليك — بقيادة مراد بك — أساليب الفروسية المتخلفة ، فى مواجهة الجيش الفرنسى — بعد استيلائه على الاسكندرية — عندما التقى الجمعان فى ١٣ يوليو ١٧٩٨ فى ( شبراخيت ) ، ودارت مناوشات بين الجانبين دون الدخول فى معركة حقيقية ، وحرص الفرنسيون على اغراق المراكب التى تحمل الأسلحة والذخيرة ، مستخدمين مدافعهم الحديثة لشل

قدرات المماليك على الصمود ، فتراجع مراد بك وعسكره الى القاهرة ، وتأكد لأمراء المماليك عجزهم بعد أن زعموا تفوقهم على الافرنج ، وقد أشار المؤرخ الى موقفهم السلبى من الحماة الفرنسية عندما وصلت أخبارها الى مصر : « اذا جاء جميع الافرنج لا يقفون فى مقابلتهم ، وانهم يدوسونهم بخيولهم ... » (٢) .

لقد أنهكت الصراعات المملوكية المتواصلة قوى المماليك فى مصر ، وصاروا كيانا ممزقا « ... متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم .. مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم » (٣) .

لجأ المماليك الى اقامة المتاريس على جانبى النيل ، ونصبوا مدافعهم القديمة وثبتوها ، وشحنوا المراكب بالعسكر والأسلحة ، واستعانوا بالعربان ، وانتظروا قدوم الفرنسيين . حرص نابليون على مباغتة أعدائه ، فلم تمض أيام حتى وصلت قواته ( انبابة ) فى ٢١ يوليو ، وتجنب المدافع المثبتة والمتاريس ، لمحاصرة المماليك الذين بذلوا جهدهم فى المقاومة ، ولم تسعفهم فروسيتهم وأساليب ( الكر والفر ) ، وبدا واضحا ذلك البون الشاسع فى مجال التسليح والتكتيك العسكرى الحديث ، فتحددت نتيجة المعركة — التى استغرقت أقل من ساعة — بانتصار الجيش الفرنسى ، ولاذ كل من ( مراد بك وابراهيم بك ) بالفرار .

لاشك ان خسائر المماليك كانت فادحة ، ولم تقم لهم بعدها قائمة ، الأمر الذى ساعد محمد على ، على التخلص من بقايا المماليك (*) فى مذبحة

---

(٢) الجبرتى : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ج ٣ ص ٧ وما بعدها .

(*) بعد خروج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٠١ ، عمل الانجليز على الإتصال ببقايا المماليك ( محمد بك الألفى ) بمحاولة منهم لتقوية جانبهم ، وايجاد حليف لهم يساندهم اذا ما فكرت انجلترا فى احتلال مصر ، وفى الواقع

القلعة ١٨١١ ، ليتمكن من تكوين جيش قـوى ومجهز بأحدث الأسلحة العسكرية — فى ذلك الوقت — ومدرب على فنون الحرب الحديثة ، قادر على تحمل تبعات ( مصر الحديثة ) .

---

كانت شخصية الألفى القوية تهدد انفراد محمد على بالسلطة فى مصر ، إلا أن هذه المحاولات لم تؤت ثمارها ، فقد مات الألفى ، ولم يقدم الفـون لحملة فريزر سنة ١٨٠٧ ، ومن ثم تهيأ المجال لمحمد على للتخلص من هـذا الكيان العسكرى المنهار .

## ملحق رقم ( ١ )

## شرح اهم المصطلحات الواردة بالرسالة

إسقاط : يعنى تنازل أحد الملتزمين عن حصة التزامه أو جزء منها لآخر ، مقابل حصـــوله على حلوانها ( خلو الانتفاع ) ، ويجرى ذلك فى الديوان العالى ، أو فى مجالس الشرع المختلفة .

أوجاق : كلمة تركية لها معانى مختلفة منها ( الموقد ــ الملجأ ــ العائلة ــ السلالة ) ، وقد استخدمت للدلالة على الفرقة العسكرية حسبما أشار قانون نامة مصر .

أولداشات : مفردها أولداش ، من الكلمة التركية ( يولداش ) يول بمعنى طريق ، ( داش ) ، اداة المشـــاركة ، فيكون معناها الرفيق فى الطريق ، وهى تطلق على الزملاء الذين يتبعون أستاذ مملوكى أو أوجاق واحد ، والأولداشات أعضاء فى الأوجاقات ، ولا تزال علاقاتهم قائمة بسادتهم ( رابطة الولاء ) .

تجريدة : هى حملة عسكرية تخرج لانجاز مهام معينة تحت قيادة سردار ، سواء فى داخل البلاد لصد اعتداءات العربان على الأهالى أو لمحاربة امراء المماليك الهاربين بالوجه القبلى ، ويشكلون خطرا على شيخ البلد واتباعه ، أو فى خارج مصر للمشاركة فى حروب الدولة .

تقسيط : وثيقة يحصل عليها الملتزم من الروزنامة ( ديوان الشئون المالية ) ، بعد حصوله على حصة التزام معينة ، يوضح فيها قيمة الأموال الأميرية المقررة عليها ويتعهد الملتزم بجمعها سنويا ..

تمسك : حجة شرعية تبين حق صاحبها فى الانتفاع بحصة التزام أو وظيفة معينة ، وتكون مطابقة لما هو مدون بسجل المحكمة الشرعية .

جراية : راتب عينى من الحبوب يصرف بشكل منتظم من الشونة الشريفة .

جمعية : اجتماع غير رسمى ، يضم شيخ البلد وكبار الصناجق والأغوات والعلماء ، لمعالجة المشكلات الطارئة والتى تخص أبناء الرعية ، أو لبحث الأزمات العسكرية الملحة ، خارجا عن الديوان ، وقد ينوب عن الباشا كتخداه أحيانا فى هذا الاجتماع .

حق الطريق : رسوم يفرضها العسكر ( الجاويشية ) وغيرهم من العاملين فى شئون الادارة بولاية مصر ، على أهالى البلاد ، مقابل توصيل أوامر الباشا وشيخ البلد والديوان ، الصادرة الى حكام الأقاليم للعمل بها ، وقد يدعى الجند — أحيانا — الابلاغ عن أوامر معينة بغرض الحصول على هذه الرسوم .

حلوان : مقدار ما يدفعه الملتزم الجديد من أموال للحصول على حق الانتفاع بحصة التزام معينة ، ويختلف تقدير قيمة الحلوان من وقت لآخر ، وقد يصل الى فائض عشر سنوات ، كما تشير الوثائق ، والفائض يزيد عن المال الميرى ، ويدفع الحلوان أيضا للحصول على وظيفة معينة أو جزء منها .

سباهية : هم العسكر الفرسان ( الخيالة ) الذين يعملون فى خدمة أجهزة الادارة المحلية وينتسمون لأوجاقات ثلاثة ( الكوملية — التوفكجية — الجراكسة ) .

سراجون : مفردها سراج من الكلمة الفارسية ( جراغ ) وهى تعنى المصباح ، ومن مدلولاتها التابع الذى يعيش فى كنف أستاذه ( المملوكى ) قبل دخوله الأوجاق ليصبح فيما بعد ( يولداش ) .

شركفلك : فى التركية ( جرجوه لك ) بمعنى الاطار المحيط ، وهى فى المصطلح العسكرى تدل على المتراس المصنوع من جذوع الاشجار ، أو المركب الكبير الذى يتحصن فيه الجند لتفادى طلقات البنادق والمدافع .

صايل : عوائد ورسوم مقررة على التركات يتقاضاها القسام العسكرى أو الأوجاق الذى ينتمى اليه الجندى .

علوفة : ويطلق عليها أحيانا جامكية وهى راتب نقدى يحصل عليه صاحبها سواء من العسكر أو من ( أرباب العلوفات ) بشكل منتظم من الخزينة .

عليقة : كمية من الشعير والحبوب الأخرى يحصل عليها العسكر ورجال الادارة لتغذية خيولهم .

قابى قولية : بمعنى عبيد الباب العالى ، وهم العسكر الذين يصلون الى مصر وينتمون لأوجاق مستحفظان باستانبول مكلفين بمهام معينة .

قسام عسكرى : هو القاضى المسئول بمحكمة القسمة العسكرية للنظر فى كافة شئون العسكر ، فيرسل رجاله لحصر تركاتهم ، ويعين الأوصياء والنظار لمباشرة شئون ابنائهم القصر ، وهو يحصل لقاء ذلك على عوائد معينة .

ملحوظة : تم الاستعانة بالمصادر والمراجع الآتية فى اعداد هذا الملحق :

١ ــ أحمد السعيد سليمان ( دكتور ) : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ، ١٩٧٩ .

٢ ــ أحمد شلبى بن عبد الغنى : أوضح الاشارات .

٣ ــ أحمد كتخدا عزبان : الدرة المنصانة .

٤ ــ عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، أربعة أجزاء ، طبعة بولاق .

٥ ــ محمد على الأنسى : الدرارى اللامعات فى منتخبات اللغات ( قاموس فى اللغة العثمانية ) .

# المصادر والمراجع

أولا : الوثائـــــــــــق

ثانيا : المخطوطـــــــات

( أ ) العربيـــــة

( ب ) التركيـــــة

ثالثا : المصادر المطبوعة

( أ ) العربيـــــة

( ب ) التركيـــــة

رابعا : مؤلفات الرحالة الأجانب

خامسا : المراجـــــع

( أ ) العربيـــــة

( ب ) الأجنبيـــــة

## المصـــادر والمراجع

### أولا ــ الوثائق :

اعتمدت فى اعداد هـــذه الرسالة على مجموعة كبيرة ومتنوعة من الوثائق ــ غير المنشورة ــ باللغتين العربية والتركية ، ويمكن تصنيفها حسب الأرشيفات المحفوظة بها على النحـــو التالى :

#### ( ا ) أرشيف المحاكم الشرعية :

ويوجد هذا الأرشـــيف الهام ــ حاليا ــ بمصـــلحة الشهر العقارى بالقاهرة ، ويضم معظم سجلات المحاكم الشرعية ، التى انتشرت فى أحياء العاصمة خلال العصر العثمانى ، وهى سجلات مستطيلة الشـــكل ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، ويصعب قراءتها نظرا لقدمها ، واختلاف أنماط الكتابة ، ومصطلحاتها ، واختصاراتها ، من كاتب لآخر ، وهى غير مرتبة ومفهرسة ، قد يقضى الباحث فترة طويلة فى قراءة أحد السجلات ، فلا يجد ما يتعلق بموضوع بحثه ، وعلى الباحث أن يتذرع بالصبر والمثابرة حتى يتمكن من جمع معلومات متناثرة من خلال الحجج الشرعية ( الدعاوى ــ المواريث ــ عقود الزواج والطلاق ــ التوكيل ــ العتق .. الخ ) .

ورغم الصعوبات الكثيرة التى يواجهها الباحث فى هذه السجلات ، الا أن ما يصادفه من معلومات قيمة وجديدة تحفزه على مواصلة البحث والتنقيب .

ولقد عنيت بصفة خاصة بسجلات محكمة القسمة العسكرية فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ( الثانى عشر وأوائل الثالث عشر الهجريين ) ، تلك التى اختصت بالنظر فى كافة شئون العسكر بمصر ، الى

جانب سجلات الديوان العالى ، وسجلات المحاكم الشرعية الأخرى المحفوظة بهذا الأرشيف .

وقد أمكن من خلال دراستها ــ المتأنية والمتعمقة ــ رسم صــورة واضحة ــ لأول مرة ــ عن تركيب الأوجاقات العثمانية بمصر فى القرن الثامن عشر ، وأهمية العنصر المملوكى ، الذى سيطر على الكيان العسكرى للأوجاقات ، ودور العسكر فى الحياة الاقتصادية سواء فى الزراعة وحيازة الأراضى بمختلف قرى مصر أو فى مجال الحرف والتجارة بالبلاد ، واسهام الأجناد فى مجال الحياة الاجتماعية ، حيث اتضحت قدرة البيئة المصرية على جذب العناصر الأجنبية التى استوطنت البلاد ، فنشأت العلاقات الاجتماعية المتعــددة بينها وبين فئات المجتمع المصرى ، وعقدت المصــاهرات بين الجانبين .

واهم هذه السجلات (*) :

ــ سجلات محكمة القسمة العسكرية .

ــ سجلات محكمة الباب العالى .

ــ سجلات محكمة بابى سعادة والخرق .

ــ سجلات محكمة بولاق .

ــ سجلات محكمة مصر القديمة .

ــ سجلات محكمة الصالحية النجمية .

ــ سجلات محكمة طولــون .

ــ سجلات محكمة قناطر السباع .

ــ سجلات محكمة قوصــون .

---

(*) توجد فى هوامش الرسالة اشارات لأرقام السجلات والوثائق التى اعتمدنا عليها .

- سجلات محكمة باب الشعرية .

- محافظ الدشت المختلفة وتضم وثائق هامة ومتنوعة .

- هذا فضلا عن سجلات ( **اسقاطات القرى** ) : التى تضم التنازل عن حصص التزامات العسكر ورجال الادارة وحلواناتها المختلفة ، و ( **تقارير النظر** ) التى تبين اشتغال الأجناد فى مختلف الوظائف الادارية بالولاية .

**ملحوظة** : استخدمت بعض الاختصارات فى هوامش الرسالة وهى على النحو التالى :

س = سجل

ص = صحيفة

ق = وثيقة

**( ب ) دار الوثائق القومية :**

ويضم هذا الأرشيف — ضمن محتوياته — وثائق المخزن التركى التى نقلت الى تلك الدار ، بعد أن كانت محفوظة ومصنفة فى دار المحفوظات العمومية ، وقد أطلعت على عدد كبير من الدفاتر والسجلات والمحافظ اندشت ، وأمكن من خلال دراستها التعرف على أعداد رجال الأوجاقات فى القرن الثامن عشر ، ومرتباتهم النقدية والعينية ، وايراداتهم المختلفة من الجمارك والمقاطعات ، كما أفادت أيضا فى القاء الضوء على أهم القلاع المنتشرة على طريق الحج المصرى وفى الوجه القبلى ، وكيفية تزويدها بالعسكر ( مردان القلاع ) ، ويمكن تصنيفها على الوجه التالى :

**- اولا — سجلات الروزنامة :**

- دفتر مواجبات كشيدة ديوان مصر برقم ٥٢٤٩ .
- دفتر مرتبات برقم ٥٢٧٣ .
- دفتر جراية وعليق لسنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١م .
- دفتر جراية وعليق لسنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤م .

- دفتر جراية وعليق لسنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧م ، برقم ٥٧٧٠ .
- دفتر مقابلة ومحاسبة مصرف غلال لسنة ١١٣٠ هـ / ١٧١٨م .
- دفتر أمناء مذكورين وملتزمين مقاطعات لسنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م برقم ٢٨٠ .
- دفتر أصول مال جمارك ومقاطعات لسنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤م .
- دفتر جريدة صرف ثلث فوائض مذكورين .
- دفتر ميزان مصر لسنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩م .
- دفتر معتاد حكومة مصر لسنة ١٢١٢ هـ / ١٧٠٠م ، برقم ٥٩٥٧ .
- دفتر بقاياى مال شتوى وصيفى لسنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠م ، برقم ٧٥ .
- دفتر خدمة القلاع لسنة ١٠٨٩ هـ / ١٠٩٣م ( ١٦٧٨ — ١٦٨٢م ) .
- دفتر الرزق بضواحى مصر عن سنوات مختلفة فى العصر العثمانى .

**ثانيا — مضابط محاكم الأقاليم :**

وهى تضم سجلات محاكم الأقاليم ، وتعد من أهم المصادر الأصلية التى تضم معلومات غزيرة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية بمختلف أقاليم مصر فى العصر العثمانى حيث انتشرت فى بنادر الأقاليم — مقر الصنجق أو الكاشف — محاكم الشرع لتطبيق أحكام الشريعة ، وللأسف لم يصل دار الوثائق سوى بعض السجلات منها :

**( أ ) سجلات محكمة المنصورة :** وهى سجلات ضخمة ، لا تقل أهمية عن سجلات المحاكم الشرعية — السابق تناولها — تآكلت أوراق عدد من السجلات لعوامل مختلفة ، مما يصعب استخدامها ، ومع هذا فقد أفادت فى دراسة الشئون الخاصة بالادارة المحلية ، ومشاكل الزراعة والالتزام فى القرن الثامن عشر ، كما أمكن من خلالها التعرف على التزامات العسكر واستقرارهم فى البنادر والقرى لمباشرة شئون التزاماتهم ، والاشتغال بصنوف التجارة

وألوان الحرف ، كما بينت حالات الفوضى والاضطراب التى تعرض لها أهالى البلاد على أيدى العسكر والعربان .

وتضم هذه السجلات وثائق تركية هامة ( فرمانات ) صادرة من الباشوات الى حكام الأقاليم ، وأوامر حسن باشا قبطان خلال وجوده فى مصر سنة ١٧٨٦ ، الى قضاة الشرع بالبنادر المختلفة للفصل فى دعاوى الأهالى ضد ظلم رجال الادارة وتعدى العسكر ، وقد استفدت من هذه الوثائق فى القاء الضوء على جهود حسن باشا قبطان فى سبيل استعادة هيبة الدولة فى ولاية مصر بعد أن سيطر أمراء المماليك على شئونها .

**٢ — سجلات محكمة اسكندرية :** وقد تعرفت من خلالها على ادارة العسكر وأمراء المماليك لشئون الجمارك ، ومباشرة ادارة الثغور واستقرار الجند بها بحكم أعمالهم .

**ثالثا — محافظ الدشت :**

وتضم وثائق متفرقة أفادت فى دراسة الالتزامات بسائر الولايات ، والنواحى الادارية والاقتصادية المختلفة ، ومعاملات العسكر والأهالى وما تم من مصاهرات بين الجانبين .

**ثانيا — المخطوطات :**

**( ا ) العربية :**

— ابراهيم الصالحى العوفى :

« تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق » :

نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ( ١٢١٨٣ هـ ) ، ( وقد اعتمدت على صورة منها فى حوزة الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن حيث تفضل مشكورا باعارتها لى ) . ويعالج المؤرخ وقائع الصراع بين الصناجق الفقارية والقاسمية والفتن العسكرية ، والأحداث السياسية

فى ولاية مصر ، منذ ( ١٦٦٠ — ١٧٠١م ) ويقوم الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن — حاليا — باعداد تحقيق لهذه المخطوطة .

— أحمد كتخدا عزبان ( الدمرداشى ) :
« الدرة المنصانة فى أخبار الكنانة » :

مخطوط يقع فى جزئين يضم حوالى ٥٨٩ صفحة ، وهو محفوظ بالمتحف البريطانى ، وقد أتيح لى الاطلاع على هذه النسخة أثناء زيارتى للندن سنة ١٩٨١ ، وحصلت على صورة منها فى حوزتى ، ويحفل هذا المخطوط بألوان الصراع بين الأوجاقات المختلفة ، وشارك مؤلفها — باعتباره من قادة العسكر — فى جانب من هذه الأحداث ، ويتعرض للنواحى الادارية بولاية مصر ، والتجاريد المرسلة ضد العربان ، وما تطلبه الدولة من تجاريد للمشاركة فى حروب الدولة ، كما تعالج الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الفترة من ( ١٦٨٨ — ١٧٥٦م ) .

— مؤلف مجهول : « تاريخ ما وقع بمصر من ابتداء عام ١١٩٠ هـ حتى ذى القعدة ١١٩٨ هـ » نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم Ar. 1856، وقد حصلت على نسخة مصورة على ( ميكروفيلم ) من هذا المخطوط ، وتتناول الأحداث السياسية والصراعات المملوكية فى الفترة المذكورة .

— محمد بن أبى السرور البكرى الصديقى :
« الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة » :

نسخة مصورة عن مخطوط المتحف البريطانى ، محفوظة بمكتبة معهد الدراسات العربية تحت رقم ( ٤١٩ تاريخ ) ، وتتناول الأحداث السياسية فى مصر فى النصف الأول من القرن السابع عشر .

— مصطفى بن الحاج ابراهيم :
« تاريخ وقائع مصر القاهرة » ( ١٦٨٨ — ١٧٣٧م ) :

وهى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٠٤٨ تاريخ) ، واعتمدت على صورة منها فى حوزة الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، ويتناول المؤلف أحداث مصر السياسية والصراعات العسكرية المملوكية (فتنة افرنج أحمد — فتنة جركس بك) ، والنواحى الاقتصادية وتطورها بولاية مصر ، وهى مكتوبة بلغة عامية ركيكة ، وتقع فى ٤٢٥ صفحة ، ويصعب قراءتها .

— يوسف الملوانى (ابن الوكيل) :

« تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب » :

نسخة مصورة عن المخطوطة الموجودة بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج تحت رقم (٨٠ تاريخ) ، وقد اعتمدت على هذه النسخة فى حوزة الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن . وتتعرض بالتفصيل للتطورات السياسية فى مصر خلال الثلث الأول من القرن الثامن عشر ، وهى تقدم معلومات هامة عن الصراعات العسكرية المملوكية فى هذه الفترة .

**(ب) التركيـــة :**

— أوليا جلبى :

« أوليا جلبى سياحتنامه سى » :

نسخة مصورة عن مخطوط استانبول ، جلد ٩ . وتعالج الأحـــداث السياسية والتطورات العسكرية والأوضاع الاقتصادية بولاية مصر ، فى القرن السابع عشر ، وقد اعتمدت على هذه النسخة المحفوظة فى مكتبة استاذى المرحوم الدكتور أحمد عزت عبد الكريم .

— رضوان زاده عبد الله اغا :

« عساكر السلطان » :

مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى برقـــم Add : 24, 956 ويتناول الفتن

العسكرية فى استانبول ومصر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر . وقد حصلت على صورة ( ميكروفيلم ) منها .

ـ عبد الكريم بن عبد الرحمن :

« تاريخ الولاة العثمانيين فى مصر » :

مخطوط بالمتحف البريطانى برقم Add : 7878 ويبدو أن صفحة العنوان مفقودة حيث كتب عنوانها باللغة الانجليزية ، وتتعرض للأحداث السياسية فى عهد الولاة العثمانيين بمصر فى الربع الأول من القرن الثامن عشر ، وقد حصلت على نسخة منها ( ميكروفيلم ) .

ـ قانون نامة مصر :

مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ( ٤ ) « قانون تركى مخطوط ، طلعت » ، وهو القانون الذى وضع فى أوائل عهد السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٢٥ ، لتنظيم شئون ولاية مصر ، قد عثرت على هذه النسخة أثناء اعدادى لرسالة الماجستير ، بعد أن كان بعيدا عن متناول الباحثين لأمد بعيد ، وذلك بمعونة الأستاذ نصر مبشر الطرازى . ويقوم حاليا كل من الدكتور أحمد فؤاد متولى والدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، باعداد ترجمة وتحقيق لهذا القانون الهام .

ـ مؤلف مجهول :

« كتاب سلاحشور دربيان استعمال آلات حرب » :

مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم 595 ,23 ويتعرض المؤلف لفنون القتال ، وكيفية استخدام الأسلحة التقليدية المعروفة فى القرن الثامن عشر وألوان الفروسية .

ـ ( صورة ) وثيقة محفوظة فى أرشيف ( طوبقبوسراى ) استانبول تحت رقم 7670 تفضل الدكتور أحمد فؤاد متولى باعارتها لى .

## ثالثا — المصادر المطبوعة :

### ( أ ) العربيـــة :

— أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى :
« أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات ، الملقب بالتاريخ العينى » تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم — القاهرة ١٩٧٨ .
ويتناول الأحداث السياسية والفتن العسكرية المملوكية فى ولاية مصر ، من بداية الحكم العثمانى حتى سنة ١٧٣٧ ، كما يتعرض للنواحى الاقتصادية والاجتماعية وتطورها فى هذه الفترة .

— ابن اياس :
« بدائع الزهور فى وقائع الدهور » الجزء الخامس ، تحقيق الأستاذ محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦١ .

— عبد الرحمن الجبرتى :
« عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » أربعة أجزاء — طبعة بولاق ١٢٩٧ هـ .

— على بن محمد الشاذلى :
« ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة » تحقيق الدكتور عبد القادر طليمات ( المجلة التاريخية ، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨ ) . ويتناول أحداث فتنة افرنج أحمد سنة ١٧١١ بالتفصيل وموقف الشعب المصرى من هذه الفتنة .

— محمد بن ابى السرور البكرى الصديقى :
« كشــف الكربة فى رفع الطلبة » تقديم وتعريف وتحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ( مستخرج من المجلة التاريخية ، المجلد الثالث والعشرون ١٩٧٦ ) وتعالج ثورات السباهية فى الربــع الأخير من القرن السادس عشر حتى القضاء عليها على يد محمد باشا ( مبطل الطلبة ) سنة ١٦٠٩ ، ويصور فيها المؤرخ الجرائم التى ارتكبها الأجناد الثائرين فى الأقاليم والعاصمة خلال هذه الفترة .

( ب ) التركيـــــة :

— أحمد جودت « تاريخ جودت » . استانبول ١٣٠٣ هـ ، جلد ( ٧ ) . وقد اعتمدت على نسخة بمكتبة أستاذى الدكتور عبد العزيز سليمان نوار .

— أحمد راسم : عثمانلى تاريخى ، استانبول ١٣٢٦ هـ .

— خليل أدهم : مسكوكات عثمانية ، استانبول ١٢٨٨ هـ .

— الفرمانات الشاهانية الصـادرة الى ولاة مصر وخديويها ( ١٥٩٧ — ١٩٠٤ ) ، ٨ مجلدات ، ( نسخة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٧٧٤٨ تركى ) ، جمعها وصنفها ( حاييم ناحوم ) .

— محمد فتكرى شونهء نو : جركسلر ، استانبول ١٩٢٢م .

رابعا : مؤلفات الرحالة الأجانب :

— Browne, W.G. : Nouveau voyage Dans La Haute et Basse Egypte, La Syrie, Le Dar-Four, Paris, 1800.
— Bruce, M. James : Voyage aux Sources du Nil, en Nubie et en Abyssinie, London, 1791.
— De Forbin : Travels in Egypt in 1817-18, London. 1820.
— De Hond T., Pierre : Nouveau Voyage, Paris, 1724.
— Du Mont : A New Voyage to the Levant, Two Vol. London. 1702.
— Perry, Charles : A view of the Levant, London, 1743.
— Savary, M : Lettres sur l'Egypte, Paris, 1786.
— Volney : Travels through Syria and Egypt. vol. I. London, 1787.

خامسا — المراجع :

( أ ) باللغة العربية :

١ — أحمد عزت عبد الكريم ( دكتور ) : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٧٠ .

٢ — أندريه ريمون ( دكتور ) : فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ١٩٧٤ .

٣ ــ حسين أفندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، تحقيق محمد شفيق غربال : بعنوان ( مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ ــ ١٨٠٠ ) حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ١٩٣٦ .

٤ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ( دكتور ) : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤ .

٥ ــ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ( دكتور ) : المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى ، تونس ١٩٨٢ .

٦ ــ عبد العزيز نوار ( دكتور ) : الأزمة اللبنانية ، القاهرة ١٩٧٨ ، بحث منشور بعنوان ( تطور لبنان السياسى والاجتماعى منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى أواخر الحكم المصرى ١٨٤٠ ) .

٧ ــ عبد العزيز نوار ( دكتور ) : تاريخ العرب الحديث ، الجزء الأول ( العراق ) ، القاهرة ١٩٨٣ .

٨ ــ عبد الله عزباوى ( دكتور ) : الحركة الفكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ١٩٧٦ .

٩ ــ عراقى يوسف محمد : الأوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين ١٦ ، ١٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، قسم التاريخ ١٩٧٨ .

١٠ ــ محمد شفيق غربال : محمد على الكبير ، أعلام الاسلام ، ع ٨ القاهرة ، اكتوبر ١٩٤٤ .

١١ ــ محمد مصطفى زيادة ( دكتور ) : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر ، بحث فى حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٣٦ .

١٢ ــ هاملتون جب ، هارولد بوون : المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ١٩٧١ .

(ب) باللغـــات الأجنبية :

— Deherain : L'Egypte Turque, Paris, 1931.

— Esteve : «Mémoire sur les Finances de l'Egypte depuis sa conquêt par le sultan Selim I ier Jusqu'a celle de Général en chef Bonaparte» dans Description de l'Egypt. Tome XII, Paris, Second edition.

— Holt. P.M. : Egypt and the Fertile Crescent 1516-1922. London, 1966.

— Holt. P.M. : The beylicate in Ottoman Egypt during the seventeenth century (Bulletin of the SOAS, University of London, vol. XXIV, Part 2», 1961.

— Holt. P.M. : The exalted lineage of Ridwan Bey (Bulletin of the SOAS, University of London, Vol. XXII, Part 2», 1959.

— Holt. P.M. : The Career of Küçük Muhammad (1976-94), Bulletin of the SOAS University of London, vol. XXVI, Part 2, 1963).

— Mantran, R. : Istanbul dans la sécond moitie 17e siécle, Paris 1962.

— Mc Evdy and Jones : Atlas of World population History, London, 1978.

— Pallis A. : In the Days of the Janissaries, London, 1951.

— Raymond A. : Artisans et commerçants au Caire au 18e Siécle, Damas, 1974.

— Shaw. S. : The Financial and Administrative Organization and development of Ottoman Egypt. Princeton, 1956.

— Shaw. S. : Ottoman Egypt in the Eighteenth century, Harvard, 1962.

— Walz. T. : Trade between Egypt and Bilad as-Sudan, 1700 — 1820, Institut Francais D'Archéologie Orientale Du Caire, 1978.

رقم الايداع ٢٩٩٥ / ٨٥

الترقيم الدولى ٩ — ١٤٦٣ — ٠٢ — ٩٧٧

مطبعة التضـــامن

٢٢ شارع سامى — ميدان لاظوغلى

تليفون : ٥٥٠٥٥٦ — القاهرة

## ( تصــويب اخطـــاء )

| الصفحة | السطر | الخطــأ | الصــواب | كلمة ناقصة |
|---|---|---|---|---|
| ١٢٩ | ١٧ | عن | فى | |
| ١٣٠ | ١٩ | بنو حبيب | بنى حبيب | |
| ١٣٥ | ١١ | العسكرية | العثمانية | |
| ١٣٥ | ١٤ | لدول | الدولــة | |
| ١٣٨ | ٩ | خلفاء القطامشية | خلفا للقطامشية | |
| ١٣٩ | ١٢ | حدوثهم | أحداثهم | |
| ١٣٩ | ٢٢ | لمناوره | لمناوءه | |
| ١٤٠ | الهامش | الجبراتى | الجبرتى | |
| ١٤١ | ٢ | وتغلب | والتغلب | |
| ١٤١ | ٢٠ | ذات | ذوى | |
| ١٤٢ | ٢ | الاقاسمية | القاسمية | |
| ١٤٢ | ٧ | أبو الذهب | أبى الذهب | |
| ١٤٣ | ٣ | اللى | الى | |
| ١٤٣ | الهامش | الجبرتى | نفس | |
| ١٤٤ | ٩ | ــــ | ــــ | فى ( مايو ) |
| ١٤٦ | ١٥ | أبناء | أنباء | |
| ١٤٧ | ٣ | ــ | ــ | وهو ( اسماعيل ) |
| ١٤٩ | ١٢ | اسكندرية | الاسكندرية | |
| ١٥١ | ١٦ | بطلب | لطالب | |
| ١٥٣ | ١٠ | تحت | تحت | |
| ١٥٤ | ١٨ | جامع | خارج | |
| ١٦٩ | ٣ | بالعسكرية | بالعسكر | |
| ١٧٥ | الهامش | ــــ | ــــ | (op. cit., p. 266 |
| ١٨٠ | الهامش | ص ٧ ، ٢٠ | ص ٢٠٧ | |
| ١٨٤ | ٢ | غلبا | غالبا | |
| ١٨٦ | ٩ | مودته | موده | |
| ١٨٩ | ١١ | ١١٩ هـ | ١١٩٩ هـ | |
| ١٩٢ | ١٤ | ــ | ــ | شريف ( مكة ) |
| ١٩٥ | ١٨ | كتله | لقله | |
| ١٩٦ | ١٢ | الدفتردارية | الدفتردار | |
| ٢٠٣ | هامش (١) | Otoman | Ottoman | |
| ٢٠٤ | ١٥ | القعده | ذى القعده | |

## ( تصـــويب اخطـــاء )

| الصفحة | السطر | الخطـأ | الصـــواب | كلمة ناقصة |
|---|---|---|---|---|
| ٢٠٥ | ١ | فى | على مسرح | |
| ٢٠٥ | هامش (٥) | ٣٣٦و٣٣ | ٣٣٦ | |
| ٢٠٦ | ٥ | بعدم | عدم | |
| ٢٠٦ | ١١ | مستحفظا | مستحفظان | |
| ٢١٩ | ٢٣ | جماد | جمادى | |
| ٢١٩ | هامش (٤١) | الجبرتى | نفس | |
| ٢٢٢ | ١٦ | فنش | فتش | |
| ٢٢٦ | ٢ | لكف | كلف | |
| ٢٢٨ | ٢١ | جماد | جمادى | |
| ٢٢٩ | ٦ | اللجهود | الجهود | |
| ٢٢٩ | ١٢ | القعدة | ذى القعدة | |
| ٢٣٧ | ١١ | ومساعدوه | ومساعديه | |
| ٢٤٠ | ٥ | لمحاسبته | لمحاسبتهم | |
| ٢٤٣ | ٢٠ | اضطرت | اضطربت | |
| ٢٤٤ | ١٩ | على | عن | |
| ٢٤٦ | ٢ | سلطاته | سلطاتهم | |
| ٢٤٧ | ٣ | — | — | و ( منذ ) |
| ٢٥١ | ٣ | وتوفير | لتوفير | |
| ٢٥١ | ٩ | ينهاون | يتهاون | |
| ٢٥٢ | ١ | اختفائها | اخفائها | |
| ٢٥٤ | ١٩ | اعداه | اعداد | |
| ٢٥٤ | ١٧ | و ( صغار ) | أو ( صغار ) | |
| ٢٧٦ | ٥ | سلفه | أسلافه | |
| ٢٧٦ | ١٢ | ومع | ومن | |
| ٢٧٩ | ٣ | أو فقد | وافقد | |
| ٤٥٧ | ١٤ | 1976-94 | 1676-94. | |